سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

العدد 28 - أيلول/سبتمبر 2017
Issue 28- September 2017

A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 28 -أيلول / سبتمبر 2017
Issue 28- September 2017

Articles 5 | دراسات

Marwan Kabalan
Elite v. Geography: Actors, Structures and Qatar Foreign policy 7

مروان قبلان
سياسة قطر الخارجية: النخبة في مواجهة الجغرافيا

Mohamed Abdulaziz Al-Khulaifi
The Legal Ramifications of the Blockade on Qatar in Terms of International Law 28

محمد بن عبد العزيز الخليفي
الأبعاد القانونية لقرار دول الحصار في ضوء القانون الدولي

Mohamed Hamchi
Analytical Selectivity in the Discipline of International Relations 40

محمد حمشي
الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية

Jehad Alayasa
Repeated Changes of Palestinian Cabinet Ministers and the Impact on Public Policies: the Point of View of Higher Authorities 55

جهاد العيسة
تغير الوزراء الفلسطينيين المتكرر وأثره في السياسات العامة: وجهة نظر الإدارات العليا

Kirkuk: Flashpoint of Arab-Kurdish Conflict or the Site of Conciliation? 73 | كركوك: عقدة النزاع العربي- الكردي، أم طريق التوافق؟

Khalil Fadl Osman
Kirkuk in Iraqi Narratives of Victimization and the Victimizer 75

خليل فضل عثمان
كركوك في سرديات المظلومية والظالِميّة العراقية

Nahwi Saeed
From Diversity to Division: the Prospects for a Consociational System of Power-Sharing in Kirkuk 90

نوشيروان حسين سعيد
من التنوع إلى الانقسام: إمكانية نموذج توافقي لاقتسام السلطة في كركوك

Translation 105 — دراسة مترجمة

Richard N. Haass
Trans. By Abdou Moussa
World Order 2.0: The Case for Sovereign Obligation 107

ريتشارد هاس
ترجمة عبده موسى
النظام العالمي – الإصدار 2.0: حالة التزامات السيادة

Arab Opinion Index 113 — المؤشر العربي

Mohammed al–Masri
Arab Public Opinion towards US Foreign Policy during the First Year of the Trump Presidency 115

محمد المصري
اتجاهات الرأي العام العربي نحو السياسات الأميركية خلال العام الأول من عهد ترامب 2017

Documentation 127 — التوثيق

Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/7/2017 - 31/8/2017 129

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة بين 2017/7/1 – 2017/8/31

Palestine Over Two Months 1/7/2017 - 31/8/2017 133

الوقائع الفلسطينيّة في المدة بين 2017/7/1 – 2017/8/31

Book Reviews 139 — مراجعات وعروض كتب

Yassine Yahyaoui
Has the 2011 Constitution Stalled the Democratic Transition of Morocco? Critique of "Moroccan Experience of Constitutional Reform" 141

ياسين اليحياوي
هل أخفق دستور 2011 في تحقيق تحول ديمقراطي في المغرب؟ قراءة في كتاب "تجربة الإصلاح الدستوري في المغرب"

Ahmed Qasem Hussein
"Collective Security in the League of Arab States: Realistic and Structural Theories" by Ahmed Ali Salem 147

أحمد قاسم حسين
"الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية" لأحمد علي سالم

Report 157 — تقرير

Ihab Maharmeh
Symposium
"The Gulf Crises and Blockade of Qatar:Economic, Legal and Political Perspective 159

إيهاب محارمة
ندوة
"أزمة الخليج وحصار قطر من منظور الاقتصاد والقانون والسياسة"

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات هو مؤسسة بحثية فكرية مستقلة للعلوم الاجتماعية والتاريخية وبخاصة في جوانبها التطبيقية.

يسعى المركز من خلال نشاطه العلمي البحثي إلى خلق تواصل بين المثقفين والمتخصصين العرب في العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم وأمتهم وبينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية في عملية البحث والنقد وتطوير الأدوات المعرفية والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، كما يسعى المركز إلى بلورة قضايا المجتمعات العربية التي تتطلب المزيد من الأبحاث والمعالجات، وإلى التأثير في الحيز العام.

المركز هو مؤسسة علمية، وهو أيضًا مؤسسة ملتزمة بقضايا الأمة العربية وبالعمل لرقيها وتطورها، وهو ينطلق من كون التطور لا يتناقض والثقافة والهوية العربية، ليس هذا فحسب، بل ينطلق المركز أيضًا من أن التطور غير ممكن إلّا كرقي مجتمع بعينه، وكتطور لجميع فئات المجتمع، في ظروفه التاريخية وفي سياق ثقافته وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

يعنى المركز بتشخيص وتحليل الأوضاع في العالم العربي، دولًا ومجتمعات وبتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبالتحليل السياسي بالمعنى المألوف أيضًا، ويطرح التحديات التي تواجه الأمة على مستوى المواطنة والهوية والتجزئة والوحدة، والسيادة والتبعية والركود العلمي والتكنولوجي، وتنمية المجتمعات والدول العربية والتعاون بينها، وقضايا الوطن العربي بشكل عام من زاوية نظر عربية.

ويعنى المركز العربي أيضًا بدراسة علاقات العالم العربي ومجتمعاته مع محيطه المباشر في آسيا وأفريقيا، ومع السياسات الأميركية والأوروبية والآسيوية المؤثرة فيه، بجميع أوجهها السياسية والاقتصادية والإعلامية.

لا يشكل اهتمام المركز بالجوانب التطبيقية للعلوم الاجتماعية، مثل علم الاجتماع والاقتصاد والدراسات الثقافية والعلوم السياسية حاجزًا أمام الاهتمام بالقضايا والمسائل النظرية، فهو يعنى كذلك بالنظريات الاجتماعية والفكر السياسي عناية تحليلية ونقدية، وخاصةً بإسقاطاتها المباشرة على الخطاب الأكاديمي والسياسي الموجه للدراسات المختصة بالمنطقة العربية ومحيطها.

ينتج المركز أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات وورش عمل وتدريب وندوات موجهة للمختصين، وللرأي العام العربي أيضًا، وينشر جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية ليتسنى للباحثين من غير العرب الاطلاع عليها.

The Arab Center for Research and Policy Studies (ACRPS) is an independent research institute for the study of the social sciences and humanities, with particular emphasis on the applied social sciences.

The ACRPS strives to foster communication between Arab intellectuals and specialists in the social sciences and humanities, establish synergies between these two groups, unify their priorities, and build a network of Arab and international research centers.

In its commitment to the Arab world's causes, the ACRPS is based on the premise that progress necessitates the advancement of society and human development and the interaction with other cultures, while respecting historical contexts, culture, and language, and in keeping with Arab culture and identity.

To this end, the Center seeks to examine the key issues afflicting the Arab world, governments, and communities; to analyze social, economic, and cultural policies; and to provide rational political analysis on the region. Key to the Center's concerns are issues of citizenship and identity, fragmentation and unity, sovereignty and dependence, scientific and technological stagnation, community development, and cooperation among Arab countries. The ACRPS also explores the Arab world's political and economic relations with its neighbors in Asia and Africa, and the Arab world's interaction with influential US, European, and Asian policies in all their economic, political, and communication aspects.

The Center's focus on the applied social sciences does not detract from the critical analysis of social theories, political thought, and history; rather, this focus allows an exploration and questioning of how such theories and ideas have directly projected themselves on academic and political discourse and guided the current discourse and focus on the Arab world.

The ACRPS regularly engages in timely research, studies, and reports, and manages several specialized programs, conferences, workshops, training sessions, and seminars that target specialists and the general public. The Center publishes in both Arabic and English, ensuring its work is accessible to both Arab and non-Arab readers.

دراسات

Articles

مروان قبلان | Marwan Kabalan*

سياسة قطر الخارجية: النخبة في مواجهة الجغرافيا

Elite v. Geography: Actors, Structures and Qatar Foreign policy

تمثل السياسة الخارجية لدولة قطر وعلاقاتها الإقليمية والدولية تحديًا كبيرًا للنظريات الرئيسة في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، التي تؤكد في غالبها الدور المركزي للعوامل البنيوية، خاصة معطى القدرات والإمكانات النسبية التي تتمتع بها الدولة في مقابل الدول الأخرى في نظامها الإقليمي والدولي. تتناول هذه الدراسة العلاقة بين القيود والمحددات البنيوية Structures، وفي القلب منها الجغرافيا، في تحديد سياسة قطر الخارجية وإستراتيجيات النخبة Strategies للتخفيف منها. وتخلص الدراسة إلى أن الإستراتيجيات التي استخدمتها النخبة القطرية منذ عام 1995، خاصة خلال فترة الربيع العربي القصير (2011–2013) قد حدّت كثيرًا من تأثير القيود والعوامل البنيوية. ومن جهة أخرى، يتبين أن الجغرافيا وبنية النظام الإقليمي والقدرات النسبية، الصلبة خاصة Hard Power، التي تتمتع بها الدولة تبقى أساسية في استدامة القدرة على القيام بالدور أو استمرار الفاعلية، خاصة في منطقة ما زال يسيطر على تفكير نخبها "الريال بولتيك" Realpolitik.

كلمات مفتاحية: سياسة قطر الخارجية، الأزمة الخليجية، النخبة.

Qatari foreign policy presents a challenge for students of international relations. Whereas major theories within the field tend to privilege structural factors in explaining the action of states, and particularly small states, in the case of Qatar, the quality of leadership and the strategies that leadership employs to navigate through the structural constraints—primarily geography—are equally important. One of the main findings of this paper is that the strategies adopted by the Qatari elite since 1995 did alleviate many of the structural constraints which the country would otherwise have faced. Moreover, during the short-lived Arab Spring of 2011-2013, Qatar tried to reshape the political landscape in the Middle East to its favor, challenging the two regional hegemons Saudi Arabia and Iran, in Egypt and Syria respectively. Yet, the paper concludes, geopolitical factors and the relative capabilities of states remain instrumental in assuring a state's sustained capacity to continue playing a key role. This is particularly true in a region where elite thinking continues to be defined by realpolitik.

Keywords: Qatar Foreign Policy, the Gulf Crisis, Elite.

* مدير وحدة تحليل السياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Head of Policy Analysis, the Arab Center for Research and Policy Studies.

مقدمة

تستأثر دولة قطر، وسياساتها الخارجية، وعلاقاتها الإقليمية باهتمام كبير في وسائل الإعلام العربية والعالمية على السواء، ويجري تناول الدور القطري عادةً في أزمات المنطقة والإقليم بالنقد تارةً والإطراء تارةً أخرى، اعتمادًا على موقف الشخص من القضية التي يتناولها ودور قطر فيها. أما على المستوى الأكاديمي فيدور نقاش أعمق بكثير حول دور قطر الإقليمي وسياساتها الخارجية، يتجاوز التحيزات السياسية والمواقف الأيديولوجية والكتابات الإعلامية.

هنا تمثّل قطر حالة قائمة بذاتها تغري بالبحث والدراسة، نظرًا إلى ما تمثله من تحدٍ لأبرز مقولات نظرية السياسة الدولية وقدراتها التفسيرية للعلاقات بين الدول وسياساتها الخارجية. فنظريات السياسة الدولية (الواقعية تحديدًا بنسخها المختلفة) تنطلق من فكرة أساسية مفادها أنّ النظام الدولي هو نظام القوى الكبرى، وأن الدول الصغيرة غير مهمة، لا في وجودها ولا في سياساتها الخارجية، لأنها تخضع بالمطلق لقوى النظام ومعادلات القوة التي تسود فيه[1]، وأن هذه الدول حتى تتمكن من الحفاظ على بقائها في بيئة عامة سمتها الفوضى، ويحكمها مبدأ المصلحة والاعتماد على الذات Self-Help، تعمد بالضرورة إلى طريقين لا ثالث لهما: إمّا الانضواء تحت جناح قوة كبرى، في إطار علاقة تبعية Bandwagoning لحماية نفسها من قوى أخرى تمثّل تهديدًا لها في منطقتها، وإما الدخول في تحالفات مع قوى أخرى لمواجهة تهديدات قوة أكبر منها Balancing[2].

وفي الحقيقة، فعلت قطر الأمرين معًا في الفترة 1971 - 2011، عندما دخلت في علاقة تبعية مع السعودية لحماية نفسها من إيران، خاصة بعد سقوط نظام الشاه، ثم عندما دخلت في علاقة حمائية مع الولايات المتحدة الأميركية بتوقيعها اتفاقية دفاعية عام 1992، واستضافتها قوات أميركية في قاعدة العديد بعد عام 2002، لتأمين نفسها من تهديدات السعودية وضغوطاتها، ثم عندما تحولت لتصبح "عضوًا غير رسمي" في تحالف "محور المقاومة" في الفترة 2006 - 2011 لموازنة الضغط السعودي أيضًا الذي اشتد عليها بعد الغزو الأميركي للعراق عام 2003.

خلال العقدين الأخيرين، ظلت قطر تستأثر باهتمام إعلامي كثيف نظرًا إلى فاعلية سياساتها الخارجية ودورها الإقليمي الكبير الذي لا يتلاءم مع حجمها. لكنها بقيت مع ذلك تعمل ضمن الأطر والهوامش المعروفة في السياسات الخارجية للدول الصغيرة؛ الالتحاق أو التوازن Balancing or Bandwagoning[3]. ظهر التحدي الحقيقي الذي مثلته قطر لدارسي العلاقات الدولية مع الربيع العربي، عندما فاجأت الحكومة القطرية بسلوكها المراقبين وتحدّت بسياساتها أهم المنظرين في حقل العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في قدرتهم على تفسير سلوك الدول الصغيرة في أوقات الأزمات؛ إذ في حين تنحو الدول الصغيرة، خاصة في فترات الاضطراب وعدم اليقين Uncertainty، إلى تفادي أي أدوار أو سياسات تخلّ بالوضع القائم مغبّة انعكاس ذلك على أمنها ووجودها، كانت قطر تذهب في الاتجاه المعاكس تمامًا، وتتصدى للقيام بدور قيادي، محاولةً تعظيم مكاسبها ونفوذها إلى أقصى مدى، عبر الدفع بموجة التغيير التي اجتاحت المنطقة، وتشجيع التحول الديمقراطي، على الرغم من أن قطر نفسها لا تنتمي إلى النادي الديمقراطي.

أدى هذا الموقف إلى تعقد علاقات قطر بجاريها الكبيرين في نظامها الإقليمي، فدخلت في مواجهة مع المملكة العربية السعودية نتيجة دعمها ثورة يناير 2011 في مصر ضد نظام الرئيس حسني مبارك، ودخلت في مواجهة مع إيران نتيجة وقوفها إلى جانب المعارضة السورية ضد نظام الرئيس بشار الأسد، جرى ذلك في وقت كانت الولايات المتحدة تنكفئ فيه عن المنطقة وتبدي درجة أقل من الالتزام بأمن أنظمة حلفائها، مع تغير أولوياتها ومصالحها في المنطقة. بعبارة أخرى، دخلت قطر في علاقة معقدة مع أكبر دولتين مجاورتين لها في إقليمها وهما إيران والسعودية في وقت لم يكن لديها ما يكفي من ضمانات حماية من الولايات المتحدة. في هذه المرحلة بدت قطر كأنها تخلّت في الآن نفسه عن الإستراتيجيات التي طالما استخدمتها للحفاظ على بقائها واستقلالها، الالتحاق والتوازن، وتبنت إستراتيجية هجومية في محاولة لبناء نظام إقليمي جديد، تتبوأ فيه مكانًا قياديًا، ويتعارض مع إرادة القوى الكبرى الأخرى في الإقليم ومصالحها.

مثلت الفترة بين عامي 2011 و2013 ذروة النشاط السياسي القطري كما مثّلت ذروة التحدي للأطر النظرية في تفسير سياستها الخارجية؛ بحيث رفضت قطر الوقوف في ظل حلفائها، طلبًا لحماية لم تجد نفسها في حاجة إليها في ظل فورة الشارع العربي الذي مثلت انتفاضته فرصة حاولت قطر الاستفادة منها لتغيير الوضع السياسي العربي القائم منذ عقود Status Quo. كما رفضت القبول بوصاية خصومها مقابل امتناعهم عن تهديدها، إذ باتت تعتقد أنها من يملك اليد العليا في صراع كبير على امتداد المنطقة بين إرادة التغيير وإرادة الجمود. وبناءً عليه، اتبعت قطر سياسة خارجية مستقلة فاعلة ونشطة إقليميًا ودوليًا إلى درجة التدخل عسكريًا في ليبيا، وتقديم كل أشكال الدعم لفصائل المعارضة في سورية، وتقديم الدعم السياسي والمالي لنظام الرئيس محمد مرسي في مصر. خلال هذه الفترة لم تقرر قطر دعم التحول الديمقراطي في العالم العربي فحسب بل هيمنت

1 Kenneth Waltz, "Reductionist and Systemic Theories," in: Robert. O. Keohane (ed.), *Neorealism and its Critics* (New York: Columbia University Press, 1986), p. 63; Kenneth Waltz, *Theory of International Politics* (Boston: Addison-Wesley Publishing Company, 1979).

2 Stephen Walt, *The Origins of Alliances* (London: Cornell University Press, 1990).

3 Stephen Walt, "Alliance Formation and the Balance of World Power," *International Security*, vol. 9, no. 4 (1985), pp. 3 - 43.

على الخطاب السياسي العربي المعارض في دول الثورات، وقامت بدور رئيس في تحديد خياراته، متحولةً بذلك إلى فاعل رئيس في ساحات مركزية في العالم العربي، من سورية إلى مصر وليبيا، فضلًا عن ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي. لقد استغلت قطر حالة الخوف والانكفاء التي عاشتها نظم الحكم العربية التقليدية للمضي في القيام بدور أساسي على الساحة الإقليمية من دون الاهتمام بردود أفعال أنظمة كانت في حالة دفاع عن النفس، وتناضل من أجل بقائها.

لقد تحدت قطر بهذا السلوك أكثر فرضيات نظريات العلاقات الدولية والسياسة الخارجية قبولًا، وعلى رأسها إذعان القوى الصغرى للقوى الأكبر مقابل الحماية، أو الدخول في تحالفات تساعدها على البقاء والحفاظ على استقلالها. كما تحدّت الفرضية السائدة المتمثلة بأنّ الغنى المادي يدفع الدول، خاصة الصغيرة، بعيدًا عن تبني سياسات خارجية نشطة، وأنّ دور النخب الحاكمة يتضاءل في صنع السياسات الخارجية للدول الصغيرة، في مقابل تعاظم دور العوامل النظامية الإقليمية والدولية والقيود التي تفرضها.

ذهبت قطر خلال الربيع العربي إلى تبني سياسة هجومية سعيًا وراء أهداف بدت غير ممكنة، وغير منطقية لدولة صغيرة في حجمها. ومن خلال الاستفادة من قوتها الناعمة (الإعلام، والمال)، قامت باستغلال فرصة انتفاض المجتمعات العربية ضد نظم حكمها الاستبدادية للمساعدة في إعادة بناء نظام إقليمي عربي تتبوأ فيه دورًا مركزيًا من جهة، ويمكنها من جهة أخرى من مواجهة معضلتها الأمنية تجاه جاريها الكبيرين: السعودية عبر المساهمة في قيام نظام صديق لقطر في مصر؛ وإيران من خلال دعم قيام نظام حليف لقطر في سورية. لقد سعت قطر خلال هذه المرحلة إلى القيام بدور المهندس في نظام إقليمي قيد التشكل على أنقاض نظام قديم بدا أنه يتحلل وينهار، وهذا الدور (منظم الموازين الإقليمية) لا نجد له مثيلًا في تاريخ العلاقات الدولية والدبلوماسية لدولةٍ في موقع قطر ومواصفاتها[4].

تتناول هذه الدراسة دور قطر وسياساتها الخارجية وتحاول إبراز الإستراتيجيات التي اتبعتها النخبة الحاكمة القطرية خلال العقدين الأخيرين للتعامل مع التحديات البنيوية التي واجهتها، والتوصل إلى تحقيق أعلى درجة من الاستقلالية في سياستها الخارجية في بيئة إقليمية لا تسمح بهوامش حركة كبيرة. ومن خلال ذلك نحاول اختبار أبرز مقولات نظرية العلاقات الدولية والسياسة الخارجية في تفسير علاقة الفاعل بالبنية، ودور الإستراتيجيات التي تستخدمها النخبة والمهارات التي تمتلكها في تخفيف قيود البيئة والجغرافيا وتطويعها لتحقيق أهدافها.

أولًا: المقاربات النظرية في شرح السياسة الخارجية: جدل الفاعل والبنية

السياسة الخارجية لبلدٍ ما هي حاصل التفاعل بين مجموعة من العوامل والبنى الداخلية والخارجية التي ينتج منها مجموعة من الخيارات والسياسات والقرارات التي يتخذها صانع القرار، وتتسم بالعقلانية، وتهدف في حدها الأدنى إلى ضمان بقاء الدولة والحفاظ على استقلالها، في حين تسعى في حدها الأعلى إلى الهيمنة في إطار نظام إقليمي أو دولي معين. ويتوقف تحقيق أهداف الدولة بين هذين الحدين على الإمكانات والقدرات النسبية المتوافرة لها في مقابل الفاعلين الآخرين في نظامها الإقليمي، لكن أيضًا على الإستراتيجيات والسياسات والمهارات التي يمتلكها صانع القرار والظروف والسياقات الداخلية والخارجية التي تمكنه من استثمارها لتحقيق الأهداف التي يتوخاها. وفي أي معطى مكاني أو زماني معين، يحاول صانع القرار أن يختار بديلًا أو سياسة من بين مجموعة بدائل أو سياسات مع الأخذ في الحسبان البيئة المحيطة بأبعادها المختلفة؛ سياسية كانت أو عسكرية، أو اجتماعية أو اقتصادية، داخلية أو إقليمية أو دولية، تكنولوجية أو بيئية أو جغرافية.

وتعدّ دراسة السياسة الخارجية بوصفها حقلًا من حقول المعرفة فرعًا حديثًا نسبيًا في العلوم السياسية، ظهر في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أي في الفترة نفسها التي تصدرت فيها آراء هانز مارغنثاو الواقعية نظرية العلاقات الدولية بنسختها الكلاسيكية التي كان لها أكبر الأثر في الفكر السياسي الأميركي في أثناء فترة الحرب الباردة، وحاول من خلالها تقديم تفسير شامل للسلوك الخارجي للدولة رابطًا مفهوم القوة بالمصلحة القومية Power and Interest مؤكدًا دور البيئة الخارجية في تحديد خيارات الدولة وفق العلاقة التي تربطها بالفاعلين الآخرين في نظامها الإقليمي والدولي، ومقدار القوة التي تملكها مقارنةً بهم[5].

خلال الفترة نفسها تقريبًا، ظهرت المدرسة السلوكية التي حاولت أن تعطي العلوم الاجتماعية بعدًا علميًا أكبر من خلال تقليد المناهج

4 على الرغم من وجود عدد من الدراسات التي تتناول السياسة الخارجية للدول الصغرى، فلا يطرح أي منها تحديًا بمستوى التحدي الذي تقدمه قطر، انظر على سبيل المثال: Miriam Fendius Elman, "The Foreign Policies of Small States: Challenging Neorealism in its Own Backyard," *British Journal of Political Science*, vol. 25, no. 2 (April 1995), pp. 171-217; Peter R. Baehr, "Small States: A Tool for Analysis?" *World Politics*, no. 3 (1975), pp. 456-466; Robert O. Keohane, "Lilliputians' Dilemmas: Small States in International Politics," *International Organization*, no. 23 (1969), pp. 291-310; Robert L. Rothstein, *Alliances and Small Powers* (New York: Columbia University Press, 1968); Annette Baker Fox, "The Small States in the International System, 1919-1969," *International Journal*, no. 24 (1969), pp. 751-764; Eric J. Labs, "Do Weak States Bandwagon?" *Security Studies*, no. 1 (1992), pp. 383 - 416.

5 Hans Morgenthau, *Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace*, 6th ed. (New York: Knopf, 1985).

التجريبية المستخدمة في العلوم الطبيعية، ما يسمح بالانتقال من دراسة حالات خاصة في السياسة العامة (ومنها السياسة الخارجية) إلى اختبار فرضيات بعينها، يصبح ممكنًا معها تطوير تعميمات نظرية من خلال عمل تراكمي واستنتاجات. رأت المدرسة السلوكية أن الدولة مهما كانت ذات طبيعة مؤسساتية، إذا تغيرت نخبتها فإن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى تغيير في سياساتها، إذ لكل نخبة فلسفتها ورؤيتها. لكن كان هناك دائمًا خلاف على مقدار الدور الذي تؤديه النخبة في تحديد خيارات الدولة وسياساتها الخارجية[6].

> رأت المدرسة السلوكية أن الدولة مهما كانت ذات طبيعة مؤسساتية، إذا تغيرت نخبتها فإن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى تغيير في سياساتها، إذ لكل نخبة فلسفتها ورؤيتها. لكن كان هناك دائمًا خلاف على مقدار الدور الذي تؤديه النخبة في تحديد خيارات الدولة وسياساتها الخارجية

وبناءً عليه، يمكن تمييز مدرستين رئيستين في دراسة السياسة الخارجية هما المدرسة البنيوية، بنظرياتها المختلفة التي تقوم على أن الدولة هي الفاعل المستقل الوحيد في السياسة الخارجية Sole Independent Actor والمدرسة السلوكية التي تنظر إلى السياسة الخارجية بوصفها جزءًا من الوظائف الداخلية للدولة؛ أي إنّ القرارات تصنعها نخبة من السياسيين الذين يتخذونها نيابة عن الدولة. هنا لا تملك الدولة أن تكون صانع قرار لأنها تعبير مجرد غير مادي، ومن ثم فإنها لا تعدّ فاعلًا. الفاعل هم الأفراد الذين يتخذون القرارات باسم الدولة ونيابة عنها وفق رؤاهم وفلسفتهم، مع الأخذ في الحسبان البنى المحيطة بهم التي تدفعهم إلى تفضيل سياسة على أخرى[7].

وتعدّ دراسة غراهام إليسون التي نشرت أول مرة عام 1971 النص الكلاسيكي الأشهر في تناول اتخاذ القرار في السياسة الخارجية في القرن العشرين. قامت الدراسة على توثيق 13 يومًا من تشرين الأول/ أكتوبر 1962 (16-28 تشرين الأول/ أكتوبر) لأزمة الصواريخ الكوبية؛ أي من اللحظة التي أبلغ فيها الرئيس جون كينيدي أن الاتحاد السوفياتي في طريقه إلى نصب صواريخ باليستية متوسطة المدى في كوبا، حتى انتهاء الأزمة، بسحب السوفيات سفنهم مقابل موافقة الأميركيين على سحب صواريخ جوبتير من تركيا. رأى إليسون أن الحكومة الأميركية كان أمامها ثلاثة خيارات إزاء الأزمة: غزو كوبا والاستيلاء عليها قبل وصول الصواريخ السوفياتية إليها ومن ثم الحيلولة دون نشرها؛ أو توجيه ضربات صاروخية إلى مواقع الصواريخ بعد نصبها؛ أو فرض حصار على كوبا لمنع وصول السفن السوفياتية المحملة بالصواريخ إليها. وقد قرر كينيدي تبنّي الخيار الأخير. يرى إليسون أنّ شخصية كينيدي قامت بدور مركزي في اختيار سياسة معينة، ولو كان القرار بيد رئيس آخر لربما تبنّى خيارًا آخر، ومن ثم لكانت الأزمة اتخذت مسارًا مختلفًا[8].

في التركيز في دور النخبة في صنع السياسة الخارجية، يرى أكثر الباحثين أن السؤال المركزي هنا يكمن في تفسير سبب اتخاذ قرار دون آخر أو تبني سياسة دون أخرى؛ لماذا قرر الاتحاد السوفياتي مثلًا نصب صواريخ في كوبا عام 1962؟ أو لماذا قرر هتلر غزو بولندا عام 1939؟ ولماذا دخل صدام حسين إلى الكويت عام 1990؟ وما دور الصفات الشخصية لمتخذ القرار؟ وما مدى تأثّرها بظروف الأزمة؟ وهل دفعت هذه الظروف صانع القرار إلى اتخاذ قرارات ما كان ليتخذها في ظروف أخرى[9]؟ من جهة ثانية، ينبغي هنا التمييز بين السياسة الخارجية التي تتبناها الدولة أو تختارها وعملية صنعها، بوصفها سيرورة Process قد تأخذ نماذج مختلفة حيال الكيفية التي يتم بها اتخاذ القرار داخل مؤسسات الدولة أو في أوساط النخبة (اتخاذ القرار فردي، جماعي، مؤسسي، بيروقراطي ... إلخ) إضافةً إلى النقاشات والمداولات وتقييم الخيارات واتخاذ القرارات وتنفيذها. لا تعنينا في هذه الدراسة عملية صنع القرار في السياسة الخارجية القطرية (أي كيف تصنع داخل دوائر النخبة؟ ومن يصنعها؟) إنما محدداتها والأسباب التي دفعت بقطر إلى اتباع سياسة معينة، دون غيرها، وكيفية تمكنها من إنفاذها، وكيفية تعاملها مع التحديات البنيوية المحيطة بها. فما الإستراتيجيات التي استخدمها صانع القرار القطري لتفادي مواطن الضعف واستثمار نقاط القوة التي يملكها؟ وكيف تعامل مع المخاطر واستثمر الفرص المتاحة في بيئته؟ وكيف وظف الإمكانات المتوافرة له لتحقيق أغراضه المتمثلة بانتهاج سياسة خارجية مستقلة عن الدولتين الكبيرتين المجاورتين (السعودية وإيران) وفوق ذلك القيام بدور إقليمي يوصف في

6 Walter Carlsnaes, "Actors, Structures and Foreign Policy Analysis," in: Steve Smith, Amelia Hadfield & Timothy Dunne, *Foreign Policy: Theories, Actors, Cases* (Oxford: Oxford University Press, 2012), p. 115.

7 Hudson, V. M., *Foreign Policy Analysis: Classic and Contemporary Theory* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2007), p. 6.

8 G.T. Allison & P. Zelikow, *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis*, 2nd ed. (New York: Longman, 1999).

9 Ibid., pp. 2 - 3.

الأكاديميا والإعلام الغربيين بأنه أكبر من حجم قطر وإمكاناتها Punching above its weight[10]؟

في محاولتنا تفسير سياسة قطر الخارجية ودور نخبة صنع القرار في التخفيف من حدة القيود التي تفرضها بنية النظام الإقليمي والدولي؛ لا بد من أن نصطدم بحالة التوتر القائمة بخصوص تقدير الأهمية النسبية لدور الفاعل والبنية في دراسة السياسة الخارجية للدولة، والتي تجعل من الإجابة عن سؤال لماذا تتبنى دولة ما سياسة دون أخرى، تمرينًا ذهنيًا وفلسفيًا شديد التعقيد. سنستعرض في هذا القسم أهم النظريات التي تقول بأولوية البنية على الفاعل، وتلك التي تنحو إلى تقديم دور الفاعل (النخبة). ثم سنقوم في القسم الذي يليه باختبار هذه المقولات إزاء السياسة الخارجية القطرية، لتبيان أي منها تملك القوة التفسيرية الأفضل لسلوك قطر وخياراتها الإقليمية وعلاقاتها الدولية[11].

1. نظريات البنية

تميل نظريات البنية Structural-based Perspectives إلى التقليل من أهمية دور الأفراد والنخب في صنع السياسة الخارجية للدولة، وتذهب بدلًا من ذلك إلى التركيز في دور البناء سواء أكان ماديًا أم اجتماعيًا في تحديد سلوك الدول وسياساتها الخارجية، وأهم هذه النظريات:

أ. الواقعية

يعدّ هانز مارغنثاو من رواد دراسة السياسة الخارجية في القرن العشرين، ويعدّ كتابه السياسة بين الأمم *Politics among Nations* من أمهات الكتب في هذا الحقل، لكن كينث والتز أعطى لهذه الدراسة بعدًا آخر، على الرغم من أنه يرى أن نظرية العلاقات الدولية غير معنية بتفسير السياسة الخارجية، وذلك بسبب الانتقادات التي وُجهت لنظريته لإفراطها في التركيز في البنية ونفي أي أهمية عن دور الفاعل. فالسياسة الخارجية للدول وسلوكها، بالنسبة إلى والتز، يخضعان كليًا لقوى النظام الدولي وبنيته، ووفق توزع القدرات[12]. وبناءً عليه، فإن النظام الدولي، هو نظام القوى الكبرى التي تضع القواعد وترسم الحدود للآخرين[13].

لكن أنصار الواقعية الكلاسيكية الجديدة Neo-Classical Realism من تلامذة مارغنثاو يرون أن هدف نظرية العلاقات الدولية الرئيس هو، وينبغي أن يكون، شرح السياسة الخارجية للدولة وتفسيرها[14].

ويمكن في إطار الواقعية الجديدة Neo-Realism الحديث عن تيارين دفاعي وهجومي[15]؛ أما الواقعية الهجومية Offensive Realism فيمثلها جون ميرشايمر الذي يرى أن النظام الدولي ما دام يفتقر إلى سلطة عليا وقانون ووسائل لفرضه، ويشجع على الصراع والحرب، فإن الدول ستستمر في البحث عن أمنها بطريقة هجومية بغض النظر عن النخب التي تحكمها[16].

وأما الواقعية الدفاعية Defensive Realism التي يمثلها من بين آخرين ستيفن والت، فلا تقر بهذه القراءة الهوبزية للنظام الدولي. بل ترى أنّ بنية النظام الدولي لا تستطيع وحدها تفسير سلوك الدولة وسياستها الخارجية، على الرغم من أن هذه البنية تؤدي دورًا كبيرًا في تحديد سلوك الدول وسياساتها الخارجية. وبدلًا من التركيز في توزيع القدرات بين الدول داخل النظام، يذهب الدفاعيون إلى تأكيد أهمية المصدر والمستوى والاتجاه الذي يأتي منه التهديد الذي تواجهه الدول وفق محددات تقوم فيها التكنولوجيا والجغرافيا والقدرات الهجومية والنيات بدور رئيس في تحديد ردود أفعال الدول وسياستها الخارجية[17].

وعلى الرغم من أن الواقعيين الكلاسيكيين الجدد يقرون بما يذهب إليه الواقعيون الجدد من أن السياسة الخارجية للدولة تتحدد أساسًا بموقع الدولة في النظام الدولي، وبمقدار القوة والإمكانات التي تمتلكها، فإنهم يؤكدون أنّ تأثير العوامل المتصلة ببنية النظام الدولي في سلوك الدول يكون أقل مباشرة وأكثر تعقيدًا مما يذهب إليه الواقعيون الجدد، بوصف هذه العوامل تؤثّر في السياسة الخارجية بمقدار ما تعكس حاجات الدولة الداخلية ومصالح القوى المختلفة فيها والتي تعكسها قرارات النخب التي تسعى إلى تحقيق مصالح الدولة وأهدافها[18].

---

10 Joost Hiltermann, "Qatar Punched Above Its Weight. Now It's Paying the Price," *The New York Times* (June 18, 2017), accessed on 2/8/2017, at: https://goo.gl/xMBb8G

11 في حين تنحو الدراسات التي تتناول عملية صنع السياسة الخارجية إلى الإقرار بأهمية العاملَين الفاعل والبنية معًا، من دون تفضيل أحدهما على الآخر طريقة للهروب من معضلة الإجابة عن هذا السؤال، انظر:
Carlsnaes, "Actors, Structures and foreign policy Analysis," p. 118.

12 Kenneth N. Waltz, "Structural Realism after the Cold War," *International Security*, vol. 25, no. 1 (Summer 2000), pp. 5–41.

13 Kenneth N. Waltz, *Man, the State and War: A Theoretical Analysis* (New York: Columbia University Press, 1959).

14 Carlsnaes, "Actors, Structures, and Foreign Policy Analysis," p. 119; Jack Snyder, *Myths of Empire: Domestic Politics and International Ambitions* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991), p. 20.

15 Gideon Rose, "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy," *World Politics*, vol. 51, no. 1 (October 1998), pp. 144 - 172.

16 John J. Mearsheimer, "Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War," in: Michael E. Brown et al. (eds.), *The Perils of Anarchy: Contemporary Realism and International Security* (Cambridge, MA: MIT Press, 1995), pp. 78 - 129.

17 J. Taliaferro, "Security Seeking Under Anarchy, Defensive Realism Revisited," *International Security*, vol. 25, no. 3 (2000), pp. 128-161, accessed on 2/7/2017, at:https://goo.gl/oPyic7

18 Rose, p. 146.

وبحسب ستيفن والت تؤدي السياسات الداخلية للدولة دور المتغير الوسيط بين توزيع القدرات في النظام الدولي والسياسة الخارجية المستهدفة[19]. ونتيجة تأكيد دور المتغيرات النظامية والمتغيرات الداخلية، ينظر إلى الواقعية الكلاسيكية الجديدة بوصفها الإطار النظري الأقدر على تتبع آثار عناصر المستويين الداخلي والدولي ودمجها في تفسير السياسات الخارجية للدول[20].

لكن في العموم، وعلى الرغم من التباينات بينها، يمكن القول إن الواقعية بنسخها المختلفة تميل إلى تفضيل عوامل البنية أو النظام على دور الأفراد أو النخب في تفسير السياسة الخارجية للدولة، لأن منطق القوة (الدولة) يمثّل جوهرها. والبنية هنا هي بنية النظام الدولي، كما ترى الواقعية الجديدة، أو مزيج من البنى الداخلية والبنى النظامية الدولية Domestic Power Resources and International Structures كما ترى الواقعية الكلاسيكية الجديدة. وفي كلتا الحالتين تعدّ الدولة الفاعل الرئيس، وتتحدد قدرتها على الحركة بالعوامل المادية وتغيراتها سواء أكانت داخل الدولة أم خارجها.

ب. الليبرالية

على الرغم من أن النظرية الليبرالية Neo-liberal Institutionalism كالواقعية هي نظرية بنيوية، نظامية Systemic، وذات نظرة مماثلة فوقية Top-Down في قراءتها للنظام الدولي، فهي ترى دورًا أكبر للنخب الحاكمة في صنع السياسة الخارجية والأمنية للدولة. تنظر الليبرالية إلى الدولة بوصفها الفاعل الرئيس في النظام الدولي، وهي تتصرف بطريقة عقلانية، بحيث تسعى لتعظيم مكاسبها في نظام دولي صفته العامة الفوضى. ومثل الواقعية، تنظر الليبرالية إلى السياسة الخارجية بوصفها خيارات مقيدة أمام دولة تتصرف بطريقة إستراتيجية لخدمة مصالحها، لكن الليبرالية لا تنظر إلى هذه القيود في إطار توزع القدرات في النظام الدولي، كما ترى الواقعية، بل في إطار حالة الفوضى التي تعدّ جوهر النظام ومن صميم بنيته، والتي بينما ينتج منها حالة من عدم اليقين وعدم الإحساس بالأمن Security Dilemma، فهي من جهة أخرى يمكن (أي الفوضى) أن تؤدي إلى إنتاج نظام Regime من القواعد والتقاليد والقوانين والقيم والأعراف التي يمكن أن تخلق درجة من الانسجام والتعاون على المستوى الدولي[21]. تقوم هذه النواظم بدور مهم في تحديد سلوك الدول وفي تخفيف النزعة الفوضوية للنظام الدولي[22]. كما أن نزوع الدول إلى الدفاع عن نفسها والسعي وراء مصالحها يجري تلطيفهما من خلال المؤسسات الدولية International Institutions التي تعني القواعد والتقاليد والنواظم والقوانين والأعراف التي تؤدي دورًا مهمًا في تهذيب سياسات الدول وتصرفاتها[23]. وكلما كانت النخب الحاكمة أكثر تعلمًا وثقافة مالت أكثر إلى احترام هذه القواعد والأعراف[24].

ج. البنائية

ترى البنائية Constructivism أن الواقع بناء أو بنية اجتماعية، يتجسد في قواعد ومعانٍ اجتماعية متداخلة تؤثر في معارفنا وفهمنا لهذا الواقع؛ كيف نرى العالم؟ وكيف نرى أنفسنا فيه؟ وكيف نحدد مصالحنا وما نعدّه السلوك الملائم لتحقيقها[25]؟ تمثل الأفكار والقيم أركان البناء الاجتماعي الذي تجري ترجمته في شكل سلوك مقصود للفاعلين في مجتمع معين، كما أنها تؤدي دورًا رئيسًا في تشكيل هويات الفاعلين وأفعالهم[26]. وبتحدّيهم الفرضيات الأساسية التي يقوم عليها النظام الدولي، يرى البنائيون أن الأفكار المشتركة أو المتفق عليها حول السلوك المقبول للدولة تترك أثرًا عميقًا في طبيعة السياسة الدولية وعملها[27]. ومن خلال الإشارة إلى نمط معين من السياسة الخارجية، يتمثل الهدف هنا في معرفة كيفية تشجيع سلوك معين أو تثبيطه بواسطة عوامل متصلة بالأفكار السائدة؛ أي كيفية تأثير هذه الأفكار في فهم الدولة العالم المادي المحيط بها. وبحسب البنائية يتوافر عامل آخر يحكم سلوك الدولة وسياستها الخارجية، مرتبط بالأول (الأفكار السائدة) ارتباطًا وثيقًا، وهو الهوية التي تؤدي دورًا مهمًا في شرح الطبيعة المبنية اجتماعيًا للدولة ومصالحها "بحيث تتيح الهويات الإطار المرجعي الذي يقوم من خلاله السياسيون والقادة بإقامة علاقاتهم مع الدول الأخرى وبنائها في النظام الدولي"[28]. وواقع الأمر أن معظم الدراسات التي تتبنى النظرية البنائية في تفسير السياسة الخارجية تميل إلى التركيز في عنصر هوية الدولة.

---

19 Stephen Walt, "The Enduring Relevance of the Realist Tradition," in: Ira Katznelson & Helen Milner (eds.), *Political Science: State of the Discipline III* (New York: W.W. Norton and Co., 2002) p. 211.

20 Rose, p. 153.

21 Robert Keohane, *Ideas and Foreign Policy: Beliefs, Institutions, and Political Change* (Ithaca: Cornell University Press, 1993).

22 Arthur A. Stein, *Neoliberal Institutionalism in the Oxford Handbook on International Relations*, Christian Reus-Smit & Duncan Snidal (eds.), (New York: Oxford University Press, 2008), pp. 201–221.

23 K. J. Holsti, *Taming the Sovereigns: Institutional Change in International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

24 هذا جوهر نظرية كانط في كتابه المعروف **السلام الدائم**.

25 Adler E. "Constructivism and International Relations," in: W. Carlsnaes, T. Risse & B. A. Simmmons (eds.), *Handbook of International Relations* (London: Sage, 2002), pp. 95 - 118.

26 Matthew J. Hoffmann, "Norms and Social Constructivism in International Relations," in: Robert A. Denemark (ed.), *The International Studies Encyclopedia* (Oxford: Blackwell Publishing, 2010), p. 2.

27 Ibid.

28 B. Cronin, *Cooperation under Anarchy: Transnational Identity and the Evolution of Cooperation* (New York: Columbia University Press, 1999), p. 18.

وعلى الرغم من أن العلاقات والتفاعلات الإنسانية والاجتماعية تعدّ أساسية في عملية إنتاج القيم والأفكار والهويات وإدامتها، فالبنائية مثلها مثل الواقعية والليبرالية تعدّ من النظريات التي تعطي الأفضلية للبنية على الفاعل في شرح السياسة الخارجية للدول لأنها تركز في البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه صانع القرار أكثر من تركيزها في صفات هذا الصانع ومهاراته وأفكاره.

في الحصيلة، تجمع نظريات البنية على أفضلية العوامل البنيوية على دور الفاعل أو النخبة بوصفها العامل الرئيس في تحديد سلوك الدولة وسياستها الخارجية، على الرغم من أنها لا تستبعد كليًا دور الفاعل من تحليلها للسياسة الخارجية.

2. نظريات الفاعل

بعكس نظريات البنية، تميل نظريات الفاعل Actor-based Perspectives إلى إعطاء دور أكبر للنخبة في تحديد خيارات الدولة في السياسة الخارجية من خلال تركيزها في المهارات والقدرات والإستراتيجيات التي يستخدمها صانع القرار للتغلب على بعض المعوقات البنيوية التي تعرقل الوصول إلى أهداف معينة، أو تحقيق مصالح محددة. وأهم النظريات التي تعطي الفاعل دورًا أكبر في تحديد سياسات الدول الخارجية هي:

أ. النظرية الإدراكية والسيكولوجية

في مقابل فرضية الفاعل العاقل التي تقوم عليها نظريات البنية، خاصة الواقعية والليبرالية، والتي ترى أن القادة يميلون إلى التعوّد على القيود التي يفرضها النظام System، والتأقلم معها، تقوم النظرية السيكولوجية Cognitive and psychological Approaches على افتراض معاكس؛ إذ ترى أنّ الأفراد لديهم سلوك مقاوم Impervious لهذه القيود والمؤثرات ناتج من تمسكهم بآرائهم ومعتقداتهم وطريقة معالجتهم المعلومات فضلًا عن صفات شخصية وإدراكية أخرى.

ومن خلال التركيز في دراسة السلوك وتغيراته، التي مثّلت محور اهتمام دراسات التحليل السيكولوجي خلال العقود الأخيرة، بدأت النظرة إلى الفرد تتغير من عدّه فاعلًا "سلبيًا" Malleable Agent كما ظلت عليه الحال فترة طويلة، إلى عدّه فاعلًا مبادرًا وإيجابيًا وحلّال مشاكل Problem Solver بطبيعته[29]. وتبين أيضًا أنّ صفات القيادة وأفكارها ومعتقداتها ودوافعها ونظرتها إلى العالم وطريقة إدارتها واتخاذها القرار تؤثّر بقوة في اختيار البدائل واتخاذ القرارات في السياسة الخارجية. ويمكن القيادة هنا أن تكون فردًا أو مجموعة من الأفراد[30].

ب. الليبرالية الجديدة

تقوم نظرية الليبرالية الجديدة New Liberalism على ثلاث نقاط ارتكاز أساسية في نقدها الواقعية الجديدة Neo-Realism والليبرالية المؤسساتية Neo-liberal Institutionalism، وهي: أولًا، تعطي أولوية الفاعل المجتمعي Societal Actors على المؤسسات السياسية، ومن ثم ترتكز إلى النموذج الصاعد Bottom-up للنظام السياسي بدلًا من النموذج الهابط أو النازل Top-down؛ أي إن الأفراد والجماعات الاجتماعية تتقدم بأهميتها على العوامل السياسية في اتخاذ القرارات والتأثير فيها لأنها تحدد مصالحها بمعزل عن هذه العوامل، وتسعى إلى تحقيق مصالحها عبر المقايضات السياسية والفعل الجماعي. ثانيًا، تمثل خيارات الدولة وسلوكها مصالح جماعات معينة في المجتمع، أي إن القادة والسياسيين هم من يحددون مصالح الدولة وخياراتها، وهم بدورهم يمثلون مصالح قوى وجماعات داخل الدولة ويعملون في إطار السياسة الدولية لتحقيق هذه المصالح كما يحددونها هم ويرونها. ثالثًا، يتحدد سلوك الدولة في النظام الدولي من خلال تداخل مصالحها وخياراتها مع مصالح الدول الأخرى وخياراتها التي يحددها بدورها قادتها ونخبها[31].

وتختلف هذه النظرية عن سابقتها في أنها تركز في دور الجماعات الاجتماعية، بدلًا من الأفراد الذين يقبعون في هرم السلطة، وهي لذلك تدعو إلى فهم السياسة الخارجية في سياق اجتماعي - سياسي أوسع من بقية النظريات.

ج. نظرية الفاعل التأويلي

تدعو نظرية الفاعل التأويلي Interpretative Actor Perspective (مثل البنائية) إلى فهم الفاعل بوصفه كيانًا متفاعلًا Reflexive Entity في عالم متداخل من المعاني. لكن بعكس البنائية التي تقوم على تفسير أفعال الأفراد في إطار القواعد والمعاني والسياقات الجماعية، تركز هذه النظرية في فهم السياسة الخارجية من خلال التركيز في تفكير الأفراد من صناع القرار وسلوكهم. هنا يجري التركيز في فهم القرارات السياسية من وجهة نظر صانعيها عبر تفكيك الأسباب

29 Jerel A. Rosati, "A Cognitive Approach to the Study of Foreign Policy," in: Laura Neack et al., *Foreign Policy Analysis: Continuity and Change in its Second Generation* (Englewood Cliffs, N.J. : Prentice Hall, c1995), pp. 52 - 54.

30 Margaret G. Hermann, "Assessing Leadership Style: A Trait Analysis," *Social Science Automation* (November 1999), accessed on 2/6/2017, at: https://goo.gl/PB2MwJ

31 Andrew Moravcsik, "The New Liberalism," in: Christain Reus-Smit & Duncan Snidal, *The Oxford Handbook of International Relations* (Oxford: Oxford University Press, 2008), pp. 234 - 254.

والدوافع التي دعتهم إلى اتخاذها، "تعتمد السياسة الخارجية للدولة على كيفية تحليل الأفراد الذين يملكون القوة لوضعٍ ما أو موقف معين وكيف يتصرفون حياله"[32]. وفي دراستهما سلوك صناع القرار من المستوى الأول في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وألمانيا الغربية والشرقية وبريطانيا وفرنسا خلال عملية توحيد ألمانيا، استنتجت كونداليزا رايس وفيليب زاليكو أنه لو لم يفكر صناع القرار المعنيون بطريقة معينة ولو لم يتخذوا قراراتهم كما فعلوا في الواقع، فإن تاريخ تلك الفترة سيكون مختلفًا جدًا[33].

بعكس نظريات البنية، تقرّ نظريات الفاعل بأهمية الدور الذي تؤديه نخبة صنع القرار في تحديد السياسة الخارجية للدولة؛ إذ تؤثر في أفكارها ومواقفها الأيديولوجية ونظرتها إلى العالم بقوة في اختيار البدائل واتخاذ القرارات، كما أنّ المهارات السياسية والدبلوماسية وصفات صانع القرار القيادية تؤدي دورًا غاية في الأهمية لجهة التخفيف من حدة القيود التي تفرضها البنية والعوامل النظامية على القرارات التي تخدم مصالح الدولة كما يراها هو.

ثانيًا: ظاهرة قطر

يعترف عدد من الأكاديميين المهتمين بدراسة قطر وسياساتها الخارجية، بصعوبة تفسير خياراتها الدبلوماسية في إطار النظريات المركزية في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية[34]، في حين يذهب آخرون إلى القول بأن هذه السياسة "تتحدى كل تفسير"[35]. دفع هذا الارتباك البعض إلى قلب الصورة من خلال القول إن سياسة قطر الخارجية هي التي تفتقر إلى التماسك، ما يجعل فهمها صعبًا[36]. بينما رأى البعض الآخر أن قطر لا تقوم بأكثر من استخدام قدراتها المالية الكبيرة من أجل الحفاظ على أمنها وانتزاع اعتراف دولي وإقليمي بدورها[37]. وفي حين يمثّل السعي إلى استقلال القرار الدافع الرئيس وراء سياسة قطر الخارجية[38]، تتحول هذه السياسة إلى "إستراتيجية أمنية" Survival Strategy تهدف إلى البقاء، وفق هذا المنظور[39].

وبين السعي إلى البقاء وتحقيق الاستقلال في بيئة مضطربة سياسيًا وأمنيًا، والسعي إلى الاعتراف بتأثيرها والقيام بدور إقليمي وازن، تبدو أكثر الدراسات التي تتناول سياسة قطر الخارجية وخياراتها الدبلوماسية متحفظة في تقديم تفسير شامل لهذه السياسة في إطار ثنائية الإستراتيجيا والجغرافيا، الفاعل والبيئة، بنية النظام الإقليمي والدولي ومهارات صانع القرار وقدرته على مواجهة التحديات، ما يعكس بوضوح ارتباك الأسس النظرية لدى تناول حالة استثنائية كتلك التي تفرضها قطر في السياسة الدولية ولم تلاحظها أكثر النظريات السياسية، إما لأنها لا تعترف بدور الدول الصغيرة أصلًا ولا ترى من ثم لسياستها أهمية في بنية النظام الدولي وتركيبته، وإما لأن حالة مماثلة لم تطرأ من قبل تستدعي الاهتمام بفهمها ودراستها[40].

وعلى عكس المألوف في سلوك الدول الصغرى، تبنّت قطر، خصوصًا بين عامَي 2011 و2013، سياسة خارجية هجومية إستراتيجية لحفظ أمنها والدفاع عن نفسها في بيئة فيها لاعبون أكبر حجمًا وأعظم قدرات. ويمثّل هذا الفعل في حد ذاته تحديًا لنظريات العلاقات الدولية والسياسة الخارجية من منظور البنية والفاعل على السواء؛ إذ تنظر هذه النظريات إلى السياسات الخارجية للدول الصغرى، كما أشرنا سابقًا، وفق منظورين أساسيين تنحو هذه الدول إلى استخدامهما سعيًا إلى الحفاظ على أمنها وبقائها إذا عجزت عن الوقوف على الحياد بين قوى جارة كبيرة، كما فعلت سويسرا الواقعة بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا على امتداد القرنين الماضيين. وهذان المنظوران هما: إما تكوين تحالفات مع قوى أخرى في نظامها الإقليمي لمواجهة قوة أكبر، كما تفعل دول جنوب شرق آسيا في مواجهة الصين مثلًا، وإما الالتحاق بقوة أكبر تتولى الدفاع عنها مقابل تبعية مطلقة لها كما تفعل البحرين، على سبيل المثال، في علاقتها بالسعودية لمواجهة أطماع إيران في أراضيها[41].

لم تملك قطر خيار الوقوف على الحياد في ضوء حالة التنافس والصراع التي شهدها الإقليم، خاصة بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، كما أن الثقافة السياسية السائدة، حيث يهيمن "الريال بولتيك" على تفكير

32 M. Hollis & S. Smith, *Explaining and Understanding International Relations* (Oxford: Clarendon Press, 1990), p. 74.

33 P. Zelikow & Condoleezza Rice, *Germany Unified and Europe Transformed: A Study in Statecraft with A New Preface* (Harvard University Press, 1997).

34 Andrew F. Cooper & Bessma Momani, "Qatar and Expanded Contours of Small State Diplomacy," *The International Spectator: Italian Journal of International Affairs*, vol. 46, no. 3 (2011), p. 114.

35 Turan Kayaoglu, "Thinking Islam in Foreign Policy: The Case of Qatar," paper presented at the annual Convention International Studies Association (ISA), California: San Francisco, April 3-6, 2006, p. 2.

36 Lina Khatib, "Qatar's Foreign Policy: The Limits of Pragmatism," *International Affairs*, vol. 89, no. 2 (2013), pp. 417 - 418.

37 Mehran Kamrava, "Mediation and Qatari Foreign Policy," *Middle East Journal*, vol. 65, no. 4 (Autumn 2011), pp. 539 - 544.

38 Christa Case Bryant, "Behind Qatar's bet on the Muslim Brotherhood," *The Christian Science Monitor* (April 18, 2014).

39 David B. Roberts, "Understanding Qatar's Foreign Policy Objectives," *Mediterranean Politics*, vol. 17, no. 2 (July 2012), p. 234.

40 هذه وجهة نظر الواقعيين عمومًا، انظر:
Matthias Maass, "Small Enough to Fail: The Structural Irrelevance of the Small State as Cause of its Elimination and Proliferation since Westphalia," *Cambridge Review of International Affairs* (January 2017).

41 Jean-Marc Rickli, "European Small States Military Policies after the Cold War: From Territorial to Niche Strategies," *Cambridge Review of International Affairs*, vol. 21, no. 3 (September 2008), pp. 307 - 325.

نخب المنطقة الحاكمة وسلوكها، لا تسمح هي الأخرى بعدم الانحياز؛ فالشرق الأوسط ومنطقة الخليج ما زالا يعملان وفق معايير الصراع الأوروبية في القرن التاسع عشر، والقائمة على مفهوم القوة والهيمنة، وما زالت غير قادرة على تجاوزها إلى الحالة الليبرالية التي سادت أوروبا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والقائمة على مبادئ الأمن الجماعي والاعتمادية المتبادلة Interdependency والمصالح المشتركة، وحيث غدت الدول الصغيرة تأمن على نفسها من نزعات الهيمنة، نتيجة سيطرة منظومة حقوقية وقانونية تحكم علاقات الدول ببعضها.

إضافةً إلى عدم قدرتها على الحياد، سعت قطر منذ عام 1995 إلى التخلص من الهيمنة السعودية على سياساتها الخارجية، الأمر الذي أدى إلى تدهور علاقتها بالرياض وتخلّيها عن إستراتيجية الالتحاق أو الخضوع في العلاقة بها. وحتى عند استضافتها القاعدة العسكرية الأميركية في العديد عام 2002 كانت قطر مكشوفة أمام الضغوط السعودية، بما فيها العسكرية. وعلى الرغم من أن قطر اتبعت على فترات سياسة موازنة النفوذ السعودي[42] للحفاظ على استقلالها، من بينها التقارب مع ما كان يسمى حينها محور المقاومة (إيران، وسورية، وحزب الله، وحماس) خلال الفترة 2006 - 2011، لم تلبث قطر أن تخلت عن هذه السياسة مع اندلاع ثورات الربيع العربي (2011)، فدخلت في صراع مع إيران في سورية ومع السعودية في مصر، في وقت كانت واشنطن تنسحب من المنطقة بعد حربين فاشلتين في أفغانستان والعراق، وغير مهتمة بالعودة إلى التدخل فيها.

في الفترة 2011 - 2013، يمكن القول، إن قطر لم يتوافر لها أي من الخيارات التقليدية للدول الصغرى للحفاظ على بقائها واستقلالها، ليس هذا فحسب، بل تبنّت سياسة هجومية وضعت خلالها خصومها الكبار في حالة دفاع عن النفس، مستخدمةً قوة الشارع والرغبة الجامحة نحو التغيير، للتقدم وتأدية دور قيادي في اتجاه بناء نظام إقليمي يكون لها دور مركزي فيه، ممثّلةً بذلك حالة فريدة في حقل الممارسة السياسية والدراسات النظرية الخاصة بالسياسات الخارجية للدول الصغرى.

ثالثًا: مأزق الجغرافيا ومعضلة قطر الأمنية

يُنسب إلى نابليون بونابرت قوله: "إن معرفة جغرافيا الدولة تعني معرفة سياستها الخارجية"[43]. من هنا تأتي أهمية الإضاءة على جغرافيا قطر (المحدد الأساسي لسلوك الدولة من منظور نظريات البنية) لفهم مدى تأثيرها في سياسة قطر الخارجية والدور الذي تطمح قطر إلى تأديته على المستوى الإقليمي، والانطلاق من ذلك لتفحص مقولات أبرز نظريات العلاقات الدولية التي تتمثل بأن الدولة وسياساتها الخارجية هي رهينة البيئة التي تعيش فيها. فأي بيئة تلك التي تعيش فيها قطر؟

قطر بلد صغير، حتى بمقاييس منطقة الخليج والشرق الأوسط؛ فهي تقع في ذيل قائمة دول العالم من حيث المساحة (ترتيبها 165)[44]، إذ تبلغ مساحتها 11586 كم^2، وهي شبه جزيرة على الساحل الشرقي لجزيرة العرب، يبلغ طولها 160 كم تقريبًا من الشمال إلى الجنوب وعرضها 80 كم من الشرق إلى الغرب. يقطنها 2.3 مليون نسمة، منهم نحو 280 ألفًا من القطريين (12 في المئة من السكان) وترتيبها 143عالميًا على هذا الصعيد[45]. تأتي قطر في المرتبة 91 من حيث قوتها العسكرية على مستوى العالم، وبعدد قوات مسلحة لا يتجاوز 12 ألف عنصر موزعين على مختلف صنوف الأسلحة. وقد بلغ الإنفاق العسكري فيها 1.9 مليار دولار عام 2016[46]. وبلغ حجم الاقتصاد القطري نحو 156 مليار دولار، ما يجعلها في المرتبة 56 على مستوى العالم.

تقع قطر بين جارين كبيرين، السعودية (ترتيبها 13 في العالم من حيث المساحة البالغة 2.149 مليون كم^2[47] و47 من حيث عدد السكان المقدر بـ 29 مليون نسمة[48] وتستأثر كليًا بجوارها برًا (طول حدود قطر البرية مع السعودية 60 كم تقريبًا وهي حدود قطر البرية الوحيدة مع العالم). تزيد السعودية على قطر بنحو 200 مرة من حيث المساحة وتكبرها 100 مرة من حيث عدد السكان، في حين يبلغ الاقتصاد السعودي أكثر من ثلاثة أضعاف الاقتصاد القطري بناتج إجمالي قدره 646 مليار دولار وفق أرقام البنك الدولي لعام 2016، ما يضع السعودية في المرتبة 20 على مستوى العالم[49]. وبحسب غلوبال فاير باور تأتي السعودية في المرتبة 24 من حيث القوة العسكرية على مستوى العالم، ويبلغ عدد القوات المسلحة السعودية 256 ألف عنصر، موزعين على مختلف صنوف الأسلحة[50]. وقد بلغ حجم الإنفاق العسكري

42 Emma Soubrier, "Evolving Foreign and Security Policies: A Comparative Study of Qatar and the UAE," paper presented at the 5th Gulf Research Meeting, Cambridge, August 2014, p. 4.

43 Robert D. Kaplan, *The Revenge of Geography: What the Map Tells Us About Coming Conflicts and the Battle Against Fate* (Random House, 2012), p. 60.

44 The World Fact Book, CIA, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/Lgys

45 The World Fact Book, CIA, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/jYszR

46 **2017** Qatar Military Strength, Global Fire Power, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/8xtxDG

47 The World Fact Book, CIA, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/Lgys

48 The World Fact Book, CIA, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/jYszR

49 The World Bank, GDP Ranking, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/djdAXO

50 **2017** Saudi Arabia Military Strength, Global Fire Power, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/x22dtS

للسعودية 87 مليار دولار بحسب أرقام عام 2015[51]. وانخفض إلى 57 مليار عام 2017[52] (انظر الجدول 1).

أما إيران، جارة قطر الأخرى على الطرف الآخر من الخليج، فتقع في المرتبة 18 في العالم من حيث المساحة البالغة 1.648 مليون كم^2[53]، وترتيبها 17 من حيث عدد السكان المقدر بـ 82 مليون نسمة[54]. وتستأثر كليًا بجوار قطر من ناحية البحر (إذا استثنينا من ذلك البحرين الصغيرة جدًا بمساحتها البالغة 765.3 كم^2). وتكبر إيران قطر بـ 170 مرة، في حين يزيد عدد سكانها عليها بنحو 400 مرة. ويبلغ الاقتصاد الإيراني ضعفين ونصف الضعف في حجم الاقتصاد القطري بناتج إجمالي قدره 393 مليار دولار لعام 2016، ما يضع إيران في المرتبة 27 على مستوى العالم من حيث حجم اقتصادها[55]. وتأتي إيران في المرتبة 21 من حيث القوة العسكرية على مستوى العالم، ويبلغ عدد القوات المسلحة الإيرانية 934 ألفًا بين قوات عاملة (534 ألفًا) واحتياط (400 ألف) وقد بلغ الإنفاق العسكري لإيران عام 2016 نحو 6.3 مليارات من الدولارات[56] (انظر الجدول 2).

إضافةً إلى هذه الفوارق الكبيرة في مقومات القوة التقليدية بينها وبين جيرانها، تحظى قطر بمناخ صحراوي جاف، ومياهها الجوفية قليلة، والسطحية معدومة، وهو أمر لا يساعدها في نشوء زراعة ولا في قيام صناعة. يعني هذا الوضع الجغرافي والسياسي الصعب ببساطة أن قطر لا تعدم فقط مقومات القوة التقليدية المعروفة في نظام الدول (المساحة الشاسعة، وعدد السكان الكبير، والقاعدة الزراعية والصناعية المتقدمة) بل تقع في قلب التنافس بين قوتين كبيرتين تتنافسان على السيطرة في نظام إقليمي يعيش حالة من الاضطراب الواسع، وتتواجهان عبر حروب وكالة أو مباشرة في أكثر من مكان على امتداد المنطقة.

منذ عام 1979 دخلت إيران والسعودية، جارتا قطر الكبيرتان، في صراع شديد على النموذج والنفوذ والسيادة الإقليمية في منطقة الخليج؛ إذ تمت إطاحة شاه إيران الذي كانت له علاقة جيدة نسبيًا بالسعودية في إطار اصطفافات الحرب الباردة، ووجود نظامي حكم ملكيين في البلدين يتطلعان إلى الغرب بوصفه نموذجًا وحاميًا. مع سقوط الشاه تم الإعلان عن قيام جمهورية إسلامية ثورية تتبنى سياسة تصدير نموذجها إلى الخارج. وجدت السعودية ذات النظام الملكي المحافظ القريب إلى الغرب في النموذج الثوري الجمهوري الإسلامي في إيران تهديدًا كبيرًا لأمنها وشرعية نظامها، ونموذجها، وقيادتها للعالم الإسلامي النابعة بدرجة أساسية من احتضانها الأماكن المقدسة الإسلامية.

شارك السعودية هذه المخاوف من إيران جميع الدول العربية الأخرى المطلة على الخليج التي تداعت بعد اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية إلى تشكيل ائتلاف إقليمي أطلق عليه اسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وتم الإعلان عنه في أيار/ مايو 1981 ليضم دول الخليج العربية الستّ في إطار مشروع طموح لبناء قدرات دفاعية مشتركة، وتحقيق تكامل اقتصادي وتنسيق سياسي، بناءً على المشتركات الكثيرة بين هذه الدول، وإحساسها بالخطر الداهم القادم من الطرف الآخر من الخليج. ولم تشذّ قطر عن إجماع دول المجلس في الموقف من إيران وتأييد العراق في حرب الثماني سنوات[57].

يمكن القول إن قطر لم يكن لها حتى مطلع التسعينيات سياسة خارجية خاصة بها، بل كانت تتبع السعودية، وتعتمد عليها كليًا في حمايتها من القوى الأكبر في النظام الإقليمي (إيران والعراق). وبناءً عليه، حتى مطلع التسعينيات، اختارت قطر أن تنتهج نهج التبعية أو الالتحاق بالسعودية في سياساتها الخارجية، من خلال مجلس التعاون الخليجي الذي كان هدفه الأساسي عند إنشائه مواجهة التهديد الذي مثلته إيران بعد الثورة لدول الخليج المحافظة (انظر الرسم البياني 1).

لكن الغزو العراقي للكويت عام 1990 أصاب كل دول الخليج الصغيرة، وعلى رأسها قطر، بالصدمة، وكشف عن هشاشة نهج الالتحاق في علاقتها بالسعودية التي طالبت بمزايا القيادة من دون أن تكون قادرة على تأمين متطلبات الحماية للدول الصغيرة المرتبطة بها في النظام الإقليمي الخليجي. ليس هذا فحسب، بل أدى الغزو العراقي للكويت إلى كسر المحظور في السياسة العربية؛ أي قيام بلد عربي بمهاجمة بلد عربي آخر وضمّه. فتخوّف قطر من أن تنحو السعودية منحى العراق في غزو الكويت بعد الخلاف الحدودي الذي استعر بين البلدين عام 1992، جعلها تشعر بخطر، ليس على نظام الحكم فيها فحسب بل على بقائها دولة أيضًا. وكانت السعودية التي تحكمها عقيدة توسعية شملت كل الدول الخليجية التي تحاذيها إضافةً إلى اليمن، قامت عام 1992 بمهاجمة مركز الخفوس الحدودي القطري واستولت عليه، ما عمّق المخاوف القطرية من جارها البري الكبير.

51 Trends in World Military Expenditure, 2015, SIPRI Fact Sheet, Sam Perlo-Freeman, Aude Fleurant, Pieter Wezeman and Siemon Wezeman, April 2016, p. 2, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/Ux94aT

52 **2017** Saudi Arabia Military Strength, Global Fire Power, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/x22dtS

53 The World Fact Book, CIA, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/Lgys

54 Countries in the world by population (2017), accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/Ls0L6A

55 The World Bank, GDP Ranking, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/djdAXO

56 **2017** Iran Military Strength, Global Fire Power, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/hLqDK1

57 Anoushiravan Ehteshami, "GCC Foreign Policy: From the Iran-Iraq War to the Arab Awakening, in the New Politics of Intervention of Gulf Arab States," LSE, Middle East Center, Collected Papers, vol. 1 (April 2015), p. 13.

الجدول (1)

مقارنة حجم القوة الديموغرافية والاقتصادية لقطر بجارتيها الكبيرتين السعودية وإيران

الموضوع	قطر	السعودية	إيران
المساحة	11586 كم^2	2.149 مليون كم^2	1.648 مليون كم^2
الترتيب العالمي بحسب المساحة	156	13	18
عدد السكان/ مليون نسمة	2.3	29	82
الترتيب العالمي بحسب عدد السكان	143	47	17
حجم الاقتصاد وفق الناتج المحلي الإجمالي/ مليار دولار	156	646	393
الترتيب العالمي بحسب الاقتصاد	56	20	27

الجدول (2)

مقارنة حجم قوة قطر العسكرية بالسعودية وإيران

الموضوع	قطر	السعودية	إيران
حجم الإنفاق العسكري/ مليار دولار	1.9	57	6.3
عدد القوات المسلحة/ ألف عنصر	12	256	934
ترتيب القوة العسكرية على مستوى العالم	91	24	21

الرسم (1)

طبيعة السياسة (الدفاعية) التي تنتهجها قطر عندما تكون إيران مصدر التهديد

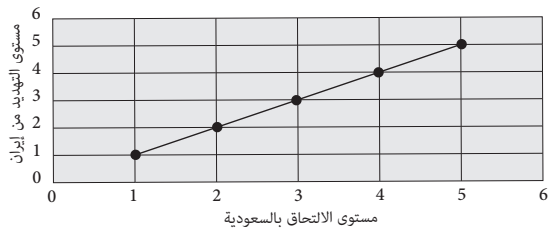

المصدر: من إعداد الباحث، يوضح الرسم أنه كلما ارتفع معدل التهديد من إيران اقتربت قطر أكثر من السعودية.

الرسم (2)

طبيعة السياسة (الدفاعية) التي تنتهجها قطر عندما تكون السعوديةمصدر التهديد

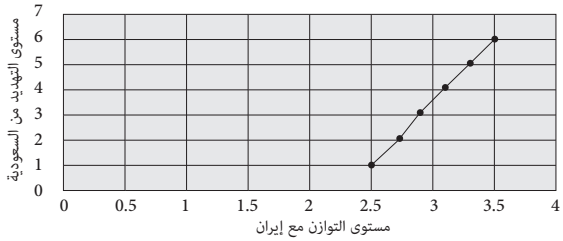

المصدر: من إعداد الباحث. يوضح الرسم أنّ قطر تتبع نهج التوازن، وليس الالتحاق، في العلاقة بإيران عندما تكون السعودية مصدر التهديد.

الرسم (3)

طبيعة السياسة (الاندفاع) التي تنتهجها قطر عندما تكون السعودية أو إيران أو كلتاهما في حال انكفاء

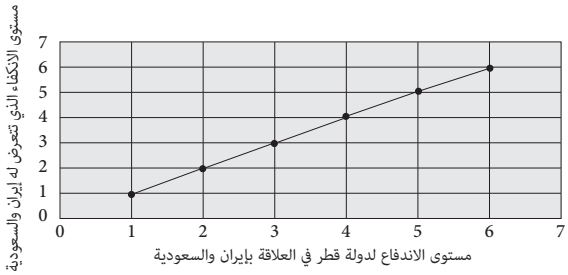

المصدر: من إعداد الباحث. يوضح الرسم أنه كلما كانت السعودية أو إيران أو كلتاهما في حالة انكفاء ارتفع معدل اندفاع السياسة القطرية.

ومع خروج العراق من المعادلة الإقليمية بعد حرب تحرير الكويت عام 1991، أخذت قطر تفكر في نهج خارجي مستقل وتحاول أن تتبع نهج التوازن في علاقتها بجاريها الكبيرين السعودية وإيران لتحقيق أمنها. وفي واقع الحال، بعد الغزو العراقي للكويت، لم تعد السعودية ضمانة أمنية غير كافية بالنسبة إلى قطر فقط، بل تحولت النظرة إليها بوصفها تمثّل تهديدًا أيضًا بعد أن كسر العراق قاعدة عدم مهاجمة دولة عربية دولة عربية أخرى. لكن إيران مثلت عامل قلق آخر أيضًا؛ فعلى الرغم من أنها لم تدّع أيّ حقوق لها في قطر كما تفعل في البحرين التي تقطنها أغلبية شيعية تستخدمها إيران لتقويض نظام الحكم فيها، فإن قطر تشعر بقلق مستمر من سياسات إيران التي تتشارك معها في واحد من أكبر حقول الغاز في العالم (حقل الشمال/ بارس الجنوبي)؛ إذ تسعى إيران إلى الهيمنة في إطار مشروع إقليمي، وتعمل على تصدير نموذجها وفرض نوع من الحماية والتبعية على الأقليات الشيعية الموجودة في دول الخليج العربية. وعلى الرغم من أن قطر لا تقطنها سوى أقلية شيعية صغيرة تحظى بالحقوق والواجبات التي يحظى بها بقية المواطنين، فسياسات إيران واتجاهاتها إلى تصدير الثورة وزعزعة أمن الدول المحافظة والحليفة للغرب على الطرف الآخر من الخليج تظل مصدر قلق لقطر (انظر الرسم البياني 2).

> تجد قطر نفسها بحكم الجغرافيا واقعة بين قوتين إقليميتين كبيرتين تتنافسان على الهيمنة على المنطقة، ولا تقبل الدولتان كلاهما من قطر أقل من موقف مؤيد لسياساتها في المنطقة؛ السعودية دولة الوضع القائم وإيران الدولة الساعية إلى التغيير المتوافق مع مشروعها ونهجها الإقليمي

في الحصيلة، تجد قطر نفسها بحكم الجغرافيا واقعة بين قوتين إقليميتين كبيرتين تتنافسان على الهيمنة على المنطقة، ولا تقبل الدولتان كلاهما من قطر أقل من موقف مؤيد لسياساتها في المنطقة؛ السعودية دولة الوضع القائم Status Quo Power وإيران الدولة الساعية إلى التغيير المتوافق مع مشروعها ونهجها الإقليمي Revisionist Power. وكان على قطر التي تبحث بدورها عن دور إقليمي بعيدًا عن هيمنة العملاقين الإقليميين، أن تتبنى إستراتيجيات للتغلب على هذا الوضع الجيوسياسي الصعب، بحيث تحافظ على بقائها واستقلالية قرارها في الحد الأدنى، وتحاول انتزاع دور إقليمي يلبّي طموحها في الحد الأعلى من دون أن تعرّض وجودها للخطر، لأن كلا الجارين الكبيرين يرى أنّ الدور الذي تسعى إليه قطر محسوم من نفوذه ويهدد مصالحه، فضلًا عن أن حجم قطر الصغير لا يسمح لها أصلًا، وفق هذه النظرة، بالفوز بأي دور أو نفوذ، في نظام إقليمي يحكمه منطق القوة والتغلب (انظر الرسم البياني 3).

رابعًا: النخبة في مواجهة البنية

كما بيّنا سابقًا، احتل موضوع النخبة ودورها في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية موقعًا أساسيًا في النقاش النظري لهذا الحقل، بحيث مال أكثر الباحثين الذين يقولون بأهمية دور القيادة في رسم السياسة الخارجية إلى القول بأن حرية الاختيار لدى صانع القرار تجاه البدائل والسياسات تعتمد اعتمادًا كبيرًا على قدرته على إخضاع المحيط الخارجي، أو على الأقل الحد من القيود التي يفرضها على حريته في اختيار البدائل المتاحة أمامه[58]. ويرى روبرت جارفيس أن الفرق بين صناع القرار الذين يتمتعون بمهارات خاصة وأولئك الذين يفتقدونها لا يكمن في مضمون سياساتهم، بل في قدرتهم على بلوغ أهدافهم من خلال القراءة الدقيقة للمتغيرات الإقليمية والدولية وكسب تأييد الرأي العام المحلي لسياساتهم، وبناء التحالفات التي تخدم أهدافهم ومصالحهم[59]. إنّ امتلاك هذه المهارات السياسية يمكن بعض صناع القرار من الوصول إلى أهدافهم بطريقة أفضل من غيرهم، مستفيدين من الإمكانات والمعلومات المتوافرة لديهم[60].

إضافةً إلى ذلك، لم يعد ممكنًا إنكار مدى الأثر الذي يتركه القادة بآرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم وأساليبهم في صنع القرار في سلوك الدولة وسياستها الخارجية[61]. مع ذلك، عندما يطرح السؤال حول أهمية القيادة في تحديد السياسة الخارجية للدول الصغرى في النظام الدولي ورسمها، نجد أن المداخل النظرية التي تتمحور حول مفاهيم القوة والنفوذ توحي بأنها ليست ذات تأثير كبير؛ إذ غالبًا ما ينظر إلى السياسات الخارجية للدول الصغرى على أنها حاصل تفاعل الضغوط

58 Robert Jervis, "Do Leaders Matter and How Would We Know?" *Security Studies*, vol. 22, no. 2 (2013), p. 156.

59 Ibid., p. 162.

60 Ibid.

61 Vaughn P. Shannon & Johnathan W. Keller, "Leadership Style and International Norm Violation: The Case of the Iraq War," *Foreign Policy Analysis*, vol. 3, no. 1 (January 2007), pp. 79 - 104.

التي تمارسها عليها الدول الأكبر في النظام الإقليمي والدولي مع محاولتها حماية استقلالها وهويتها الوطنية[62].

من هنا تجد أكثر الدول الصغيرة نفسها في حالة دفاع دائم عن النفس يبررها شعورها بانعدام الأمن في نظام دولي سمته العامة الفوضى، ما يدفعها إلى بناء تحالفات مع قوى أكبر منها لتأمين الحماية لنفسها، أو ربما تذهب نحو تبنّي سياسات خارجية ذات طبيعة دفاعية بالتنسيق مع قوى صغيرة مثلها لتحقيق نوع من التوازن مع قوى أكبر[63]. لكن المعضلة الأمنية ليست شأنًا خاصًا بالدول الصغيرة فقط، بل تواجهه أيضًا كل الدول في النظام الدولي، بما فيها القوى العظمى، لكن بدرجات متفاوتة من الحدّة. وإذا كان الأمر كذلك، يجب أن يقودنا هذا إلى الاستنتاج في المقابل أن مقدار القوة والنفوذ الذي تتمتع به دولة ما لا يتناسب بالضرورة طردًا مع حجمها الجغرافي أو قوتها العسكرية، وإلا كيف يمكن أن نفسر أن دولة في حجم قطر تسعى إلى التأثير في دولة في حجم مصر. واقع الحال أن الدراسات التي تتناول السياسة الخارجية للدول الصغيرة في إطار مفهوم القوة والنفوذ في العلاقات الدولية بصورة عامة تذهب بنا إلى ما هو أبعد من المفاهيم الواقعية الكلاسيكية التي نعرفها. فقد بينت دراسة تبحث في عوامل بناء التحالفات بين الدول الصغيرة أن هذه التحالفات إنما تكشف في جوهرها عن "قدرة هذه الدول على تحقيق التأثيرات المطلوبة" في السياسة الخارجية، ما يدفع إلى تأكيد عوامل إضافية أبعد من "العوامل الأساسية للقوة"، ومن ثم يُؤخذ في الحسبان "المقوّمات الأشمل لقوة الدولة" بدلًا من ذلك، بما في ذلك نوعية القيادة والمهارات التي تتوافر لديها[64]. من هنا، نجد أنّ "الدول الصغرى قد تحقّق أهدافها على الرغم من افتقارها الموضوعي إلى النفوذ المادي المطلوب لهذه الغاية، وأن هذا النوع من النجاحات يجب أن يؤخذ في الحسبان عند النظر إلى سياسة الدولة الخارجية. لقد بينت الدراسات التي تناولت سلوك الدول الصغرى خلال الحرب الباردة أنّ "أفكار النخبة ومعتقداتها وتفضيلاتها ومصالحها" أدت في بعض الأحيان دورًا أكبر في تحديد شكل العلاقة بالغرب وروسيا ممّا أدته العوامل المتصلة ببنية النظام الإقليمي والدولي[65].

بالمثل، يمكن القول إن النخبة أدت دورًا كبيرًا في تحديد سياسة قطر الخارجية، وتمكنت من خلال المهارات التي اكتسبتها والإستراتيجيات التي استخدمتها، من التقليل من أهمية العوامل البنيوية التي لو جرى الاستسلام لها لكانت قطر تتبع سياسة خارجية أقل استقلالية وأهمية في نظامها الإقليمي. فما هذه الإستراتيجيات التي استخدمتها النخبة القطرية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية؟

خامسًا: إستراتيجيات النخبة القطرية في مواجهة البنية

تؤدي العوامل البنيوية الخاصة بالنظامين الإقليمي والدولي دورًا مهمًا في رسم ملامح السياسة الخارجية القطرية، وهذه سمة عامة تشترك فيها جميع الدول صغيرها وكبيرها، إلا أن هذه السياسة لا يمكن فهمها بعمق من دون الإلمام بطريقة تفكير النخبة القطرية وتصوراتها لهذه العوامل والتحديات، وكيفية التعامل معها، بما يسمح بتحييدها أو التقليل من تأثيرها. لا بل يمكن القول إن السعي نحو تعظيم دور قطر الإقليمي وانتزاع اعتراف به هو نتاج رؤية صانع القرار القطري لموقع بلاده في الإقليم والعالم، بدليل أن سياسة قطر الخارجية تغيرت جذريًا عند تغير النخبة الحاكمة القطرية في عام 1995[66].

صحيح أن قطر بدأت تبحث عن حل لمعضلتها الأمنية، تحفظ بقاءها في وجه التهديدات المتفاقمة التي تواجهها في محيطها الإقليمي، خارج إطار مجلس التعاون منذ الغزو العراقي للكويت عام 1990، إلا أن سعيها إلى تأدية دور على مستوى الإقليم والحصول على اعتراف بهذا الدور، وتحوّل هذا الهدف إلى إستراتيجية عليا للدولة في مواجهة التهديدات الخارجية، ووسيلة للحفاظ على استقلالها بعيدًا عن التبعية لأي من جاريها الكبيرين، لم يبدأ إلا مع وصول الشيخ حمد بن خليفة إلى السلطة في حزيران/ يونيو 1995، ما يؤكد أهمية دور النخبة (الفاعل) في تحديد خيارات قطر الخارجية وسياساتها الإقليمية، والأهم من ذلك الاستدلال على أنّ مهارات النخبة وقدراتها السياسية والإستراتيجيات التي استخدمتها أدت دورًا كبيرًا في تحييد عوامل البنية، وقيود الجغرافيا، لمصلحة القيام بدور إقليمي أكبر.

---

62 Matthias Maass, "The Elusive Definition of the Small State," *International Politics*, vol. 46, no. 1 (2009), p. 73; Annette Baker-Fox, *The Power of Small States: Diplomacy in World War Two* (Chicago: Chicago University Press, 1959), pp. 114, 180;

للتوسع في موضوع تراتبية القوة بين الدول انظر:

Jorge I. Domínguez, "Mice That Do Not Roar: Some Aspects of International Politics in the World Peripheries," *International Organization*, vol. 25, no. 2 (1971), pp. 175 - 208.

63 Maurice A. East, "Size and Foreign Policy Behavior: A Test of Two Models," *World Politics*, vol. 25, no. 4 (July 1973), p. 576.

64 للتوسع في موضوع دبلوماسية الدول الصغيرة انظر:

Maass, "The Elusive Definition of the Small State," p. 74; Kevin D. Stringer, "Honorary Consuls in Small State Diplomacy: Through Liechtenstein's Lens," Discussion papers in Diplomacy, no. 120 (2011), Netherlands Institute of International Relations "Clingendael," accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/QFcuCK

65 Giorgi Gvalia et al., "Thinking Outside the Bloc: Explaining the Foreign Policies of Small States," *Security Studies*, vol. 22, no. 1 (2013), p. 13.

66 Fatima Ayub, "What Does the Gulf Think about the Arab Awakening?" *Gulf Analysis*, London, European Council on Foreign Relations (ECFR), (April 2013), p. 3.

وبناءً عليه، لا يمكن تحليل سياسة قطر الخارجية وفهم دورها الإقليمي من دون التطرق إلى الجانب الشخصي فيها ومن دون أن نفهم البعد الخاص بتفكير نخبة صنع السياسة الخارجية القطرية. والملاحظ أنه خلال هذه الفترة بدأ أكثر الدراسات المهتمة بالسياسة الخارجية يعطي اهتمامًا متزايدًا لدور النخبة في تحديد الخيارات في السياسة الخارجية، والتي تتضح أكثر مع تغير الإدارات إما في إطار التطور الطبيعي (دورة النخب وتعاقب الأجيال)، وإما في إطار التغيير القسري (ثورة أو انقلاب)، فمع تسلّم إدارة جديدة يتغير طاقم صنع القرار على المستويات العليا والمتوسطة، وفي معظم الأحيان إن لم يكن في جميعها تأتي الإدارة الجديدة بمنظومة فكرية وفلسفية مختلفة عن سابقتها.

بدأ التحول الكبير في سياسة قطر الخارجية إذًا مع وصول إدارة جديدة إلى السلطة في حزيران/ يونيو 1995. ويمكن ملاحظة التغير الذي طرأ على سياسة قطر الخارجية مع تغير صانع القرار بتتبع الأثر في السياسة؛ ففي عهد الشيخ خليفة كانت السياسة الخارجية القطرية محكومة بصورة كلية تقريبًا بعوامل نظامية، تتسق مع بنية النظام الإقليمي، وعلى رأسها المحددات الجغرافية التي تحتل مكانًا مركزيًا فيها. لقد تغير هذا الأمر بعد عام 1995، إذ أخذ صانع القرار القطري يحاول إخضاع العوامل البنيوية، أو الحدّ من قدرتها على عرقلة تحقيق أهدافه وتنفيذ سياساته، من خلال تبنّي إستراتيجيات محددة تعينه على ذلك.

تبنّت النخبة الجديدة سياسة خارجية نشطة تؤمّن لها مصالحها السياسية والاقتصادية وتحقق لها طموحها في القيام بدور إقليمي مؤثّر. كانت رؤية القيادة الجديدة ذات منحى تغييري Anti-Status Que، وقد برز هذا في الإعلام، كما في السياسة الخارجية والاقتصادية التي ذهبت في اتجاه الاستفادة القصوى من مقدرات البلاد وثرواتها الطبيعية وتوظيفها لخدمة أجندة السياسة الخارجية. وهكذا، منذ عام 1995 أصبحت سياسة قطر الخارجية تعكس بوضوح مصالحها الوطنية، وطموحات قيادتها الإقليمية وحاجاتها الأمنية. وقبل هذا التاريخ، يمكن القول إن قطر لم يكن لها سياسة خارجية خاصة بها.

وفي إطار رؤيتها لدور بلادها وموقعها في السياسة الإقليمية والدولية، وحتى تتمكن من ابتكار الإستراتيجيات الملائمة لتجاوز القيود البنيوية، كان لزامًا على النخبة القطرية الجديدة أن تقوم بإجراء تحليل للبيئة الخارجية المحيطة بها، وسبر نقاط قوتها وضعفها، والفرص والمخاطر التي تحيق بها. تمثّل التحدي البنيوي الأول الذي يبرزه هذا التحليل في جغرافية قطر الصغيرة في حجمها، القليلة بعدد سكانها والتي تعيش بين قطبين إقليميين كبيرين يسعى كلاهما إلى دفعها للدوران في فلكه، وسط أجواء تنافس شديدة، وبيئة مضطربة، درجة المخاطر فيها مرتفعة ولا تسمح لقطر بتبنّي موقف حيادي.

أمام هذا التحدي الكبير كان على صانع القرار القطري أن يجد الإستراتيجية الملائمة التي تعينه على تبنّي سياسة خارجية مستقلة عن نفوذ القطبين الإقليميين، إيران والسعودية. وبوصفه صانعَ قرار عقلانيًا يسعى إلى البقاء مستقلًا في الحد الأدنى، ويطمح إلى دور إقليمي مؤثّر في الحد الأعلى في بيئة عامة سمتها الفوضى، حيث لا توجد تراتبية تحكم سلوك الدول ولا سلطة عليا تضبط سياستها الخارجية، إنما كل شيء محكوم بتوزع القوة والقدرات في نظام الفوضى، تبنّى صانع القرار القطري إستراتيجية هجومية غير تقليدية بالنسبة إلى دولة صغيرة محشورة بين عملاقين. تقوم هذه الإستراتيجية على مبدأ سياسة خارجية نشطة لا يمكن أن تحقق لقطر الأمن الذي تنشده فقط ولا تستطيع قدراتها الصلبة تحقيقه، بل يمكن أن تأتي لها بمكاسب اقتصادية وسياسية أيضًا، وفوق ذلك يمكنها إنتاج شرعية سياسية مستمدة من مصادر غير تقليدية بالنسبة إلى مجتمعات قبلية، تتأتى بالدرجة الأولى من إنجازات خارجية تضاف إلى نجاحها في تأمين مستويات عالية من الرفاهية لمواطنيها.

لا يمكن تحقيق هذه الإستراتيجية الطموحة من دون توافر الإمكانات الملائمة، لذلك وفي مقابل نقاط الضعف الكثيرة التي تعانيها قطر، كانت هناك نقاط قوة وفرص تنتظر استغلالها ويمكن معها الانتقال بقطر من موقع قوة هامشية صغيرة Small Power إلى قوة متوسطة إقليمية Middle Power. فالجغرافيا التي حرمت قطر المساحة الشاسعة وعدد السكان الكبير والموارد المائية اللازمة لنهضة زراعية وصناعية (مصادر القوة التقليدية) وحشرتها بين عملاقين، أعطتها في المقابل احتياطات هائلة من الطاقة؛ فقطر تملك ثالث أكبر احتياط غاز في العالم بعد روسيا وإيران (أكثر من 24 تريليون متر مكعب) وهي أكبر منتج للغاز المسال في العالم بطاقة إنتاجية تبلغ 77 مليون طن سنويًا مرشحة للزيادة إلى 100 مليون طن[67]. وتحتل قطر بفضل دخلها من تصدير الغاز المرتبة 56 في العالم لجهة ناتجها الإجمالي القومي، لكنها وبسبب حجمها السكاني الصغير تحتل المرتبة الأولى لجهة حصة الفرد منه بدخل فردي إجمالي قدره 129 ألف دولار سنويًا[68].

مثّلت هذه الموارد المالية الهائلة التي تأتت نتيجة الاستثمار الكبير في استخراج الغاز المسال وصناعته، مع صعود نخبة تملك مشروع رؤية وإستراتيجية لتحويل قطر من قوة صغيرة تابعة إلى قوة إقليمية متوسطة ذات سياسة خارجية مستقلة ودور إقليمي نشط، نقطة قوة قطر الأكبر في مواجهة بيئة كانت قبل ذلك هي المحدد الأساسي والوحيد لدور قطر الإقليمي وعلاقاتها الدولية وسياستها الخارجية.

67 "Qatar Announces Huge Rise in Gas Production Amid Diplomatic Crisis," *CNBC*, July 4, 2017, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/n92M3a

68 Global Finance, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/aqpZD6

لقد مثل استقلال قطر المالي الخطوة الأولى والأهم تجاه استقلال سياستها الخارجية عن السعودية.

وحتى تتمكن من انتهاج سياسة مستقلة، بدأت قطر تنحو في اتجاه التوازن في علاقتها بجاريها الكبيرين (السعودية وإيران). وتطلّب هذا السلوك بطبيعة الحال القطع مع سياسة الالتحاق التي تبنتها قطر تجاه السعودية منذ استقلالها عام 1971، والاقتراب قليلًا من إيران. ومع كل خطوة كانت تقترب فيها قطر من إيران كانت تبتعد بالمقدار نفسه عن السعودية، وصولًا إلى نقطة التوازن المنشودة في العلاقة بالجارين؛ فقامت بتسوية مسائل الحدود البحرية مع إيران[69]، كما عقدت اتفاقية أمنية معها عام 2010[70]. خلال هذه الفترة، برز ما يمكن تسميته بالقاعدة الذهبية في سياسة قطر الخارجية، ومفادها أن الحالة المثالية تتمثل ببناء علاقة جيدة ومتوازنة مع جاريها الكبيرين، لكن في حال فشلها في بلوغ هذا الهدف يمكنها أن تعيش في ظل علاقات سيئة مع أحدهما، إنما في كل الأحوال ينبغي تجنب علاقة سيئة بالاثنين معًا في الآن نفسه، لأن هذا يمثّل خطرًا كبيرًا عليها.

عبّرت السعودية منذ البداية عن رفضها الوضع الجديد الناشئ من محاولة النخبة القطرية الجديدة تبنّي سياسة أكثر استقلالية عنها. وبناءً عليه، ومنذ وصوله إلى السلطة واجه الشيخ حمد بن خليفة معارضة شديدة لحكمه وسياساته من طرف الرياض التي رأت أنّ الحاكم القطري الجديد يقود تمردًا عليها ويبحر بسياسات بلاده بعيدًا عنها، لهذا السبب دعمت محاولتين انقلابيتين لإطاحة حكمه عام 1996 وعام 2002[71]. كما عارضت السعودية إنشاء خطوط أنابيب لنقل الغاز القطري إلى الكويت والبحرين[72]. وهي خطط كانت تعد جزءًا أساسيًا من إستراتيجية قطر لتطوير صناعة الغاز، وتعزيز موقعها المالي وحصتها في سوق الطاقة العالمية[73]. دفع الموقف العدائي السعودي الشيخ حمد إلى تبني مزيج من إستراتيجيات دفاعية وهجومية نشطة اشتملت على إنشاء توازنات، وبناء تحالفات، واستخدام أدوات القوة الناعمة المتاحة؛ من وساطة وإعلام وثقافة وفكر ومساعدات مالية وأعمال خيرية وإنسانية ودبلوماسية عامة، ورياضة، وإنشاء شراكات واستثمارات عالمية لجعل قطر جزءًا من النظام الاقتصادي العالمي، وتحويلها إلى مركز لا غنى عنه لصناعة الغاز المسال في العالم[74]، وإنشاء علاقات بقوى وكيانات محاصرة أو منبوذة دوليًا[75]، بحيث تغدو قطر والحاجة إلى دورها النشط والفعال السياسي والاقتصادي والفكري والإعلامي من أهم أدوات الحفاظ على استقرارها[76]. وهي إستراتيجية غير تقليدية تهدف إلى "تكريس علامة الدولة Brand لتحقيق أمنها من خلال جعل القوى الإقليمية والدولية المتصارعة ذات مصلحة أكيدة في الحفاظ على بقائها واستقلالها"[77].

وجاء عرض قطر عام 2002 استضافة القوات الأميركية التي طلبت منها الرياض مغادرة قاعدة الأمير سلطان في الظهران، بعد أن ساءت العلاقات بين الطرفين بسبب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في هذا السياق، بوصفه جزءًا من إستراتيجية واسعة تبنّتها النخبة القطرية الجديدة للتغلب على المعضلة الأمنية التي تواجهها في علاقتها بالسعودية. وعلى الرغم من استضافتها القاعدة الأميركية، وتوقيع اتفاقية دفاعية مع واشنطن منذ عام 1992، يصعب القول إن قطر كانت تتبنى سياسة تبعية في علاقتها بواشنطن، فواقع الأمر أن قطر تبنت سياسات خارجية مؤيدة لواشنطن ومتعارضة معها في آن معًا[78]، خاصة بعد عام 2006، عندما أصبحت قطر عضوًا غير رسمي في محور المقاومة الذي تقوده إيران ويضم سورية وحزب الله وحماس. في الوقت نفسه تقريبًا بدأت قطر تبني علاقات وثيقة مع تركيا، وصلت إلى مستوى إستراتيجي من التعاون الاقتصادي والسياسي والأمني والعسكري[79].

إضافةً إلى ذلك، أخذت قطر التي حرمتها الطبيعة من مصادر القوة الصلبة Hard power، تذهب في اتجاه إستراتيجية تعويضية تقوم على امتلاك وسائل القوة الناعمة Soft power لتحقيق طموحها في

69 "Qatar, Iran to sign Key Agreements," *Gulf News*, 2 February 2010, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/D8oQ

70 "Iran, Qatar Sign Defense Cooperation Agreement," *Tehran Times*, February 25, 2010, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/yA3pw6; "Qatar, Iran Sign Pact to Fight Crime," *Gulf News*, March 11, 2010, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/7wvjZE

71 "Qatar Coup Plot May Thwart U.S. War Plans," Stratfor, 25 October 2002, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/KQ4g7A

72 "Politics Stymie Gulf's hope of sharing Qatari gas," *Reuters*, 7 March 2010, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/hS9C6R

73 Robin Mills, "Qatar Warms Up to Iran on Natural Gas," *Bloomberg View*, July 20, 2017, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/CqmWFG

74 Jim Krane & Steven Wright, "Qatar 'Rises Above' Its Region: Geopolitics and the Rejection of the GCC Gas Market," *Research Paper*, Kuwait Programme on Development, Governance and Globalisation in the Gulf States, LSE, no. 35 (March 2014), p. 2, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/86rTW2

75 "Trump Pushing Afghan President to close Taliban Office in Qatar, Sources Say," *The Guardian*, 26 September 2017, accessed on 27/9/2017, at: https://goo.gl/rwT455

76 Krane and Wright, p. 3.

77 J. E. Peterson, "Qatar and the World: Branding for a Micro – State," *The Middle East Journal*, vol. 60, no. 4 (Autumn 2006), pp. 732 - 733.

78 Shibley Telhami, "Behind the Abdication of Qatar's Emir," *Reuters*, June 26, 2013, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/EuBkp

79 Bertrand Viala, "Why Are Qatari-Turkish Relations Unique?" Eurasia Review, January 17, 2017, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/H2h7z6

المنافسة على دور إقليمي بين القوى الأكبر في المنطقة. وكان على رأس هذه الوسائل، الإعلام الذي مثّل بالنسبة إلى قطر أهم أسلحتها في مواجهة التحديات والتهديدات، بحيث ساعد في إنتاج علامة خاصة بها كان لها الدور الأكبر في جعل قطر لاعبًا مهمًا في السياسة الإقليمية، ولفت الانتباه إليها على الساحة الدولية.

طوال عقود طويلة، افتقر العالم العربي إلى وسائل إعلام غير رسمية تقدّم لجمهورها أخبارًا تتسم بالصدقية؛ وعندما قررت قطر الاستثمار في هذا القطاع، من خلال إطلاقها قناة الجزيرة عام 1996، مثّل ذلك ما يشبه الثورة في العالم العربي الذي لم يعرف إعلامًا من هذا النوع من قبل، بحيث ظل يعتمد على وسائل إعلام غربية ناطقة بالعربية مثل بي بي سي، ومونتي كارلو، وصوت أميركا، وغيرها، للحصول على أخبار ومناقشة قضايا سياسية حساسة بهامش كبير من الحرية[80].

مثّلت الجزيرة استثمار قطر الأكبر في السياسة الخارجية، فغدت يدها الضاربة لتحقيق طموحها إلى القيام بدور إقليمي، وتحولت الجزيرة لاعبًا أساسيًا لا في السياق الإقليمي فحسب بل في السياسة الدولية أيضًا. وقد تعرضت الجزيرة بسبب ذلك لإغلاقات ومضايقات من جانب أكثر الأنظمة العربية، بل لقصف جوي نفذه الأميركيون على بعثاتها ومكاتبها في أفغانستان والعراق[81].

خلال هذه الفترة أيضًا نجحت قطر في جعل نفسها وسيطًا مقبولًا في مختلف النزاعات في الشرق الأوسط؛ فتوسطت بين "فتح" و"حماس" أكثر من مرة لرأب الصدع في العلاقة بين الطرفين منذ تفجر الخلاف بينهما بعد فوز حماس في انتخابات عام 2006 التشريعية، ثم استئثارها بحكم قطاع غزة منذ حزيران/ يونيو 2007. كما توسطت قطر في الصراع بين حكومة الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح والحوثيين خلال الحروب الست التي خاضها الطرفان في الفترة 2003 - 2009. وتوسطت أيضًا في حروب السودان من دارفور إلى الصراع مع الجنوب. وتمثل نجاحها الأكبر في ميدان الوساطة بإنهاء أزمة الفراغ الرئاسي في لبنان الذي نشأ مع نهاية فترة الرئيس إميل لحود في تشرين الثاني/ نوفمبر 2007، واستمر حتى اجتاح حزب الله بيروت في أيار/ مايو 2008. كما توسطت قطر بين العقيد معمر القذافي والدول الغربية لحل "أزمة لوكربي" التي اتهمت فيها الدول الغربية نظام العقيد بالمسؤولية عن تفجير طائرة ركاب أميركية فوق إسكتلندا عام 1989[82]، وتوسطت بين الولايات المتحدة وطالبان، بحيث أنشأت لهذه الأخيرة مكتبًا في الدوحة لتسهيل التواصل بين الطرفين[83].

عند اندلاع ثورات الربيع العربي، تخلت قطر عن إستراتيجية التوازن التي اتبعتها في علاقاتها بجاريها الكبيرين، خاصة خلال الفترة التي احتد فيها التنافس بين ما كان يسمى بـ "محور المقاومة" الذي كانت تقوده إيران و"محور الاعتدال" الذي كانت تقوده السعودية ومصر بعد حرب تموز/ يوليو 2006 في لبنان. في الفترة بين ثورة 25 يناير 2011 والانقلاب العسكري في تموز/ يوليو 2013، قررت قطر دعم المد الثوري العربي ومواجهة الرياض وطهران اللتين وقفتا بقوة ضده. فتدخلت قطر عسكريًا إلى جانب قوات حلف شمال الأطلسي "الناتو" لإطاحة نظام الزعيم الليبي معمر القذافي[84]، وقدمت الدعم المادي والدبلوماسي والإعلامي للثورة المصرية في تحدٍ كبير للإرادة السعودية التي وقفت بشدة ضد الثورة في مصر وعملت على إجهاض ما نتج منها[85]، كما وقفت قطر بقوة إلى جانب الثورة السورية ضد نظام الرئيس بشار الأسد وقدّمت للمعارضة السورية كل أشكال الدعم المادي والسياسي والعسكري في تحدٍ آخر للإرادة الإيرانية التي وقفت بقوة إلى جانب نظام بشار الأسد[86].

استندت قطر خلال هذه الفترة إلى قوة المد الثوري العربي وعلاقتها بالقوى والتيارات الإسلامية الوسطية التي بدت مرشحة أكثر من غيرها للوصول إلى السلطة في دول الثورات العربية؛ بسبب قدراتها التنظيمية الكبيرة وضعف خصومها[87]، كما استندت إلى علاقتها بتركيا التي شاركتها السياسة نفسها في سورية ومصر تحديدًا، والموقف الأميركي الذي بدا مستعدًا للقبول بحكم الإسلاميين ومسايرة الإرادة الشعبية التي انبثقت من صندوق الاقتراع، بوصف ذلك دليلًا على التعايش بين الإسلام والديمقراطية، وبما يفيد عزل التيارات الإسلامية المتشددة[88].

---

80 Nabil Sultan, "Al Jazeera: Reflections on the Arab Spring," *Journal of Arabian Studies: Arabia, the Gulf, and the Red Sea*, vol. 3 (2013).

81 "U.S.: Al-Jazeera Bomb Story 'Outlandish'," *CNN*, November 23, 2005, accessed on 10/8/2017, at: https://goo.gl/K3TwVe

82 Kristian Ulrichsen, *Qatar and the Arab Spring* (Oxford University Press, 2014), p. 122.

83 "'Qatar Hosted Hamas, Taliban Delegations at the Request of US'," *Qatar Tribune*, July 4, 2017, accessed on 2/9/2017, at: https://goo.gl/pku4JT

84 Florence Gaub, "From Doha with Love: Gulf Foreign Policy in Libya in The New Politics of Intervention of Gulf Arab States," LSE, Middle East Center, Collected papers, vol. 1 (April 2015), p. 52.

85 Madawi Al-Rasheed, "Saudi Arabia's Foreign Policy: Loss without Gain?" The New Politics of Intervention of Gulf Arab States, LSE, Middle East Center, Collected papers, vol. 1 (April 2015), pp. 32 - 40.

86 Christopher Philips, "Gulf Actors and the Syria Crisis," The New Politics of Intervention of Gulf Arab States, LSE, Middle East Center, Collected papers, vol. 1 (April 2015), pp. 41 - 51.

87 David B. Roberts, "Qatar and the Muslim Brotherhood: Pragmatism or Preference?" *Middle East Policy* vol. 21, no. 3 (2014); David B. Roberts, "Qatar and the Brotherhood," *Survival*, vol. 56, no. 4 (2014).

88 مروان قبلان، "العلاقات السعودية – الأميركية: انفراط عقد التحالف أم إعادة تعريفه؟"، **سياسات عربية**، العدد 6 (كانون الثاني/ يناير 2014)، ص 12.

لكن العوامل النظامية المتمثلة بوقوف السعودية وإيران في وجه ثورات الربيع العربي وفشل إدارة أوباما في تبني إستراتيجية واضحة لتمكينها والدفاع عنها، إلى جانب أسباب أخرى كثيرة، أدت إلى انحسار الموجة ومن ثم فشل إستراتيجية البناء على إرادة التغيير التي عبّرت عنها الشعوب العربية في ربيع عام 2011، لتقويض بنية النظام الإقليمي القائمة على حكم نخبوي ضيق غير تمثيلي مستمر منذ نشأة الكيانات العربية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية، والانتقال إلى نظام جديد نابع من إرادة الأمة[89].

أدى هذا الفشل بقطر إلى إعادة النظر في سياساتها الخارجية وعلاقاتها الإقليمية، خاصة مع ازدياد الضغوط السعودية عليها بعد نجاح الانقلاب العسكري في مصر، وبلغت ذروتها في أزمة سحب السفراء مطلع عام 2014، وتنامي النفوذ الإيراني خاصة بعد استيلاء الحوثيين على صنعاء في أيلول/ سبتمبر 2014، وانكفاء العامل الأميركي الذي مال إلى ترك الصراع في المنطقة بين قوى التغيير وقوى الوضع القائم يأخذ مداه من دون تدخل كبير، في وقت انصب اهتمامه أكثر على الحصول على اتفاق حول برنامج إيران النووي[90].

خلال هذه المرحلة، عادت قطر، مع انتقال السلطة من الشيخ حمد بن خليفة إلى ابنه الشيخ تميم بن حمد، إلى التركيز أكثر في الشأن الداخلي، فخفّت حدة نشاط سياستها الخارجية في أكثر الملفات الإقليمية التي كانت مؤثرة فيها، كما حاولت استعادة دور الوسيط في الأزمات الإقليمية والدولية. في الوقت نفسه، ومع تنامي النفوذ الإيراني، سعت قطر إلى الاقتراب أكثر من السعودية، فانضمت إلى التحالف الذي تقوده في حرب اليمن، وأرسلت قواتها إلى الحدود الجنوبية للسعودية، كما تركت لهذه الأخيرة إدارة دفة الصراع في سورية في مواجهة إيران، وقد برز ذلك في قيام السعودية بدعم قطري بالإشراف على إنشاء الهيئة العليا للمفاوضات التي انبثقت من مؤتمر الرياض للمعارضة السورية الذي عقد في كانون الأول/ ديسمبر 2015، وتولّيها من ثم مهمة إدارة الملف السوري[91].

في الفترة بين مطلع عام 2015 ومنتصف عام 2017، بدت قطر كأنها عادت إلى اتباع سياسة الالتحاق بالسعودية التي كانت سائدة قبل عام 1995، إلى أن كشفت الأزمة الأخيرة التي اندلعت في حزيران/ يونيو 2017 عن تمسك قطر باستقلالية سياستها الخارجية على الرغم من الضغوط الشديدة التي تعرضت لها، وبلغت حدّ فرض حصار بري وبحري وجوي عليها. وقد ردّت قطر على ذلك بالعودة إلى اتباع سياسات توازنية لمواجهة الضغوط السعودية، فقامت بتطوير علاقاتها بأقطاب الإقليم الأخرى واختارت هذه المرة التركيز على تركيا التي أرسلت قوات عسكرية إلى قطر في إطار اتفاقية عام 2014[92].

أعادت أزمة 2017 إلى الواجهة مرة أخرى معضلة قطر المتمثلة بجغرافيتها السياسية، ومدى صعوبة تجاوز المحددات النظامية المرتبطة بها وببنية النظام الإقليمي لدولة صغيرة تحاول الاحتفاظ باستقلالها عن الدول الكبرى في محيطها الجغرافي. لكن أكدت هذه الأزمة من جديد أيضًا أن المحددات الجغرافية والعوامل النظامية ليست قدرًا محتومًا بالنسبة إلى الدول الصغيرة إذا توافرت لها النخبة القادرة على ابتداع إستراتيجيات مختلفة، للتأقلم مع التحديات التي تفرضها البنية أو البيئة التي ليس في مقدورها تغييرها؛ وذلك للحفاظ على بقائها واستقلالها.

> يمكن القول إن قطر، بسبب وضعها الجيوسياسي الحرج، طورت ما يشبه قانون البقاء في سياستها الخارجية؛ فعندما تتعرض للضغط من إيران تلتحق بالسعودية، وعندما تكون السعودية مصدر الضغط توازنها قطر بالتقارب مع إيران، أما عندما تكون الفرصة مواتية نتيجة انكفاء السعودية وإيران فتتخلى قطر عن الإستراتيجيتين وتتبع سلوكًا هجوميًا لتعظيم مكاسبها

ويمكن القول إن قطر، بسبب وضعها الجيوسياسي الحرج، طورت ما يشبه قانون البقاء في سياستها الخارجية Qatar's Survival Strategy؛ فعندما تتعرض للضغط من إيران تلتحق بالسعودية، وعندما تكون السعودية مصدر الضغط توازنها قطر بالتقارب مع إيران، أما عندما تكون الفرصة مواتية نتيجة انكفاء السعودية وإيران فتتخلى قطر عن الإستراتيجيتين وتتبع سلوكًا هجوميًا لتعظيم مكاسبها، وهو ما حصل خلال الفترة 2011 - 2013.

89 لمواكبة المواقف الإقليمية والدولية من الثورة المصرية والانقلاب العسكري الذي أطاح نتائجها، انظر: عزمي بشارة، **ثورة مصر**، ج 2، **من الثورة إلى الانقلاب** (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 449 - 550.

90 قبلان، ص 17.

91 "المعارضة السورية تختار قيادتها التفاوضية مع النظام في ختام 'مؤتمر الرياض'"، جريدة **الشرق الأوسط**، 11 كانون الأول/ ديسمبر 2015، شوهد في 2017/9/5، في: https://goo.gl/spdC2w

92 "Turkish Parliament Approves Bill to Deploy Troops in Qatar," *Reuters*, June 7, 2017, accessed on 1/9/2017, at: https://goo.gl/DTk58m

خاتمة

على امتداد العقدين الماضيين اصطدمت النخبة القطرية في إطار سعيها إلى تبنّي سياسة خارجية مستقلة وبناء دور إقليمي مؤثر، بواقع جيوسياسي لا تستطيع تغييره أو التحكم فيه، من منطلق أن الدول لا تختار جوارها الجغرافي ولا بنية النظام الإقليمي الذي تعيش فيه. لكنها اكتشفت أيضًا أن في إمكانها ابتداع إستراتيجيات من وحي التقدم الكبير في التكنولوجيا والأفكار (القوة الناعمة) لتعظيم نقاط قوتها وتقليل نقاط ضعفها المتمثلة بوجودها بين قوى إقليمية أكبر منها. كما استفادت النخبة القطرية في إطار سعيها للحفاظ على استقلالها من المزايا التي تتيحها طبيعة النظام الإقليمي الذي تعيش فيه، والمتمثلة بإمكانية الاستفادة من التناقضات الكبرى بين أقطابه، ومن قوة المقاومة الذاتية التي يبديها هذا النظام لهيمنة قوة إقليمية واحدة عليه أو امتلاكها من موارد القوة ما يخل بتوازناته.

وقد أدى اجتماع الموارد المالية مع وجود نخبة حاكمة طامحة، تمتلك مشروع رؤية، وتتمتع بدينامية عالية في تنفيذها إلى الحد كثيرًا من تأثير العوامل النظامية في السياسة الخارجية القطرية، وتمكنها من انتزاع دور مؤثر على الساحة الإقليمية. مكن هذا الأمر قطر من التغلب على بعض مكامن ضعفها البنيوية، والاستعاضة عنها بأدوات تأثير ناعمة، وإستراتيجيات موازية، وظفتها في اتجاهين: الأول دفاعي، تمثل بدرء خطر خصومها الساعين إلى الهيمنة على قرارها وإلحاقها بهم؛ والثاني هجومي تجلى في توسيع مساحة تأثيرها إلى ما وراء إقليمها. فأنشأت قطر من جهة شبكة علاقات إقليمية ساهمت في تخفيف حدة معضلتها الأمنية المتمثلة أساسًا برفض السعودية استقلالية سياساتها عنها، فوازنت الضغط السعودي مرة بإيران ومرة بتركيا ومرة بالاثنتين معًا. ومن جهة أخرى قامت قطر ببناء أدوات قوتها الناعمة التي أدت دورًا مهمًا في خدمة أهداف سياساتها الخارجية. ومن خلال الاستفادة من غياب إعلام عربي يتمتع بدرجة معقولة من الحرية ومن سقوط حواضر الفكر والثقافة العربية (في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وبيروت)، حاولت قطر التحول إلى مركز فكري وإعلامي وثقافي بديل. كما حاولت بدرجات متفاوتة من النجاح بناء سمعة (براند)، بوصفها وسيطًا في حل النزاعات الدولية، ووظفت ملاءتها المالية الكبيرة في خدمة هذا الغرض، وفي إنشاء شبكة واسعة من الجمعيات ومنظمات العمل الإنساني التي نشطت في تخفيف ظروف الفقر والإهمال في مناطق مختلفة من العالم، وتمكنت من خلال ذلك من بناء صورة ذهنية إيجابية عن نفسها، محوّلةً دورها هذا إلى حاجة ومصلحة إقليميتين دوليتين.

هذه هي الإستراتيجيات التي اتبعها صانع القرار القطري في التقليل من حدة تأثير العوامل البنيوية والتخفيف من قيودها على قدرته على اتباع سياسة خارجية مستقلة وانتزاع دور إقليمي فعال بين قوى إقليمية أكبر، وقدّم بذلك نموذجًا يدعم نظرية أهمية القيادة في تحديد السياسة الخارجية لدولة صغيرة، على الرغم من التحديات التي تفرضها البيئة سواء في ما يتعلّق بالأهداف الطويلة الأمد للدولة أو بصنع القرار خلال الأزمات[93].

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. **ثورة مصر**. ج 2. **من الثورة إلى الانقلاب**. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

قبلان، مروان. "العلاقات السعودية – الأميركية: انفراط عقد التحالف أم إعادة تعريفه؟" **سياسات عربية**. العدد 6 (كانون الثاني/ يناير 2014).

الأجنبية

Al-Rasheed, Madawi. “Saudi Arabia’s Foreign Policy: Loss without Gain?” The New Politics of Intervention of Gulf Arab States, LSE, Middle East Center. Collected papers. vol. 1 (April 2015).

Ayub, Fatima. “What Does the Gulf Think about the Arab Awakening?” Gulf Analysis. London European Council on Foreign Relations (ECFR). (April 2013).

Baehr, Peter R. “Small States: A Tool for Analysis?” *World Politics*. no. 3 (1975).

Baker-Fox, Annette. *The Power of Small States: Diplomacy in World War Two*. Chicago: Chicago University Press, 1959.

Brown, Michael E. et al. (eds.). *The Perils of Anarchy: Contemporary Realism and International Security*. Cambridge, MA: MIT Press, 1995.

Cooper, Andrew F. & Bessma Momani. “Qatar and Expanded Contours of Small State Diplomacy.” *The International Spectator: Italian Journal of International Affairs*. vol. 46, no. 3 (2011).

Cronin, Blaise. *Cooperation under Anarchy: Transnational Identity and the Evolution of Cooperation*. New York: Columbia University Press, 1999.

Denemark, Robert A. (ed.) *The International Studies Encyclopedia*. Oxford: Blackwelll Publishing, 2010.

93 Maass, “The Elusive Definition of the Small State,” p. 74.

Kayaoglu, Turan. "Thinking Islam in Foreign Policy: The Case of Qatar." Paper presented at the Annual Convention International Studies Association (ISA). California, San Francisco. April 3-6, 2006.

Keohane, Robert O. "Lilliputians' Dilemmas: Small States in International Politics." *International Organization*. no. 23 (1969).

_____. *Ideas and Foreign Policy: Beliefs, Institutions, and Political Change*. Ithaca: Cornell University Press, 1993.

_____. *Neorealism and its Critics*. New York: Columbia University Press, 1986.

Khatib, Lina. "Qatar's Foreign Policy: The Limits of Pragmatism." *International Affairs*. vol. 89. no. 2 (2013).

Labs, Eric J. "Do Weak States Bandwagon?" *Security Studies*. no. 1 (1992).

Maass, Matthias. "Small Enough to Fail: The Structural Irrelevance of the Small State as Cause of its Elimination and Proliferation Since Westphalia." *Cambridge Review of International Affairs* (January 2017).

_____. "The Elusive Definition of the Small State." *International Politics*. vol. 46. no. 1 (2009).

Moravcsik, Andrew. *The New Liberalism, in Christain Reus-Smit and Duncan Snidal*. The Oxford Handbook of International Relations. Oxford University Press, 2008.

Morgenthau, Hans. *Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace*. 6th ed. New York: Knopf, 1985.

Neack, Laura et al. *Foreign policy Analysis: Continuity and Change in Its Second Generation*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, c1995.

Peterson, J. E. "Qatar and the World: Branding for a Micro – State." *The Middle East Journal*. vol. 60. no. 4 (Autumn 2006).

Philips, Christopher. "Gulf Actors and the Syria Crisis, The New Politics of Intervention of Gulf Arab States." LSE, Middle East Center. Collected papers. vol. 1 (April 2015).

Rickli, Jean-Marc. "European Small States' Military Policies after the Cold War: From Territorial to Niche Strategies."

Domínguez, Jorge I. "Mice That Do Not Roar: Some Aspects of International Politics in the World Peripheries." *International Organization*. vol. 25. no. 2 (1971).

East, Maurice A. "Size and Foreign Policy Behavior: A Test of Two Models." *World Politics*. vol. 25. no. 4 (July 1973).

Ehteshami, Anoushiravan. "GCC Foreign Policy: From the Iran-Iraq War to the Arab Awakening, in the New Politics of Intervention of Gulf Arab States." LSE, Middle East Center. Collected Papers. vol. 1 (April 2015).

Elman, Miriam Fendius. "The Foreign Policies of Small States: Challenging Neorealism in its Own Backyard." *British Journal of Political Science*. vol. 25. no. 2 (April 1995).

G.T, Allison & P. Zelikow. *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis*. 2nd ed. New York: Longman, 1999.

Gaub, Florence. "From Doha with Love: Gulf Foreign Policy in Libya in The New Politics of Intervention of Gulf Arab States." LSE, Middle East Center. Collected Papers. vol. 1 (April 2015).

Gvalia, Giorgi et al. "Thinking Outside the Bloc: Explaining the Foreign Policies of Small States." *Security Studies*. vol. 22. no. 1 (2013).

Hermann, Margaret G. "Assessing Leadership Style: A Trait Analysis." *Social Science Automation*. (November 1999).

Hollis, M. & S Smith. *Explaining and Understanding International Relations*. Oxford: Clarendon Press, 1990.

Holsti, K. J. *Taming the Sovereigns: Institutional Change in International Politics*. Cambridge University Press, 2004.

Jervis, Robert. "Do Leaders Matter and How Would We Know?" *Security Studies*. vol. 22. no. 2 (2013).

Kamrava, Mehran. "Mediation and Qatari Foreign Policy." *Middle East Journal*. vol. 65. no. 4 (Autumn 2011).

Kaplan, Robert D. *The Revenge of Geography: What the Map Tells Us About Coming Conflicts and the Battle Against Fate*. New York: Random House, 2012.

Katznelson, Ira & Helen Milner (eds.). *Political Science: State of the Discipline III*. New York: W.W. Norton and Co., 2002.

Sultan, Nabil. "Al Jazeera: Reflections on the Arab Spring." *Journal of Arabian Studies*: *Arabia, the Gulf, and the Red Sea*. vol. 3 (2013).

Taliaferro, Adam J. "Security Seeking Under Anarchy, Defensive Realism Revisited." *International Security*. vol. 25. no. 3 (2000).

Ulrichsen, Kristian. *Qatar and the Arab Spring*. Oxford University Press, 2014.

V. M, Hudson. *Foreign Policy Analysis*: *Classic and Contemporary Theory*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2007.

Shannon, Vaughn P. & Johnathan W. Keller. "Leadership Style and International Norm Violation: The Case of the Iraq War." *Foreign Policy Analysis*. vol. 3. no. 1 (January 2007).

W. Carlsnaes, T. Risse and B. A. Simmmons (eds.). *Handbook of International Relations*. London: Sage, 2002.

Walt, Stephen. "Alliance Formation and the Balance of World Power." *International Security*. vol. 9. no. 4 (1985).

_____. *The Origins of Alliances*. Cornell University Press, 1990.

Waltz, Kenneth N. "Structural Realism after the Cold War." *International Security*. vol. 25. no. 1 (Summer 2000).

_____. *Man, the State and War*. *A Theoretical Analysis*. New York: Columbia University Press, 1959.

_____. *Theory of International Politics*. Reading, Massachusetts. Boston: Addison-Wesley Publishing Company, 1979.

Zelikow, P. & Condoleezza Rice. *Germany Unified and Europe Transformed*: *A Study in Statecraft with A New Preface*. US: Harvard University Press, 1997.

Cambridge Review of International Affairs. vol. 21. no. 3 (September 2008).

Roberts, David B. "Qatar and the Brotherhood." *Survival*. vol. 56. no. 4 (2014).

_____. "Qatar and the Muslim Brotherhood: Pragmatism or Preference?" *Middle East Policy*. vol. 21. no. 3 (2014).

_____. "Understanding Qatar's Foreign Policy Objectives." *Mediterranean Politics*. vol. 17. no. 2 (July 2012).

Rose, Gideon. "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy." *World Politics*. vol. 51. no. 1 (October 1998).

Rothstein, Robert L. *Alliances and Small Powers*. New York: Columbia University Press, 1968.

Smith, Steve, Hadfield Amelia & Timothy Dunne. *Foreign Policy*: *Theories, Actors, Cases*. Oxford: Oxford University Press, 2012.

Snyder, Jack. *Myths of Empire*: *Domestic Politics and International Ambitions*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991.

Soubrier, Emma. "Evolving Foreign and Security Policies: A Comparative Study of Qatar and the UAE." Paper presented at the 5th Gulf Research Meeting, Cambridge, August 2014.

Stein, Arthur A. *Neoliberal Institutionalism in the Oxford Handbook on International Relations*. Christian Reus-Smit and Duncan Snidal (eds.). New York: Oxford University Press, 2008.

Stringer, Kevin D. "Honorary Consuls in Small State Diplomacy: Through Liechtenstein's Lens." Discussion papers in Diplomacy. no. 120 (2011). Netherlands Institute of International Relations "Clingendael."

صدر حديثًا

مجموعة مؤلفين

السياسات التنموية وتحديات الثورة في الأقطار العربية

صدر حديثًا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب السياسات التنموية وتحديات الثورة في الأقطار العربية الذي يبحث في السياسات التنموية في ظل تحديات الثورة في الأقطار العربية في واقع متغير. هذا الكتاب (655 صفحة بالقطع الوسط، موثقًا ومفهرسًا) نتاج أوراق مُختارة قُدمت إلى مؤتمر نظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في تونس في آذار/مارس 2014، ويقع في 13 فصلاً، تقدم مقاربات نقدية وبدائل تنموية من منظور التنمية المستقلة ومعوقات تحقيق الأجندة التنموية للألفية، وتحليل للعدالة الاجتماعية والإنفاق العام وتصور بدائل تنموية اجتماعية تُحابي الفئات الفقيرة والمهمشة، وتطرح تغييرًا ديمقراطيًا من القاعدة وسياسات إصلاح تركز على الجانب الاقتصادي؛ ومن منظور أمارتيا سِنْ وعلاقة الحرية والتنمية ونقد نصوص المنظمات الدولية وبدائل لسياسات قطاعية بالنسبة إلى الصناعة والإنفاق العام وسياسات التشغيل ودراسة حالات اليمن والجزائر ومصر.

محمد بن عبد العزيز الخليفي | Mohamed Abdulaziz Al-Khulaifi*

الأبعاد القانونية لقرار دول الحصار في ضوء القانون الدولي

The Legal Ramifications of the Blockade on Qatar in Terms of International Law

تناقش هذه الورقة الأبعاد القانونية لما بات يعرف بـ "حصار قطر" في ضوء أحكام القانون الدوليّ وما يسمح به من آليات للتحرك وتنظيم العلاقات بين الدول. وتنطلق الورقة من فرضية أنّ الخطوات أحادية الجانب التي اتخذتها كلٌ من السعودية والإمارات والبحرين ومصر تجاه قطر لا تمثل إجراءً قسريًا عقابيًا فحسب، وإنما أيضًا خرقًا لمبادئ القانون الدولي وقواعده والأسس الحاكمة للعلاقات الودية والتعاون بين الدول في مواجهة النزاعات والأزمات الدولية. فالمقاطعة الاقتصادية أو السياسية تعد نمطًا من أنماط الأعمال الانتقامية غير المشروعة في ظل القانون الدولي، وخصوصًا إن انطوت على استخدام القوة. وتخلص الورقة إلى أنّ الدول الأربع تخطت بتصرفاتها ما يوجبه النظام القانوني الدولي من اتّباع آليات وإجراءات سلميّة لتسوية النزاعات والأزمات الدولية؛ ما يمنح قطر الحق في تحريك إجراءات التعامل السياسي والقضائي ضد هذه الدول.

كلمات مفتاحية: القانون الدولي، الأزمة الخليجية، حصار قطر.

This paper will examine the situation which can be described as the "Blockade of Qatar", and particularly the legal ramifications of this blockade and the avenues of action available through international law channels and intra-state apparatus. The paper is premised on the argument that the deliberate, multilateral actions taken by Saudi Arabia, the United Arab Emirates, Bahrain and Egypt against Qatar are not only punitive, but also represent a violation of the principles of international law and of the foundations for the relations between states in times of crisis. Given the use of force to enforce the blockade, the political and economic boycott of Qatar by a group of countries in the region could be legally defined as punitive measures. This paper concludes that the actions taken by the group of countries blockading Qatar provide an adequate basis for the activation of international mechanisms for international arbitration. Specifically, the author contends that Qatar would be justified in pursuing political and judicial redress against the group of countries concerned.

Keywords: International Law, The Gulf Crisis, Qatar Blockade.

* عميد كلية القانون، جامعة قطر.

* Dean of the Faculty of Law, Qatar University.

يعدّ القانون الدولي المرجع الرئيس لتنظيم العلاقات الدولية، وتحديد حقوق كل دولة وواجباتها، وتنظيم مختلف المسائل المتصلة بالقضايا الدولية، بل يمتد إلى القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان وحفظ كرامته، عادًّا الفرد جزءًا لا يتجزأ من كيان المجتمع الدولي. لذلك، يُعدّ التلازم بين القانون والقضايا الدولية تلازمًا وثيقًا؛ فإذا ما غاب القانون عمّت الفوضى في المجتمعات الدولية، وساد الانحراف عن الحق، وأصبحت الممارسات الدولية بلا ضوابط أو أحكام.

فوجئت الشعوب الخليجية والعربية، في فجر 5 حزيران/ يونيو 2017، بإعلان المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين وجمهورية مصر العربية قطعها العلاقات الدبلوماسية بقطر، وإغلاق المنافذ والمجالات البرية والبحرية والجوية التي تصلها بها، إلى جانب إجراءات أخرى؛ منها تعويق حرية انتقال مواطني دولة قطر في أقاليم هذه الدول أو الإقامة في أقاليمها أو إقامة النشاطات التجارية، وغير ذلك من الإجراءات القسرية الأخرى، وذلك من غير أن يقترن هذا القرار ببيان مبرراته وأسبابه.

وقد جاء قرار المقاطعة والحصار هذا إجراء قسريًا عقابيًا ضد دولة قطر، وليس خروجًا على مبادئ التعامل بين الدول الخليجية وأصولها فحسب، وإنما أيضًا خرقًا لمبادئ القانون الدولي وقواعده والأسس الحاكمة للعلاقات الودية والتعاون بين الدول في مواجهة النزاعات والأزمات الدولية إن وجدت.

تناقش هذه الورقة الأبعاد القانونية لقرار الحصار وتبعاته، وأحكام القانون الدولي التي خالفها هذا القرار وآليات التحرك دوليًا.

المبادئ والقواعد القانونية الدولية التي خالفها قرار الحصار

انطوى قرار الحصار وتبعاته على خروج واضح على المبادئ والقواعد القانونية الدولية الحاكمة للعلاقات الدولية سواء أكانت إقليمية أم عالمية، وكذلك تلك المبادئ والقواعد المنظِّمة لعمل التنظيمات والترتيبات الدولية. ونجمل المبادئ التي خالفها القرار كما يأتي:

1. مبدأ حظر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها في العلاقات الدولية

من المبادئ الحاكمة للنظام الدولي العام التي نص عليها صراحة ميثاق الأمم المتحدة في المادة (4/2)، مبدأ حظر استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية. وتمتد القوة هنا لتشمل القوة العسكرية والضغوط الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية ومظاهر العنف والإجراءات القسرية جميعها، بوصفها أعمالًا مهددة للسلم والأمن الدوليين. ومن الإجراءات القسرية الإجراءات المتمثلة بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والحظر البري والبحري والجوي والحصار، بوصفها أعمالًا انتقامية تلجأ إليها الدول، بهدف فرض وجهة نظر معيَّنة أو معاقبة الدولة المتَّخذ ضدها الإجراء على موقف سياسي أو اقتصادي لا ترضى عنه الدولة أو الدول المتخذة للإجراء الانتقامي.

وبناءً على هذا تُعدّ المقاطعة الاقتصادية أو السياسية نمطًا من أنماط الأعمال الانتقامية. وعلى أيّ حال، فإن الأعمال الانتقامية، مهما كان مبررها، تُعدّ من الأعمال غير المشروعة في ظل القانون الدولي، وخصوصًا إن انطوت على استخدام القوة، وهو الأمر المحظور وفقًا لميثاق الأمم المتحدة[1].

> تُعدّ المقاطعة الاقتصادية أو السياسية نمطًا من أنماط الأعمال الانتقامية. وعلى أيّ حال، فإن الأعمال الانتقامية، مهما كان مبررها، تُعدّ من الأعمال غير المشروعة في ظل القانون الدولي

وقد أكدت لجنة القانون الدولي ذلك، في المشروع الذي أعدته تقنينًا لما جرى عليه العرف الدولي في موضوع المسؤولية القانونية الدولية؛ إذ قررت حتمية ألا تمس الإجراءات المضادة بالتزام حظر التهديد باستخدام القوة أو استعمالها المنصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة المادة (4/2) من الميثاق، ولا بالتزامات حماية الحقوق الأساسية للإنسان، ولا التزامات الطابع الإنساني لحظر الأعمال الانتقامية، ولا أي التزام آخر تفرضه قاعدةٌ آمرةٌ من قواعد القانون الدولي.

ولا تتحلل الدولة المباشرة للإجراءات المضادة من التزاماتها المترتبة على إجراء تسوية مباشرة بينها وبين الدولة المُدّعى مسؤوليتها، ولا من التزاماتها المتعلقة باحترام الحصانات الدبلوماسية والقنصلية، والعمل على حماية مصالح الدولة المتخذ ضدها الإجراءات ورعاياها. ويجب أن تتناسب الإجراءات المضادة مع مقدار الضرر. وعلى الدولة قبل اتخاذ الإجراءات المضادة مراعاة أن تطالب الدولة المدعى

1 Sir Franklin Berman, "The UN Charter and the Use of Force," *Singapore Year Book of International Law and Contributors*, vol. 10 (2006), pp. 9-17; انظر أيضًا: نشأت عثمان الهلالي، "الأمن الجماعي الدولي"، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، 1985.

مسؤوليتها بأداء التزاماتها القانونية الدولية، وخصوصًا وقف العمل غير المشروع، وعدم تكراره، وأن تخطر الدولة المدعى مسؤوليتها بأي قرار خاص باتخاذ إجراءات مضادة قبل تنفيذها وعرض التفاوض عليها، أو عرض النزاع على جهة قضائية أو محكمة لها سلطة إصدار قرار ملزِم لأطراف النزاع.

2. مبدأ عدم التدخل في القضايا الداخلية

مبدأ عدم التدخل في القضايا الداخلية من المبادئ العامة المستقرة في النظام القانوني الدولي التي أكدها ميثاق الأمم المتحدة في المادة (7/2) منه. وقد أعاد إعلان مبادئ العلاقات الودية والتعاون بين الدول الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1970 تأكيده وتوضيح أبعاده؛ إذ قرَّر أنه ليس لأيّ دولة أو مجموعة دول أن تتدخل مباشرة أو على نحو غير مباشر، ولأيّ سبب كان في القضايا الداخلية أو الخارجية لأيّ دولة أخرى، وإنّ التدخل أيًا كان نمطه وأدواته أو التهديد به بهدف التأثير في شخصية الدولة أو إرادتها أو توجهاتها أو عناصرها السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، يمثّل انتهاكًا للقانون الدولي، ولا يجوز لأيّ دولة أو مجموعة دول استخدام إجراءات قسرية اقتصادية أو سياسية أو أي نوع آخر من الإجراءات أو الحض على استخدامها لإكراه دولة أخرى على التنازل عن ممارسة حقوقها السيادية أو محاولة الحصول منها على أيّ مزايا، وأن لكل دولة حقًا غير قابل للتصرف في اختيار نظمها وتوجهاتها السياسية وقياداتها ونظمها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذلك تقرير مواقفها من الأوضاع والمشكلات الدولية بلا أي تدخل من أيّ دولة أو جهة أخرى[2].

3. مبدأ المساواة في السيادة

السيادة من العناصر الأساسية المميزة للدولة بصفتها شخصًا قانونيًّا دوليًّا، ومن مظاهرها استقلال الدولة في ممارسة شؤونها الداخلية والخارجية، وعدم جواز تدخل الآخرين في ممارستها. وتعني المساواة القانونية بين الدول أن الدول كافة متساوية أمام القانون، بغض النظر عن قوتها أو مساحتها أو تعداد سكانها، في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات والالتزامات الدولية، وهذا ما أكده ميثاق الأمم المتحدة في ديباجته وفي المادة (1/2) منه. ثم أكدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في إعلان مبادئ العلاقات الودية والتعاون بين الدول لعام 1970، مقررة أن تساوي الدول من الناحية القانونية يعني تمتع كل دولة بالحقوق الملازمة للسيادة الكاملة، وكفالة السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة، وأن لكل دولة الحق في أن تختار نظمها بحريّة وتنميها، بما في ذلك توجهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى كل دولة احترام شخصية الدول الأخرى.

4. مبدأ فض النزاعات بالطرق السلمية

من المبادئ الأساسية التي تلتزم الأمم المتحدة والدول أعضاؤها باحترامها، والعمل بمقتضاها في سلوكياتها كلِّها، التعامل مع النزاعات والأزمات الدولية بمبدأ تسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية (3/2) من الميثاق، والتماس الطرق الدبلوماسية وخصوصًا الدبلوماسية الوقائية لمواجهة الأزمات الدولية. وفي الحصيلة، يمتنع الأعضاء عن اللجوء إلى الوسائل والإجراءات القسرية، ومنها قطع العلاقات الدبلوماسية والحظر والحصار البحري والجوي والبري، إلا في حالة الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي الذي لا يكون إلا في مواجهة عدوان مسلح فعلي. وعلى أطراف النزاع أو الأزمة، عند الإخفاق في التوصل إلى تسوية سلمية، واجب الاستمرار في تسوية النزاع والأزمة سلميًا، وعليهم الامتناع عن إتيان أي تصرف قد يؤدي إلى تفاقم الموقف على نحو يعرِّض السلم والأمن الدوليين للخطر، وعليهم أن يتصرفوا وفق مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها وأن تجري مواجهة الأزمات والنزاعات الدولية على أساس المساواة في السيادة بين الدول (إعلان مبادئ العلاقات الودية والتعاون بين الدول، الجمعية العامة للأمم المتحدة 1970)[3].

5. مبدأ تنفيذ الالتزامات الدولية بحسن نية وعدم التحلل منها بالإرادة المنفردة بلا مبرر معقول

من المبادئ الجوهرية في القانون الدولي التي استقرت في العرف الدولي، وأكدتها اتفاقيتا فيينا لقانون المعاهدات عامي 1969 و1986، مبدأ تنفيذ الالتزامات والمعاهدات الدولية بحسن نية وعدم التحلل منها بالإرادة المنفردة بلا سبب معقول يبرر ذلك. ولا تتأثر بعض المعاهدات الدولية حتى في حالة النزاع المسلح، وهو أشد صور التوتر في العلاقات الدولية، وتظل سارية ولا يجوز التحلل منها. ومنها: المعاهدات العامة المتعددة الأطراف، ومعاهدات التجارة والملاحة، والاتفاقات المتعلقة بالحقوق الخاصة بالأفراد، ومعاهدات الحماية الدولية لحقوق الإنسان، والمعاهدات المتعلقة بالتسوية السلمية

2 راجع: "إعلان عدم جواز التدخل بجميع أنواعه في الشؤون الداخلية للدول"، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 9 كانون الأول/ ديسمبر 1981 (القرار رقم 103/ 36)، شوهد في 2017/9/8، في: http://bit.ly/2fW9bQs؛
إبراهيم العناني، **قانون المنظمات الدولية، النظرية العامة – الأمم المتحدة**، ج 1 (القاهرة: دار النهضة العربية، 2012)، ص 210.

3 J.H.W. Verzijl, *International Law in Historical Perspective* (Sijthoff: Leyden, 1976), part viii, "Inter-State Disputes and their Settlement."

للنزاعات. وهذا ما أكدته لجنة القانون الدولي المعنية بتقنين قواعد العرف الدولي وتطويرها[4].

6. مبدأ عدم التعسف في استعمال الحق

من المبادئ العامة المأخوذ بها في النظم القانونية الداخلية جميعها والنظام القانون الـدولي عدم ممارسة صاحب الحق حقه بنية الإضرار بالآخرين، أو أنّ ما يعود عليه من مصلحة من ممارسة حقه لا يتناسب البتة مع ما يصيب الآخرين من ضرر جراء ذلك، وإلا تحمّلت المسؤولية القانونية الدولية. إذا سلمنا جدلًا بأن من حق دول الحصار أن تقطع العلاقات الدبلوماسية، فإن اقتران القرار بقطع العلاقات الاقتصادية وفرض الحظر البحري والجوي والبري إجراءات انتقامية عقابية ينطوي بلا شك على نية الإضرار بقطر، ويؤكد وجود حالة تعسف في استعمال الحق الذي بموجبه تتحمّل دول الحصار المسؤولية القانونية الدولية[5].

7. التزام احترام حقوق الإنسان وحمايتها

انطلاقًا من آدمية الإنسان وتكريم الله سبحانه وتعالى له وتفضيله على كثير ممن خلق، بوصف آدمية الإنسان وكرامته هي أهمّ مقومات احترام حقوق الإنسان التي أكدتها الشريعة الإسلامية، جاءت الوثائق الوضعية العالمية والإقليمية لحقوق الإنسان لتفرض التزامات على الدول والهيئات الدولية باحترام حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحملتها مسؤولية إنفاذ ذلك بحسن نية. ومن هذه الوثائق ما صدر تحت مظلة الأمم المتحدة استنادًا إلى ما تضمنه ميثاقها والمتمثلة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين للحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والعديد من الوثائق العالمية لبعض حقوق الإنسان. هذا إلى جانب الوثائق الإقليمية، ومنها الميثاق العربي لحقوق الإنسان المعتمد من الجامعة العربية، وإعلان القاهرة لحقوق الإنسان المعتمد من منظمة التعاون الإسلامي، وإعلان حقوق الإنسان لمجلس التعاون لدول الخليج العربية 2014.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الأحكام في وثائق الشرعية الدولية لحقوق الإنسان:

- حرية إقامة الشعائر الدينية (المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة 18 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية). وهو ما يفرض التزامًا قانونيًا على الدولة التي يحتضن إقليمها الأماكن المقدسة بعدم عرقلة الوصول إلى هذه الأماكن أو منعه لأهل الديانة لإقامة الشعائر الدينية فيها.
- كفالة حق الأسرة في الحماية وعدم التفريق بين أعضائها (المادة 23 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، والمادة 10 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية).
- الحق في التعليم وضمان ممارسته وعدم عرقلته تعسفًا (المادة 13 من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية).
- كفالة حق التنقل وعدم جواز إبعاد الأجانب تعسفًا، ولمن تقرر إبعاده حق التظلم قضائيًا من قرار الإبعاد قبل تنفيذه (المادتان 12، 13 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية).
- حق اعتناق الآراء بلا مضايقة، والحق في حرية التعبير، والحق في حرية التماس المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها لآخرين من دون النظر إلى الحدود بأيّ وسيلة ولا يجوز فرض قيود تعسفية عليها (المادة 19 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية).
- حظر دعاوى الكراهية والعنف (المادة 20 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية).
- لا يحق لأيّ دولة أو جهة القيام بأي نشاط أو فعل يهدف إلى هدم أي حق من حقوق الإنسان وحرياته الأساسية التي قررتها الوثائق الدولية لحقوق الإنسان أو إهدارها أو عرقلتها أو فرض قيود عليها (المادة 30 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة 5 المشتركة في العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية).
- وهـذه الأحكام جميعها أكدتها الوثائق الدولية العالمية والإقليمية لحقوق الإنسان[6].

8. نظام مجلس التعاون لدول الخليج العربية

في مقدمة الأهداف التي أُسس عليها مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام 1981، تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في الميادين جميعها، وصولًا إلى وحدتها وتعميق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها وتوثيقها في مختلف المجالات (المادة 4). وهو ما أوضحته ديباجة النظام بتقريرها إن الدول المؤسسة تنشئ هذا التنظيم الخليجي إدراكًا منها لما يربط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة وأنظمة متشابهة أساسها العقيدة الإسلامية وإيمانها بالمصير المشترك ووحدة الهدف التي

4 العناني، ص 207.

5 سعيد سالم جويلي، "مبدأ التعسف في استعمال الحق في القانون الدولي"، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، 1985؛ مخلد الطراونة، **القانون الدولي العام** (قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2015)، ص 219.

6 Clayton Richard & Hug Tomlinson, *The Law of Human Rights*, 2nd ed. (New York: Oxford University Press. 2006); Donnelly Jack, *International Human Rights*, 3rd ed. (Boulder: Westview Press, 2006).

تجمع شعوبها والرغبة في تحقيق التنسيق الكامل والترابط بينها في الميادين جميعها، واقتناعها بأن التنسيق والتكامل والتعاون فيما بينها، إنما تخدم الأهداف السامية للأمة العربية وتهدف إلى تقوية أوجه التعاون وتوثيق عرى الروابط فيما بينها والعمل على تحقيق مستقبل أفضل لشعوبها وصولًا إلى وحدة دولها.

ولا شك في أنّ قرار الحصار الذي صدر من الدول الخليجية الثلاث يتعارض تمامًا مع أهداف مجلس التعاون لدول الخليج العربية، فضلًا عن مخالفته اتفاقية التعاون الاقتصادي بين دول المجلس.

9. ميثاق الجامعة العربية وميثاق منظمة التعاون الإسلامي

ينطوي قرار الحصار وتبعاته على خرق واضح لمبادئ جامعة الدول العربية التي أكدها ميثاق الجامعة وفي مقدمتها: مبدأ حظر استخدام القوة (بصوره المختلفة بما فيها الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية) في العلاقات بين الدول الأعضاء (المادة 5)، ومبدأ فض النزاعات العربية بالطرق السلمية (المادة 5)، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية (المادة 8)[7].

كما ينطوي ذلك القرار على خرق واضح لمبادئ منظمة التعاون الإسلامي التي أكدها ميثاق المنظمة (المادة 2) وفي مقدمتها: مبدأ سيادة الدول الأعضاء واستقلالها وحقوقها المتساوية، ومبدأ تسوية النزاعات بالطرق السلمية والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات بين الدول الأعضاء، ومبدأ احترام السيادة والاستقلال ووحدة الأراضي، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ومبدأ تعزيز حقوق الإنسان واحترامها[8].

10. اتفاقية شيكاغو 1944 وتعديلاتها

أُبرمت اتفاقية الطيران المدني الدولي المعروفة باسم اتفاقية شيكاغو في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1944، وأدخلت عليها تعديلات متعاقبة كان آخرها عام 2006. وأنشأت الاتفاقية منظمة الطيران المدني الدولية التي تختص بتنسيق السفر الجوي الدولي وتنظيمه. وتنظّم الاتفاقية استخدام المجال الجوي وتسجيل الطائرات وسلامة الطيران المدني. ومن الدول الأطراف فيها دولة قطر ودول الحصار جميعها.

وبالرجوع إلى أحكام الاتفاقية، نجد أن قرارات إغلاق المجالات الجوية أمام الطيران القطري تمثل خروجًا على أحكام الاتفاقية وخصوصًا (المادة 9) التي تمنع التمييز بحسب الجنسية في قرار دولة منع الطيران المدني فوق إقليمها أو فوق جزء منه، إلا في وقت الحرب، وأن يكون قرار المنع مؤقتًا، وعلى الدولة المتخذة القرار أن تبلغ منظمة الطيران المدني الدولية في أول فرصة ممكنة بما اتخذته من إجراءات بخصوص هذا. فضلًا عن خروج الدولة متخذة القرار عن (المادة 84) التي تلزم الدول الأطراف بعرض ما يثور بينها من خلافات، حول تفسير الاتفاقية أو تطبيقها حين تفشل المفاوضات في تسويتها، على مجلس منظمة الطيران المدني الدولية؛ لاتخاذ القرار بخصوصها، وللدولة المعترضة على قرار المجلس أن تستأنف القرار أمام التحكيم أو محكمة العدل الدولية أو التحكيم الإجباري في حال عدم الاتفاق على أي منها[9].

11. اتفاقية قانون البحار 1982

أبرمت اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار عام 1982، ودخلت حيز التنفيذ عام 1994. ومن الدول الأطراف فيها دولة قطر ودول الحصار جميعها.

وبالرجوع إلى أحكام الاتفاقية، نجد أن قرارات إغلاق المجالات البحرية، أمام السفن القطرية وتلك المتجهة إلى قطر أو القادمة منها، تمثل خروجًا عن هذه الأحكام، وخصوصًا ما تنص عليه المادة 24 من التزام الدولة الساحلية بعدم تعويق المرور البريء للسفن الأجنبية خلال بحرها الإقليمي، إلا وفقًا لأحكام الاتفاقية، وأن تمتنع خصوصًا عن فرض شروط على السفن الأجنبية يكون أثرها العملي إنكار حق المرور البريء على تلك السفن أو الإخلال به، أو التمييز قانونًا أو فعلًا ضد السفن التي تحمل بضائع إلى أي دولة منها أو لها. والمرور البريء للسفن الأجنبية كما عرفته المادة 19 من الاتفاقية: هو المرور الذي لا يضر بسلم الدولة الساحلية أو بحسن نظامها أو بأمنها. ووضّحت المادة حالات المرور غير البريء في فقرتها الثانية التي لا يدخل فيها ما يمكن نسبته إلى السفن القطرية أو القادمة من قطر أو المتجهة إليها، إلا إذا كانت هناك حالة حرب معلنة، ويقع على الدول الساحلية إثبات ارتكاب السفينة الأجنبية حالة من حالات المرور غير البريء. فضلًا عن التزام الدول بحسن النيّة في وفائها بالتزاماتها المقررة في اتفاقية قانون البحار، وممارستها حقوقها التي أُقرّت، على نحو لا يمثّل تعسفًا في استعمال الحق (المادة 300).

ومن جهة أخرى تقرر الاتفاقية أن على الدول الأطراف، حين يثور نزاع بينها حول تفسير الاتفاقية أو تطبيقها، أن تلتمس تسويته بالطرق السلمية المنصوص عليها في الاتفاقية (المادة 279)، وليس عن طريق الإجراءات التعسفيّة والطرق القسرية.

---

7 انظر: محمد طلعت الغنيمي، **جامعة الدول العربية: دراسة قانونية وسياسية** (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974)؛ مجدي حماد، **جامعة الدول العربية**، سلسلة عالم المعرفة، العدد 345، ط 2 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007).

8 إبراهيم محمد العناني، **قانون المنظمات الدولية**، ج 2 (القاهرة: دار النهضة العربية، 2012)، ص 155.

9 انظر: إبراهيم شحاته، **القانون الجوي والفضاء الخارجي** (القاهرة: دار النهضة العربية، 1967).

ومن جهة ثالثة تنطوي قرارات الحظر البحري على خروج عما استقر عليه العرف الدولي وسبق أن أكدته اتفاقية جنيف لعام 1923، وأيدته اتفاقية قانون البحار 1982، بخصوص استخدام الموانئ البحرية، بعدم تعويق دخول الموانئ أمام السفن التجارية الأجنبية، وأن تعامل السفن الأجنبية التجارية معاملة متساوية وعدم التمييز بينها لأي سبب داخل الميناء ولا يغلق الميناء إلا في حالة النزاع المسلح[10].

12. عدم التزام القرار بآليات العمل الدولي لمواجهة الأزمات وحل النزاعات الدولية

تخطت الدول التي أصدرت قرار الحصار بأبعاده المختلفة ما هي ملتزمة به بمقتضى الوثائق المؤسسة للمنظمات الدولية التي هي أعضاء فيها (الأمم المتحدة، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي)؛ إذ لم تعرض الأزمة أو النزاع المدّعى مع قطر أو ادعاءها بمخالفة قطر التزاماتها الدولية بخصوص مكافحة الإرهاب، على الأجهزة المختصة لدى هذه المنظمات والآليات المقررة فيها بغية التعامل مع النزاع أو الأزمة[11]. ولكنها تجاوزت تلك المنظمات واتّخذت إجراءات قسرية عقابية مباشرة ضد قطر، بما يخالف أحكام وثائق المنظمات المشار إليها، وفي مقدمتها مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومنظمة الأمم المتحدة. وهي بذلك، جعلت الخصم حكمًا ومنفذًا لما أصدره من حكم.

13. اختراق موقع وكالة الأنباء القطرية وما اقترن به

تُعدّ واقعة اختراق موقع وكالة الأنباء القطرية في ذاتها جريمة إلكترونية تتعدى الحدود أو الدول، وتدخل في عداد الجرائم المنظمة التي تحكمها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة لعام 2000، وتلزم الدول بمحاربتها والتعاون بكل أبعاده في مكافحتها، وتتبع مرتكبيها ومعاقبتهم، وتحميل الدول التي تقف وراء ارتكابها المسؤولية القانونية الدولية[12]. ويمثل ارتكاب هذه الجريمة ومنها الجريمة المعلوماتية وجرائم شبكات الاتصال الإلكتروني، عمومًا، خرقًا لقرارات الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، إضافة إلى الاتفاقية العربية لمكافحة الجريمة المعلوماتية التي أقرها وزراء العدل العرب عام 2010.

ويكون الاختصاص في نظر هذه الجرائم أوّلًا للقضاء المحلي في الدول المتضررة والدول التي ينتمي إليها مرتكب الفعل أو يقيم على إقليمها بحسب قواعد الاختصاص، وأيّ دولة أخرى تقرّ لها قوانينها الاختصاص في نظر الجرائم ذات الخطورة الدولية. ويكون الاختصاص ثانيًا للقضاء الدولي متى توافرت شروط اللجوء إليه للمطالبة بالتعويض عن الأضرار المادية والأدبية التي تنجم عن ذلك.

ومن جهة أخرى، وبوصف ذلك الفعل فعلًا ينطوي على تزييف لبيانات وأقوال نسبت إلى أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني بهدف الإساءة إلى الدولة والإضرار بعلاقاتها الدولية، وما انطوى عليه من تهديد للاستقرار والسلام الدوليين إقليميًا وعالميًا؛ فإنه يمكن إثارة الأمر أمام مجلس الأمن الدولي، والنظر في أن يطلب منه عند اللزوم أن يدعو أطراف المشكلة إلى عرضها على محكمة العدل الدولية، إضافة إلى إثارة المسألة أمام المنظمات الدولية ذات الصلة، كل فيما يخصه: اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية، ومنظمة الاتصالات الدولية[13].

14. آليات التحرك في مواجهة قرار دول الحصار من منظور القانون الدولي

ينطوي قرار المقاطعة وتبعاته، من حصارٍ بري وبحري وجوي، على خرق واضح لمبادئ القانون الدولي وقواعده في أكثر من موضع؛ ما يحمّل دول الحصار المسؤولية القانونية الدولية، الأمر الذي يعطي دولة قطر بوصفها دولة متضررة، في حال عدم نجاح جهد الدبلوماسية الوقائية والوساطة، حق التماس الآليات والإجراءات الدولية التالية بحسب الحال:

- إجراءات دولية ذات طابع سياسي وغير قضائي.
- إجراءات تحقيق دولية في انتهاكات حقوق الإنسان.
- إجراءات قانونية (ذات طابع قضائي).

أ. إجراءات دولية ذات طابع سياسي وغير قضائي

وتتمثل الإجراءات المتاحة في الأزمة والنزاع الحالي بالمفاوضات المباشرة والوساطة واللجوء إلى المنظمات الدولية:

---

10 انظر: محمد عمر مدني، **القانون الدولي للبحار وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية** (الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، 1397هـ)؛ محمد الحاج حمود، **القانون الدولي للبحار** (عمّان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011)؛ إبراهيم العناني، **النظام القانوني للاستخدام الملاحي للبحار** (قطر: طبعة كلية القانون جامعة قطر، 2017).

11 انظر: إبراهيم العناني، **النظام الدولي في مواجهة الأزمات والكوارث**، ط 4 (القاهرة: دار النهضة العربية، 2013).

12 انظر: الجمعية العامة للأمم المتحدة، "اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية"، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 25، الدورة 55، 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000، شوهد في 2017/9/24، في: https://goo.gl/dQvw9Y

13 جورج ليكي، المعاهدات الدولية للإنترنت: حقائق وتحدّيات، **مجلة الدفاع الوطني**، العدد 83 (2013)؛ انظر: أحكام اتفاقية بودابست لمكافحة الجريمة المعلوماتية، 2001، شبكة قوانين الشرق، شوهد في 2017/9/24، في: https://goo.gl/DUyn9Y

- ما فتئ الموقف الرسمي القطري بالنسبة إلى المفاوضات المباشرة، كما أُعلن، يؤكد ضرورة الحوار والتفاوض المباشر بين أطراف الأزمة، بوصفه السبيل الودية الأمثل للتسوية، شريطة رفع إجراءات الحصار والمقاطعة. وهو اشتراط منطقي قانوني، بغية إجراء المفاوضات، ويجري الحوار بإرادة حرة ومساواة بين الأطراف كاملة. ويبدو أن هذا الطريق يصطدم بعدم قبولٍ أو بعراقيل من جانب دول الحصار[14].
- بدأ الجهد الدبلوماسي والوساطة اللذان يتبناهما أساسًا أمير دولة الكويت وبمشاركة دول أخرى، منذ تفجر الأزمة، لكن يتوقف نجاحهما على توافر الرغبة الصادقة بين أطراف النزاع والأزمة في الوصول إلى تسوية ودِّية، فضلًا عن التعاون بحسن نية مع الوسيط، كما هو واضح في موقف قطر دون غيرها من دول الحصار.
- في حال وصول جهد الوساطة إلى نتائج إيجابية، يجب النظر في تأليف لجنة تعويضات؛ لبحث التعويضات المستحقة لدولة قطر، وللشخصيات الاعتبارية والطبيعية التي أصابها الضرُّ بسبب الحصار وتبعاته، ولبيان آليات تقديرها وتنفيذها.
- اللجوء إلى المنظمات الدولية وفقًا للمادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة. والمنظمات الدولية المتاحة أمام دولة قطر هي:
  - مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة: وهي طريق يعترضها، عمليًا، أن نصف دول مجلس التعاون الست هي أساسًا دول الحصار ضد قطر، وأن الدولة المستضيفة لأمانة المجلس هي المملكة العربية السعودية إحدى دول الحصار؛ وهذا يقيّد حرية مجلس التعاون في التحرك السريع لحل الأزمة.
  - جامعة الدول العربية وفقًا للمادة (5) من ميثاق الجامعة: وهي طريق تتسم بالضعف في ظل ظروف الأزمة وأطرافها؛ والدليل على ذلك عدم تحركها منذ تفجر الأزمة تحركًا جادًّا في العمل على مواجهة الأزمة وتسوية النزاع.
  - منظمة الأمم المتحدة: ويتمثل ذلك بتحريك الأمر أمام مجلس الأمن الدولي، بوصف ما حدث من دول الحصار عملًا مخلًّا بالسلم والأمن الدوليين؛ لانطوائه على استخدام القوة المتمثلة بالضغوط الاقتصادية والسياسية؛ كقطع للعلاقات الدبلوماسية ومقاطعةٍ وحصار اقتصاديين برًا وبحرًا وجوًا، إلى جانب التهديد بالتصعيد، إضافة إلى تدخل في القضايا الداخلية لدولة قطر، وانتهاك السيادة القطرية، ومطالبة مجلس الأمن باتخاذ ما يلزم من إجراءات وفق المادتين (40، 41) من ميثاق الأمم المتحدة لإنهاء ذلك كلّه. وفي حال فشل مجلس الأمن في اتخاذ ما يلزم لإنهاء تلك المخالفات وأعمال التهديد والضغوط الاقتصادية والسياسية التي تمارسها دول الحصار، يمكن طلب عقد اجتماع طارئ للجمعية العامة للأمم المتحدة وفقًا لقرار الاتحاد من أجل السلام لعام 1950.
  - منظمة الطيران الدولية[15]: عرض انتهاكات دول الحصار أحكام اتفاقيات شيكاغو بخصوص الطيران المدني الدولي لعام 1944 وتعديلاتها، ومخالفة تعليمات المنظمة وقراراتها المتمثلة بتيسير حركة الطيران المدني الدولي وعدم عرقلتها، أمام مجلس المنظمة؛ لاتخاذ ما يلزم من إجراءات لإنهاء هذه الأزمة والآثار المترتبة عليها، وإدانة دول الحصار.

أصدر مجلس منظمة الطيران المدني الدولي، في جلسته الأخيرة التي عقدها بناءً على طلب قطر، قرارًا بإلزام الدول كافّة باحترام التزاماتها وتنفيذها وفق اتفاقية شيكاغو. ويُعَدّ هذا القرار قرارًا مبدئيًّا مع التنبيه في الوقت ذاته (لا يعلن) على الدول المخالفة بالتزامها إنهاء الإجراءات المخالفة، والامتثال لالتزامها وفق الاتفاقية، وفي مقدمتها ما ورد في المادة (9) من الاتفاقية التي وإن كانت تعترف بحق كل دولة في تقييد طائرات الدول الأخرى أو منعها من الطيران فوق إقليمها، إلا أن ذلك ليس حقًّا مطلقًا، بل مقيَّدٌ بعدم التمييز وأن يكون المنع أو التقييد من حيث المدى والموقع معقولًا وغير ذلك من القيود الواردة في المادة (9) بعنوان: المناطق المحرمة، ونصها:

"أ. لكل دولة متعاقدة الحق في أن تقيد أو تمنع بصفة موحدة جميع طائرات الدول الأخرى من الطيران فوق مناطق معينة من إقليمها وذلك لأسباب تتعلق بضرورات حربية أو بالأمن العام على أنه من المفهوم أن لا يكون هناك أي تمييز فيما يتعلق بذلك بين الطائرات التابعة للدولة نفسها والتي تعمل في خطوط نقل جوية دولية منتظمة والطائرات التابعة للدول المتعاقدة الأخرى التي تعمل في خطوط مماثلة. ويكون مدى وموقع المناطق المحرمة معقولان ولا يجوز إنشاؤهما على نحو يعيق - بلا ضرورة - الملاحة الجوية ويجب أن تبلغ الدول المتعاقدة الأخرى وكذلك الهيئة الدولية للطيران المدني في أول فرصة ممكنة بتحديد المناطق المحرمة الموجودة في أي دولة متعاقدة وكذلك كل ما قد يطرأ بعد ذلك عليها من تغيير.

ب. وفوق ذلك تحتفظ كل دولة متعاقدة بحقها في أن تقيد أو تمنع مؤقتًا وفورًا الطيران فوق إقليمها أو جزء منه وذلك بسبب ظروف استثنائية أو أثناء أزمة أو لأسباب تتعلق بالأمن العام: على أنه يشترط

14 P. J. de Waart, *The Element of Negotiation in the Pacific Settlement of Disputes between States* (Nijhof: LA Hay, 1973).

15 انظر: "اتفاقية شيكاغو للطيران المدني الدولي وتعديلاتها لسنة 1944"، قسطاس، شوهد في 2017/9/25، في: https://goo.gl/fxb9Uy

أن يطبق هذا التقييد أو المنع - من دون أي تمييز بالنسبة للجنسية - على طائرات كافة الدول المتعاقدة الأخرى.

ج. يجوز لكل دولة متعاقدة - في الأحوال وبالشروط التي تقررها - أن تحتم على كل طائرة تدخل فوق المناطق المشار إليها في الفقرتين (أ وب) السابقتين أن تهبط بأسرع ما تستطيع في مطار معين داخل إقليمها".

ويأتي ذلك انطلاقًا من أغراض منظمة الطيران المدني الأساسية التي أوضحتها المادة (44) من اتفاقية شيكاغو تحقيق الاحترام الكامل لحقوق الدول الأعضاء، وأن يكون لكل دولة عضو، فرصة عادلة لاستغلال خطوط طيران دولية معتمدة، وتجنّب أي تمييز بين الدول الأعضاء، والعمل على تشجيع الطيران المدني، وعدم إعاقته.

ويقوم مجلس المنظمة بتقديم تقارير سنوية إلى الجمعية العمومية للمنظمة التي تجتمع كل ثلاث سنوات في دورات عادية، ولها عند الضرورة أن تعقد اجتماعًا استثنائيًا (وكان اجتماع الجمعية العادي السابق في 2016). ومن بين مهمات المجلس وفقًا للمادة (54) من اتفاقية شيكاغو، إبلاغ الدول الأعضاء جميعها عن أي مخالفة لأحكام هذه الاتفاقية، ويتبع ذلك كل تقصير له علاقة بتوصيات المجلس أو قراراته، وإبلاغ الجمعية العمومية بأي مخالفة لأحكام الاتفاقية، إذا لم تتخذ الدولة العضو الإجراءات اللازمة، في مدة معقولة يحدِّدها أو يقدرها مجلس المنظمة بعد أن تُبدى لها هذه المخالفة. وللجمعية العمومية، في تثبتها من المخالفة، أن توقف الدولة المخالفة عن ممارسة حق التصويت في الجمعية وفي مجلس المنظمة. فضلًا عن إلزام الدول الأعضاء بعدم الترخيص بالطيران فوق إقليمها لأي مؤسسة جوية تابعة لدولة عضو إذا كان مجلس المنظمة قد قرر بأنّ هذه المؤسسة لا تنفذ القرار النهائي الذي اتخذه مجلسها بخصوص مخالفة الالتزامات المشار إليها (المادتان: 87، 88).

ومفاد ذلك أن دول المقاطعة والحصار إذا لم تنفذ التزاماتها المشار إليها، وتنهي الحصار الجوي الذي تمارسه ضد دولة قطر منذ 5 حزيران/ يونيو 2017 خلال الفترة المعقولة التي يراها مجلس المنظمة، يقوم مجلس المنظمة بإبلاغ الجمعية العمومية التي يمكن في هذه الحالة دعوتها لعقد اجتماع استثنائي للنظر في الموضوع.

ومن جهة أخرى، على دولة قطر متابعة تفعيل قرار المجلس وإعمال ما ورد في المواد (84–86) من الاتفاقية بخصوص تسوية الخلاف، من خلال عرض موضوع النزاع على التحكيم أو محكمة العدل الدولية، ومطالبة مجلس المنظمة في حال استمرار المخالفة ورفض تسوية الخلاف، باتخاذ الإجراءات المنصوص عليها في المادتين (87-88) من الاتفاقية، والمشار إليها، وأن ما سبق ذكره لا يمس حق دولة قطر في طلب التعويض عن الأضرار التي أصابتها.

- المنظمة البحرية الدولية: عرض انتهاكات دول الحصار لأحكام اتفاقية قانون البحار واتفاقية جنيف بخصوص الموانئ البحرية وغيرهما من اتفاقيّات سارية، تتعلق بتيسير الملاحة البحرية وسلامتها ومخالفة تعليمات المنظمة وقراراتها المتعلقة بالتزامات الدول وتعاونها بخصوص تيسير الملاحة التجارية البحرية الدولية، وعرض هذه الانتهاكات على المنظمة لاتخاذ ما يلزم من إجراءات لإنهاء تلك الأزمة والآثار المترتبة عنها، وإدانة دول الحصار.
- منظمة التربية والعلم والثقافة (اليونسكو): عرض انتهاكات دول الحصار لحقوق الإنسان في التعليم والثقافة والحق في زيارة الأماكن الدينية بهدف ممارسة الشعائر الدينية.
- منظمة التجارة العالمية: حددت وثيقة تفاهم تسوية النزاعات التي تضمنها الملحق الثاني لاتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية، مراحل تسوية النزاعات وآلياتها التي تبدأ في المشاورات، ويُلجأ إليها آلية مبدئية، عندما يجد أحد أعضاء المنظمة أن مصالحه العائدة إليه بموجب الاتفاقات المشمولة (وهي الاتفاقات المذكورة في الملحق "أ" لوثيقة التفاهم) قد أُضِرَّ بها نتيجة إجراءٍ صدرَ من عضو أو أعضاء آخرين، فإن لذلك العضو الحق في طلب الدخول في مشاورات للوصول إلى حلّ معقول، وأن يبلغ جهاز تسوية النزاعات وكذا المجالس واللجان الأخرى ذات الصلة في المنظمة بطلبه، وعلى الدول المعنية العمل من أجل الوصول إلى تسوية مرضية خلال المشاورات، وإذا لم تؤدِّ المشاورات إلى حل مُرضٍ للنزاع خلال 60 يومًا من طلب المشاورات أو قبل انتهاء المدة - إن تبيَّن أنها لن تؤدي إلى حل للنزاع - يمكن للشاكي أن يطلب من جهاز تسوية النزاعات تأليف فريق تسوية خاص Panel.

وفي هذه الحالة ينظر الجهاز في الطلب في أول اجتماع له بعد تقديم الطلب أو خلال 15 يومًا بناء على طلب الشاكي. وتتمثل مهمة هذا الفريق بمساعدة جهاز تسوية النزاعات على أداء مسؤولياته بموجب وثيقة تفاهم التسوية والاتفاقات المشمولة. ويقوم فريق التسوية بوضع تقييمٍ موضوعي لموضوع النزاع المطروح عليه، من حيث بيان وقائع النزاع وانطباق الاتفاقات المشمولة ذات الصلة عليه، وبيان أيّ نتائج أخرى تساعد جهاز تسوية النزاعات على تقديم التوصيات أو إنزال الأحكام المقررة في الاتفاقات المشمولة. ويعتمد جهاز تسوية النزاعات تقرير فريق التسوية خلال 60 يومًا من تاريخ تعميم التقرير، إلا إذا أبلغ أحد أطراف النزاع جهاز التسوية أنه سيقوم باستئناف التقرير أمام جهاز الاستئناف.

ويقتصر الاستئناف على المسائل القانونية الواردة في تقرير فريق التسوية، وكذا على التفسيرات القانونية التي توصّل إليها. ولا تتجاوز فترة إجراءات الاستئناف 60 أو 90 يومًا على أبعد تقدير إذا وُجد مبرر للتأخير. وتنحصر مهمة جهاز الاستئناف في إقرار نتائج فريق التسوية واستنتاجاته أو تعديلها أو نقضها. ويعتمد جهاز تسوية النزاعات تقرير جهاز الاستئناف خلال 30 يومًا من تاريخ تعميمه، ما لم يقرر، باتفاق الآراء، عدم اعتماده.

وفي حال عدم الامتثال لتوصيات فريق التسوية الخاص وقراراته أو جهاز الاستئناف خلال الفترة الزمنية المعقولة، يمكن للدولة المتضررة أن تتفاوض مع الدولة أو الدول المسؤولة بخصوص التعويضات التجارية المقبولة من الأطراف.

وإن لم يتم التوصل إلى اتفاق خلال عشرين يومًا بعد انقضاء الفترة المعقولة، جاز لأي طرف أن يطلب من جهاز تسوية النزاعات السماح له بتعليق تطبيق التنازلات أو غيرها من الالتزامات التجارية بالنسبة إلى طرف النزاع الذي توجّه إليه التوصيات أو القرارات بموجب الاتفاقات ذات الصلة، وذلك كإجراء مضاد.

وفي حال اعتراض طرف النزاع الذي وُجهت إليه توصيات فريق التسوية أو جهاز الاستئناف على مستوى التعليق المقترح، أو وجد أن المبادئ والإجـراءات التي قررتها وثيقة التفاهم لم تحترم، يُحال النزاع إلى التحكيم بطلب من أيّ طرف. ويتولى فريق التسوية الخاص الأصلي عملية التحكيم، إذا كان أعضاء هذا الفريق ما زالوا موجودين، أو تتولاه محكمة تحكيم من محكّم فرد أو هيئة يعيّنها المدير العام لمركز تسوية النزاعات، ولا تُعلَّق التنازلات أو الالتزامات الأخرى خلال فترة التحكيم (المادة 22 من وثيقة التفاهم). ويمكن أن يحال إلى تحكيم مستعجل، إن وافق أطراف النزاع على ذلك (المادة 25 من وثيقة التفاهم).

ب. إجراءات تحقيق دولية في انتهاكات حقوق الإنسان

إنّ الآلية التي يجب التماسها هنا، هي تقديم مذكرة إلى المجلس الدولي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، تتضمن بيانًا وافيًا ومسببًا ومقترنًا بالوقائع والأسانيد لما ترتب على قرار المقاطعة وإجراءات الحصار التي مارستها تلك الدول، والمتضمنة انتهاكات لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية بالمخالفة للعهدين الدوليين للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والحقوق المدنية والسياسية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فضلًا عن انتهاك الوثائق الإقليمية لحقوق الإنسان على المستويات، الخليجي والعربي والإسلامي، وأن يكون ذلك مشفوعًا بالوثائق كلّها التي تتضمن رصدًا من المنظمات المعنية بحقوق الإنسان وفي مقدمتها اللجنة القطرية لحقوق الإنسان، وغيرها من الجهات ذات الصلة للانتهاكات التي حدثت وتحدث لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية جراء الحصار.

ويتمثل الطلب الأساس من المجلس الدولي لحقوق الإنسان بالتحقيق في تلك الانتهاكات وإعداد تقرير بذلك؛ للعرض على مجلس الأمن والجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي لاتخاذ ما يلزم من إجـراءات لمواجهة دول الحصار، ولاستخدام نتائج ذلك كلّه أسسًا لمطالبة هذه الدول بتعويض عن الأضرار التي تسبب فيها الحصار وتبعاته.

ج. إجراءات قانونية (ذات طابع قضائي)

تضم هذه الإجـراءات مسارات عدّة، بغية تعويض الأضرار التي نجمت عن الحصار وتبعاته، وهي:

- اللجوء إلى التحكيم الدولي العام: وهو إجراء يتطلب اتفاق أطراف النزاع على اللجوء، إما بمقتضى تعهد سابق أو اتفاقٍ لاحق لنشوب النزاع[16].
- اللجوء إلى محكمة العدل الدولية: هو إجراء يتطلب اتفاقًا بين أطراف النزاع (اتفاق سابق أو لاحق لنشوب النزاع) أو وجود تصريحات بقبول الاختصاص الإجباري للمحكمة وفقًا للمادة 36 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية[17].

ويمكن الدولة المتضررة (دولة قطر)، في حال عدم تحقّق ما سبق ذكره، رفع الدعوى أمام المحكمة، من دون انتظار موافقة الدولة أو الدول الأخرى المسؤولة (دول الحصار)، وفي هذه الحالة تقوم المحكمة بإبلاغ الدولة أو الدول المسؤولة التي رُفِعت الدعوة ضدّها بذلك، وتطلب منها تحديد موقفها بقبول المثول أو رفضه. ويكون قبول المثول أمام المحكمة إما بإعلانٍ صريح بالمثول، أو المثول أمام المحكمة والتقدم بمذكرات أو بطلبات مباشرة.

ويمكن الدولة المتضررة، إن تعذَر ذلك قبل تحريك الدعوى أمام المحكمة، أن تدعو مجلس الأمن إلى النظر في أن موقف الدولة أو الدول المسؤولة عن الأزمة أو عن النزاع يهدد السلم، وتطلب

16 إبراهيم محمد العناني، **اللجوء إلى التحكيم الدولي**، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، 1970، ط 2 (القاهرة: دار النهضة العربية، 2006).

17 انظر: "النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية"، شوهد في 2017/9/24، في: https://goo.gl/9qXUGC؛ أنطونيو أوغوستو كانسادو ترينيداد، "النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية"، شوهد في 2017/9/24، في: http://bit.ly/2fKLUkR؛ وكذلك: Renata Szafarz, *The Compulsory Jurisdiction of the International Court of Justice* (Nijhoff: Dordrecht, 1993).

من المجلس، إن لم يُؤخذ في الحسبان اتخاذ إجراءات وفق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، أن يدعو أطراف النزاع إلى عرضه على محكمة العدل الدولية وفقًا للفصل السادس من الميثاق (المادة 3/36)؛ الأمر الذي يحرج الدولة أو الدول المسؤولة قانونيًّا وسياسيًّا، وغالبًا ما يدفعها إلى قبول الذهاب إلى محكمة العدل، كما حدث قبل ذلك في النزاع الذي ثار بين بريطانيا وألبانيا في نهاية أربعينيات القرن الماضي، وكانت ألبانيا ترفض اللجوء إلى محكمة العدل الدولية، لكنها امتثلت بعد ذلك وفقًا لقرار مجلس الأمن ووفقًا للفصل السادس من الميثاق.

وبما أن محكمة العدل الدولية، محكمة تماثل القضاء المدني المحلي، فإن ما يُقدَّم إليها من طلبات ينحصر في طلب تعويض الأضرار وإلغاء القرارات والتصرفات المخالفة للقانون الدولي أو تفسير القواعد الدولية. لذا فإن طلبات دولة قطر ستنحصر هنا في طلب تعويض عن الأضرار المادية والأدبية التي لحقت بالدولة جراء قرار المقاطعة وإجراءات الحصار وتبعاتها، وما انطوت عليه من مخالفات واضحة للقانون الدولي، ولميثاق الأمم المتحدة وقراراته والاتفاقات والمواثيق الإقليمية.

ويجب أن يشتمل الطلب على تعويض الأفراد المتضرّرين بسبب الحصار سواء أكانوا أشخاصًا عاديين أم اعتباريين، إعمالًا لنظام الحماية الدبلوماسية. ولا يشترط هنا ضرورة استنفاد طرق التقاضي الداخلية لدى الدول المسؤولة؛ إذ إنّ الضرر الذي أصاب هؤلاء الأفراد قد اقترن في الوقت نفسه، بأضرار أصابت الدولة، وفي الحصيلة لا تكون هناك حاجة إلى استيفاء ذلك الشرط. ومن حق الدولة المدعية طلب أمر من المحكمة بإجراءات تحفظية تتمثل بوقف إجراءات المقاطعة والحصار وغيرها من التصرفات الأخرى. وهو إجراء يتطلب أيضًا اتفاقًا بين أطراف النزاع سابقًا لنشوب النزاع أو لاحقًا له، أو وجود تصريحات بقبول الاختصاص الإجباري للمحكمة وفقًا للمادة 36 من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية.

- اللجوء إلى المحكمة الجنائية الدولية: المحكمة الجنائية الدولية هي المحكمة التي تأسست بمقتضى النظام الأساسي الذي أُقر في روما عام 1998 ودخل حيّز السريان في مطلع تموز/ يوليو 2002 ومقرها في لاهاي بهولندا. ولم تصدِّق قطر على نظامها هذا حتى الآن. وهي أول محكمة جنائية دولية دائمة، ينحصر اختصاصها في النظر في الجرائم المحددة في نظامها التي يرتكبها الأشخاص العاديون، لا تفرقة بين حكام ومحكومين، ولا يُحتجُّ أمامها بحصانة القادة والرؤساء من الخضوع لإجراءاتها ومحاكمتهم وتنفيذ الأحكام فيهم. والجرائم التي تختص المحكمة في النظر فيها، هي: جريمة الإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية، وجرائم الحرب، وجريمة العدوان. وبالنسبة إلى جريمة العدوان لم تبدأ المحكمة مباشرة الاختصاص في مسألتها؛ لأن ذلك متوقف على تصديق 60 دولة على تعريف جريمة العدوان كما ورد في تعديل النظام عام 2010، وهو ما لم يتحقق حتى الآن[18].

وحول إن كان لهذه المحكمة اختصاص في الأزمة الحالية، فإننا قد نجد ذلك في إطار الجرائم ضد الإنسانية التي حددت إطارها مقدمة البند (1) من المادة (7) من النظام الأساسي للمحكمة التي تقرر "لغرض هذا النظام الأساسي يشكل أي فعل من الأفعال التالية جريمة ضد الإنسانية متى ارتكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجه ضد أي مجموعة من السكان المدنيين وعن علم بالهجوم". ومفاد هذا النص ضرورة توافر ثلاثة عناصر لعدّ الفعل جريمة ضد الإنسانية: ارتكاب الفعل في إطار هجوم منهجي واسع النطاق، وأن يكون الفعل موجهًا ضد أي مجموعة من السكان المدنيين، وأن يرتكب الفاعل فعله وهو عالم بالهجوم. وهذا ما أكدته وثيقة أركان الجرائم التي تختص المحكمة في النظر فيها.

وبالرجوع إلى المادة (7) من النظام الأساسي، وإلى وثيقة أركان الجرائم أمام المحكمة بخصوص الجرائم ضد الإنسانية، نجد أنها تتمثل بالأفعال الآتية:

- الإبادة: وتشمل إجبار الضحايا من المدنيين على العيش في ظروف ستؤدي حتمًا إلى هلاك جزء من مجموعة من السكان. وتشمل الظروف المشار إليها الحرمان من إمكان الحصول على الغذاء والدواء.
- الاضطهاد: ويشمل قمع جماعة محددة وذلك بسبب دواعٍ سياسية أو بالمخالفة للقانون الدولي. ويكون ذلك بحرمان مرتكب الفعل شخصًا أو أكثر من حقوقهم الأساسية، بما يخالف القانون الدولي بما فيه القانون الدولي لحقوق الإنسان، وأن يكون هؤلاء الأشخاص محل استهداف بسبب انتمائهم، وعلى أسس منها، الدواعي السياسية أو أسباب يحظرها القانون الدولي.
- أيّ أفعال غير إنسانية تتسبب عمدًا في معاناة شديدة أو أذى خطِر يلحق بالجسم أو بالصحة العقلية أو البدنية.
- ويحتاج تحريك الدعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية في هذه الأفعال[19] إلى ما يأتي:

18 رامي متولي القاضي، **المحكمة الجنائية الدولية** (القاهرة: دار النهضة العربية، 2013).

19 يجب أن يؤخذ في الحسبان أن تحريك الدعوى الجنائية لا يؤثر في حق الدولة المتضررة في التعويض بالطرق المقررة قانونيًّا لذلك.

- التوثيق الجيد لهذه الجرائم.
- لا تعدّ قطر طرفًا في النظام الأساسي للمحكمة، لعدم تصديقها عليه، وفي الحصيلة فلجوؤها إلى المحكمة يتطلب أن ترفق دعواها بإعلان رسمي بقبول اختصاص المحكمة الجنائية الدولية بخصوص الجرائم المحددة في الطلب. ويودع الإعلان لدى سجل المحكمة ويوضح فيه التزامها بالتعاون مع المحكمة وفق النظام الأساسي للمحكمة (الباب التاسع من نظام المحكمة) في كل ما يتعلق بإجراءات المحكمة، وتنفيذ أحكامه بخصوص الجرائم المحالة إليها.
- أن يحدَّد الأشخاص العاديّون الموجه إليهم الاتهام، سواء أكانوا حكامًا أم قادة أو محكومين، في الطلب.
- اللجوء إلى وسائل التسوية القانونية للنزاعات التجارية التي قررتها وثيقة تفاهم بخصوص تسوية النزاعات الملحقة باتفاقات تحرير التجارة العالمية لمنظمة التجارة العالمية والاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة لسنة 1994 (غات)، فضلًا عن أهمية عرض الانتهاكات التجارية التي ارتكبتها دول الحصار، على مجلس التجارة العالمي في منظمة التجارة العالمية[20].
- اللجوء إلى آليات التسوية القانونية التي قرَّرتها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982 (محكمة قانون البحار والتحكيم) في حال توافر شروط اللجوء إليها، وفق أحكام الاتفاقية[21].
- تجري مطالبة دول الحصار بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بالأفراد والشركات جرّاء الحصار وتبعاته، وفق ما يأتي:
  - العمل على استنفاد طرق التقاضي الداخلية في دول الحصار إذا ما توافرت إمكانات استنفادها الواقعية والقانونية، وإثبات تعذرها في حال عرقلتها تلك الدول ماديًا وقانونيًا. وغالبًا تكون الحاجة إلى هذا الإجراء غير ضرورية في الأزمة الحالية؛ إذ إنّ الضرر قد لحق بدولة قطر وبالأشخاص المذكورين في الوقت نفسه، كما ذكرنا سابقًا[22].
  - في حال تعلق النزاع بنزاعات استثمار، تحريك آليات التسوية القانونية والقضائية المقررة في عقود الاستثمار أو اتفاقات تشجيع الاستثمار الثنائية والمتعددة الأطراف ذات العلاقة وحمايتها، ومنها المركز الدولي لتسوية نزاعات الاستثمار (إكسيد) وذلك للمطالبة بتعويض الأضرار التي تكبدها المستثمرون بسبب الحصار وتبعاته[23].
  - تبني مطالبات الأفراد والشركات القطرية للحصول على تعويض ما تكبدوه من أضرار مادية أو/ ومعنوية، وانتهاكٍ لحقوق الإنسان، أمام جهات التقاضي والتحكيم الدولية عند توافر شروط اللجوء إليها على النحو السابق.

الخاتمة

إن احتكام الدولة عمومًا لقواعد القانون الدولي إنما يَنمُّ عن ثقافة الدولة القانونية الخالصة، وهذه الثقافة هي التي تدفع الدولة لاحترام حقوق الإنسان وصيانة كرامته، ومثل هذا الاحترام دافع لها لعدم الاعتداء على حقوق الآخرين وزاجر لها عن تجاوز حدود حقِّها الشخصي، فهي ثقافة تدعو لاحترام العهود والعقود والاتفاقيات والمواثيق، وتعود الدولة للاحتكام لقواعد القانون في المسائل والقضايا المعروضة عليها جميعها، كما تساعد على مزيد من التعقل في الأمور، وتجنب الخطأ، وصيانة الحقوق، ومعرفة مواطن المسؤولية وأنماط الجزاء.

ونخلص من العرض السابق إلى النتائج الآتية:

- مخالفة دول الحصار مبادئ القانون الدولي وقواعده التي تلتزمها تلك الدول وفق القانون الدولي ومواثيق المنظمات الدولية التي تنضم إلى عضويتها.
- إن دول الحصار قد تخطت بتصرفاتها ما يستوجب النظام القانوني الدولي من اتّباع آليات وإجراءات سلميّة لتسوية النزاعات والأزمات الدولية.
- إن قرار الحصار وما اقترن به من تصرفات ومن إجراءات قسرية، يمثل عملًا عدوانيًا، بمخالفته مبدأ عدم التهديد باستخدام القوة أو استعمالها في العلاقات الدولية.
- تمثِّل تصرفات دول الحصار المترتبة على القرار انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان، بل تصل إلى حدّ الجرائم ضدّ الإنسانية.
- إن من حق دولة قطر المطالبة بالتعويض الكامل عمّا لحقها من أضرار مباشرة وغير مباشرة، مادية ومعنوية، وكذلك المطالبة

20 عادل عبد العزيز علي السن، "تسوية النزاعات في إطار منظمة التجارة العالمية بين النظرية والتطبيق"، ورقة مقدمة في مؤتمر الجوانب القانونية والاقتصادية لاتفاقات منظمة التجارة العالمية، دبي 9-2004/5/11.

21 انظر: إبراهيم محمد العناني، "التسوية السلمية للنزاعات الدولية"، دروس لطلبة ماجستير القانون العام، كلية القانون، جامعة قطر، الدوحة، 2016.

22 Eduardo Jimenez de Arechaga, "International responsibility," in: Max Sorensen (ed.), *Manuel of public international law* (London: Macmillan, 1968).

23 عمر مشهور حديثة الجازي، **اختصاص هيئات تحكيم المركز الدولي لتسوية نزاعات الاستثمار** (بيروت: دار صادر للمنشورات الحقوقية، 2015).

بتعويض الأضرار التي لحقت مواطنيها في الداخل والخارج والمقيمين على إقليمها جراء ذلك.

- إن من حق دولة قطر تحريك إجراءات التعامل السياسي والقضائي وآلياته للنظر في الإجراءات الواجب اتخاذها ضد دول الحصار.

المراجع

العربية

الجازي، عمر مشهور حديثة. **اختصاص هيئات تحكيم المركز الدولي لتسوية نزاعات الاستثمار.** بيروت: دار صادر للمنشورات الحقوقية، 2015.

جويلي، سعيد سالم. "مبدأ التعسف في استعمال الحق في القانون الدولي". رسالة دكتوراه. كلية الحقوق. جامعة عين شمس. القاهرة، مصر، 1985.

حماد، مجدي. **جامعة الدول العربية.** سلسلة عالم المعرفة 345. ط 2. الكويت: المجلس الوطني والفنون والآداب، 2007.

حمود، محمد الحاج. **القانون الدولي للبحار.** عمّان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011.

السن، عادل عبد العزيز علي. "تسوية النزاعات في إطار منظمة التجارة العالمية بين النظرية والتطبيق". ورقة مقدمة في مؤتمر الجوانب القانونية والاقتصادية لاتفاقات منظمة التجارة العالمية. دبي 9-2004/5/11.

شحاته، إبراهيم. **القانون الجوي والفضاء الخارجي.** القاهرة: دار النهضة العربية، 1967.

الطراونة، مخلد. **القانون الدولي العام.** قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2015.

العناني، إبراهيم محمد. "التسوية السلمية للنزاعات الدولية، دروس لطلبة ماجستير القانون العام". كلية القانون. جامعة قطر. الدوحة، قطر، 2016.

_____. **اللجوء إلى التحكيم الدولي.** رسالة دكتوراه. كلية الحقوق. جامعة عين شمس. القاهرة، مصر، 1970. ط 2. القاهرة: دار النهضة العربية، 2006.

_____. **قانون المنظمات الدولية: النظرية العامة - الأمم المتحدة.** القاهرة: دار النهضة العربية، 2012.

_____. **قانون المنظمات الدولية.** القاهرة: دار النهضة العربية، 2012.

_____. **النظام الدولي في مواجهة الأزمات والكوارث.** ط 4. القاهرة: دار النهضة العربية، 2013.

_____. **النظام القانوني للاستخدام الملاحي للبحار.** الدوحة: كلية القانون جامعة قطر، 2017.

الغنيمي، محمد طلعت. **جامعة الدول العربية: دراسة قانونية وسياسية.** الإسكندريّة: منشأة المعارف، 1974.

القاضي، رامي متولي. **المحكمة الجنائية الدولية.** القاهرة: دار النهضة العربية، 2013.

ليكي، جورج. المعاهدات الدولية للإنترنت: حقائق وتحدّيات. **مجلة الدفاع الوطني.** العدد 83 (2013).

مدني، محمد عمر. **القانون الدولي للبحار وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية.** الرياض: معهد الدراسات الدبلوماسية، 1397هـ [1977م].

الهلالي، نشأت عثمان. "الأمن الجماعي الدولي". رسالة دكتوراه. كلية الحقوق. جامعة عين شمس. القاهرة، مصر، 1985.

الأجنبية

Clayton Richard & Hug Tomlinson. *The Law of Human Rights*. 2nd ed. New York: Oxford University Press, 2006.

De Waart, P. J. *The Element of Negotiation in the Pacific Settlement of Disputes between States*. Nijhof: LA Hay, 1973.

Jack, Donnelly Jack. *International Human Rights*. 3rd ed. Boulder: Westview Press, 2006.

Szafarz, Renata. *The Compulsory Jurisdiction of the International Court of Justice*. Nijhoff: Dordrecht, 1993.

Verzijl, J.H.W. *International Law in Historical Perspective*. Sijthoff: Leyden, 1976.

محمد حمشي | Mohamed Hamchi*

الانتقائية التحليلية في حقل العلاقات الدولية

Analytical Selectivity in the Discipline of International Relations

تسعى هذه الدراسة لفحص ما يمكن أن تقدمه النزعة الانتقائية التحليلية لمساعدة حقل العلاقات الدولية على تجاوز أزمة "النظرية الكبرى". وتناقش الوعود الأساسية لهذه النزعة بناءً على خصائصها الثلاث التي تميزها من التقاليد البحثية/ البرادايمات السائدة: براغماتية البحث المرتبطة بقضايا سياسية محددة، وتوسيع نطاق المشكلات والقضايا، وإنتاج مقولات سببية مركَّبة قادرة على تسليط الضوء على التفاعلات بين أنواع مختلفة من الآليات السببية التي عادة ما تُحلَّل بعزل بعضها عن بعض. تنقسم الدراسة إلى ستة أجزاء؛ يقدم الجزآن الأول والثاني مدخلًا إلى الفلسفة الانتقائية ومفهوم الانتقائية التحليلية ووعودها. ويستعرض الجزء الثالث نموذجًا من الأدبيات الانتقائية في الدراسات الدولية. ويستكشف الجزءُ الرابع العلاقة بين وعود الانتقائية التحليلية ومسألة التعقد في السببية الاجتماعية. ويسعى الجزآن الخامس والسادس للتأصيل للانتقائية التحليلية إبستمولوجيًا.

كلمات مفتاحية: نظريات العلاقات الدولية، النسبية المنهجية/ الإبستمولوجية، المناهج الكمية، الانتقائية التحليلية.

This article examines what analytical eclecticism can offer to qualify IR to overcome the Grand Theory crisis. It debates analytical eclecticism's basic promises relying on its main characteristics which distinguish it from the dominant research traditions/paradigms: fostering research pragmatism; expanding the scope of the research issues and involving more aspects of social reality complexities in world politics; and producing complex causal statements. The article is divided into six parts. First, it provides an introduction to eclectic philosophy through Paul Feyerabend's reflections on methodological/epistemological relativism. Second, it conceptualizes analytical eclecticism and examines its promises. Third, it explores an example of eclectic literature in the field of international studies. Fourth, it debates the relationship between the promises of eclecticism and the complexity of social causality. Finally, it seeks, in parts 5 and 6, to position analytical eclecticism epistemologically, through examining the main assumptions of Critical Relaism and its promises to move the dominant debate away from the positivist/post-positivist binary opposition.

Keywords: International Relations Theories, Quantitative Methodologies, Analytical Selectivity.

* أستاذ العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة أم البواقي، الجزائر.

* Professor of International Relations, Department of Political Sciences, Uom El Bouaghi University, Algeria.

مقدمة

يشهد حقل العلاقات الدولية تضاربًا مستمرًا بين نظريات تعاني فشلًا متفاوتًا في تفسير/ فهم واقع عالمي متزايد التعقد. ومع ذلك، يبقى خطاب "النظرية الكبرى" القادرة على تقديم رؤية عامة ومتكاملة للظاهرة الدولية خطابًا مهيمنًا على ادعاءات المقاربات السائدة. لقد سبق أن لحظ كثير من الباحثين أنه على الرغم من الاختلافات القائمة بين النظريات السائدة في الحقل فإن هناك قاسمًا أساسيًا مشتركًا يجمع بينها، يتمثل باندراجها عمومًا ضمن النظريات الكبرى التي تسعى لتقديم رؤية عامة ومكتفية ذاتيًا لكل ما يقع تحت طائلتها. يرى بو كامبمان فالتر، على سبيل المثال، أن مكمن الضعف في البنية التقليدية للنظرية هو سعيها للحصول على تعميمات "كونية" على الرغم من تشبثها بالتموقع الأنطولوجي على "أطراف الكون"، سواءً أتعلق الأمر بفوضوية بنية النظام الدولي عند الواقعيين الجدد، أم بمأسسة المنظومات وسلوك الدول عند المؤسساتيين الجدد، أو التفاعل بين المصلحة والهوية عند البنائيين الاجتماعيين[1].

يبدو أن النظريات التي تشير إلى نفسها، صراحة أم ضمنًا، بأنها نظريات كبرى تعاني مشكلتين على الأقل؛ المشكلة الأولى هي وجود "نقطة عمياء" Blind Spot في بنيتها الفكرية. ويرجع هذا المفهوم إلى الرياضي كورت غوديل (1906–1987) الذي أثبت، باستخدام مبرهنة عدم الاكتمال، أن النظريات الكبرى تحتوي في مقدماتها الإبستمولوجية على عنصر واحد على الأقل لا يمكن إثباته، والإشكال هو أن عنصرًا كهذا يبقى صحيحًا ما دام لا يمكن الجزم بكونه صحيحًا أو خاطئًا. لذلك، فإن البنية الفكرية للنظرية تبقى في أحسن الأحوال غير مكتملة، وينطوي هذا على تناقض بسبب ادعاءات العمومية والإطلاق التي تنطلق منها النظريات الكبرى. أما المشكلة الثانية فهي "التبعية للملاحِظ/ الباحث"؛ إذ "كيف يمكن مراجعة عمل الدماغ وتقييمه بواسطة الدماغ في حدِّ ذاته من دون الوقوع في مصيدة التعالي المعرفي Transcendentalism". وقد عبَّر إيمانويل فالرشتاين عن هذه المشكلة حينما أشار إلى أن مظهرًا أساسيًا من مظاهر "المسألة الإبستمولوجية" في العلوم الاجتماعية عمومًا يكمن في أن الباحثين هم "الممثلون والمتفرجون في الوقت نفسه"[2]. من شأن هذه المشكلة أن تكرِّس المواقف السائدة، الداعمة للإبستمولوجيا الوضعية، التي تسلِّم بوجود حقائق موضوعية، مستقلة و"موجودة هناك" Out There، وما على الباحث/ الملاحِظ إلا استكشاف الارتباطات السببية الموجودة بين مختلف عناصرها[3].

على العموم، يبدو أن منطق "النظرية الكبرى" في حقل العلاقات الدولية يتجه نحو حافة إفلاس نظري وفلسفي حاد، وهو بذلك في حاجة إلى مزيد من التفكيك وإعادة النظر[4]. لقد دفع هذا المنطق بالحقل إلى أن أصبح يعج بالولاءات النظرية والمنهجية الضيقة بحسب تعبير عبد النور بن عنتر[5]. ويؤثر هذا في حجم التنوع في الحقل، وفي نوعية الابتكارات النظرية. فالولاء يصبح في نهاية المطاف كابحًا للابتكار داخل النظرية الواحدة باجتراره وتبريره وشرعنته؛ وهو ما سبق أن قاله الآخرون، وبتكريس رفض الآخر وإقصائه، أي إقصاء كل من لا يلتزم الخيارات النظرية والمنهجية التي تستند إليها النظرية السائدة.

في هذا السياق، تأتي النزعة الانتقائية التحليلية التي تَعِد بتجاوز هذا الكبح المزدوج للابتكارات الفكرية في الحقل، كما تَعِد بخلق نقاشات تكاملية وغير إقصائية من دون أن يكون المقصود هو النقاش في حد ذاته، وإنما توظيف ما هو أهمّ من بين مساهمات كل نظرية/ مقارَبة. ومن ثم فإن الانتقائية التحليلية ترد الاعتبار إلى العلاقات الدولية بوصفها حقلًا معرفيًا قادرًا على تفسير/ فهم الظواهر التي يدرسها؛ لأنها توظف جميع المساهمات توظيفًا دقيقًا للخروج بمقترحات تفسيرية تتكامل فيها مختلف النظريات/ المقارَبات. كما تُعَد الانتقائية سبيلًا للخروج من منطق الثنائيات السائد[6] القائم على ممارسات الإقصاء والتهميش المتبادلَيْن.

1 يجادل بو كامبمان فالتر بأن اندلاع الحرب العالمية الثانية جاء خلافًا لافتراضات الليبرالية المثالية، وأن نهاية الحرب الباردة جاءت خلافًا لافتراضات الواقعية الجديدة، وأن تراجُع فعالية بعض المنظومات والضوابط جاء خلافًا للادعاءات البنائية. وكلُّها هزات إمبريقية ضربت الاتساق المعرفي لهذه المقاربات في الصميم، والسبب هو تموقعها الأنطولوجي المحدود على الرغم من أن النظام الذي تسعى كل منها إلى تقديم نظرية كبرى بشأنه هو نظام ينطوي على تعددية أنطولوجية متزايدة التعقد. نقلًا عن: عادل زقاغ، "النقاش النظري الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية"، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، الجزائر، 2009، ص 184 - 185.

2 Immanuel Wallerstein, *The Essential Wallerstein* (New York: The New Press, 2000), p. 167.

3 زقاغ، ص 185.

4 Chris Brown, "The Poverty of Grand Theory," *European Journal of International Relations*, vol. 19, no. 3 (2013).

5 عبد النور بن عنتر، مقابلة شخصية عن طريق البريد الإلكتروني، 2016/3/24.

6 يرى عبد النور بن عنتر أن هذا التموقع يطرح مشكلة أمام من أسماهم "المتحزِّبين" و"حراس المعابد" النظرية، ودعاة الولاء و"البيعة" النظرية في حقل نظريات العلاقات الدولية، كما هو الشأن في ممارسات النشر في كبريات الدوريات المتخصصة في العلاقات الدولية. ويضيف أن الظاهرة، في الواقع، لا تنطبق فقط على حقل العلاقات الدولية، فنجدها مثلًا في العلوم الاقتصادية حيث يهيمن اتجاه نظري معين على البحث في هذا التخصص على نحو يقصي فيه كل من لا يتبناه، ويحول دون نشرهم مقالات في كبريات الدوريات المتخصصة. وهكذا فالولاء الأكاديمي لا يشكل فقط خطرًا على البحث داخل الحقل، ولكن على وجوده بصفته حقلًا علميًا مختصًا (يقوم على تراكم المعارف وتجدُّدها). المرجع نفسه.

بناءً على ما سبق، تسعى هذه المقالة إلى فحص ما يمكن أن تقدمه الانتقائية التحليلية لمساعدة الحقل على تجاوز ما يسميه كريس براون "حالة الركود النظري"، فضلًا عن مساعدته على الخروج من "أزمة النظرية الكبرى". لقد ناقش براون في مقال له بعنوان "فقر النظرية الكبرى" سؤال "نهاية نظرية العلاقات الدولية"[7]، أي ما إذا كانت نظرية العلاقات الدولية – سواء أتعلق الأمر بنظريات محدَّدة أم بالنظرية العامة – تعاني الركود، أو مما يسميه "أزمة النظرية الكبرى". وعلى الرغم من أنه قدَّم مُسوحًا محيَّنة في أهم الأدبيات المصنفة ضمن النظريات الأساسية التي تشير إلى نفسها بأنها نظريات كبرى، على غرار الواقعية، والليبرالية، والبنائية، والمدرسة الإنكليزية، فإن المقال يفوِّت على ما يبدو قراءة ما يمكن أن تقدمه النزعة الانتقائية في التحليل لتجاوز ما يسميه "أزمة النظرية الكبرى".

لسدِّ هذه الفجوة، تستعين هذه المقالة بقراءة في الأعمال التي تسعى إلى إبراز المزايا التي تحفل بها الانتقائية التحليلية، وهي أعمال بدأت تحصد الاهتمام على نحو متزايد خلال السنوات الأخيرة. تبقى مساهمات رودرا سيل وبيتر كاتزنشتاين الأبرزَ والأكثر ريادة وثراء في هذا المجال[8]، خصوصًا مقالهما المشترك سنة 2010، الذي يحمل عنوان "الانتقائية التحليلية في دراسة السياسة العالمية: نحو إعادة صياغة المشكلات والآليات عبر مختلف التقاليد البحثية"[9]، وهو الذي تحيل إليه هذه المقالة على نحو متكرر. هناك مساهمات أخرى ذات صلة وثيقة بالموضوع يمكن العودة إليها. مثلًا، في سنة 2003، نشرت دورية **إنترناشونال ستديز ريفيو** أعمال منتدًى حول سؤال أساسي: "هل يُعتبر الحوار والتوليف (synthesis) ممكنين في حقل العلاقات الدولية؟"[10]. شارك في هذا العمل غانثر هيلمان Gunther Hellmannمحررًا، وفريدريك كراتوشفيل Friedrich Kratochwil، وآيفر نيومان Iver B. Neumann، وستيف سميث Steve Smith، وفرانك هارفي Frank Harvey، وجويل كوب Joel Cobb، وآندرو مورافتشيك Andrew Moravcsik، ويوسف لابيد الذي شارك بمداخلة عنوانها "عبر الحوار ونحو التعددية: المهمة غير المنجَزة للنقاش الثالث"[11]. غير أن هذه المقالة تتبنى وجهة النظر القائلة بأن الانتقائية التحليلية تبقى أشدّ طموحًا، وتواضعًا، وبراغماتية[12]، وأكثر تنوعًا وقدرة على تمهيد الطريق نحو مخرجٍ من أزمة النظرية الكبرى.

تنقسم هذه المقالة إلى ستة أجزاء؛ يقدم الجزء الأول مدخلًا إلى الفلسفة الانتقائية عبر أفكار وتأملات لفيلسوف العلم النمساوي پول فايرابند Paul Karl Feyerabend الذي أسَّس مفهوم النسبية المنهجية/ الإبستمولوجية. أما الجزء الثاني فيقدم فحصًا موسعًا لمفهوم الانتقائية التحليلية ووعودها الأساسية. ويستعرض الجزء الثالث، على نحو مقتضَب، الخطوات الانتقائية لمايكل بارنيت ومارثا فاينمور في كتابهما **قواعد من أجل العالم: المنظمات الدولية في السياسة العالمية**[13]، بوصفها نماذج للدراسات الانتقائية في حقل العلاقات الدولية. بعد ذلك، ينتقل الجزء الرابع إلى استكشاف العلاقة بين وعود الانتقائية التحليلية ومسألة التعقد المتزايد في السببية الاجتماعية؛ إذ ينطلق من افتراض أنه كلما زاد التعقد في الواقع (الاجتماعي) الذي يدرسه حقل السياسة العالمية، زادت حاجته إلى إقحام المزيد من الانتقائية التحليلية في نشاطاته البحثية. أخيرًا، يسعى الجزآن الخامس والسادس إلى تقديم تأصيل إبستمولوجي للنزعة الانتقائية التحليلية، وذلك بفحص مساهمات الفلسفة الواقعية النقدية Critical Realism ووعودها، في نقل النقاش النظري الراهن في حقل العلاقات الدولية، بعيدًا عن التعارض المزمن بين الإبستمولوجيا الوضعية وما بعد الوضعية الذي هيمن طوال حقبتَي النقاشين الثالث والرابع من التاريخ المعرفي للحقل.

7 Brown .

8 Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics: Reconfiguring Problems and Mechanisms across Research Traditions," *Perspectives on Politics*, vol. 8, no. 2 (2010); Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, *Beyond Paradigms: Analytical Eclecticism in the Study of World Politics* (London: Palgrave, 2010); Peter Katzenstein & Rudra Sil, "Eclectic Theorizing in the Study and Practice of International Relations," in: Christian Reus-Smit & Duncan Snidal (eds.), *The Oxford Handbook of International Relations* (Oxford: Oxford University Press, 2008); Amel Ahmed & Rudra Sil, "When Multi-Method Research Subverts Methodological Pluralism — or, Why We Still Need Single-Method Research," *Perspectives on Politics*, vol. 10, no. 4 (2012); Rudra Sil, "Problems Chasing Methods or Methods Chasing Problems? Research Communities, Constrained Pluralism, and the Role of Eclecticism," in: Ian Shapiro, Rogers M. Smith & Tarek E. Masoud (eds.), *Problems and Methods in the Study of Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004); Rudra Sil & Peter J. Katzenstein, "De-Centering, Not Discarding, the 'Isms': Some Friendly Amendments," *International Studies Quarterly*, vol. 55 (2011); Rudra Sil, "The Questionable Status of Boundaries: The Need for Integration," in: Rudra Sil & Eileen M. Doherty (eds.), *Beyond Boundaries?: Disciplines, Paradigms, and Theoretical Integration in International Studies* (New York: State University of New York, 2000); David A. Lake, "Theory Is Dead, Long Live Theory: The End of the Great Debates and the Rise of Eclecticism in International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 19, no. 3 (2013), p. 568.

9 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics."

10 Gunther Hellmann (ed.), "The Forum: Are Dialogue and Synthesis Possible in International Relations?" *International Studies Review,* vol. 5 (2003).

11 Yosef Lapid, "Through Dialogue to Engaged Pluralism: The Unfinished Business of the Third Debate," *International Studies Review*, vol. 5 (2003).

12 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 415.

13 Michael Barnett & Martha Finnemore, *Rules for the World: International Organizations in Global Politics* (Ithaca: Cornell University Press, 2004).

أولًا: پول فايرابند بوصفه مدخلًا للفلسفة الانتقائية

في منتصف سبعينيات القرن الماضي، نشر فيلسوف العلم النمساوي پول فايرابند (1924–1994)، كتابًا مثيرًا للجدل بعنوان **ضد المنهج: مخطط لنظرية فوضوية في المعرفة**[14]. تدور ادعاءاته الأساسية حول رفض فكرة المنهج العلمي الذي يمثل معيارًا موضوعيًّا للتمييز بين النشاط العلمي وغير العلمي؛ إذ يرى أن العلم مشروع فوضوي Anarchic Entreprise لا يخضع لأي سلطة منهجية عليا[15]. ولا تعني الفوضوية المنهجية التي يدافع عنها غيابَ النظام، لكنها تعني غياب منهج محدَّد يتّسم بالسلطة مقارنة بالمناهج الأخرى[16]، السلطة التي احتكرها المنهج العلمي الوضعي لمدة طويلة، لدرجة أنه أصبح - كما في حالة حقل العلاقات الدولية - المعيار الوحيد للتمييز بين ما يُعَد علمًا وما لا يُعَد كذلك.

لحظ فايرابند، من خلال فحصه تاريخ التحولات الكبرى في تاريخ العلم، أن تلك التحولات لم تتأت من طريق منهج واحد، ولكن عبر مناهج متعددة. وبناءً على هذه النتيجة، توصل إلى وضع مفهوم "التعددية المنهجية" التي تستند إلى مقولته ذائعة الصيت، "أيُّ شيء يفي بالغرض"، "Anything goes"؛ بمعنى أن أيَّ منهج يُعد مقبولًا ما دام ملائمًا لطبيعة المشكلة المطروحة للبحث، وقادرًا على حلها والإضافة إلى رصيد العلم[17]. أبعد من ذلك، يرى فايرابند أن ما يُعد عادةً "المنهجَ العلمي" إنما هو قيدٌ على المجتمع المعرفي، ولو نظرنا إلى تاريخ العلم لوجدنا أن ممارسات شتَّى ساهمت في تطوره[18].

تُعَدُّ التعددية المنهجية مرادفة للفوضوية المنهجية، فهي تعبر عن رفض متأصل لتنصيب السلطة المعرفية لمنهج محدد، بل ترفض تنصيب السلطة المعرفية للعلم في حد ذاته. وبذلك، يدعو فايرابند إلى نزع القداسة عن العلم بوصفه نسقًا معرفيًّا مقدسًا يستلزم "الكفر" بما سواه. ومن ثم لا يصبح العلمُ إلا نسقًا ينمو ويزدهر وسط أنساق معرفية أخرى[19]. ويعني هذا أن الرفض الذي يدعو إليه فايرابند لا يبتغي نفي العلم، ولكن نفي الطبيعة السلطوية للعلم. وهو اتجاه يكرس نسبية المنهج العلمي، ومن ثم إمكان تطوير مناهج وأنماط معرفية أخرى أقدر على الدفع بالتقدم المعرفي نحو الأمام.

لقد شكلت انتقادات فايرابند للمزاعم الوضعية بشأن موضوعية العلم وعقلانيته أساسًا لدعوته اللاحقة إلى تعددية إبستمولوجية[20] تسمح بالانعتاق من القيود المنهجية للإبستمولوجيا الوضعية المهيمنة. يتعلق الأمر هنا بتعذر تقييم نظرية ما من دون التفكير فيها من خلال نظرية بديلة منها. واستعمل فايرابند مفهومًا آخر على نحو مترادف مع التعددية الإبستمولوجية، هو النسبية الإبستمولوجية. التفكير على نحو نسبي في الإبستمولوجيا جعل فايرابند يشعر بفقدان الرضا حيال مفهوم "الحقيقة" إلى الحد الذي جعله لا يعدّه إلا شعارًا غير مرغوب للعقلانية، وأقرب إلى كونه مفهومًا ثيولوجيًا[21].

يتفق منطق الفوضوية الإبستمولوجية/ المنهجية مع الدلالات العميقة للعبارة التي كتبها ديفيد لايك حديثًا، ومفادها أن "النظرية الكبرى لو كانت مَلِكًا، لكانت ملكًا في غاية الاستبداد"[22]. إذا عدنا إلى تعريف البرادايم مثلًا، لوجدنا أن وضع الحقل في ظل هيمنة نظريةٍ معينة تصف نفسها بأنها النظرية الكبرى لن يختلف كثيرًا عن وضع مملكة ترزخ تحت حكم ملك مستبد يرى أن "الدولة هي هو وأنه هو الدولة"[23]. لأن النظريات الكبرى غالبًا ما تؤسِّس نفسها على مزاعم القدرة – بانفراد – على تقديم رؤية عامة ومتكاملة لموضوع البحث في الحقل المعرفي برمته، على الرغم من أن هذا الموضوع ينطوي على تعددية أنطولوجية متزايدة التعقد.

لذلك، يمكن الجدال بأنه كلما زادت حدة التعقُّد في الواقع الذي ندرسه، زادت حاجتنا إلى التخلص من استبداد منطق النظريات الكبرى، والبحث في كلِّ ما من شأنه مساعدتنا في فهم هذا التعقُّد المتزايد والتعامل معه. في هذا السياق، لا تفتأ فلسفة التعقد تخبرنا أن مقارباتنا للواقع ينبغي أن تأخذ على محمل الجد كلَّ شيء وأي شيء يمكن أن يكون مهمًّا في التحليل، وأنه لا يوجد معيار نهائي يمكن من خلاله الحكم بثقة تامة بين ما هو مهمٌّ وما هو غير مهم. تحيلنا فلسفة التعقد إلى السياسة العالمية بوصفها نظامًا يتشكل بدوره من عدد لا متناهٍ من الأنظمة المعقدة التي تنطوي من حيث الأساس

14 Paul Feyerabend, *Against Method: Outline of an Anarchistic Theory of Knowledge*, 3rd ed. (New York: Verso Books, 1975, 1993).

15 يمنى طريف الخولي، **فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية**، سلسلة عالم المعرفة، 264 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000)، ص 422.

16 يتفق هذا المعنى تمامًا مع مفهوم الفوضى في النظام الدولي، بمعنى غياب سلطة عليا.

17 الخولي، 422.

18 إيان كريبت، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، 244 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، ص 329.

19 الخولي، ص 422.

20 Enver Halilovi´c, "Feyerabend's Critique of Scientism," *Enrahonar*, vol. 28 (1998), pp. 146 - 147.

21 Eric Oberheim & Paul Hoyningen-Huene, "Feyerabend's Early Philosophy," *Studies of History and Philosophy of Science*, vol. 31, no. 2 (2000), p. 367.

22 Lake, p. 568.

23 تردد هذه العبارة مضمون المقولة الشهيرة التي تُنسَب إلى الملك لويس الرابع عشر: "الدولة أنا وأنا الدولة".

على تفاعلات لاخَطِّية، بمعنى أن الأسباب الصغيرة، غير المثيرة للانتباه، يمكن أن تكون لها نتائج كبيرة، والعكس صحيح. هذه اللاخَطِّية تنتج، في الأساس، من الاعتماد المتبادَل بين عدد - يكون في الغالب لا نهائيًّا - من عناصر النظام، كما تنتج من تفاعل النظام المستمر مع بيئته الخارجية بوصفه نظامًا مفتوحًا.

يتسق هذا الطرحُ مع مبدأ فايرابند، ذائع الصيت، "أيُّ شيء يفي بالغرض"، لكنه، في الوقت نفسه، يشكِّل - وعلى نحو أهمّ - دعوة إلى تبني المزيد من البراغماتية في تحليل العلاقات الدولية. والمقصود بالبراغماتية هنا "عدم التقيد بمقاربة نظرية واحدة، ما دام أنه ما من نظرية معينة قادرة وحدها على فهم وتفسير واقع دولي/ عالمي في غاية التعقد"[24]. يمثل "انعدام التقيد" هذا إقرارًا بأن أي نظرية، سواء أكانت مصنفة بوصفها نظرية كبرى أم غير كبرى، يمكن أن تساهم في تنوير الباحث حول إشكاليةٍ معينة، سواءً أتمَّت الاستعانة بها وحدها أم ضمن مقارَبة مركَّبة من نظريات عدة. تُعرف هذه البراغماتية أيضًا بالانتقائية أو الاصطفائية التحليلية Analytical Eclecticism كما يسميها عبد النور بن عنتر[25].

ثانيًا: الانتقائية التحليلية: المفهوم والمزايا والوعود

تعبِّر الانتقائية التحليلية عن موقف نظري ومنهجي يمكن الباحث أن يعتمده أثناء متابعة أعماله البحثية. وما يميز هذا الموقف أنه يرتبط بالتقاليد البحثية الراسخة في حقلٍ معرفي، لكنه، في الوقت نفسه، لا يلتزمها على نحو صارم. لذلك، يصف سيل وكاتزنشتاين الانتقائية التحليلية من خلال الخصائص الثلاث التي تميزها من المواقف البحثية المتضمَّنة في التقاليد البحثية[26]، وهي أنها: أولًا، تتبنى الانتقائية التحليلية الروح البراغماتية في البحث، على الأقل ضمنيًّا، وتتجلَّى على نحو ملموس في البحث عن حجج نظرية متوسطة المدى Middle-Range ترتبط بقضايا سياسية محددة؛ ثانيًا، تتعامل الانتقائية التحليلية مع أوسع نطاق ممكن من المشكلات والقضايا، وعلى النقيض من الإشكاليات التقليدية الضيقة المصمَّمة من حيث الأساس إما لاختبار النظريات وإما لملء الفجوات في التقاليد البحثية السائدة، ففي إمكان الانتقائية التحليلية التعامل مع المزيد من مظاهر التعقد والفوضى وظواهرهما التي يعج بها العالم الواقعي؛ ثالثًا، في سياق سعيها لبناء حجج قوية بشأن هذه المشكلات، تقوم الانتقائية التحليلية بإنتاج مقولاتٍ سببية معقدة/ مركَّبة، قادرة على تسليط الضوء على التفاعلات بين أنواع مختلفة من الآليات السببية التي عادة ما يتم تحليلها بعزل بعضها عن بعض ضمن التقاليد البحثية السائدة، كل تقليد على حدة.

يستخدم سيل وكاتزنشتاين مفهوم التقليد البحثي Research Tradition بالمعنى الذي يستخدمه لاري لودان Larry Laudan؛ إذ - وعلى خلاف البراديمات والبرامج البحثية عند توماس كُون Thomas Kuhn وإيمري لاكاتوش Imre Lakatos - يمكن التقاليد البحثية أن تتعايش وتتنافس لفتراتٍ طويلة من الزمن، كما يمكن التقليد البحثي أن يُنتج ادعاءات مهمة قد تتداخل مع تلك التي تُنتجها تقاليد بحثية أخرى. ويقر لودان بإمكان أن يعمل باحث واحد ضمن تقاليد بحثية مختلفة، على الرغم من أن الأسس التي تقوم عليها هذه التقاليد المختلفة قد يعدّها بعض الباحثين غير قابلة للمقايَسة[27].

تؤسس التقاليد البحثية هوياتها وحدودها عبر الإصرار على تحقيق توافقٍ قوي حول قضايا تأسيسية ثابتة تستعصي مراجعتها، وهو ما يمنح امتيازًا أكبر لبعض المفاهيم مقارنة بأخرى، وتقديرًا أكبر لبعض المعايير والممارسات المنهجية على حساب أخرى. كما من شأنه أن يسلط ضوءًا أكبر على مظاهر معينة من الواقع الاجتماعي ويتجاهل مظاهر أخرى في المقابل. يبدو، في الواقع، أن الحروب المعرفية المحتدمة بين التقاليد البحثية لا تتكرر دائمًا بسبب اختلافات عصية حول مسائل تتعلق بالموضوع، ولكن بسبب اختلافات حول الاقتناعات المسبقة الموجودة لدى كل طرف بخصوص أنواع الظواهر الاجتماعية القابلة للتحليل الاجتماعي، ونوع الأسئلة المهم طرحها، وأنواع العمليات والآليات المرجَّح أن تكون ذات صلة بموضوع البحث. لذلك، فإن أنصار التقاليد البحثية غالبًا ما يمنحون أنفسهم الحق في تجاوز مظاهر من الواقع المعقد ربما لا تتناسب بدقة مع المقاييس ما وراء النظرية التي أسَّسوها بأنفسهم. في المقابل، يتم التعامل مع هذه المظاهر إما بوصفها علبًا سوداء، وإما بإبعادها بحجة انعدام صلتها بالسياق، وإما بمعالجتها على أنها مظاهر خارجية المنشأ Exogenous بالنسبة إلى الظاهرة محل البحث. وبينما تبقى هذه الخطوات التبسيطية والاختزالية مفيدة لغرض إنتاج مقولات معرفية "أنيقة" - بحسب تعبير سيل وكاتزنشتاين - حول مظاهر معينة من الواقع، فإنها تبقى عاجزة عن إنتاج فهم أشمل للمشكلات المعقدة متعددة الجوانب التي تهم الباحثين والممارسين على السواء[28].

عمومًا، تنطلق الدعوة إلى إقحام الانتقائية التحليلية من ملاحظة ألبرت هيرشمان Albert Hirschman الشهيرة التي تقول إن "علماء

24 بن عنتر.

25 المرجع نفسه.

26 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 412.

27 Ibid., p. 413.

28 Ibid.

حقول المعرفة الاجتماعية عادة ما يكونون سعداء جدًّا حينما يضعون أيديهم على برادايم واحد أو على خطٍّ واحد للسببية. ونتيجة لذلك، غالبًا ما تكون تخميناتهم أبعد عن دقة السياسيين المحنَّكين ذوي الحدس القوي المرجَّح أن يأخذوا في الاعتبار مجموعة متنوعة من القوى [والعوامل السببية]"[29]. لا يعني هذا أن البرادايمات ليست مفيدة في إدراك كثير من العناصر في مسار التحولات الاجتماعية واسعة النطاق، لكن الباحث الاجتماعي الذي يركز على برادايم معين يميل، بحسب هيرشمان، إلى التركيز فقط على بعض القوى والعوامل السببية بينما يتجاهل أخرى، ومن ثم فهو يواجه مخاطر الوقوع في الخطأ بدرجة جد عالية[30].

تنبع الفائدة المميزة للانتقائية التحليلية من قدرتها على إدراك نقاط القوة والعجز في المقاربات التي تستخدمها التقاليد البحثية السائدة، علاوة على المفاضلة بينها. ما يمنع الانتقائية التحليلية، في الواقع، من الانحدار لتتحول إلى منظور يقوم على منطق "كلُّ شيء مهم" هو الافتراض المسبق، أن قيمة التحليلات التي تُنتَج ضمن التقاليد البحثية تكمن في تحديد العوامل العديدة التي يرجح أن تكون الأهم بالنسبة إلى كل تقليد بحثي على حدة. والهدف من الانتقائية التحليلية هو الكشف عن الكيفية التي تكون بها هذه العوامل مهمة بالنسبة إلى أسئلة بحثية محددة، وليس إنشاء قائمة تتسع على نحو لا نهائي لجميع العوامل السببية الممكن تصورها، والتي يمكن أن تؤثر في السياسة العالمية. ويؤكد سيل وكاتزنشتاين أن الأبحاث ذات النزعة الانتقائية التي تهمل النظريات والمقاربات المتضمَّنة في التقاليد البحثية، تبقى عرضة لخطر تفويت استبصارات مهمة عديدة، أو إعادة اختراع العجلة، أو إنتاج تحليلات قد تبدو غريبة أو غير مفهومة لباحثين آخرين. من جهة أخرى، يمكن القول إن الطابع المميز للانتقائية التحليلية يأتي من جهدها في تحديد الكيفية التي تتعايش بها عناصر من روايات سببية مختلفة ضمن مقاربات أشدّ تعقدًا، قادرة على معالجة القضايا ذات الأهمية للباحثين والممارسين على السواء. وهذا يتطلب إقحام الجهد البحثي المنظَّم جيدًا الذي يبذله الباحثون الملتزمون بمختلف التقاليد البحثية السائدة، واستخدامها، لا استبعادها[31].

يبقى مهمًّا التنبيه إلى ضرورة تجنب الخلط بين النزعة الانتقائية من بين النظريات، والنزعة للتوليف بينها. فعلى الرغم من أن بعض الدارسين يستخدمون مصطلح "التوليف" للإشارة إلى مضمون الانتقائية نفسه، فإن التوليف يبقى مشروعًا أشدّ طموحًا؛ لأنه يقتضي خطوات غير مسبوقة، تتمثل بتخلي الباحثين بوضوح عن التزاماتهم الإبستيمية الأصلية، يليه تقارب طوعي حول مجموعة جديدة وموحدة من الافتراضات التأسيسية والمبادئ التحليلية لتوجيه عملية البحث. وفي غياب مثل هذا التقارب، من المرجح أن تؤول محاولات التوليف إلى مشاريع هيمنة نظرية؛ حيث يولد إطار ما وراء نظري واحد يُنتِج نظريات تزعم القدرة على التنظير بمفردها بشأن ظواهر اجتماعية متنوعة، مع تهميش الاستبصارات التي تقدمها التقاليد الموجودة مسبقًا حول كثير من تلك الظواهر، أو مصادرتها[32].

على سبيل المثال، نجح روبرت كيوهان Robert Keohane إلى حدٍّ بعيد في التوليف بين النظرية الواقعية (الاستقرار بالهيمنة) ونظرية المنظومات ليفسر النزعة للتعاون الدولي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. كما شكَّل حقل الدراسات الأمنية مجالًا خصبًا لمساعي التوليف بين نظرية القوة ونظرية النوايا لتفسير تشكُّل الأحلاف. من جهةٍ أخرى، ربط بروس روسيت وجون أونيل بين العوامل الليبرالية والمؤسساتية لتفسير حالة السلام بين الدول الليبرالية[33]. وهناك من الباحثين – خصوصًا في الجماعة المعرفية الأوروبية – من ولَّف بين المقارَبات البنائية والعقلانية لتفسير ظهور المعايير الدولية لحقوق الإنسان وتطورها. والواضح أن التعقد المتزايد في السياسة الدولية هو الذي يحيل الباحثين إلى السعي للبحث عن قنوات للتوليف بين مختلف المقاربات النظرية؛ أملًا في الوصول إلى تفسيراتٍ أعمق من التفسيرات أحادية السببية Unicausal التي تجد نفسها عاجزة عن التعامل مع الظواهر والأحداث غير البسيطة، كبروز الاتحاد الأوروبي/ المؤسسات الدولية وتطورها، أو تأثير الفواعل/ العوامل المحلية و/ أو العابرة للحدود.

لذلك، تبقى الانتقائية التحليلية أشدّ تواضعًا، لكن أشدّ براغماتية في الوقت نفسه؛ فهي تهدف إلى إنتاج أطر متنوعة ومرنة للبحث؛ إذ ينتظم كل إطار حول مشكلة بحثية محددة، على أن تكون هذه المشكلة هي التي تحرك عملية البحث، لا الإطار النظري المختار مسبقًا. علاوة على ذلك، فإن القيمة المضافة للأبحاث الانتقائية تعتمد إلى حدٍّ بعيد على الاستمرار في نجاح التقاليد البحثية السائدة التي يعمل كل منها على حدة. فأهمية الانتقائية التحليلية – بالنظر إلى عزوفها عن الكشف عن قوانين عامة وشاملة، كما هو الحال مع

29 نقلًا عن:
Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," pp. 413 - 414.

30 Ibid., p. 414.

31 Ibid.

32 Ibid., p. 415.

33 John R. Oneal & Bruce Russett, "The Kantian Peace: The Pacific Benefits of Democracy, Interdependence, and International Organizations, 1885-1992," *World Politics*, vol. 52, no. 1 (1999), pp. 1-37; Bruce Russett & John R. Oneal, *Triangulating Peace: Democracy, Interdependence, and International Organizations* (New York: W. W. Norton, 2001).

التقاليد البحثية التي تدعي أنها نظريات كبرى، وطموحها إلى ما هو أكثر من النتائج الجزئية والاختزالية التي تميز الأبحاث المرتبطة بدراسة حالات محدودة - تكمن في عملها على مستوى ما أصبح يعرف على نطاق واسع بنظريات "المدى المتوسط" Middle-Range[34]، وهي نظريات تُصمَّم لتكون ملائمة ضمن مجموعة محددة ومحدودة من السياقات القابلة للمقارنة؛ إذ يمكن روابط سببية معينة (سبب – نتيجة) أن تتكرر على نحو قابل للملاحظة. وتتمثل مهمة المُنظِّر الذي يشتغل على هذا النمط من النظريات في معرفة الشروط التي بموجبها يصبح بعض هذه الروابط أهمّ من الناحية السببية، مقارنة بالبعض الآخر. وهذا جهد يختلف تمامًا عن بناء نظرية كبرى أو قانون عام وشامل يسعى لأن يكون ملائمًا، ليس فقط عبر السياقات المكانية – الزمانية، ولكن أيضًا عبر مجموعة واسعة من المشكلات والقضايا ذات العلاقة بموضوع البحث[35].

يعد توسيع نطاق المشكلات – موضوع البحث – أحد أهم الوعود التي تستند إليها الانتقائية التحليلية. في هذا السياق، يميز سيل وكاتزنشتاين بين المشكلات الموضوعية Substantive، والمشكلات التحليلية Analytic. تتعلق المشكلات الموضوعية بالقضايا التي توجد على نحو منفصل عن الخطاب الأكاديمي، وتشكِّل معضلات عملية تواجه الفواعل الاجتماعية والسياسية. وغالبًا ما يبدي الباحثون اهتمامًا بهذا النوع من القضايا، لكنهم ينزعون إلى التركيز فقط على جوانب محددة ومحدودة أثناء صياغة الإشكاليات التحليلية التي يسعون للبحث فيها. أما المشكلات التحليلية فتُطرح بطريقة تعكس بها الأنطولوجيات، المبادئ المعرفية، والمفردات النظرية التي يتبناها أتباع تقليدٍ بحثي معين. ويبدو أن ما يستحق "المَشكَلة"، بالنسبة إلى أتباع تقليد بحثي، يعتمد على الثغرات الموجودة في أدبيات هذا التقليد، أو يتعلق بمميزات خاصة تتمتع بها مشكلة موضوعية معينة يمكن التعامل معها ضمن الحدود التحليلية لهذا التقليد. وفي سياق عملية كهذه، يمكن أن تُستبعد أبعادٌ أخرى، من المشكلة محل البحث، تعدّ أهم في عالم السياسة والممارسة، من مسار البحث والاستقصاء[36].

لا تزعم الأبحاث التي تستند إلى الانتقائية التحليلية أنها تقدم إجابات "أفضل" حول مشكلات هي من صميم اهتمامات تقليد بحثي معين، لكن فائدتها تكمن في إعادة صياغة تلك المشكلات حتى يصبح نطاقها أوسع. ومن ثم يصبح ممكنًا إدماج أكبر قدر ممكن من الجوانب ذات الصلة التي يفوِّت أتباع التقاليد البحثية معالجتها، لأنهم عادة ما يستعملون أطرًا تحليلية ضيقة ومحدودة. لذلك، ونظرًا إلى نطاقها الموسع، يُرجَّح أن يكون للمشكلات التي يعالجها الباحثون الانتقائيون تأثيرات ملموسة وبنَّاءة في المشكلات الموضوعية الحادة التي يواجهها صناع السياسة ومختلف الفاعلين السياسيين والاجتماعيين[37].

على الرغم من أن حقل العلاقات الدولية ما زال منظمًا حول تقاليد بحثية محددة، لكلٍّ منها التزاماته الإبستمولوجية ومفرداته النظرية ومعاييره ومفاهيمه، فإن كثيرًا من الباحثين البارزين، حتى ممن يُعرف عنهم التزامهم بتقاليد بحثية معينة، يُقِرون بوجود حاجة ملحَّة إلى إدماج عناصر تحليلية من مقاربات أخرى (مختلفة) من أجل إنتاج معرفة جديدة أشمل وأعمق وأصلح للتوظيف البحثي. على سبيل المثال، سبق أن جادل كينيث وُلتز بأن الاستنتاجات المستمَدة مباشرة من صورة واحدة – أو من مستوى واحد من مستويات التحليل الثلاثة – تبقى غير مكتملة؛ لأنها تستند إلى تحليلات جزئية. لذلك، فإن هذه الطبيعة الجزئية لكل صورة – أو لكل مستوى – على حدة، يتعين أن تدفع بالمرء نحو السعي لإدراج الصور أو المستويات الأخرى؛ لأن البحث يبقى، في نهاية المطاف، مرتبطًا بالسعي خلف سببية شاملة وليست جزئية[38].

ويتفق أندرو مورافتسيك Andrew Moravcsik، بصفته ناقدًا للواقعية متحمسًا، مع وُولتز حول هذه النقطة؛ إذ يرى أن اندلاع الحربين العالميتين، وبروز المعايير الدولية لحقوق الإنسان، فضلًا عن تطور الاتحاد الأوروبي، على سبيل المثال، هي بالتأكيد أحداث مهمة بما يكفي لتستحق تفسيرًا شاملًا، حتى على حساب النزعة التبسيطية والاختزالية التي تطغى على المقاربات النظرية. وفي ندوة حول دور النظرية في حقل السياسات المقارنة[39]، أكد عديد الباحثين البارزين فضائل "التركيب الانتقائي" بين المقاربات النظرية المتنوعة من أجل إعطاء معنى للحالات المختلفة التي تتصدى لها الدراسات المقارنة، محذِّرين من التبسيط المفرط الذي يستلزمه تطبيق مقارَبة نظرية واحدة لفهم التعقيدات المتعددة التي يزخر بها الواقع[40].

34 Lake.

35 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 415.

36 Ibid., p. 418.

37 Ibid.

38 Kenneth Waltz, *Man, the State and War: A Theoretical Analysis* (New York: Columbia University Press, 1959), p. 4.

39 انظر على سبيل المثال:
Peter Evans, Contribution to "The Role of Theory in Comparative Politics: A Symposium," *World Politics*, vol. 48, no. 1 (1995), pp. 1-10; Peter Katzenstein, Contribution to "The Role of Theory in Comparative Politics: A Symposium," *World Politics*, vol. 48, no. 1 (1995), pp. 10–15; James Scott, Contribution to "The Role of Theory in Comparative Politics: A Symposium," *World Politics*, vol. 48, no. 1 (1995), pp. 28–37.

40 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 412.

ثالثًا: دراسة بارنيت وفاينمور بوصفها نموذجًا للدراسات الانتقائية في حقل العلاقات الدولية

يقترح سيل وكاتزنشتاين ثلاثة نماذج للدراسات ذات الطابع الانتقائي في حقل العلاقات الدولية الصادرة حديثًا، هي: كتاب جون كامبال، **التغير المؤسساتي والعولمة**[41]، وكتاب روبرت جرفيس، **السياسة الخارجية الأميركية في حقبة جديدة**[42]، وكتاب مايكل بارنيت ومارثا فاينمور، **قواعد من أجل العالم: المنظمات الدولية في السياسة العالمية**[43]. ونكتفي في هذا الجزء باستعراض العمل الأخير؛ لأهميته التحليلية في هذا الجزء، على أن في الإمكان العودة إلى سيل وكاتزنشتاين للاطلاع على قراءتهما في بقية الأعمال الأخرى.

يشير بارنيت وفاينمور إلى أنه، وإلى وقت قريب، حتى أولئك الذين يشتغلون بموضوع المنظمات الدولية، كانوا يعوِّلون في حججهم على قدرات الدول الأعضاء في تلك المنظمات ومصالحها. لكن المنظمات الدولية، من وجهة نظرهما، ليست أدوات سلبية بين أيدي الدول، وليست قنوات، وحسب، لتذليل صعوبات التعاون بين الدول، وإنما هي بيروقراطيات فيبرية قائمة بذاتها. وبهذا، فهي تمتلك ثقافة بيروقراطية غالبًا ما تحفزها على التصرف وفقًا لكيفيات ربما لا تتفق تمامًا مع رغبات الدول الأعضاء وأهدافها، وواضح أنها غالبًا ما تكون غير متوقَّعة من الدول المؤسِّسة. هذه الأنماط من السلوك نادرًا ما تتم مَشكَلتها على نحو كافٍ في الأدبيات التقليدية. وهذا هو ما دفع بارنيت وفاينمور إلى بذل مزيد من الجهد لتحليل المنظمات الدولية بالتركيز على استقلاليتها، وقوتها، والاختلالات الوظيفية الطارئة عليها، ومدى التغير في مسارات عملها[44].

يبدو الطابع الانتقائي لهذه المقاربة واضحًا من جهدهما الرامي إلى تشكيل منظور يُبرز البعد البيروقراطي في عمل المنظمات الدولية الذي أغفلته المنظورات التقليدية المتمركزة حول الدولة، ويُنتج تحليلات معقدة حول سلوك المنظمات الدولية. يدرك بارنيت وفاينمور تمامًا أن قوة الدول ومصالحها مهمة، وأن المنظمات الدولية نادرًا ما تكون قادرة على إجبار الدول القوية على العمل ضد مصالحها. لكن مع ذلك، وفي كثير من الحالات، تعمل المنظمات الدولية على نحو مستقل عن الدول، وأحيانًا على نحو معارض لها، منتجة بذلك آثارًا غير متوقَّعة، تؤدي أحيانًا إلى إعادة تشكيل تفضيلات الدولة، بالأخذ بزمام المبادرة في وضع جدول أعمال المنظمة على سبيل المثال[45].

خطا بارنيت وفاينمور خطوة انتقائية أخرى عبر الربط بين الآليات التنظيمية التي تركز عليها النظريات العقلانية، والآليات التكوينية Constitutive التي تركز عليها النظرية البنائية. وبناءً على مفهوم فيبر للسلطة البيروقراطية بوصفها قوة ضبط قائمة على المعرفة Control Based On Knowledge، يقترحان أن المنظمات الدولية تتعلم كيفية توظيف سلطتها، ومعارفها، وقواعدها لتنظيم العالم، ولتشكيل عالم يبدو في حاجة إلى مزيد من التنظيم أيضًا. لذلك، من خلال إنتاج معايير وقواعد جديدة، وإعطائها معاني محددة، ونشرها من أجل توجيه الممارسة السياسية، تأخذ المنظمات الدولية وضعًا يمكِّنها من خلق الواقع السياسي الذي تعمل فيه وتشكل فيه الدول تفضيلاتها. ولتوضيح الفائدة المميِّزة لهذه المقارَبة، يحلل بارنيت وفاينمور صندوق النقد الدولي، والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، والأمانة العامة للأمم المتحدة، ويقارنان بين هذه المنظمات. ويجادل سيل وكاتزنشتاين بأن هذه المقاربة الانتقائية لها آثار عملية في عالم السياسة والممارسة[46]؛ إذ أكد بارنيت الذي عمل لمصلحة الأمم المتحدة، وفاينمور التي أنجزت بحوثًا معمقة حول البنك الدولي، أن خبرتهما الأكاديمية وحدها لم تتمكن من تزويدهما بالقدرة على معرفة ماهية المنظمات الدولية في الواقع[47].

رابعًا: الانتقائية التحليلية وتعقد السببية الاجتماعية

يمكن الجدال بأن الانتقائية التحليلية تُعَد جزءًا لا يتجزأ من مشروع تحويل حقل العلاقات الدولية إلى حقل عابر للتخصصات؛ لأنها ترتبط بالنزعة البراغماتية التي تعني أن المقاربات المتنافسة تبقى في حاجة ماسَّة إلى إعادة صياغتها من أجل تسهيل مهمة التأمل حول الكيفية التي تتشكل من خلالها المشكلات، فضلًا عن الكيفية التي ينبغي أن تُحل عبرها. إضافة إلى ذلك، تساعد هذه البراغماتية الباحثين في كيفية التعامل مع تعدد السرديات[48] والروايات السببية وتنوعها. لذلك، يفضل سيل وكاتزنشتاين الاعتماد على مفهوم الآليات السببية بوصفه سمة أساسية في القصص السببية التي تنتجها النظريات ذات

41 John Campbell, *Institutional Change and Globalization* (Princeton: Princeton University Press, 2005).

42 Robert Jervis, *American Foreign Policy in a New Era* (New York: Routledge, 2005).

43 Barnett & Finnemore.

44 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 422.

45 Ibid., p. 422.

46 Ibid., pp. 422 - 423.

47 Barnett & Finnemore, p. vii.

48 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," p. 417.

المدى المتوسط. تُقدِّم الانتقائية التحليلية روايات سببية معقدة، تشمل أشكالًا مختلفة من الآليات السببية المستخدَمة في مختلف التقاليد البحثية المتنافسة. ويعني هذا أنه بدلًا من الانحياز إلى مفهوم معين للسببية، تسعى الانتقائية التحليلية إلى تتبع التفاعلات بين مجموعة واسعة من الآليات السببية بشأن مشكلة معيَّنة، تعمل إما داخل مجالات ومستويات مختلفة من الواقع الاجتماعي وإما عبرها[49].

لكن الانتقائية التحليلية تبدو أشدّ اتساقًا مع مفهوم المُركَّبات السببية الذي طوره هايكي باتوماكي[50]. وهو مفهومٌ مستوحًى من الافتراضات الأساسية لنظرية التعقد[51]، كافتراض أن العوامل السببية لا تكفي في حدِّ ذاتها لإنتاج نتيجة/ أثر ما، لكنها تكون كافية حينما تتفاعل معًا ضمن مُركَّبات سببية. لذلك، سبق أن جادل باتوماكي بأن مفهوم المُركَّبات السببية يجعل الحقل يستغني عن مفهوم الآليات السببية؛ لأنه ينطوي من حيث الأساس على خصيصة التعقد. وهو يستند إلى افتراض أن الواقع الاجتماعي معقدٌ بطبيعته؛ ولذلك لا يمكن الحديث عن أسباب منفردة، قابلة للملاحظة البسيطة، قابلة للتعقب زمنيًّا، قابلة للعزل تجريبيًّا. ومن ثم ينبغي أن تكون السببية الاجتماعية على القدر نفسه من التعقد الذي يتصف به الواقع الاجتماعي. في هذا السياق، يمكن تأكيد أنه كلما زاد التعقد في الواقع الذي يدرسه الحقل، زادت حاجته إلى إقحام المزيد من الانتقائية التحليلية في مشاريعه وأنشطته البحثية.

ولا بد من توكيد أن الانتقائية التحليلية ليست بديلًا من المقاربات المتضمَّنة في التقاليد البحثية، وأنها ليست متفوقة عليها؛ فدورها لا يتعدى استكمال نقائص هذه المقاربات، كما تعتمد مساهمتها إلى حدٍّ بعيد على استمرار التواصل والتبادل المعرفي مع تلك المقاربات. هناك سببان أساسيان يجعلان الانتقائية التحليلية تستحق مساحة أكبر مما تحظى به في تخصصات العلوم الاجتماعية، ومنها تخصص العلاقات الدولية. السبب الأول هو أن الانتقائية التحليلية وحدها تهدف إلى مَشكَلة الظواهر المعقدة التي تواجه الممارسين والفواعل السياسيين، وهي الظواهر التي عادة ما تُجزَّأ إلى محض أحجيات أضيق فأضيق من جهة أنصار التقاليد البحثية. والسبب الثاني هو أن الانتقائية التحليلية وحدها مُصمَّمة للتنقل بين نظريات من تقاليد متعددة في وقت واحد؛ بحثًا عن الروابط بين أنواع مختلفة من الآليات السببية التي يتم التعامل معها عادة على نحو منعزل ضمن التقاليد البحثية المنفصلة.

> يمكن الجدال بأن الانتقائية التحليلية تُعَد جزءًا لا يتجزأ من مشروع تحويل حقل العلاقات الدولية إلى حقل عابر للتخصصات؛ لأنها ترتبط بالنزعة البراغماتية التي تعني أن المقاربات المتنافسة تبقى في حاجة ماسَّة إلى إعادة صياغتها من أجل تسهيل مهمة التأمل حول الكيفية التي تتشكل من خلالها المشكلات، فضلًا عن الكيفية التي ينبغي أن تُحل عبرها

وعند القيام بذلك، من شأن الانتقائية التحليلية أن تُعزِّز فرص الباحثين والفاعلين السياسيين الآخرين في إدراك ارتباطات خفية واستبصارات جديدة تستعصي عليهم حينما يُبسِّطون العالم ويختزلونه؛ من أجل تحليله من خلال عدسة نظرية وحيدة. هذه الإمكانية هي التي تبرر التزام بعض الأدبيات التي استعرضها سيل وكاتزنشتاين بالانتقائية التحليلية، حتى مع استمرار "المناخ العام" في تشجيع تطوير التقاليد البحثية، القائمة منه أو الناشئة، فضلًا عن تشجيع التنافس بينها. لذلك، يمكن القول إن الحقل المعرفي الذي يتسع أمام أتباع مختلف التقاليد البحثية وفي الوقت نفسه أمام زملائهم من الانتقائيين، لن يوسِّع فقط من "صندوق الاستبصارات والفهومات" التي يمكن أن يستفيد منها جميع الباحثين في الحقل، ولكن من شأنه أيضًا أن يسهِّل النقاشات المثمرة عبر الجماعة الأكاديمية كلها وخارج حدودها[52].

---

49 Ibid., p. 419.

50 يقترح باتوماكي بديلًا من المفهوم السائد للسببية في حقل العلاقات الدولية ينزع عنها طابع الانتظام والحتمية. كما يقدم الأفكار، والخطاب، والتكوين التاريخي و/ أو البناء الاجتماعي للفواعل بوصفها قوى سببية في السياسة الدولية، وهي التي طالما عُدَّت تقليديًّا عوامل غير سببية Non-causal. ويُقِر باتوماكي بأن هذه العوامل قد تكون غير كافية في حدِّ ذاتها لإنتاج نتيجة/ أثر ما، لكنها ستكون قادرة على ذلك إذا ما تفاعلت فيما بينها ضمن ما سماه "مُركَّبات سببية" Causal Complexes. من شأن المُركَّبات السببية أن تجعل الحقل المعرفي يستغني عما يسميه روي باشكار (1944–2014) بدوره "الآليات السببية"؛ لأن هذه الأخيرة تحيل بوضوح على السببية الميكانيكية (النيوتونية). وينطوي مفهوم "المُركَّبات السببية" على خصيصة التعقد؛ بحيث يستند إلى الافتراض بأن العالم/ الواقع الاجتماعي معقد بطبيعته، لذلك لا يمكن الحديث عن أسباب منفردة Single، بمعنى أنها قابلة للملاحظة البسيطة، قابلة للتعقب زمنيًّا (لتمييز الأسباب من النتائج/ الآثار)، وقابلة للعزل تجريبيًّا (للتحقق من قدرتها على إنتاج نتائجها/ آثارها). لذلك، مرة أخرى، ينبغي أن تكون السببية الاجتماعية على القدر نفسه من التعقد الذي يتصف به العالم/ الواقع الاجتماعي. انظر: Heikki Patomäki, "How to Tell Better Stories about World Politics?" *European Journal of International Relations*, vol. 2, no. 1 (1996).

51 حول نظرية التعقد في العلاقات الدولية، انظر: محمد حمشي، "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل"، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017.

52 Sil & Katzenstein, "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics," pp. 425 - 426.

خامسًا: نحو نزع الطابع الإشكالي عن المسألة الإبستمولوجية في حقل العلاقات الدولية

لا يمكن المرء إلا أن يؤكد مع كريس براون مقولة الفقر في الخطاب الذي تنطوي عليه مساعي بناء نظرية كبرى في حقل العلاقات الدولية[53]، قادرة على الوفاء بوعد تقديم رؤية شاملة ومتكاملة حول موضوع البحث في الحقل برمته؛ إذ من الواضح أن هذا الخطاب يتعارض مع مسعيَيْ فتح آفاق النقاش المعرفي أمام التعددية النظرية - ما يتطلب تقويض ممارسات الهيمنة و"الاستبداد" النظريين التي ينطوي عليها خطاب النظرية الكبرى - والرفع من مستوى وعي الحقل المعرفي بحجم التعقد المتزايد الذي أصبح يميز المشكلات النظرية والسياسية التي يبحث فيها.

لذلك، لا بد من توكيد ضرورة التخلِّي عن التعريفات السائدة للمقاربات النظرية – بوصفها براديمات مثلًا – التي تضع الحقل في ظل هيمنةِ نظريةٍ معينة تصف نفسها بالنظرية الكبرى؛ لأن هذا النمط من النظريات غالبًا ما يتأسس على مزاعم القدرة بانفراد على تقديم رؤية شاملة ومتكاملة لموضوع البحث في الحقل برمته، على الرغم من أن هذا الموضوع ينطوي على تعددية أنطولوجية على قدر متزايد من التعقد. وواضح أنه كلما زاد الوعي بحدة التعقد في الواقع، زاد الوعي بالحاجة إلى التخلص من استبداد منطق النظريات الكبرى، والبحث في أيِّ/ كلِّ ما من شأنه المساهمة في فهم هذا التعقد المتزايد والتعامل معه.

في هذا السياق، تأتي الدعوة إلى تبني النزعة البراغماتية/ الانتقائية في تحليل السياسة العالمية، بالمفهوم الدقيق الذي اقترحه عبد النور بن عنتر، وسبقت الإشارة إليه.

نسعى، في ما تبقى من هذا الجزء، إلى استعراض ملحوظات سريعة حول الكيفية التي يمكن أن تساعدنا بها المداخلات السابقة في تصور آفاق نزع الطابع الإشكالي عن المسألة الإبستمولوجية في الحقل.

فمع نهاية تسعينيات القرن الماضي، وبينما كان الحقل مستغرقًا في النقاش الثالث حول إبستمولوجيا نظريات العلاقات الدولية، نشر ألكسندر ونْت مقالة بعنوان "حول إشكاليتَي التكوين والسببية في حقل العلاقات الدولية"[54]، هوَّن فيها من أهمية الإبستمولوجيا بوصفها مركز اهتمام للحقل. يتقاسم البنائيون هذا الموقف؛ بحيث يؤكدون أهمية الأنطولوجيا مقارنةً بالإبستمولوجيا. ويرى ونْت أن شغلنا الشاغل في حقل العلاقات الدولية يكمن في تحسين معرفتنا بالكيفية التي يعمل بها العالم، لا في القلق بشأن تحسين معرفتنا بالكيفية التي نعرف بها كيفية عمل العالم. ما يهمنا هو الأنطولوجيا، لا الإبستمولوجيا. هذا لا يعني غياب أسئلة إبستمولوجية (ينبغي أن تكون) مثيرة لاهتمام الحقل المعرفي، غير أنه من الأفضل أن يتعامل مع هذه الأسئلة فلاسفة وعلماء اجتماع المعرفة، لا علماء السياسة. يقول ونْت: "دعونا نواجه الأمر، معظم الباحثين في العلاقات الدولية، ومنهم [المتحدث] لا يملكون تكوينًا كافيًا في مجال الإبستمولوجيا. لذلك فإن محاولة حل المشكلات الإبستمولوجية ستؤدي حتمًا على أي حال إلى [المزيد من] الارتباك"[55].

يبدو أننا، فعلًا، وفي كثير من المجالات الأساسية، نعرف كيف تعمل السياسة الدولية، من دون أن يكون مُهمًّا كيف وصلنا إلى تلك المعرفة. لذلك، فإن الخوض في مسائل إبستمولوجيا نظريات العلاقات الدولية من شأنه أن يشتت انتباهنا ويصرفنا عن العمل الحقيقي الذي ينبغي الانشغال به، وهو العلاقات الدولية ذاتها. ينبغي أن تكون نقاشاتنا الكبرى حول قضايا الدرجة الأولى (الموضوع في حد ذاته)، وليس حول قضايا الدرجة الثانية (المنهج). وتكمن المشكلة في أن خطاب الإبستمولوجيا أصبح بالفعل – ومنذ بداية النقاش الثالث وصولًا إلى النقاش الرابع – يشوب تفكيرنا حول السياسة الدولية، وأصبح يساهم في استقطاب الحقل ضمن "حروب بين البراديمات". يجب الإقرار بأن تأجج هذه الحروب منذ الثمانينيات والتسعينيات في القرن الماضي لا يرجع فقط إلى صعود الاحتجاجات ما بعد الوضعية، لكن جذوره تمتد إلى المشكلات الإبستمولوجية المتأصلة في الوضعية التي انهمكت منذ الخمسينيات في تأسيس نفسها بوصفها سلطة معرفية مساوية تمامًا للعلم؛ بحيث يُعَد كل عمل غير وضعي خارج مجال العلم[56].

للخروج من حالة الاستقطاب الإبستمولوجي بين الوضعيين وما بعد الوضعيين التي أوجدها النقاش الثالث واستمر النقاش الرابع في تكريسها، يقترح ونْت أنه بدلًا من أن يتصرفوا كحراس معابد، بعضهم ضد بعض، "يبشِّرون" بنمط من أنماط "الوحي" الذي يتوهمون أنه يأتيهم من "آلهة إبستمولوجية زائفة"، سيكون أفضل للوضعيين وما بعد الوضعيين، على السواء، أن يتصرفوا على أساس قاعدة "الاعتراف المتبادل" تجاه الأسئلة التي يفضِّلها كل طرف. ويؤكد ونْت أن علم السياسة الدولية، إذا أريد له أن يكون نقديًّا وتأمليًّا، سيكون في حاجة إلى كلِّ/ أيِّ شكل من أشكال المعرفة التي يمكنه الحصول عليها[57].

53 Brown.

54 Alexander Wendt, "On Constitution and Causation in International Relations," *Review of International Studies*, vol. 24, no. 5 (1998).

55 Ibid., p. 115.

56 Ibid., p. 115 - 116.

57 Ibid., p. 117.

وقد عمل ونْت في كتابه، **النظرية الاجتماعية في السياسة الدولية**[58]، على تأكيد هذا الموقف بتبنِّي افتراضات الفلسفة الواقعية العلمية التي يجادل ميلجا كوركي وكولين وايت بأنها أدَّت دورًا مهمًّا في تطوير البنائية، على الرغم من أنها لم تحظ بتبني جميع البنائيين. ومع مطلع القرن الحالي، استمر ونْت في كونه أبرز منظِّر وضع نظريته على نحو واضح ضمن الإطار الإبستمولوجي للواقعية العلمية، كما تعزز الواقعية العلمية على نحو واضح كذلك مساعيه لبناء طريق وسط Via Media، أو أرضية وسطى Middle Ground، بين العقلانية والتأملية. غير أن هذه المساعي لم تتمكن من تبرئة ونْت – وعموم البنائيِّين عدا تيارًا محدودًا منهم – من تهمة الانحياز الإبستمولوجي إلى الوضعية. ويؤكد كوركي ووايت هذا الطرح؛ إذ يشيران إلى أن تبني ونْت الواقعيةَ العلمية جرَّ عليه انتقادات كثير من الواقعيين العلميين الآخرين بسبب فشله في الابتعاد على نحو كافٍ عن حدود النقاش (الثالث)، وكونه ما يزال مقيدًا بالتزام معدَّل نحو الوضعية[59].

أصبح واضحًا أن جدوى المشروع التوفيقي الذي أعلن عنه البنائيون خلال حقبة النقاش الرابع قوضته منطلقاتُه منذ البداية، لأنه ما دامت البنائية تتبنى إبستمولوجيا وضعيةً، فقد كان من المستبعد أن تنجح في إقناع المقاربات التأملية ما بعد الوضعية في الالتحاق بها حول طاولة النقاش، فضلًا عن الانخراط في نقاش أصيل مع المقاربات العقلانية الوضعية في الجانب الآخر. لقد رأينا أن الأمر يتعلق دائمًا بالإبستمولوجيا، ولا سبيل إلى الافتراض بأن الأنطولوجيا أهم منها.

في هذا السياق، ظهرت مجموعة من الواقعيين العلميين، يشيرون إلى أنفسهم بوصفهم واقعيين نقديين على غرار باتوماكي ووايت، يسعون لأخذ الواقعية العلمية إلى أبعد مما ذهب بها إليه ونْت، خصوصًا من خلال المجادلة بأن الانقسام بين العقلانية والتأملية ينعكس في الفرق بين مقاربات تركز على مسائل مادية وأخرى تركز على الأفكار. لكن مجموعتي العوامل المادية والعوامل المتعلقة بالأفكار مهمتان كلتاهما، بالنسبة إلى الواقعية النقدية، في إنتاج مخرجات اجتماعية، وينبغي إشراكهما كلتيهما في عملية البحث[60]. لذلك، فإن الواقعيين النقديين لا يتجاهلون المسألة الإبستمولوجية، كما يقترح ونْت، لكنهم يدعون إلى إعادة النظر في هذه المسألة من منظور نقدي.

58 Alexander Wendt, *Social Theory of International Politics* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

59 Milja Kurki & Colin Wight, "International Relations and Social Science," in: Tim Dunne, Milja Kurki & Steve Smith (eds.), *International Relations Theories: Discipline and Diversity* (Oxford: Oxford University Press, 2010), p. 26.

60 Ibid., pp. 26 - 27.

سادسًا: التأصيل الإبستمولوجي للانتقائية التحليلية: بعيدًا عن التعارض الوضعي – ما بعد الوضعي

يتمثل الإسهام الفكري المهم الذي تقدمه الواقعية النقدية Critical Realism[61]، في مجال العلوم الاجتماعية عمومًا، في رفض أي محاولة للوصول إلى مجموعة من الإجراءات المحددة بوضوح التي تحدد محتوى المنهج العلمي. ويرى الواقعيون النقديون أن على كل علم أن يتوصل إلى طريقة عمله وفقًا لمجال الموضوع محل البحث. ولأن هذه المجالات تختلف على نحو جوهري من علمٍ إلى آخر، فإن الواقعيين النقديين يؤكدون أنه سيكون من غير الملائم أن نتوقع تحوُّل المنهجيات المطبقة في علم معين إلى منهجيات شمولية قابلة للتطبيق على العلوم الأخرى جميعها. لذلك، لا ينبغي للعلوم الاجتماعية أن تحاول تقليد العلوم الطبيعية لأسباب عديدة، خصوصًا أنه، بالنظر إلى الفروق غير القابلة للمقايسة ضمن العلوم الطبيعية المختلفة نفسها، يستحيل تحديد مجموعة من الإجراءات والتقنيات التي يمكن أن تتبناها العلوم جميعًا[62].

من جهة أخرى، يجادل الواقعيون النقديون أن ما يجعل المعرفة علمية ليس أسلوبها ولا منهجها في إنتاج المعرفة، وإنما هو محتواها؛

61 حول الإبستمولوجيا الواقعية النقدية، انظر:
Milja Kurki, *Causation in International Relations: Reclaiming Causal Analysis* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008); Milja Kurki, "Critical Realism and Causal Analysis in International Relations: Causes All the Way Down," *Millennium*, vol. 35, no. 2 (2007), pp. 361-378; Kurki & Wight, "International Relations and Social Science," in: Tim Dunne, Milja Kurki & Steve Smith (eds.), *International Relations Theories: Discipline and Diversity* (Oxford: Oxford University Press, 2007); Milja Kurki, "Causes of a Divided Discipline: Rethinking the Concept of Cause in International Relations Theory," *Review of International Studies*, vol. 32, no. 2 (2006), pp. 189-216; Colin Wight, "A Manifesto for Scientific Realism in IR: Assuming the Can-Opener Won't Work!" *Millennium*, vol. 35. no. 2 (2007); Colin Wight, *Agents, Structures and International Relations: Politics as Ontology* (New York: Cambridge University Press, 2006); Heikki Patomäki, *After International Relations: Critical Realism and the (Re)construction of World Politics* (London: Routledge, 2002); Heikki Patomäki & Colin Wight, "After Post-Positivism? The Promises of Critical Realism," *International Studies Quarterly*, vol. 44, no. 2 (2000), pp. 213-237; Heikki Patomäki, "How to Tell Better Stories about World Politics;" Hidemi Suganami, "Causation-in-the-World: A Contribution to Meta-Theory of IR," *Millennium, vol.* **41**, no. 3 (2013), pp. 623-643; Milja Kurki & Hidemi Suganami, "Towards the Politics of Causal Explanation: A Reply to the Critics of Causal Inquiries," *International Theory*, vol. 4, no. 3 (2012), pp. 400-429; Hidemi Suganami, "Causal Explanation and Moral Judgement: Undividing a Division," *Millennium, vol. 39, no*. 3 (2011), pp. 717-734; Hidemi Suganami, *On the Causes of War* (Oxford: Oxford University Press, 1996).

62 Kurki & Wight, "International Relations and Social Science," p. 25.

إذ، على خلاف التصور الوضعي، لا تُعَدُّ المعرفة علمية لأنها، وحسب، اتبعت مجموعة معينة من الإجراءات المبنية على "حقائق" تجريبية، ولكن لأنها تقوم ببناء تفسيرات لتلك الحقائق على شكل كيانات وإجراءات غير معروفة، ويُحتَمل أن تكون غير قابلة للملاحظة. من وجهة نظر الواقعيين النقديين، تذهب المعرفة العلمية إلى ما هو أبعد من المظاهر، وتبني تفسيرات غالبًا ما تتعارض - وأحيانًا ما تتناقض - مع المخرَجات الملاحَظة. وتتضمن العلوم الاجتماعية دراسة للعناصر الاجتماعية المعقدة والمتفاعلة التي تُنتجِ الأنماط التي نلاحظها. ونظرًا إلى طبيعتها غير القابلة للملاحظة، يجب العمل على إدراك معظم العناصر الاجتماعية من خلال وضع أطر مفاهيمية بدقة وحذر. دائمًا ما تكون هذه عملية معقدة وتتضمن إجراءات شُكِّلت على نحو متبادل بين الباحثين بوصفهم فاعلين، وبين موضوعات البحث/ المعرفة، إلا أن المعرفة الاجتماعية، وعلى الرغم من أنها غير مثالية، ومتضمَّنة في أطر مفاهيمية وخطابية، تبقى معرفة تتعلق بشيء ما، شيء اسمه الواقع الاجتماعي[63].

إبستمولوجيًا، يُقدِّم الواقعيون النقديون أنفسهم على أنهم نسبيون Relativists، ويجادلون بأنه ما من موقف إبستمولوجي يملك الأولوية في الحصول على المعرفة، لأن هناك دائمًا طرقًا عديدة يمكن من خلالها التوصل إلى معرفة العالم. لكن هذا لا يعني أن جميع وجهات النظر صحيحة بالدرجة نفسها، وهم يؤمنون بإمكان الحكم عقلانيًّا بين الادعاءات المعرفية المتنافسة. المهم بالنسبة إلى العلوم هو أن أي/ كلَّ ادعاء يبقى قابلًا للتحدي من جانب ادعاءات أخرى؛ ما يؤكد أن العلوم ينبغي أن تستند إلى الالتزام بالنقد المستمر، بدلًا من الالتزام بالإصرار الدوغمائي على صحة ادعاءاتها.

منهجيًا، وعلى غرار الموقف الإبستمولوجي للواقعيين النقديين، فإنهم يتبنون موقفًا تعدديًّا إزاء الخيارات المنهجية؛ بحيث - على عكس الوضعيين الذين يركزون على المناهج الكمية، وما بعد الوضعيين الذين يركزون على المناهج الكيفية – يركز الواقعيون النقديون على التعددية المنهجية (تعددية المناهج). ولأن العالم الاجتماعي شديد التعقد أنطولوجيًا، ولأن هناك طرقًا كثيرة للوصول إلى معرفة العالَم، فمن الأفضل أن لا يحصر الباحث أساليب البحث من خلال الاستدلال المسبق[64].

يُعَد بروز الواقعية النقدية توجهًا جديدًا ومُهمًّا في الحقل؛ بحيث يمكن أن تفتح قنوات جديدة وبنَّاءة للنقاش النظري بين مختلف مقاربات السياسة العالمية. فبرفضها المقارنة والمقايضة بين التحليلين التفسيري والفهمي من جهة، والتحليلين السببي وغير السببي من جهة أخرى، وبرفضها الالتزام الخطابي المسبق بأي من العوامل المادية أو العوامل الاجتماعية والعوامل المتعلقة بالأفكار، وبرفضها دعم أيٍّ من الاتجاهين الإبستمولوجيين المتعارضين – النموذج الوضعي للعلم، والنموذج الرافض لفكرة العلم لدى بعض التأمليِّين – كل هذا يمكن أن يتيح الفرصة أمام الحقل للمضي قُدمًا إلى ما هو أبعد من التعارضات الثنائية التي أنتجتها/ أعادت إنتاجها النقاشات الكبرى، ومنها النقاش الرابع. ومن شأن كل هذا أن يتيح الفرصة أمام وجهات النظر غير الوضعية كي تحظى بالتقدير في صورة جديدة لها؛ لأن وجهات النظر تلك تبقى ذات مساهمات علمية وفكرية مهمة في الحقل[65].

يقبل الواقعيون النقديون أجزاء مهمة من موقف التأويليين ما بعد الوضعيين بشأن الموضوعية؛ إذ يجادلون بأنه على الرغم من أننا دائمًا ما نؤوِّل العالم من خلال عدساتنا المتموضعة اجتماعيًّا (وسياسيًّا)، وعلى الرغم من أنه لا توجد طريقة سهلة لإثبات حقيقة نظرية معينة، فإن النظريات ليست كلها متساوية. ولأن العالم تحديدًا هو ما هو عليه، مستقلٌّ عن أي نظرية، فإن المهم عند الواقعيين النقديين هو أن بعض النظريات قد يكوِّن أوصافًا للعالم أفضل مما يكونه بعضها الآخر، حتى وإن كنا لا نعلم ذلك. عندئذٍ، تتعلق المهمة بتحديد أيٍّ من النظريات هي الأشدّ قبولًا من غيرها. ولتحديد ذلك، لا يستثني الواقعيون النقديون أيَّ شيء، كما لا يمنحون الأفضلية لأي عامل على آخر، فهم براغماتيون إبستمولوجيًّا؛ إذ يرون أنه ما من مجموعة واحدة من الإجـراءات يمكن من خلالها الحكم بين الادعاءات المعرفية التي تغطي جميع حالات البحث، ولكن، يجب تقويم كل حالة بحسب مميزاتها، واستنادًا إلى الأدلة التي تقدمها[66].

خاتمة

انطلقت هذه المقالة من افتراض أن منطق "النظرية الكبرى" في حقل العلاقات الدولية يتجه نحو حافة إفلاس نظريٍّ وفلسفي حادٍّ، على نحو يجعله في حاجة إلى التفكيك وإعادة النظر، فضلًا عن الافتراض بأن إفلاس هذا المنطق هو ما يبرر الدعوة إلى إقحام النزعة الانتقائية التحليلية في الممارسات البحثية داخل الحقل. ومن خلال مختلف المباحث السابقة، في هذه المقالة، يمكن أن نبرز الملاحظات الختامية الآتية:

1. تكمن القيمة المضافة للانتقائية التحليلية، بوصفها موقفًا إبستمولوجيًّا ومنهجيًّا، في نزع الشرعية عن خطاب "النظرية

63 Ibid., pp. 25 - 26.

64 Ibid., p. 26.

65 Ibid., p. 27.

66 Ibid., p. 31.

الكبرى" في العلاقات الدولية، القادرة على التفسير والفهم لمظاهر التعقد المتزايد في الظاهرة الدولية وظواهر هذا التعقد، ومساعدة الباحثين على إدراك نقاط القوة والعجز في البرادايمات السائدة، علاوة على المفاضلة بينها.

2. لا يعني تبنِّي الانتقائية التحليلية الاستغناء عن البرادايمات، لكنه يعني مزيدًا من الوعي لدى الباحث بأن التركيز على برادايم معيَّن من شأنه أن يجعله يميل نحو التركيز فقط على بعض القوى والعوامل السببية، بينما يتجاهل أخرى، وهكذا يبقى يواجه مخاطر الوقوع في الخطأ بدرجة جد عالية.

3. من شأن الانتقائية التحليلية أن تساهم في بناء بحوث تتعايش فيها عناصر متنوعة من روايات سببية مختلفة ضمن مقاربات أشدّ تعقدًا، قادرة على معالجة القضايا ذات الأهمية للباحثين والممارسين على السواء. ويستلزم هذا إقحام الجهود البحثية المنظَّمة على نحو جيد التي يبذلها باحثون آخرون ملتزمون بمختلف التقاليد البحثية السائدة، لا استبعادها.

4. تتبنى الانتقائية التحليلية روحًا براغماتية تمكِّنها من إنتاج أطر متنوعة ومرنة للبحث، ينتظم كلُّ إطار حول مشكلة بحثية محدَّدة، على أن تكون هذه المشكلة هي التي تحرك عملية البحث، لا الإطار النظري المختار مسبقًا. لذلك، فهي لا تطمح إلى الكشف عن قوانين عامة كما هو الحال مع التقاليد البحثية التي تشير إلى نفسها بأنها نظريات كبرى. وإذ لا تكتفي بالنتائج الجزئية/ الاختزالية المرتبطة بدراسة حالات محدودة، فإن أهمية الانتقائية التحليلية تكمن في عملها على ما يُعرَف بنظريات "المدى المتوسط" التي تكون ملائمة ضمن مجموعة محدودة ومحددة من السياقات القابلة للمقارنة؛ إذ يمكن روابط سببية معينة أن تتكرر على نحو قابل للملاحظة. ويختلف هذا تمامًا عن بناء نظرية كبرى أو قانون عام يكون ملائمًا عبر السياقات المكانية – الزمانية، وعبر مجموعة واسعة من المشكلات والقضايا ذات العلاقة بموضوع البحث.

5. يأتي بروز الانتقائية التحليلية في سياق المراجعات الإبستمولوجية التي تُحدثها الفلسفة الواقعية النقدية في فلسفة علم العلاقات الدولية، وهي التي تؤكد ضرورة تحوُّل الحقل المعرفي نحو النسبية الإبستمولوجية/ المنهجية؛ بحيث ما من موقفٍ إبستمولوجي يملك الأولوية في الحصول على المعرفة؛ وحيث توجد دائمًا طرق عديدة يمكن من خلالها التوصل إلى معرفة العالم. كما تؤكد أيضًا ضرورة تبنِّي موقف تعدُّدي إزاء الخيارات المنهجية. وعلى عكس الوضعية التي تركز على المناهج الكمية، وما بعد الوضعية التي تركز على المناهج الكيفية، تدعو الواقعية النقدية إلى تبني تعددية منهجية أو تعددية في مناهج البحث.

6. يبدو أن حقل العلاقات الدولية، وعلى الرغم من أنه ما يزال منظمًا حول تقاليد بحثية محددة، لكلٍّ منها التزاماته الإبستمولوجية ومفرداته النظرية ومعاييره البحثية، شهد في السنوات الأخيرة – وما يزال يشهد – نزعة متزايدة، حتى بين بعض من يُعرَف عنهم التزامُهم بتقاليد بحثية معينة، للإقرار بوجود حاجة ملحَّة إلى إدماج عناصر تحليلية من مقاربات أخرى (مختلفة) من أجل إنتاج معرفة جديدة أشمل وأعمق وأصلح للتوظيف البحثي.

المراجع

العربية

حمشي، محمد. "النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية: نحو إقحام نظرية التعقد داخل الحقل". أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية. جامعة باتنة 1. الجزائر، 2017.

الخولي، يمنى طريف. **فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية.** سلسلة عالم المعرفة 264. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000.

زقاغ، عادل. "النقاش النظري الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية". أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية. قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة. الجزائر، 2009.

كريبت، إيان. **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس.** ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور. سلسلة عالم المعرفة 244. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999.

الأجنبية

Ahmed, Amel & Rudra Sil. "When Multi-Method Research Subverts Methodological Pluralism — or, Why We Still Need Single-Method Research." *Perspectives on Politics*. vol. 10. no. 4 (2012).

Barnett, Michael & Martha Finnemore. *Rules for the World: International Organizations in Global Politics*. Ithaca: Cornell University Press, 2004.

Brown, Chris. "The Poverty of Grand Theory." *European Journal of International Relations*. vol. 19. no. 3 (2013).

Lapid, Yosef. "Through Dialogue to Engaged Pluralism: The Unfinished Business of the Third Debate." *International Studies Review*. vol. 5 (2003).

Oberheim, Eric & Paul Hoyningen-Huene. "Feyerabend's Early Philosophy." *Studies of History and Philosophy of Science*. vol. 31. no. 2 (2000).

Oneal, John R. & Bruce Russett. "The Kantian Peace: The Pacific Benefits of Democracy, Interdependence, and International Organizations, 1885 - 1992." *World Politics*. vol. 52. no. 1 (1999).

Patomäki, Heikki. "How to Tell Better Stories about World Politics." *European Journal of International Relations*. vol. 2. no. 1 (1996).

Patomäki, Heikki. *After International Relations*: *Critical Realism and the* (*Re*)*construction of World Politics*. London: Routledge, 2002.

Patomäki, Heikki & Colin Wight. "After Post-Positivism? The Promises of Critical Realism." *International Studies Quarterly*. vol. 44. no. 2 (2000).

Reus-Smit, Christian & Duncan Snidal (eds.). *The Oxford Handbook of International Relations*. Oxford: Oxford University Press, 2008.

Russett, Bruce & John R. Oneal. *Triangulating Peace*: *Democracy, Interdependence, and International Organizations*. New York: W. W. Norton, 2001.

Shapiro, Ian, Rogers M. Smith & Tarek E. Masoud (eds.). *Problems and Methods in the Study of Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

Sil, Rudra & Eileen M. Doherty (eds.). *Beyond Boundaries*?: *Disciplines, Paradigms, and Theoretical Integration in International Studies*. New York: State University of New York, 2000.

Sil, Rudra & Peter J. Katzenstein. *Beyond Paradigms*: *Analytical Eclecticism in the Study of World Politics*. London: Palgrave, 2010.

_____. "Analytical Eclecticism in the Study of World Politics: Reconfiguring Problems and Mechanisms

Feyerabend, Paul. *Against Method*: *Outline of an Anarchistic Theory of Knowledge*. 3rd ed. New York: Verso Books, 1993.

Halilovi´c, Enver. "Feyerabend's Critique of Scientism." *Enrahonar*. vol. 28 (1998).

Hellmann, Gunther (ed.). "The Forum: Are Dialogue and Synthesis Possible in International Relations?" *International Studies Review*. vol. 5 (2003).

Campbell, John. *Institutional Change and Globalization*. Princeton: Princeton University Press, 2005.

Dunne, Tim, Milja Kurki & Steve Smith (eds.). *International Relations Theories*: *Discipline and Diversity*. Oxford: Oxford University Press, 2010.

_____. *International Relations Theories*: *Discipline and Diversity*. Oxford: Oxford University Press, 2007.

Jervis, Robert. *American Foreign Policy in a New Era*. New York: Routledge, 2005.

Kohli, Atul, et al. "The Role of Theory in Comparative Politics: A Symposium." *World Politics*, vol. 48. no. 1 (1995).

Kurki, Milja. "Causes of a Divided Discipline: Rethinking the Concept of Cause in International Relations Theory." *Review of International Studies*. vol. 32. no. 2 (2006).

_____. "Critical Realism and Causal Analysis in International Relations: Causes All the Way Down." *Millennium*. vol. 35. no. 2 (2007).

_____. *Causation in International Relations*: *Reclaiming Causal Analysis*. Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

Kurki, Milja & Hidemi Suganami. "Towards the Politics of Causal Explanation: A Reply to the Critics of Causal Inquiries." *International Theory*. *vol. 4. no.* 3 (2012).

Lake, David A. "Theory Is Dead, Long Live Theory: The End of the Great Debates and the Rise of Eclecticism in International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 19, no. 3 (2013).

Waltz, Kenneth. *Man, the State and War: A Theoretical Analysis*. New York: Columbia University Press, 1959.

Wendt, Alexander. "On Constitution and Causation in International Relations." *Review of International Studies*. vol. 24. no. 5 (1998).

_____. *Social Theory of International Politics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Wight, Colin. *Agents, Structures and International Relations: Politics as Ontology*. New York: Cambridge University Press, 2006.

_____. "A Manifesto for Scientific Realism in IR: Assuming the Can-Opener Won't Work!" *Millennium*. vol. 35. no. 2 (2007).

across Research Traditions." *Perspectives on Politics*. vol. 8, no. 2 (2010).

_____. "De-Centering, Not Discarding, the 'Isms': Some Friendly Amendments." *International Studies Quarterly*. vol. 55 (2011).

Suganami, Hidemi. *On the Causes of War*. Oxford: Oxford University Press, 1996.

_____. "Causal Explanation and Moral Judgement: Undividing a Division." *Millennium*. *vol*. *39*. *no*. 3 (2011).

_____. "Causation-in-the-World: A Contribution to Meta-Theory of IR." *Millennium*. *vol*. 41. no. 3 (2013).

Wallerstein, Immanuel. *The Essential Wallerstein*. New York: The New Press, 2000.

جهاد العيسة | Jehad Alayasa*

تغير الوزراء الفلسطينيين المتكرر وأثره في السياسات العامة: وجهة نظر الإدارات العليا

Repeated Changes of Palestinian Cabinet Ministers and the Impact on Public Policies: the Point of View of Higher Authorities

تجادل الدراسة بأن غياب البرنامج السياسي الواضح للحكومة في الحالة الفلسطينية يترك للوزير المجال لتسييس الوزارة التي يديرها، وفرض رؤيته على المستويات الإدارية المختلفة؛ ما يجعل من التغيير المتكرر للحكومات والوجوه الوزارية تحديًا أمام قدرة المستويات الإدارية على صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها. وتكمن مشكلة الدراسة في غياب الإطار القانوني الناظم للعلاقة بين الوزير والطاقم الإداري العامل معه. إن غياب مثل هذا الإطار أدى الى طغيان "شخصية الوزير" وتحولها إلى الإطار الناظم لعمل الوزارة؛ ما ينعكس سلبيًا على استدامة السياسات العامة. تبنى الباحث المنهج الكيفي، نظرًا إلى طبيعة الظاهرة المبحوثة. وأجرى عشرات المقابلات مع المستوى السياسي في الحكومات، وهم رؤساء ووزراء سابقون، ووزراء تكرر وجودهم بوصفهم وزراء أكثر من ثلاث مرات، أما في المستوى المهني فكانت المقابلات مع الإدارة العليا لعينة الوزارات التي لديها أكثر من ثمانية تغيرات وزارية في الفترة 1996–2016. ومن أهم نتائج الدراسة أن المنظومة القانونية، وعلى رأسها القانون الأساسي، في العلاقة بين المستوى السياسي للوزارة (الوزير) والمستوى المهني (الوكيل، والوكيل المساعد، والمديرون العامون) تحتاج إلى المراجعة والإصلاح القانوني.

كلمات مفتاحية: السياسات العامة، السياسات المستدامة، فلسطين، الحكومات الفلسطينية.

This research addresses the problem of government turnovers in Palestine between 1994 and 2016 and the impact on public policy sustainability. The thesis of the research is that government turnovers (changing ministers repeatedly) disturb the capability of top management professionals to formulate and implement sustainable public policy that can make positive impact on generations. The research adapted a qualitative methodology through selecting all 18 ministries that had eight turnovers or more between 1994-2016 as case studies, some had 17 turnovers. More than 35 deep interviews with three levels of management in the selected ministries where conducted. The researcher also interviewed former prime ministries and a sample of ministers who were in positions for three terms or more. Questions of this category focused on the impact of politics on government turnovers and public policy in regard. Major findings of the research include the way in which governments are selected (the consensus tradition of selecting governments) and the absence of the Palestinian Legislative Council encouraged ministers to ignore law and politicize public service sector.

Keywords: Puplic Policies, Palestine, Palestinian Governments.

* أستاذ الإدارة العامة، كلية الحقوق والإدارة العامة، جامعة بيرزيت.

* Professor of Public Administration, Faculty of Law and Public Administration, Birzeit University, Palestine.

مقدمة

على الرغم من أن منصب الوزير في أي حكومة هو منصب سياسي في الأصل – يفترض أن يعكس برنامج الحزب السياسي الذي يتولى الحكم من خلال فوزه في الانتخابات وتستثنى من ذلك حكومات التكنوقراط المكونة من وزراء كفاءات وخبراء، كلّ في مجال وزارته - فإنّ تسييس المنصب، بمعنى إخضاعه للحسابات السياسية سواءٌ أكان من طرف رئيس السلطة أم من رئيس الوزراء أم من الوضع السياسي العام، يُعدُّ الإشكالية الحقيقية في الحالة الفلسطينية. ويجادل بعض الخبراء في الحالة السياسيّة الفلسطينيّة، في أن غياب البرنامج السياسي الواضح يترك المجال للوزير لتسييس الوزارة التي يديرها، وفرض رؤيته على المستويات الإدارية المختلفة؛ الأمر الذي يجعل من التغيُّر المتكرر للحكومات والوجوه الوزارية، تحديًا أمام قدرة المستويات الإداريـة على صنع سياسات عامّة مستدامة وتنفيذها. وتتمثل التحديات، أمام المستوى الإداري تحديدًا، في التنقلات التي يجريها الوزير الجديد عند تسلّمه مهمّاته في الوزارة لضمان وجود الموالين له، وتحدي تنفيذ القرارات المالية للسياسات والخطط، وتحدي صنع الخطط الإستراتيجيّة وتنفيذها، والتي يعاد النظر فيها عادةً أو في بعض بنودها؛ بسبب عدم اقتناع الوزير الجديد بها.

تكمن مشكلة الدراسة، من وجهة نظر أخرى، في غياب الإطار القانوني المنظِّم للعلاقة بين الوزير والطاقم الإداري العامل معه. وقد أدّى غياب مثل هذا الإطار القانوني الذي انبثق عن غياب المجلس التشريعي طوال فترة طويلة من الزمن، وانعدام دوره الرقابي، إلى طغيان "شخصية الوزير" وتحولها إلى الإطار المنظِّم لعمل الوزارة؛ الأمر الذي ينعكس سلبيًا على استدامة السياسات العامة. ومقارنةً بنماذج عالمية تتغيّر فيها الحكومات باستمرار من دون تأثّر عمل المستويات الإدارية فيها، كالنموذج الإيطالي مثلًا، فإن الفضل في استدامة السياسات العامة للوزارات يعود إلى وجود نظام، وإطار قانوني يحدِّد صلاحيات من يعملون في الوزارات كلِّهم، بمن فيهم الوزراء.

تهدف الدراسة إلى معرفة انعكاسات تغيُّر الحكومات أو الوجوه الوزارية، على العمل الإداري في الوزارات الفلسطينية، وانعكاسات ذلك على استدامة السياسات العامة من وجهة نظر الإدارة العليا في الوزارات (وكلاء الوزارات، ومساعدي الوكلاء، والمديرين العامّين للشؤون الإدارية والمالية). وتهدف تحديدًا إلى التعرف إلى انعكاسات تغيُّر الحكومات أو الوجوه الوزارية على العمل بروح الفريق - وخصوصًا في الإدارات العليا في الوزارات - والقرارات المالية التي يرتبط بها تنفيذ السياسات العامة، وتنفيذ الخطط الإستراتيجيّة، والتعاون المشترك بين الوزارات، لما في ذلك من تحقيقٍ لاستدامة للسياسات العامة.

يعدُّ موضوع الـدراسـة من الموضوعات القليلة في الأدبيات الفلسطينية التي تستهدف إشكالية استدامة السياسات العامة، كما يعدُّ موضوع التغيُّر المتكرّر للحكومات من الموضوعات البحثية الجديدة التي لم تُستهدف بالبحث المعمق من قبل. بناءً عليه، يُتوقع - من الناحية النظرية - أن تسدّ الدراسة فجوة بحثية مهمّة، تربط البعد السياسي لتأليف الحكومات وما يصاحبه من اعتبارات، بالبعد الإداري التنفيذي. أمّا من الناحية العملية، فيُتوقع من الدراسة أن تساعد المستويين؛ السياسي والتنفيذي في الحكومة الفلسطينية، على تصويب مسار العلاقة بينهما من خلال تسليط الضوء على نقاط الضعف والقوة في هذه العلاقة. ومن ناحية أخرى، يعدُّ هذا البحث جهدًا متواضعًا في مسار إصلاح الإدارة الفلسطينية العامّة؛ إذ يُتوقع أن يفتح الباب أمام الباحثين مستقبلًا لتناول موضوعاتٍ ذات علاقة، تصب في جهد الخطة الوطنية الشاملة لإصلاح أداء القطاع الفلسطيني العامّ، ويتوقع لنتائج الدراسة، تحديدًا، أن تكشف النقاب عن مشكلات بحثية مهمة، يمكن أن تكون هدفًا لأبحاث معمقة. وفي الحد الأدنى، يتوقع من الدراسة أن توسع فهم القارئ المتخصص حول العلاقة بين المستوى السياسي في الحكومات، والمستوى التنفيذي الإداري وانعكاسات هذه العلاقة على استدامة السياسات العامة.

تنطلق الدراسة من افتراض مفاده أن التغيير المتكرر للحكومات أو بعض الوجوه الوزارية فيها، ينعكس سلبيًا على العمل الإداري في الوزارات الفلسطينية، وفي الحصيلة، على استدامة السياسات العامة من حيث إنه:

- كلما كان تكرار التغيير في الوزراء عاليًا، عرقل العمل بروح الفريق داخل الإدارات العليا؛ وذلك بسبب التنقلات التي يجريها الوزير الجديد.
- كلما كان تكرار التغيير في الوزراء عاليًا، عرقل ذلك القرارات المالية التي يتوقف عليها تنفيذ السياسات العامة (الخطط الإستراتيجيّة والبرامج والمشاريع).
- كلما كان تكرار التغيير في الوزراء عاليًا، عرقل تنفيذ الخطط الإستراتيجيّة كلّها أو بعض بنودها؛ وذلك بسبب رغبة الوزير الجديد في فرض رؤية جديدة أو عدم اقتناعه بما هو موجود في الخطة الإستراتيجيّة للوزارة.
- كلما كان تكرار التغيير في الـوزراء عاليًا، عرقل التعاون بين الـوزارة المعنية والمؤسسات والـوزارات الشريكة في تنفيذ السياسات العامة، وخصوصًا الوزارات المحورية، مثل: وزارة المالية ووزارة الداخلية؛ الأمر الذي ينعكس سلبيًا على استدامة السياسات العامة.

تكرار تغيير الوزراء في الوزارات الفلسطينية

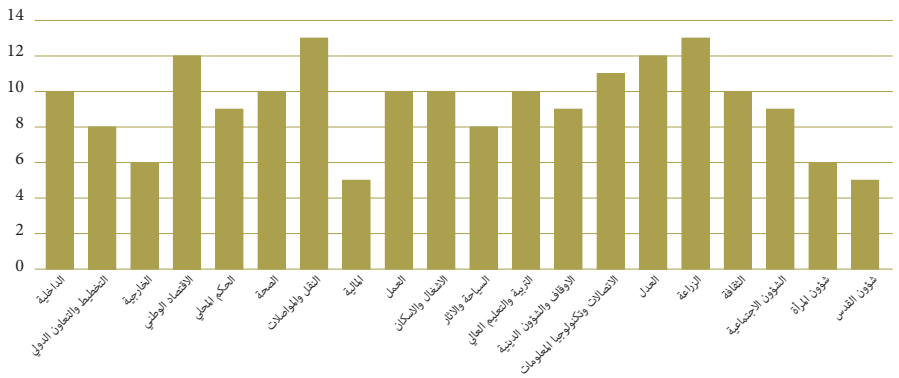

المصدر: "الحكومات الفلسطينية"، الموقع الرسمي لمجلس الوزراء الفلسطيني، شوهد في 2015/10/15، في:
/http://www.palestinecabinet.gov.ps/Website/AR

تنتمي هذه الدراسة إلى المنهج الكيفي؛ وذلك نظرًا إلى طبيعة الظاهرة المبحوثة (التغيُّر المتكرر للحكومات)، وطبيعة سؤال الدراسة (كيف يؤثر التغيُّر المتكرر للحكومات في استدامة السياسات العامة؟)، والذي لا يمكن الإجابة عنه إلا من خلال الغوص في أعماق تجارب الخبراء المعنيين من المستويين السياسي والإداري في الوزارات الفلسطينية، وقد اتبع الباحث أسلوب التحليل الكيفي لتجارب المستجيبين وآرائهم (الخبراء)، ومن ثَمَّ المقارنة بين هذه التجارب؛ من أجل استخلاص النتائج منها. كذلك، اتبع الباحث الأسلوب المقارن لمعرفة الفرق بين الوزارات المختلفة، من حيث تأثير تكرار تغيُّر الحكومات في استدامة السياسات العامة، فالمقارنة، هنا، لها أثر كبير في تعزيز صدقية البحث، وقدرة الباحث على تعميم النتائج. ينقسم البحث إلى فصلين اثنين؛ يناقش الأوّل تأثير الأبعاد السياسية لتأليف الحكومات في استدامة السياسات العامة من وجهة نظر المستوى السياسي. بينما يناقش الثاني وجهة نظر المستوى المهني في تغيير الحكومات وانعكاساته على قدرة الفريق المهني على صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها.

اعتمدت الدراسة على أداتين لجمع المعلومات: الدراسات السابقة والمعلومات والوثائق الموجودة في الوزارات المختلفة، والمقابلات المعمقة مع الخبراء من هذه الوزارات. تناولت الدراسة جميع الوزارات الفلسطينية التي تكرَّر تغيير الوجوه الوزارية فيها ثماني مرات فأكثر بوصفها مجتمعًا للدراسة. في المستوى الإداري المهني، قابل الباحث 34 شخصًا من المسؤولين المعنيّين في الإدارة العليا (وكيل وزارة، وكيل مساعد، مدير عامّ الشؤون الإدارية والمالية) أو من هم في مستوى الإدارة العليا من قادة المؤسسات الحكومية التابعة لوزارة ما. ويعتقد الباحث أن مقابلة هذه الفئة تصب في مصلحة الدراسة؛ بسبب تأثرهم المباشر بالتغيُّر المتكرر للحكومات الفلسطينية. واشترط الباحث لتعزيز صدق دراسته، أن يكون المقابَل من هذه الفئة قد عمل مع ثلاثة وزراء على الأقل. أما بشأن المستوى السياسي فقد اختار الباحث عيِّنة قصدية ممثّلة بخمسة أشخاص من الوزراء السابقين أو الحاليين، على أن يكون الشخص قد شغل منصب رئيس حكومة أو وزيرٍ، أكثر من ثلاث مرات.

مصطلحات الدراسة

تغيير الحكومات الفلسطينية: تغيير الحكومات الفلسطينية كاملًا، بما في ذلك رئيس الوزراء وتكوين حكومة جديدة، أو التعديلات الوزارية التي قد تذهب ببعض الوجوه وتأتي بوجوه جديدة. وهناك أيضًا وزارات احتفظت بالوجه نفسه، حتى بعد التغيُّر الكامل للحكومة.

السياسات العامة: عرف جيمس أندرسون السياسات العامة بأنها: مجموعة من الأنشطة الهادفة والثابتة نسبيًا، ينفذها لاعب أو مجموعة لاعبين في مجال الحكم؛ من أجل حل مشكلة أو مشكلات عامة. ويركز تعريف أندرسون في الفاعلين في مجال الحكم، ويقصد الحكومة ومؤسساتها ومن يساندها أو يعمل معها لتنفيذ برامجها، ويركز كذلك في الأنشطة المقصودة التي هي أنشطة هادفة goal oriented actions وليست عشوائية. كما يشير أندرسون في تعقيبه على التعريف إلى أن السياسات العامة هي ما يتم تنفيذه على أرض الواقع actually done، لا ما تنوي الحكومة فعله أو يفترض أن تفعله intended to be done[1]. ويعرّفها جون كنغدون بأنها: عملية إعداد

1 James Anderson, *Public Policy Making*, 5th ed. (USA: Houghton Mifflin Company, 2003), pp. 2 - 3.

الأجندة الحكومية (للحكومة ومؤسساتها) وتحديد البدائل، واختيار البديل أو البدائل الأفضل ثمّ تنفيذها أو تحويلها إلى برامج وأنشطة عملية، ويجمع تعريف كنغدون عمليتي صنع السياسات العامة وتنفيذها[2]. تركز هذه الدراسة، مستفيدة من التعريفات السابقة الذكر، في عمليتي صنع السياسات العامة وتنفيذها، ومسألة الثبات النسبي لأنشطة السياسات العامة وأهدافها. وقد تجنَّب الباحث استخدام مصطلح استقرار السياسات العامة أو السياسات العامة المستقرة؛ لتجنب إضفاء صفة الاستقرار (الثبات وعدم التطور) لعمليات السياسات العامة، في حين أنها عمليات ديناميكية معقدة، لكن ما يهمنا حال كوننا دارسين لموضوعها، كما يشير أندرسون، أنها تؤتي عوائدها المستقبليّة[3]، أو كما يسميها الباحث، آثارها المستدامة.

استدامة السياسات العامة: يقصد بها في هذه الدراسة قدرة الحكومة عمومًا والـوزارات منفردة خصوصًا، على صنع سياسات مستقرة وتنفيذها، بحيث لا تتأثر كثيرًا بالبيئة الخارجية، بما فيها الضغوطات السياسية المسببة للتغيير الحكومي؛ إذ يُفترض أنّ استدامة السياسات العامة تنعكس إيجابيًا على قدرة فريق الحكومة أو الوزارة على العمل بأريحية، وتقديم خدمة أفضل، وتقليل الصراعات، وترك أثرها، وإبقائها للأجيال القادمة. وفي هذا الصدد، يجادل فيليب كوبر في أن أحد أهم أسباب نجاح السياسات العامة هو الاستدامة. فالإخفاق، بحسب كوبر، في تحقيق سياسات مستدامة ماليًا وقانونيًا وإداريًا وسياسيًا وحتى أخلاقيًا يؤدي حتمًا إلى فشل هذه السياسات[4]. كما أشار جيمس سبولكا وروبرتا دارلن إلى أهمية الاستدامة وأثرها في إصلاح السياسات التعليمية في ولايتي ميرلاند ونيومكسيكو الأميركيّتين، وخلصت الدراسة إلى أن السياسات التعليمية في جامعات الولايتين ليست مستدامة[5].

تسييس الوظيفة الحكومية Public job politicization: إخضاع الوظيفة الحكومية للحسابات السياسية والاستقطاب السياسي، وخصوصًا انتماء الوزير إلى تيار سياسي معيّن (فتح أو حماس مثلًا) وشخصيته ورغبته في إحداث تغييرات في وزارته لأسباب غير مهنية، منها تغليب مصلحة التيار السياسي الخاصة، على المصلحة العامة التي يفترض أن الوظيفة الحكومية تسعى لتحقيقها، ومنها أيضًا إلغاء قرارات إدارية اتخذها الوزير السابق، وتعيين مقرَّبين منه في مناصب رفيعة لضمان الـولاءات السياسية، وإلغاء الخطط الإستراتيجيّة السابقة أو بعض بنودها أو عدم الرغبة في تنفيذها، لأسبابٍ غير مهنية. وعلى الرغم من وجود تسييس في الوظيفة العامة في رأي كثيرين[6]، فإنّ هناك نوعًا آخر من التسييس، وهو تغليب مصلحة الوزير على حساب مصلحة الوزارة، في التعيينات والقرارات الإدارية.

التنقلات الإدارية: يقصد بها في هذا البحث إعادة هندسة المناصب العليا في الوزارة بما يلائم رغبة الوزير الجديد، وليس لأسباب مهنية، وكذلك منح صلاحيات إضافية لبعض الموظّفين، بناء على رغبة الوزير الجديد، وحجب الصلاحيات عن آخرين لأسباب غير مهنية.

المؤسسات الشريكة: هي المؤسسات أو الوزارات التي تشترك مع الوزارة المعنية في تنفيذ سياسات عامة بينية، تتقاطع أهدافها مع هذه الـوزارات أو المؤسسات. مثلًا؛ تحتاج وزارة الحكم المحلي، لتنفيذ سياساتها، إلى العمل والتعاون مع وزارة المالية، والداخلية، والمحافظات، البلديات وغيرها من المؤسسات التي لا يمكن تنفيذ السياسات العامة إلا بالتعاون معها.

مراجعة نقدية للدراسات السابقة

يتناول هذا المبحث مراجعة نقدية للدراسات السابقة التي يتناول بعض منها الحكومات الفلسطينية المختلفة، مباشرة، خلال الحديث عن الإصلاح السياسي والإداري في السلطة الفلسطينية. جاءت هذه الدراسات في معظمها أوراقًا علميةً، عرضت في مؤتمرات حول الإصلاح، بينما تناول قليل من الباحثين موضوع الحكومات على نحو منفردٍ ومعمَّقٍ. وعمومًا، تعدُّ الدراسات التي تناولت الموضوعات التي من ضمنها موضوع الحكومات الفلسطينية، قليلة نسبيًا؛ إذ تأتي دراسة الباحث لتغطي جوانب جديدة لم تُبحث من قبل، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. ويمكن تقسيم الدراسات السابقة، من أجل تبسيط المراجعة النقدية لها، إلى قسمين: أوراق علمية نشرت في مؤتمرات حول إصلاح القطاع الفلسطيني العام، وكتب ومقالات تناولت جزئيات محددة حول الحكومات الفلسطينية. أمّا بخصوص الدراسات الإقليمية والعالمية حول الموضوع، فقد ارتأى الباحث أن يستفيد منها في الإطار النظري للدراسة؛ كونها تعبِّر عن أفكارٍ ومدارسَ في الحكم أكثر من كونها دراسات متخصصة. فالمدرسة الأميركيّة في تأليف الحكومات، تتميز بأن الحزب الحاكم يأتي بالسياسيين بوصفهم وزراء، ويأتي بقادة تنفيذيينٍ مهنيين للمناصب الإدارية العليا من الحزب نفسه، بينما يرحل هؤلاء (أي السياسيون والمهنيون من الفئة العليا) كلُّهم، إذا خسر الحزب الانتخابات التالية. أمّا المدرستان الفرنسية والإيطالية في تأليف الحكومات، فتتميزان، وخصوصًا المدرسة الإيطالية، بتغيُّرٍ متكرّرٍ للمستوى السياسي واستقرار يضمنه القانون في مناصب التنفيذيين

2 John W. Kingdon, *Agendas, Alternatives and Public Policies*, 2nd ed. (USA: Addison-Wesely Education Publishers Inc, 2003), p. 3.

3 Anderson, p. 143.

4 Phillip Cooper & Claudia Maria Vargas, *Implementing Sustainable Development: From Global Policy to Local Action* (USA: Rowman & Littlefied Publishing Group, Inc., 2004), pp. 13 - 14.

5 James Cibolka & Robarta Derlin, "Accountability Policy Adaption to Policy Sustainability: Reforms and Systematic Initiatives in Colorado and Maryland," *Education and Urban Society*, vol. 30, no 4 (1998).

6 علي الجرباوي، مقابلة شخصية، رام الله، 2015/4/23؛ سلام فياض، مقابلة شخصية، رام الله، 2015/4/20.

المهنيين. وعلى الرغم من تغيُّر الحكومات في النموذجين كليهما، فإن السياسات العامة تتسم بالاستدامة؛ الأمر الذي يترك انعكاسات إيجابية على نوعية الخدمة العامة التي يتلقاها مواطنو البُلدان المذكورة.

1. الأوراق العلمية المنشورة في المؤتمرات والتقارير الصادرة عن مؤسسات متخصصة

ركز هذا النوع من التقارير والأوراق العلمية في موضوع واحد[7]، هو موضوع الإصلاح السياسي والإداري لمؤسسات السلطة الفلسطينية. وتناولت معظم الأوراق والمداخلات التي تضمنتها هذه المنشورات قضايا هي أساسًا عناوين واهتمامات لمؤتمرات نظمتها المؤسسات الراعية لها. فعلى سبيل المثال، تناول نبيل قسيس[8] الموضوع السياسي (الانقسام والانفصال الجغرافي) سببًا من أسباب الترهل الإداري لمؤسسات السلطة الفلسطينية. وشخَّص التشوهات التي شابت الهياكل الإدارية لمؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية عند تكوّنها بعد أوسلو، كما ركز في أهمية "نظام اللامركزية الديمقراطية" الذي اقترحه المؤلف؛ للانتقال بالسلطة الفلسطينية من الوضع الراهن إلى وضع الدولة، إذ تؤدّي الحكومة "الرشيقة" ومؤسساتها دورًا "مهمًّا ومحدودًا ومسؤولًا" في الحكم الرشيد، إلا أن المؤلف أكد في خلاصة ورقته أن الحكومة "الرشيقة" المكونة من كفاءات مشهود لها بالنزاهة والمهنية، لا يمكن أن تحقِّق رؤيتها في الحكم من دون دعم القيادة السياسية، حتى تتمكن من العمل على نحو مستقرٍّ. وقد مثَّلت خلاصة المؤلف أساسًا لمشكلة الدراسة؛ إذ كيف لحكومة/حكومات جاءت نتيجة لتجاذبات وصراعات سياسية وتسويات داخلية وضغوطات خارجية، والأهم من ذلك أنها (أي الحكومات) لم يكمل أي منها سنةً في الحكم (18 حكومة منذ تأسيس السلطة الفلسطينية حتى الآن)، أن تتمكن من الاستجابة لرؤية تتطلب بالضرورة أجواءً مستقرة حتى تتمكن من إحداث التغيير والإصلاح المنشود من خلال سياسات مستدامة.

تناول تقرير الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق الإنسان (1999) الذي أعده الباحث عزيز كايد موضوع "تداخل الصلاحيات في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية". وهدف التقرير إلى الكشف عن مواطن الخلل في البنية الإدارية والتنظيمية لمؤسسات السلطة وممارساتها، وقدم معدّ التقرير توصيفًا سريعًا لإشكالية تداخل الصلاحيات بين الأجهزة التنفيذية للسلطة، وتداخل الصلاحيات بين السلطات الثلاث، ومشكلة التضخم الوظيفي ومشكلة الترهل الإداري الناتج منها. إلا أن التقرير لم يتناول أساس هذه المشكلات كغياب الإطار القانوني الواضح الذي ينظم العلاقة بين مؤسسات الحكم والسلطات الثلاث. كما أن التقرير لم يتعرض لجذور المشكلات التي وصفها، أي الموضوع السياسي أو كما يسميها الباحث "تسييس الوظيفة العامة".

تناول تقرير مؤسسة أمان حول مؤتمرها السنوي الثالث (2007) موضوع "صراع الصلاحيات وغياب المسؤوليات في السلطة الوطنية الفلسطينية"، وركَّز المتحدثون في أوراقهم ومداخلاتهم، في موضوع النظام السياسي الفلسطيني "المختلط - رئاسي برلماني" الذي يرأس فيه شخص واحد منصبَي: رئيس السلطة، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، كما يسوده الصراع على الصلاحيات بين السلطة بمؤسساتها والمنظمة بمؤسساتها الموازية. ولم يقدِّم التقرير حلولًا عمليةً لمشكلة صراع الصلاحيات في مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، بقدر ما وصف هذه المشكلة وشخَّصها[9].

لخص تقرير للباحث عزيز كايد خلاصة وقائع ورشة عمل نظمها مركز البراق للبحوث والثقافة بعنوان: "خارطة حكومة أول رئاسة وزراء فلسطينية"[10]. وقد ركزت معظم الأوراق التي تضمنتها ورشة العمل في موضوع الصراع السياسي الذي دار حول مسألة استحداث منصب رئيس وزراء في السلطة الفلسطينية (الذي شغله لأول مرة محمود عباس). خلص التقرير إلى أن منصب رئيس الوزراء الفلسطيني استحدث لأسباب سياسية وأمنية، هدفت أساسًا إلى سحب الصلاحيات من الرئيس عرفات الذي فقد آنذاك ثقة الأميركيّين والإسرائيليين بوصفه شريكًا للسلام، وليس استجابة لمتطلبات الإصلاح الداخلي كما ادّعى المدافعون عن موضوع الإصلاح على الرغم من ضرورته. وعلى الرغم من تخصص التقرير في معالجة إشكاليات خريطة حكومة أول رئيس وزراء، من دون التطرق إلى حكومات أخرى، فإنّ الدراسة ستستفيد من التقرير بوصفه حالة (دليلًا) داعمة لفرضية الانعكاس السلبي لتسييس الوظيفة العامة على استدامة السياسات الحكومية، وتحديدًا في موضوع الضغوطات السياسية الداخلية والخارجية التي تصاحب تكوين الحكومات، كما سيأتي بيان ذلك.

2. الكتب والمقالات العلمية

تتميز هذه المجموعة من الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة بتخصصها أكثر من سابقتها، تعكس وجهة نظر باحث واحد، وليست تقارير تعكس أكثر من وجهة نظر، فالتنوع في المجموعة الأولى مفيد؛ لأنه يعطي الباحث وجهات نظر مختلفة وإن كانت غير معمقة،

7 انظر على سبيل المثال: نبيل قسيس، "ملاحظات ختامية"، في: **أوراق مؤتمر أمان السنوي الثالث** (رام الله: منشورات مؤسسة أمان، 2007)؛ "التقرير السنوي: حول تداخل الصلاحيات في مؤسسات السلطة الفلسطينية"، الهيئة العامة المستقلة لحقوق الإنسان (رام الله: بدون دار نشر، 1999)؛ باسم الزبيدي وآخرون، **حول الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه** (بيرزيت: معهد أبو لغد للدراسات الدولية، 2005).

8 نبيل قسيس، "بناء الهيكلية المناسبة والفاعلة للسلطة الوطنية الفلسطينية بالرغم من الانفصال الجغرافي"، **وحدة الاقتصاد الفلسطيني رافعة رئيسية لإنهاء الاحتلال** (القدس: منشورات معهد ماس، 2011).

9 انظر على سبيل المثال: مداخلة علي الجرباوي، في: **أوراق مؤتمر أمان**، ص 11-13

10 عزيز كايد، "خارطة حكومة أول رئاسة وزراء فلسطينية"، **الهيئة العامة المستقلة لحقوق المواطن** (رام الله: مركز البراق للبحوث والثقافة، 2003).

أمّا التخصص في المجموعة الثانية فيعطي الباحث نظرة معمَّقة حول القضايا التي تحيط بالبحث. فعلى سبيل المثال، قدم محمود دوديـن[11] دراسة مفصّلة حول أداء الحكومة العاشرة (حكومة حماس) التي تألَّفت لأول مرة نتيجة لانتخابات سادها التنافس بين حركتين كبيرين في العمل السياسي الفلسطيني؛ حركتي حماس وفتح. وقام الباحث دودين بمراجعة نقدية لأداء الحكومة العاشرة من خلال النظر في مدى انسجامها مع ما جاء في برنامجها الانتخابي وبيانها الوزاري، وسلط الباحث الضوء على فكرة الإدارة الرشيدة في الحكم الذي ورد في برنامج قائمة الإصلاح والتغيير، بينما افتقر أداء الحكومة، واقعيًّا، إلى الخطط والسياسات التي تترجم رؤيتها على أرض الواقع. وعلى الرغم من تخصص دراسة دودين في الحكومة العاشرة فقط، فإنّ الدراسة ستستفيد منها؛ لكون الحكومة العاشرة هي الوحيدة التي تكوَّنت على أساس نتيجة انتخابات أتت بالمعارضة (حركة حماس) إلى سدة الحكم، فقد تضمّن تكوين الحكومة وجوهًا كلُّها جديدة، حاولت فرض أجندة حكم جديدة لم يُكتب لها النجاح.

وفي السياق السابق نفسه، قدم الباحث سليمان فهد[12] في كتابه **قراءة في الحكومات الفلسطينية من إقامة السلطة إلى انتخابات التشريعي الثاني** مراجعة نقدية لظروف تكوين الحكومات وحيثياتها، منذ تأسيس السلطة حتى انتخاب المجلس التشريعي الثاني، وركز الباحث في الأبعاد السياسية والأمنية التي أحاطت بتأليف الحكومات التي جاءت على حساب البعد المهني السياساتي الذي ستركز فيه الدراسة. فضلًا عن ذلك، تتناول الدراسة حدودًا أوسع من الدراسات السابقة فتدخل حكومات ليست محسوبة على الحزب الحاكم، إن جاز الوصف، من خلال النظر إلى الحكومات التي جاءت بعد 2006 كانت برئاسة شخصيتين مستقلتين (لا من فتح ولا من حماس)، والمقصود الحكومات التي شكلها سلام فياض ورامي الحمد الله.

القيمة المضافة إلى دراسة الباحث

تتميز هذه الدراسة بالشمولية؛ إذ تتناول تغيُّر الحكومات منذ تأليف أول حكومة فلسطينية حتى آخر حكومة (حكومة الوفاق برئاسة رامي الحمد الله). من ناحية ثانية، تتناول الدراسة متغيِّرات لم تُطرح سابقًا (في حدود علم الباحث)، هما: تغيير الحكومات (الوجوه الوزارية) وانعكاساته على المتغيِّر الثاني، وهو استدامة السياسات العامة، كما تم تعريفها في مبحث مصطلحات الدراسة. أمّا من حيث المنهجية، فتتميز هذه الدراسة بأنها بحث ميداني يعتمد على آراء سياسيين ومهنيين مارسوا الحكم (رؤساء حكومات، ووزراء سابقين، ووكلاء وزارات، ووكلاء مساعدين، ومديرين عامّين، ورؤساء مؤسسات حكومية، وخبراء في الحالة الحكومية الفلسطينية) وهؤلاء كلّهم، لهم خبرات وتجارب لا يمكن إغفال أهميتها، بل من الصعب إنجاز دراسة في هذا الشأن من دون الرجوع إليها.

عملية تأليف عمل الحكومات والوزراء وإنهائها

لعله من المفيد البدء بمناقشة قضايا مهمّة حول طبيعة النظام السياسي الفلسطيني، كالبعدين القانوني والسياسي لتأليف الحكومات الفلسطينية قبل البدء بالحديث عن البعد الإداري، لانعكاس تغيُّر الحكومات على استدامة السياسات العامة. فالبعدان القانوني والسياسي مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالموضوع الإداري ويساعدان على فهم العلاقة المفترضة بين التغيُّر المتكرر للحكومات واستدامة السياسات العامة، ويناقش هذا المبحث آلية تأليف الحكومات الفلسطينية، والاستحقاقات القانونية المتعلقة بالقانون الأساسي الفلسطيني في تأليف الحكومات، والتقاليد السياسة المتبعة في تشكيلها والضغوط السياسية التي تمارس داخليًا وخارجيًا عند تأليفها.

1. المحددات القانونية

ينص القانون الأساسي الفلسطيني في الباب الثالث، المادة (45)، على أن "يختار رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية رئيس الوزراء ويكلفه بتأليف حكومته". تاريخيًا، خضع هذا الاستحقاق، غالبًا، للاعتبارات السياسية، ويستثنى من ذلك تكليف الرئيس محمود عباس لإسماعيل هنية (وهو من غير الحزب الحاكم أو التيارات السياسية المحسوبة على منظمة التحرير) بتأليف الحكومة العاشرة بعد فوز حركة حماس في الانتخابات، وسنأتي على استحقاق التقاليد السياسية والضغوط السياسية في بند لاحق.

وبحسب المادة (65) من القانون الأساسي، يتولى رئيس الوزراء المكلف من طرف رئيس السلطة الوطنية تأليف حكومته خلال ثلاثة أسابيع من تاريخ اختياره، وله الحق في مهلة أخرى أقصاها أسبوعان فقط، وإذا أخفق في تأليف حكومته خلال الموعد المذكور، أو لم يحصل على ثقة المجلس التشريعي، وجب على رئيس السلطة الوطنية استبدال آخر به خلال أسبوعين من تاريخ إخفاقه أو تاريخ انعقاد جلسة الثقة[13]، إلا أن الحكومات الفلسطينية، منذ انعقاد جلسة الثقة التي نالت من خلالها الحكومة الفلسطينية العاشرة برئاسة

11 محمود دودين وموسى عيسى، **الأداء الإداري للحكومة الفلسطينية العاشرة** (رام الله: معهد السياسات العامة، 2007)، ص 6 - 16.

12 سليمان فهد، **قراءة في الحكومات الفلسطينية: من إقامة السلطة إلى انتخابات التشريعي الثاني** (رام الله: د.ن.، 2006)، ص 4-15.

13 انظر: القانون الأساسي الفلسطيني المعدل، (2005)، الباب الثالث، المادة 45، ص 12؛ الباب الخامس، المادة 65، ص 17.

إسماعيل هنية ثقة المجلس التشريعي، لم تعرض على المجلس لنيل الثقة؛ بسبب غياب المجلس التشريعي؛ الأمر الذي أدى إلى اطمئنان القوى المختلفة (رئيس السلطة، رئيس الوزراء، الأحزاب والحركات وكذلك الوزراء) إلى عدم إمكانية حدوث حجب ثقة عن الحكومة أو عن بعض وزرائها. فجلسة الثقة تعني على الأقل؛ أن المجلس سيقرأ البيان الوزاري لرئيس الحكومة والوزراء ويستمع له ويناقشه، وفي الحصيلة، يصوت على الثقة بالحكومة والوزراء أو حجبها.

والسؤال المطروح في هذا الصدد: هل تكفي ثقة رئيس السلطة الفلسطينية وحدها لتأليف حكومة قادرة على صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها؟ ثم إن رئيس السلطة أصلًا يضع ثقته برئيس الوزراء (باختياره) وليس بالوزراء؛ وهو ما يزيد من إمكانية اطمئنان الوزراء (بالمعنى السلبي) لعدم وجود طرف ثالث محايد (وفي هذه الحالة يفترض أن يكون المجلس التشريعي) يحاسب أداءهم ويراقبه، أو حتى ينظر في إمكانية وجود برنامج حكومي لهم أصلًا. وبناءً عليه تبقى أمور صوغ السياسات العامة وتنفيذها خاضعة لاجتهادات الحكومة برئيسها ووزرائها، فبحسب المادة (71) يختص كل وزير في إطار وزارته خصوصًا بما يلي:

1. اقتراح السياسة العامة لوزارته والإشراف على تنفيذها بعد إقرارها.
2. الإشراف على سير العمل في وزارته وإصدار التعليمات اللازمة لذلك.
3. تنفيذ الموازنة العامة ضمن الاعتمادات المقررة.
4. إعداد مشاريع القوانين الخاصة بوزارته وتقديمها لمجلس الوزراء.
5. يجوز للوزير تفويض بعض سلطاته إلى وكيل الوزارة أو غيره من موظفي الإدارة العليا في وزارته وفي حدود القانون.

وربما يعدُّ الاختصاص الأول (اقتراح السياسة العامة للوزارة والإشراف على تنفيذها) الأهم من بين الاختصاصات الخمسة التي يحددها القانون الأساسي للوزير؛ لأن الاختصاصات الأربعة الأخرى تعتمد عليه سواءٌ أكان ذلك من خلال الإشراف على سير تنفيذها أم استخدام الموازنة اللازمة للتنفيذ أم إعداد مشاريع قوانين تساعد في العملية (صوغ السياسات وتنفيذها)، أو حتى تفويض الصلاحيات إلى الآخرين عند الضرورة. والسؤال المطروح من خلال النظر إلى إشكالية الاستدامة بوصفها ضرورة لأي سياسة عامة، هو: كيف يتم إقرار السياسات في كل وزارة؟ وما المرجعية التي على أساسها تُقترح السياسات؟ أهي البيان الوزاري المصدّق (بالثقة) من المجلس التشريعي إن وجدت؟ أم هي ثقة رئيس السلطة؟ وفي الحالة الثانية: أهذا من صلاحيات رئيس السلطة واختصاصاته؟ أم أن الأمر متروك لاجتهادات الوزير في وزارته وقدرته على إقناع رئيس الحكومة بوجهة نظره، والتي ستمثِّل، في هذه الحالة، السياسات العامة للوزارة؟ سنحاول، من دون شك، الإجابة عن هذه التساؤلات، إلا أنه يمكن الاستنتاج مبدئيًا؛ أن غياب المجلس التشريعي صاحب الصلاحية المتمثلة بوضع القوانين والتشريعات وتعديلها، بما فيها القانون الأساسي والتصويت للثقة بالحكومة ومساءلة الوزراء ومحاسبتهم، أثّر سلبيًا في التزام الحكومات المتعاقبة والمتغيِّرة بوتيرة عالية (أقل من سنة لكل حكومة) بوضع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها. وسنرى لاحقًا إنْ كان هذا الاستنتاج المبكر المبني على المراجعة القانونية والتشريعية سيلقى دليلًا داعمًا في نقاش الجدلية السياسة التي تصاحب تأليف الحكومات.

2. المحددات السياسية

على الرغم ممّا يقال عن ديمقراطية الاختيار الفلسطيني، سواءٌ أكانت في اختيار رئيس الوزراء أم الوزراء، وضرورة توافق هذا الاختيار مع الأجواء السياسية الفلسطينية العامة (كنتائج الانتخابات مثلًا)، فإن إشكالية الضغوط الخارجية مهيمنة على خيار رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية في اختيار رئيس الوزراء، واختيار رئيس الوزراء للوزراء، وتحديدًا، الوزارات ذات العلاقة بالحالات الأمنية. ويتمثل الضغط الخارجي بالثنائي الأميركيّ الإسرائيلي، وأحيانًا يظهر الضغط الأوروبي، ممثلًا بتقديم الأموال المشروطة للحكومة الفلسطينية لدفع مستحقاتها وتنفيذ مشاريعها.

إن استحداث منصب رئيس الوزراء في 2003 كان تغييرًا مفصليًا في بنية النظام السياسي الفلسطيني، فقد ذهب بعضهم إلى تسمية هذه المرحلة بـ "العهد الثاني للسلطة الوطنية الفلسطينية"[14]. وعلى الرغم من الضغوط الدولية التي طالبت بالإصلاح بسبب الفساد وضعف الأداء الذي صبغ عمل الحكومة الثانية، واضطرار الرئيس عرفات، في ذلك الحين، إلى إقالتها وتأليف حكومة جديدة في 9 حزيران/ يونيو 2002، فإن هذه الحكومة لم تكن أحسن أداءً من سابقتها، فاستقالت في 11 أيلول/ سبتمبر 2002؛ تفاديًا لحجب الثقة عنها في المجلس التشريعي. بعد ذلك، أعلن الرئيس عرفات عن تأليف حكومة جديدة في 29 تشرين الأول/ أكتوبر 2002. لكنها لم تستمر أكثر من ستة أشهر بسبب الضغوط الخارجية (الأميركيّة والإسرائيلية تحديدًا) لاستحداث منصب رئيس الوزراء.

يجادل كثير من المهتمين بالنظام السياسي الفلسطيني في أن بداية الضغط العلني الأميركي - الإسرائيلي جاءت بعد أن أيقن الطرفان عدم إمكان الاستفادة من الرئيس ياسر عرفات لتحقيق المآرب الإسرائيلية،

14 كايد، ص 9.

وعدم عَدِّه "شريكًا للسلام". وتحديدًا، تُرجم الموقف الأميركيّ من خلال الإعلان في 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 2004، عن خريطة الطريق التي تضمنت ضرورة التزام الجانب الفلسطيني استحداث منصب رئيس وزراء يمتلك صلاحيات واسعة، ويكون قادرًا على التعامل مع السياسة الأميركيّة والإسرائيلية بـ "إيجابية ومرونة واعتدال"[15].

وعلى الرغم من رفض الجانب الفلسطيني للضغوط الأميركيّة - الإسرائيلية ومبدأ "التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية الفلسطينية" في مسألة استحداث منصب رئيس الوزراء، فإنّ الضغط الميداني على الرئيس الفلسطيني من خلال التضييق والحصار، والإهمال المتعمد للحالة الفلسطينية من طرف السياسة الخارجية والأميركيّة، أجبر الرئيس ياسر عرفات على الإعلان، فجأةً، في 29 نيسان/ أبريل 2003 عن موافقته على تعيين رئيس للوزراء، كوَّن محمود عباس، بعدها، حكومة فكان أول رئيس للوزراء.

من ناحية أخرى، ظهر تأثير الضغط الإسرائيلي ومن ورائه الضغط الأميركيّ في النواحي الأمنية في تأليف الحكومة، فقد تمّ استحداث وزارة الداخلية إلى جانب وزارة الأمن الداخلي، وتم إلحاق الأجهزة الأمنية بها، في محاولة، على ما يبدو، لتجاوز صلاحيات وزارة الأمن الداخلي التي كانت تخضع لنفوذ الرئيس عرفات. والجدير بالذكر أن حكومة محمود عباس شهدت مخاضًا عسيرًا، قبل ولادتها، مع رئاسة السلطة الفلسطينية (بقيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات)، على الرغم من انتماء الطرفين إلى حركة فتح. كان ذلك - كما تم ذكره - من أجل سحب الصلاحيات من الرئيس عرفات. ولم يتم التوافق بين الرئاسة ورئاسة الوزراء على تشكيلة الحقائب والأسماء، إلا بعد وساطة مدير المخابرات المصرية عمر سليمان، وبإيحاء أميركي - إسرائيلي للتدخل[16]. ومن خلال عملية مقارنة، فإنّ حقبة الرئيس محمود عباس اختلفت عن حقبة الرئيس ياسر عرفات، ويشير سلام فياض رئيس الوزراء الأسبق (عاصر الرئيسين كليهما) إلى أن التوافق بين رئاسة السلطة ورئاسة الوزراء كان سمة المرحلة التي شغل فيها منصب رئيس الوزراء؛ فرئيس الوزراء، بحسب فياض، "له حق الاختيار بينما رئيس السلطة له حق الاعتراض". وفي الحصيلة؛ حكومة توافقية ممثِلة للأطياف والأبعاد كلِّها التي ترغب في المشاركة، وتنال رضًا عامًّا[17] من الأطراف الخارجية والداخلية الفاعلة على الساحة الفلسطينية كافّة.

15 المرجع نفسه، ص 15.

16 المرجع نفسه، ص 16.

17 أشار بعض المقابَلين إلى وجود ضغوطات خارجية تمارس بخصوص وزارتي الداخلية والخارجية، إلا أن سلام فياض رئيس الوزراء الأسبق، رفض ما يقال حول وجود ضغوطات من أي طرف كان، لكنه أكد مبدأ التوافق الذي يعني ضمنيًّا اختيار شخصيات مقبولة لدى مؤسسة الرئاسة (إن لم تكن مرشحة من طرفها) ومؤسسات منظمة التحرير وهي كذلك مقبولة دوليًّا.

يُلْقي الضغط الخارجي بظلاله على الوضع الفلسطيني الداخلي؛ فهناك الصراع على البرامج السياسية، المتضاربة، بل المتناقضة أحيانًا للفصائل الفلسطينية التي تتألف منها الحكومات الفلسطينية، وتحديدًا الصراع بين برنامجي حماس وبعض فصائل منظمة التحرير المعارضة (التي ترى في المقاومة طريقًا لحل الصراع مع إسرائيل) وفتح (التي ترى في المفاوضات طريقًا لحل الصراع)، وهذا موضوع معروف ولا حاجة إلى ذكر تفاصيله. وهناك أيضًا الصراع على الصلاحيات بين مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بالوزارات ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك الصراع على الصلاحيات بين أقطاب الحكم الثلاثة؛ الرئاسة والحكومة والمجلس التشريعي. ومن الأمثلة على انعكاس الضغط الخارجي على الوضع الفلسطيني الداخلي، وخصوصًا تأليف الحكومات؛ وجود سلام فياض على رأس وزارة المالية منذ الحكومة الرابعة حتى الحكومة الثالثة عشرة (باستثناء الحكومة العاشرة حكومة حركة حماس)، فضلًا عن شغله منصب رئيس الوزراء في كثير من الحكومات. عكس وجود سلام فياض، وهو من خارج الحزب الحاكم، على رأس وزارة المالية طوال فترة طويلة، رغبة الطرفين الأميركي والإسرائيلي في وجود إدارة "شفافة" لأموال السلطة الوطنية، وخصوصًا الأموال التي تأتي من المانحين لضمان عدم تمويل أنشطة لا يرغب الطرفان الأميركيّ والإسرائيلي فيها[18].

لم يُخْفِ الرئيس ياسر عرفات، منذ البداية، رغبته في الهيمنة على مسألة تأليف الحكومات الفلسطينية بعد أن انتزع منه قرار الموافقة على استحداث منصب رئيس الوزراء، كما ذكرنا سابقًا، فقد تقدم الرئيس عرفات حينئذ بمقترح للمجلس التشريعي لتعديل القانون الأساسي ليتيح لرئيس السلطة الوطنية التدخل في تأليف الحكومة، من خلال إلزام رئيس الحكومة بعرض حكومته على رئيس السلطة أو التشاور معه حولها، وقد رفض المجلس التشريعي هذا المقترح[19]. ومن خلال العودة إلى مبدأ التوافق الذي تحدث عنه سلام فياض وأكّده المقابَلون من المستوى السياسي كافّة، فإن حقبة الرئيس محمود عباس تتسم كذلك، بتدخل الرئيس، باسم التوافق، في تأليف الحكومات منذ تسمية رئيس الوزراء وتكليفه بتأليف الحكومة، وخصوصًا في ظل غياب دور المجلس التشريعي الذي من المفترض أن ينظر من خلال جلسة الثقة في أهلية الحكومة والوزراء (من خلال منح الثقة).

من ناحية أخرى، يخضع تأليف الحكومات الفلسطينية لضغط كبير من مراكز القوى الفلسطينية المختلفة، مثل: فصائل منظمة التحرير ومؤسساتها، ومراكز القوى داخل حركة فتح، بما فيها اللجنة المركزية للحركة، والمجلس الثوري، ومؤسسة الرئاسة، وقادة الأجهزة

18 المرجع نفسه، ص 17.

19 فهد، ص 25.

الأمنية المختلفة. وفي هذا الصدد، يشير علي الجرباوي[20] إلى تحوُّل النظام السياسي الفلسطيني إلى "نظام المغنَم"؛ إذ يصبح النظام السياسي مغنمًا للفصيل أو الفصائل، الأمر الذي يؤدي إلى وجود نظام محاصصة في تأليف الحكومات الفلسطينية[21]. وهنا لا بد من التفريق بين نظام المغنم الذي يطرحه الجرباوي والتحالفات التي يضطر رئيس الوزراء في دول ديمقراطية كثيرة إلى عقدها مع أحزاب سياسية، موجودة في البرلمان ولها برامج سياسية، لضمان حكومة مستقرة، ويتطلّب هذا الأمر إرضاء هذه الأحزاب بحقائب وزارية ترغب في الحصول عليها. والمشكلة في نظام المغنم الذي ينتج منه نظام المحاصصة، أنه يرضي الأحزاب والحركات السياسية بحقائب وزارية أو مناصب عليا، من دون وجود برامج سياسية يمكن تحويلها إلى برامج سياساتية مستدامة، ولعل الدليل على ذلك التغيُّر المتكرر للحكومات الفلسطينية بمعدل حكومة لكل سنة تقريبًا. وسنأتي على تفاصيل ماهية الحكومة المستدامة.

3. ماهية الحكومة المستدامة

لا بد من التأكيد أن مصطلح "الاستدامة" (سياسات مستدامة، برامج وخطط مستدامة ... إلخ) لا يعني بأي حال عدم التغيير مطلقًا، فالسياسات العامة تتغيّر بحسب الظروف لخدمة المصلحة العامّة. ويقصد بالاستدامة، في هذا المحتوى، الاستقرار الكافي في الحكومة بما يضمن قدرتها على العمل والتخطيط وصنع سياسات عامة، تخدم المصلحة العامّة للأجيال الحالية وتنفذها، من دون الإضرار بفرص الأجيال المقبلة[22]. وفي هذا السياق أيضًا يمكن المجادلة في أن الحكومة المستدامة هي الحكومة القادرة على ترك بصماتها الإيجابية في الخدمة العامة ومن ثم التوريث والتراكم لإنجازات يمكن البناء عليها من طرف الحكومات التي تليها. وبالمفهوم العكسي، فإن الحكومة غير المستدامة هي الحكومة التي تتغير كليًّا أو تُعدَّل وزاريًا، بسبب الضغط السياسي الداخلي والخارجي وغير المبني على المصلحة العامة. ويزداد انعكاس تغيير الحكومة سلبيًا على استدامة السياسات العامة إذا كان هذا التغيير متكررًا، كما هي الحال في الوضع الفلسطيني؛ إذ إنَّ هذا التغيير المتكرر يخلق نوعًا من عدم الاستقرار والانسجام مع الجانب التنفيذي المهني في مؤسسات الدولة.

20 الجرباوي، مقابلة شخصية.

21 علي الجرباوي، "إشكالية الفصل بين السلطات في السلطة الوطنية الفلسطينية"، في: **أوراق مؤتمر أمان**، ص 17.

22 هـذا التعريف مشتق من تعريف لجنة برنتلاند المعروفة رسميًا بـ World Commission on Environment and Development 1983، والتي عرفت مصطلح "التنمية المستدامة" بأنه "التنمية التي تضمن تحقيق حاجات الجيل الحالي دون الأضرار بفرص الأجيال القادمة لتحقيق حاجاتهم". انظر:
Cooper & Vargas, *Implementing sustainable Development: from Global to Local Action*, p. 3.

4. ماهية النظام السياسي الفلسطيني وانعكاسه على النظام الإداري

تشير المادة (5) من القانون الأساسي الفلسطيني إلى أن "نظام الحكم في فلسطين نظام ديمقراطي نيابي يعتمد على التعددية السياسية والحزبية، وينتخب فيه رئيس السلطة الوطنية انتخابًا مباشرًا من طرف الشعب، وتكون الحكومة مسؤولة أمام الرئيس والمجلس التشريعي الفلسطيني". إلا أن النظام السياسي الفلسطيني منذ قيام السلطة الوطنية الفلسطينية حتى الآن يتصف بعدم الوضوح وعدم الاستقرار. ونناقش في ما يلي الطريقة التي أُلِّف بها النظام السياسي الفلسطيني ومدى صحة بعض الجدليات التي تدور حوله انعكاساتها على السياسات العامة.

5. ولادة النظام السياسي الفلسطيني وتطوُّره

تأثر النظام السياسي الفلسطيني بعملية الانتقال (غير المكتملة) من مرحلة الثورة الي مرحلة الدولة، وهنا يبرز عدم الوضوح في رؤية النظام السياسي، إن جاز الوصف، فهل هو في مرحلة تحرر (ثورة)؟ أم هل هو في مرحلة بناء (دولة)؟ انعكس هذا التخبط وعدم الوضوح في الرؤية على النظام الإداري الذي يُفترض أنه الأداة التنفيذية للنظام السياسي؛ إذ إن متطلبات التحرر تختلف عن متطلبات البناء.

وفي هذا الصدد يشير الجرباوي[23] إلى أن النظام السياسي الفلسطيني لم ينشأ بغاية أو بقصد أو بتخطيط مسبق، بل جاء وسيلة لتحقيق غاية التسوية السياسية كما أرادها الاحتلال الإسرائيلي والجانب الأميركيّ الراعي لعملية السلام، والدليل على ذلك، بحسب الجرباوي، أنّه في بداية عملية التسوية اعترفت الأطراف الخارجية وخصوصًا المهتمة بعملية السلام، بأن النظام السياسي الفلسطيني نظامٌ رئاسيٌّ بصلاحيّات واسعة للرئيس عرفات؛ لكي يتمكن من تمرير عملية التسوية كما أرادها الطرفان الإسرائيلي والأميركيّ، فلما رفض الرئيس عرفات توقيع تنازلات الحل النهائي، تم سحب الصلاحيات التنفيذية منه ومنحها منصب رئيس الوزراء الذي استُحدث، وترأَّسه محمود عباس، ثم عاد نمط النظام السياسي ومضمونه إلى التغيُّر، فقد عاد التركيز في الصلاحيات الممنوحة لمنصب رئيس السلطة بعد أن انتخب محمود عباس رئيسًا، وتم تحديد صلاحيات رئيس الوزراء، كما زاد من تركيز الصلاحيات بيد رئيس السلطة، غياب المجلس التشريعي أو تغييبه، كما ذكرنا سابقًا. ومن جهة أخرى، يجادل نعيم أبو الحمص[24] في أن النظام السياسي الفلسطيني جاء نسخًا عن النظامين السياسيّين المجاورين (مصر والأردن)، بسبب غياب التجربة الفلسطينية العميقة في ممارسة الحكم التي فرضها وجود الاحتلال الإسرائيلي.

23 الجرباوي، مقابلة شخصية.

24 نعيم أبو الحمص، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/7/10.

وبالعودة إلى الموضوع الأساسي للدراسة، وهو تأليف الحكومات وانعكاسه على السياسات العامة، فإن "النموذج التوافقي" الذي تحدَّث عنه سلام فيّاض وأكّده باقي المشاركين في عينة الدراسة[25] لتأليف الحكومات، سواءٌ أكانت هذه الحكومات سياسية أم تكنوقراط، لا يضمن وجود برنامج سياسي يعكس سياسات عامة مستدامة. فقد سعت هذه الحكومات غالبًا للتوافق مع البرنامج السياسي لرئيس السلطة (الرئيس عرفات والرئيس عباس) باستثناء الحكومة العاشرة التي انبثقت عن فوز حركة حماس في الانتخابات، ولم تدم هذه الحكومة طويلًا بسبب تصادم برنامجها السياسي مع برنامج رئيس السلطة. وفي هذا الصدد، أشار أغلب المقابَلين إلى أن التوافق يشمل أيضًا، فضلًا عن التمثيل السياسي للفصائل، التمثيل الجغرافي (محافظاتٍ ومدنًا وقرًى ومخيماتٍ)، والتمثيل الديني، وتمثيل النساء، فضلًا عن الخلفية العلمية والتخصص.

وخلاصة القول: إن تجربة التوافق على تأليف الحكومات الفلسطينية، لا سيما الفصائلية منها، بنيت على نموذج "رئيس الحكومة له حق الاختيار ورئيس السلطة له حق الاعتراض لا التسمية أو الاختيار، وبنفس العرف السياسي فإن الفصائل تختار أو تسمي وزرائها بينما لرئيس الوزراء حق الاعتراض"[26] وبحسب سلام فياض، فإن المشكلة ليست في مبدأ المحاصصة في حدّ ذاته، بل في واقع الحالة الفلسطينية وغياب الديمقراطية الحقيقية التي تفضي إلى تشاور مكونات حكومة وتوافقها على برنامج سياسي واضح، يفضي بدوره إلى صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها[27].

6. تسييس الإدارة العامة وانعكاسه على السياسات

يرى كثير من المهتمين بالحالة السياساتية الفلسطينية أن القطاع الفلسطيني العام (والوظيفة الحكومية تحديدًا) ما زال مسيَّسًا حتى اللحظة، ويعود ذلك إلى طبيعة النظام السياسي الفلسطيني وتناقضاته التي صاحبت تكوينه. وفي هذا الصدد، يرى الجرباوي[28] أن النظام السياسي الفلسطيني "لم يتشكل بتخطيط مقصود بل جاء هكذا دون قصد أو تخطيط". فأثرت فيه الحسابات "التوافقية" (الجهوية، الجغرافية، الفئوية، ما للرئيس وما لرئيس الحكومة ... إلخ) سلبيًا في اتجاه تسييس الوظيفة الحكومية. وهذا بدوره، وجه السياسات العامة إلى خدمة المصالح التوافقية أكثر من المصلحة العامة.

من جهة أخرى، يرى سلام فياض أن السبب الأساسي في تسييس العمل الحكومي ليس التغيير الحكومي غير المدروس الذي يعزز التسييس فحسب، بل هو "ذهنية الموظف الحكومي ونظرته للوظيفة الحكومية على أنها ملك للوزير أو الوكيل أو المدير، يعين فيها الأعوان والمعارف والأقارب، فالوظيفة العامة والموظف العام، يجب أن يكونوا مستقلين وأسياد أنفسهم بحكم القانون"[29]. وهنا لا بد من التطرق إلى موضوع الصلاحيات التي يمنحها القانون (وليس غيره) للموظف العام، وعلاقة ذلك باستقلال الجهاز الوظيفي وانعكاساته على السياسات العامة، فالصلاحيات المستندة إلى القانون تُشعر الموظَّف العام بأنه "سيّد نفسه"، وأنه لا يعمل عند أحد، وغياب القانون المفصل للصلاحيات، يعني بالضرورة إتاحة المجال للأشخاص (الوزير مثلًا) للتعامل مع الصلاحيات (منحها أو سحبها)، كأنها جزءٌ من عمله أو ملكٌ له. وسنأتي على نقاشٍ مفصَّلٍ لموضوع الصلاحيات في ما يأتي.

وجهة نظر المستوى المهني بخصوص التغيير المتكرر للوزراء

1. القرارات الإدارية التي يتخذها الوزير الجديد وانعكاسها على السياسات العامة للوزارة

يناقش هذا المبحث القرارات الإدارية التي يتخذها الوزير الجديد، تحديدًا خلال أول ستة أشهر من توليه مهمّات منصبه، فقد طرح الباحث سؤالًا على الفريق المهني (عينة المستجيبين من هذا الفريق 34 شخصًا) حول ماهية القرارات الإدارية التي يتخذها الوزير الجديد، وانعكاسها على قدرة الفريق المهني على العمل بانسجام وقدرته على صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها. ويمثِّل هذا المبحث تأصيلًا لفهم العلاقة بين الوزير والفريق المهني العامل معه في الوزارة وخصوصًا المستوى الأعلى، وهم: الوكيل، والوكيل المساعد، والمديرون العامّون، وقد اختار الباحث مجموعة من المحاور الفرعية التي دار حولها الأسئلة والنقاش، لمعرفة مدى تأثيرها في السياسات العامة سلبيًا أو إيجابيًا. وقد عدَّ الباحث محور القرارات الإدارية في أول ستة أشهر من عمل الوزير الجديد، عاملًا مؤثرًا في قدرة الفريق المهني على العمل بانسجام على صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها، واستخدم الباحث العبارات التالية لاستخلاص النتائج:

- اتفق جميع المستجيبين من الفريق المهني وعددهم 34 (عند اتفاق المستجيبين كلِّهم، من دون استثناء).

25 المرجع نفسه؛ الجرباوي، مقابلة شخصيّة؛ غسان الخطيب، مقابلة شخصية، رام الله، 2015/4/30؛ نبيل شعث، مقابلة شخصية، رام الله، 2015/5/2.

26 فياض.

27 المرجع نفسه.

28 الجرباوي، مقابلة شخصيّة.

29 فياض.

- اتفق معظم المستجيبين من الفريق المهني (عند اتفاقهم بنسبة تزيد على 80 في المئة وتقل عن 100 في المئة).
- اتفق أغلب المستجيبين من الفريق المهني (عند اتفاقهم بنسبة تفوق 50 في المئة وتقل عن 80 في المئة).
- انقسمت آراء المستجيبين من الفريق المهني (عند تناصف الآراء بنسبة 50 في المئة).

بينما استخدم الباحث عبارة "لا يوجد اتّفاق"، أو "هناك اختلاف" (عند وجود معارضة للفكرة بنسبة مستجيبين تزيد على 50 في المئة). والجدير ذكره، أنّ المستجيبين تلقوا أسئلة موحّدة ولم يرفض أحدهم الإجابة عن أي منها.

أ. التنقلات والصلاحيات والعلاقة بين منصبي الوكيل والوزير

اتفق معظم المستجيبين من الفريق المهني على أن الوزراء الذين عاصروهم، خلال الشهور الأولى، قاموا بإجراء تنقُّلات إدارية في صفوف موظفي الوزارة، وصفها كثير منهم بأنها "غير مهنية" هدفت إلى تعيين مقرّبين "أهل ثقة" في مناصب حساسة يريدها الوزير الجديد، منها مديرو مكاتب الوزراء. واتفق معظم المقابَلين، أيضًا، على أن وزاراتهم شهدت مع تعين وزراء جدد، سحبًا للصلاحيات ومنح صلاحيات لموظفين لأسباب "تبدو في ظاهرها قانونية" استنادًا إلى القانون الأساسي الذي يمنح الوزير الحق في إدارة وزارته كما يشاء، من دون تحديد للصلاحيات. فغياب تفاصيل القانون بحسب كثير من المستجيبين "يعطي الوزير الحق في إدارة الوزارة، بما فيها سحب الصلاحيات ومنحها، بحسب مزاجه وكيفما يرتئي" (مديرون عامّون في وزارات مختلفة 2016، ووكلاء وزارات مختلفة 2016). وصف بعض المستجيبين التنقلات ومنح الصلاحيات وسحبها بعبارات قاسية، مثل: "مزرعة الوزير"، في حين لم ينكر المستجيبون المعارضون فكرة وجود تنقلات وسحب صلاحيات ومنحها (وهم أقل من 10 في المئة) وجودها في وزاراتهم عند تولّي وزير جديد، إنما برَّروها بمقتضى مصلحة العمل وأكّدوا وجودها بكثرة في عهد الحكومة العاشرة التي شكلتها حركة حماس.

وتعليقًا على هذا الموضوع، أشار سلام فياض، رئيس الوزراء الأسبق، إلى وجود مبدأ التنقلات وسحب الصلاحيات ومنحها من طرف الوزراء الجدد؛ بسبب وجود أرضية خصبة "ذهنية الموظف العام"، بكلمات فياض، داخل المؤسسات العامة التي تشجع الوزراء على سحب صلاحياتٍ ومنحها، وإجراء تنقلات غير مهنية، لكنها، بحسب فياض، محدودة، وقلّت كثيرًا، وخصوصًا التعيينات[30]، كما أكّد خبراء من ديوان الموظفين[31] أن الديوان أدى دورًا مهمًّا في الحد من التعينات والتنقلات غير القانونية، لكن موضوع الصلاحيات يحتاج إلى سند، وإلى تفاصيل قانونية وهي غير موجودة حاليًا، ويمثّل غياب المجلس التشريعي عائقًا دون استحداثها.

ومن خلال النظر إلى قرار مجلس الوزراء رقم (144) عام 2004، بخصوص الوصف الوظيفي للمناصب العليا في الوزارات، في المادة (2) التي تبين صلاحيات الوزير ومهمّاته، أعاد القرار تأكيد حق الوزير في تفويض بعض صلاحياته إلى وكيل الوزارة في حدود القانون وفق قرار مجلس الوزراء رقم 144 لسنة 2004، المادة 2. لكن القرار في المادة (5) منه أتى على ذكر تفاصيل خاصة بوكيل الوزارة والمهمّات الموكلة إليه، بوصفه مسؤولًا تنفيذيًا أول عن تنفيذ سياسات الوزارة وقيادة فريقها التنفيذي، إلا أن الإشكالية تبقى في أمرين اثنين، هما؛ أولًا: أن الوكيل يعيّن بقرار من رئيس السلطة الأمر الذي يترك المجال مفتوحًا للتسييس والتشكيك في كفاءة من يشغل هذا المنصب ومهنيته بقرار سياسي، وثانيًا: أن صلاحيات الوزير ما زالت واسعة في إعطاء الصلاحيات أو سحبها من الوكيل. وقد رصد الباحث أكثر من ثلاث حالات في وزارات مختلفة لوزراء سحبوا أو جمّدوا صلاحيات وكلاء عامّين ومديرين؛ بسبب خلافات شخصية أو خلافات في وجهات نظر. ثمّ إنّ هناك وزارات أخرى من عينة الدراسة أشار مستجيبوها من المستوى المهني إلى الانعكاس السلبي لتداخل الصلاحيات وتضاربها، وعدم وضوح تفاصيل القانون بين الوزير والوكيل على السياسات العامة للوزارة. ويناقش البند التالي حالة وزارة التربية والتعليم العالي نموذجًا لعدم وضوح العلاقة بين المستوى المهني والمستوى السياسي، وانعكاس ذلك على السياسات العامة.

ب. قرارات الوزير وإمكانية تسييس الوظيفة الحكومية

اتفق معظم المستجيبين من المستوى المهني على أن قرارات الوزير الجديد، تخلق صراعات بين أقطاب المستوى المهني (وكيل، ووكلاء مساعدين، ومديرين عامّين). كما أشار المستجيبون إلى أسباب عدة تؤدي إلى وجود هذا الصراع، فضلًا عن الصراع الأساسي وهو بين المستويين السياسي والمهني؛ منها أن الوزير يعتمد على مبدأ الثقة بالمقربين في تلقي المعلومات عن الوزارة وخصوصًا في بداية توليه للمنصب؛ إذ يكون مبدأ الثقة بالأعوان على حساب المعلومات المهنية والرسمية، وذلك يخلق انطباعًا لدى الوزير أن الصراعات موجودة ويجب التعامل معها أمرًا واقعًا، ومن الأسباب أيضًا، كما أكّد أغلب المستجيبين من المستوى المهني، أنّ ذهنية الموظف

30 فياض.

31 فتحي خضر، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/9/10؛ زياد رجوب، مقابلة شخصية، رام الله 2016/5/7؛ لطفي سمحان، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/9/10.

العام وتطوعه في تقديم معلومات وتقارير غير رسمية، وربما غير مهنية، يشجعان الوزير على الاعتماد على وجهة نظره الشخصية أكثر من القانون، وقد أظهر حالات كثيرة أشار إليها المستجيبون من وزارات مختلفة، أن خلفية الوزير واهتماماته والتقارير التي تقدَّم إليه في بداية ولايته، تمثّل، مجتمعةً، أرضية خصبة لتسييس العمل الحكومي. ويندرج كل ما هو غير مهني أو نابع من رغبات شخصية (ومنها ما هو مخالف للقوانين) ضمن مصطلح التسييس. ومن هذه الحالات أن وزيرًا جديدًا قام بإجراء تنقلات شملت 25 في المئة من طاقم الوزارة من دون الاعتماد على أسس مهنية، بل بناءً على توجهات شخصية وتقارير كيدية من بعض الموظفين، ومنها أيضًا أن وزيرًا اتّخذ قرارًا (وصفه الفريق المهني بأنّه "شخصيٌّ وغير مدروس ومربك لعمل فريق الوزارة، وفيه تبديد للمال العام") بنقل مختبر فحص العينات في وزارة الزراعة من رام الله إلى الخليل؛ ما زاد من الإرهاق والتكاليف في نقل العينات من الخليل وإليها. كما أشار أحد المستجيبين من وزارة الأوقاف إلى أن وزراء متعاقبين اتّخذوا قرارات "غير مهنية بنقل موظفين بطريقة تعسفية، وذلك أربك عمل الفريق المهني". وتندرج هذه الأمثلة وغيرها ضمن مصطلح التسييس الذي أضرّ كثيرًا، بحسب معظم المستجيبين، باستدامة سياسات الوزارات. وفي هذا الصدد أشار زياد الرجوب، وكيل وزارة الأوقاف، إلى أن الفريق المهني جزء من المشكلة؛ إذ يشاركون بقصد أو بغير قصد في تهيئة أرضية مناسبة للوزير، لاستخدام صلاحيات مطلقة ومزاجية أحيانًا، فالفريق المهني له دورٌ في إفساد الوزراء الجدد أو تضليلهم، وخصوصًا البعيدين عن الحقل، ويكمن جزء من هذه المشكلة في الثقافة الموجودة في الوزارات[32]. ومع التغيير المتكرر للوزراء، من المؤكد أنّ الأمر يزداد سوءًا.

2. قرارات الوزير ذات الأثر المالي

أ. القرارات ذات العلاقة بوزارة المالية والقرارات ذات العلاقة بالمشاريع

لا شك في أنّ الأموال عنصر أساسي في تنفيذ السياسات العامة، كما أن توافرها أو ضمان توافرها يعطي هامشًا مريحًا لصناع السياسات العامّة. ولذلك خصص الباحث محورًا لمناقشة هذا الموضوع مع الفريق المهني وخصوصًا مديري الشؤون الإدارية والمالية. واتّفق المستجيبون اتّفاقًا تامًّا من دون استثناء على أن الوزراء مهما كان نفوذهم أو خلفياتهم، لا يستطيعون التدخل في الأمور المالية ذات العلاقة بوزارة المالية؛ كالرواتب وبنود الصرف المحددة من طرف وزارة المالية، إلا أنّ الإشكالية تبقى في القرارات ذات العلاقة بالمشاريع، وتحديد أولوياتها التي غالبًا ما تأتي إلى الوزارات من المانحين. اتّفق أغلب المستجيبين على أن الوزراء المتعاقبين على وزاراتهم (أي المستجيبين) تدخّلوا في تحديد أولويات الصرف على المشاريع، على الرغم من اتفاق الوزارات على مبادئ عامة مع المانحين حول أولويات المشاريع؛ فقد ذكر مستجيبون من وزارات الحكم المحلي؛ النقل والمواصلات والتربية والتعليم والزراعة، أنّ أولويات الصرف على المشاريع اختلفت، وأحيانًا تضاربت، وعطلت عمل الفريق المهني بسبب تغيُّر الوزراء المتكرِّر. أمّا المستجيبون الذين ذكروا عدم تدخّل الوزراء الذين عاصروهم، أو بعضهم على الأقل، في أولويات الصرف على المشاريع، فكان السبب أنهم (أي الوزراء الجدد) لم يلبثوا في الوزارة للتعرف إلى المشاريع ولم يجلسوا مع المانحين مطلقًا، أو ربما جلسوا معهم مرةً واحدةً فحسب. وفي سياق متصل، طرح الباحث سؤالًا مفاده: مَن المسؤول عن تحديد أولويات المشاريع والصرف عليها؟ فأجمع المستجيبون على أن هذا الأمر يُعدُّ فنيًّا، ويُفضَّل أن يُترك للفريق المهني. وبطبيعة الحال، إنّ تدخل الوزراء المتعاقبين في تغيير أولويات المشاريع والصرف عليها، يربك تنفيذ هذه المشاريع، وفي الحصيلة، يؤثّر سلبيًا في استدامتها. ومن الأمثلة الدالة على تدخل بعض الوزراء في أولويات المشاريع، أنّ المدير العام للشؤون الإدارية والمالية في إحدى الوزارات أشار إلى أنه اضطر إلى إجراء مناقلات بين بنود الصرف لتمويل سفريات أشخاص اختارهم الوزير، فقد تم الزج بهم في العمل على مشروع لم يكونوا جزءًا منه من أجل السفريات وتغطيتها ماليًا.

ب. تغيُّر الوزراء وانعكاساته على التخطيط الإستراتيجيّ

اتفق أغلب المستجيبين على أن التغيير المتكرر للوزراء يؤثر سلبيًا في عمل الفريق المهني المتعلق بصنع الإستراتيجيّات وتنفيذها. تركزت أسئلة الدراسة في هذا المبحث في وضوح الصلاحيات أو عدم وضوحها، بشأن الخطط الإستراتيجيّة للوزارات، وتحديدًا، فيمن يضع الخطة الإستراتيجيّة: أهو الوزير، أم الفريق التنفيذي (الوكيل، والوكلاء المساعدون، والمديرون العامّون) كلّ بحسب اختصاصه؟ اتفق معظم المستجيبين على أن الوزراء لا يأتون بخطط إستراتيجيّة، لكنهم يأتون بأفكار وتوجُّهات، وهذا من حقهم. كما اتفق معظم المستجيبين على أن دور الوزير، في ما يتعلق بالخطط الإستراتيجيّة، هو مراجعة الخطط وإقرارها واستيضاح بنودها. أمّا في ما يتعلق ببناء الخطط وصنعها وتنفيذها، فإنّ مسألة فنية يجب أن تُترك للفريق المهني.

كما طرح الباحث أسئلة حول مدى تدخل الوزراء في الخطط الإستراتيجيّة عمومًا، واتفق أغلب المستجيبين على أن هناك تدخلات حصلت من طرف وزراء جدد في الخطط الإستراتيجيّة لوزاراتهم، بعد أن بذل الفريق المهني جهدًا كبيرًا في إعدادها، وأحيانًا في تنفيذ بعض بنودها، كما تراوح التدخل، بحسب المستجيبين، بين محاولة تغيير

32 رجوب.

بعض بنودها إلى التدخل في أولوياتها، وأحيانًا، نسف الخطة نسفًا كاملًا، وأشار مستجيبون من ثلاث وزارات على الأقل، إلى أن تدخل الوزير في الخطة الإستراتيجيّة كان بسبب خلاف مع الوزير السابق، بينما أشار آخرون إلى أن التدخل لم يكن بسبب خلافات مع وزير سابق؛ بل بسبب عدم اقتناع الوزير بما هو موجود، ورغبته في إضافة بصماته الخاصة على الخطة. وعمومًا، فإن هذه التدخلات أربكت عمل الفريق المهني وانعكست سلبيًا على استدامة السياسات العامة المنبثقة عن الخطط الإستراتيجيّة. ولتوضيح أشدّ حول الموضوع، تجد أن البند التالي يلخِّص تفاصيل حالة وزارة التربية والتعليم.

ج. حالة وزارة التربية والتعليم العالي: غياب الوضوح في الصلاحيات وانعكاساته على تنفيذ السياسات والخطط الإستراتيجيّة

توضح هذه الحالة الدراسية أهمية المأسسة وانعكاسها على عملية صنع السياسات العامة وتنفيذها، وخصوصًا الخطط الإستراتيجيّة، ويقصد بالمأسسة، تحديدًا، الالتزام بالقوانين والأنظمة المتمثلة باحترام التسلسل الإداري الذي أكده قرار مجلس الوزراء رقم (146) عام 2004، بخصوص تطبيق نظام التعليم والتدريب المهني، وكذلك الخطة الإستراتيجيّة الثالثة 2015. وعلى الرغم من انعكاس قانون 2004 على هيكلية الوزارة التي أقرّت في 2005، وجاءت متوافقة مع القانون، فإنّه تم التعامل مع الالتزام بالقانون والخطة الإستراتيجيّة بطرق مختلفة، تختلف من وزير إلى آخر، وتراوحت بين المركزية (الصلاحيات الإدارية كاملة مع الوزير) مع إعطاء الوكيل بعضًا من الصلاحيات، من دون أن يعكس ذلك مسؤوليات الوكيل المنصوص عليها على نحو ما في هيكلية 2005، وبين المرونة في إعطاء الصلاحيات والالتزام بما هو منصوص عليه في القانون والخطة، فبالرجوع إلى ما ورد من مسؤوليات حددتها الخطة التشغيلية السنوية للوزارة، المستندة إلى الخطة الإستراتيجيّة، نجد أن الوكيل ومساعديه والإدارات العامة المعنية، هم من يصنع السياسات العامة وينفّذها بعد إقرارها من الوزير، إلا أن ذلك لم يتم الالتزام به، وخضع تنفيذ الخطة لتقديرات الوزراء المتعاقبين.

وضعت الخطة الإستراتيجيّة الأولى للتربية والتعليم في عهد الوزير نعيم أبو الحمص، وساعد في وضع الخطة الهيكلية للوزارة خبيرٌ مغربيٌّ، جاء بالمدخلات وسمّاها إدارات عامة (الإدارة العامة للمناهج، للتعليم العام، الإشراف ... إلـخ). وشهدت الإدارات العامة تداخل صلاحيات بينها، وأصبح التعدي على صلاحيات غيرها شائعًا جدًا، ولم يكن بين الإدارات العامة توافق وتنسيق أفقي؛ الأمر الذي أربك المانحين، فقد كانت كل إدارة تتقدم بالمشاريع وتأتي بها وحدها، من دون تنسيق مع الإدارات الأخرى.

وضعت الإستراتيجيّة الثانية على أساس البرامج، وطرح أمر التداخل بين عمل الإدارات التي تشترك في برامج معينة، كما بدأ الحديث عن التعليم النوعي لأول مرة، ولم تنجح الوزارة في خلق تواصل أفقي كامل بين الإدارات، لكن تم تثبيت مبدأ البرامجية، مع بقاء موضوع "الممالك"، فكل إدارة عامّة تمثّل مملكة. أمّا في الإستراتيجيّة الثالثة؛ فقد تم مراجعة أخطاء الخطة الثانية كلّها، واستعانت الوزارة بخبراء دوليين حاولوا إدخال مبدأ المشاركة والعمل المشترك، وأكّد الخبراء مبدأً جديدًا؛ هو الخطط والموازنات المبنية على البرامج ونتائجها، وعمل فريق الوزارة مع الخبير الدولي مارتن ثومبسون، وبرقابة وزارة المالية وشراكتها. وفي الحصيلة؛ فإنه لم يسع أحد في الوزارة لإنجاح البرامجية، ولذلك بقيت متعثرة. وشهدت الـوزارة على المستوى الإداري، نهجًا "مسيّسًا" في الإدارة؛ فمن الوزراء المتعاقبين من أعطى صلاحيات لوكيل الوزارة بوصفه مسؤولًا أول عن تنفيذ الإستراتيجيّات والسياسات، مستنِدًا إلى قرار مجلس الوزراء رقم 144عام 2014 الـذي يوضح صلاحيات وكيل الـوزارة، ومنهم من سحب هذه الصلاحيات، مستندًا إلى القانون الأساسي الذي يعطي الوزير الحق في منْح الصلاحيات للوكيل أو عدم منحها، كما يشاء، ومنحها للوكلاء المساعدين والمديرين العامّين. وأصبحت مسألة الصلاحيات، تاريخيًّا، مزاجيةً خاضعةً لقناعات الوزير[33].

في الفترة 2013 - 2015، تم تعيين ثلاثة وزراء للتربية، ما أحدث خللًا في توفير الاستمرارية اللازمة لصوغ الإستراتيجيّة الثالثة، وفي الحصيلة، في تنفيذ الخطط التشغيلية المنبثقة عنها. وقد تزامن ذلك مع تأليف مجلس الوزراء لجنه "تطوير وإصلاح التعليم"، وهي من خارج الوزارة؛ ما أربك عمل الفريق التنفيذي للوزارة إلى حد تجميد بعض أوجه نشاطه، وكلف رئيس الوزراء رامي الحمد الله اللجنة بمراجعة سياسات وزارة التربية والتعليم وتقديم مقترحات حول كيفية إصلاح النظام التعليمي، إلا أن هذه اللجنة خلقت صلاحيات موازية لجهود الـوزارة لقناعة رئيس الوزراء ووزير التربية والتعليم العالي الحالي صبري صيدم، بأن إصلاح الوزارة يأتي من خارجها وليس من داخلها، واجتمع أعضاء اللجنة، وهم من خارجها، مرات عدّة داخل الوزارة، وبتجاهل واضحٍ لدور وكيل الوزارة، فالوزير صيدم، طرح مفاهيم إستراتيجيّة جديدة، لم تكن موجودة في الإستراتيجيّة كالإدارة الإلكترونية والرقمية، حاول تنفيذها باستخدام لجنة من خارج الـوزارة[34]. كما طرح صيدم مفاهيم جديدة من 15 نقطةً، كانت قد طرحتها اللجنة، وعلى الرغم من أن وكيل الوزارة أدخل النقاط التي طرحها الوزير على

33 محمد أبو زيد، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/5/10.

34 المرجع نفسه.

الخطة الإستراتيجيّة، فإن الوزير لم يأخذ ذلك بالحسبان. وبكلمات أخرى، إن وزارة التربية والتعليم العالي تعدّ مثالًا على عدم وجود نمط مؤسسي موحَّد لإدارة العمل فيها، فالوزير علي أبو زهري لم يتدخل في الجوانب التنفيذية للوزارة، وأعطى الوكيل صلاحياته لتنفيذ الإستراتيجيّة الثالثة، بينما اختلفت الوزيرة الجديدة خولة الشخشير مع الوكيل في فهم موضوع التغيير المطلوب بشأن موضوعي المناهج والإصلاح الإداري، أيكون تغييرًا جذريًّا أم طفيفًا؟ ففي موضوع الإصلاح الإداري، بحسب محمد أبو زيد، ارتأت الوزيرة أن تمنح صلاحيات للوكلاء المساعدين والمديرين العامّين على حساب الوكيل، وهذا أضرَّ بمبدأ التشاركية والتنسيق الأفقي، فقد خلق صراعات داخلية في الوزارة.

أمّا في موضوع إصلاح المناهج، فكان الخلاف بين الوزيرة الشخشير ووكيل الوزارة حول عمق تغيُّر مبادئ الإستراتيجيّة والتغيير الطفيف الذي أصرت عليه الوزيرة. فمن وجهة نظر الوكيل، فإن الإستراتيجيّة أشبه بقانون أخذ من الجهد والوقت والمال ما لا يتوقع الإخلال بها، فكيف بنسفها أو تغييرها تغييرًا جذريًّا[35]؟ أمّا الوزير صيدم فقد أدخل مفاهيم جديدة على الإستراتيجيّة وقلص صلاحيات الوكيل من خلال العمل مع لجنة إصلاح التعليم لقناعته أن الإصلاح يأتي من خارج الوزارة. وعلى الرغم من أن التجارب الدولية التي استعانت بها الوزارة التي ركزت في مبدأ الفصل بين المستوى التنفيذي (الوكيل، ومساعديه، والمديرين العامين)، والمستوى السياسي (الوزير ودوره)، فإنَّ الوزراء المتعاقبين اختلفوا واستخدموا قناعاتهم الخاصة في منح الصلاحيات وسحبها، فأدى ذلك إلى إرباك التنسيق الأفقي بين عناصر المستوى المهني لمصلحة تدخل الوزراء في عمل المهنيين عن طريق إيجاد مراكز قوى موالية لهم، وكل ذلك أثّر تأثيرًا سلبيًا في السياسات العامة ولم يترك تراكمًا مؤسسيًا راسخًا يمكن للوزارة أن تبنى عليه في صنع سياسات عامة مستدامة وتنفيذها.

د. تغيُّر الوزراء وانعكاساته على السياسات البينية

يقصد بالسياسات البينية: تلك السياسات التي لا يمكن تنفيذها إلا بالتنسيق، وأحيانًا التشارك، بين مؤسسات مختلفة، فلا يقتصر تنفيذ سياسات وزارة الحكم المحلي، مثلًا، على الوزارة بل يحتاج إلى التنسيق مع البلديات، والمحافظات، ووزارة المالية، ووزارة الأشغال العامة، ومؤسسات أهلية، وأحيانًا القطاع الخاص. ويُجمع المستجيبون كلهم من المستوى المهني على أن وزارة المالية بحكم الاختصاص، تعدّ شريكًا دائمًا في تمويل السياسات العامة، والبرامج، والخطط الإستراتيجيّة. من جهة أخرى، يمكن وصف قلة التنسيق أو انعدامه أو الصراعات بين المؤسسات المختلفة (الشريكة في تنفيذ سياسة عامة ما) معوّقًا أساسيًّا يحول دون تنفيذ السياسات العامة واستدامتها. كما أَجمع المستجيبون على أن التنسيق بين الوزارة "وشركائها" يسهل عملية التنفيذ ويساعد على استدامة السياسات العامة.

طرح الباحث سؤالًا حول دور شخصية الوزير (الوزراء المتعاقبين) في تعزيز التنسيق أو إضعافه بين الوزارة والمؤسسات الشريكة بخصوص تنفيذ سياسات الوزارة، فلم يتفق المستجيبون حول دور الوزير. فمنهم من أكّد أن العلاقات الشخصية بين الوزير ورؤساء المؤسسات الشريكة أو الوزارات الأخرى يؤدي دورًا في تعزيز تنفيذ السياسات أو إضعافها، ومنهم من أكّد أنَّ موضوع التنسيق موضوع فني، ترك للفريق المهني ولم يكن لشخصية الوزراء المتعاقبين أي دور في عرقلة تنفيذ السياسات أو تسهيلها أو تنفيذها. فقد أشار مستجيبون من وزارة النقل والمواصلات إلى وجود معوّقات حصلت في عهد أكثر من وزير تعاقب على الوزارة؛ بسبب سوء العلاقات الشخصية بين الوزير ورؤساء مؤسسات تشترك مع الوزارة في تنفيذ السياسات. كما أشار مستجيبون من وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات إلى فشل مشروع ما يسمى "الشبكة الحكومية"، بسبب ضعف التنسيق مع الجامعات الفلسطينية، كما أشار مستجيبون من وزارة الاقتصاد الوطني إلى حالة "سحب صلاحيات حماية المستهلك من وزارة الاقتصاد وإعطائها لمؤسسة الضابطة الجمركية"، فقد اعتمدت الضابطة الجمركية في تنفيذ سياسة حماية المستهلك على وزارة الاقتصاد بسبب نقص الاختصاص في الضابطة الجمركية، لكن التنفيذ، بحسب المستجيبين، كان رهنًا للعلاقات الشخصية بين الوزير ومدير الضابطة الجمركية، فتحسَّن تارة وساء تارة أخرى. كما استشهَد سامر الشرقاوي، الوكيل المساعد والمدير العام للشؤون الإدارية والمالية في وزارة العدل، بحالة خطة الإصلاح التنموي التي أطلقها الوزير علي الجرباوي في وزارة التخطيط عام 2008 التي فشلت بسبب عدم تعاون الوزارات والمؤسسات الأخرى على التنفيذ[36].

ومن جهة أخرى، أشار عدد من المستجيبين[37] من وزارة الثقافة إلى أن العلاقات الشخصية بين الوزير ووزراء آخرين أو مسؤولين في مؤسسات شريكة، كوزارة التربية والتعليم العالي، ووزارة السياحة والآثار، واللجنة الوطنية العليا للثقافة والفنون، استخدمت إيجابيًّا لمصلحة تسهيل تنفيذ سياسات وزارة الثقافة. ويجدر بالذكر أنه على الرغم من عدم توافق تجارب المستجيبين حول دور شخصية الوزير في تعزيز التنسيق مع المؤسسات الشريكة أو إضعافه، فإنهم اتفقوا اتفاقًا مطلقًا على أن أمرَ التنسيق أمرٌ فنيّ، يجب أن يترك للفريق المهني.

35 ماهر أبو ريدة، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/5/15.

36 سامر الشرقاوي، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/6/3.

37 أبو ريدة.

ه. جدلية المأسسة بين الواقع والمأمول

يقصد بالمأسسة في هذه الدراسة: وجود مؤسسات حكومية راسخة تعتمد النظام والقانون والإجراءات المتفق عليها، أساسًا للعمل في عمليات صنع السياسات والبرامج والخطط الإستراتيجيّة وتنفيذها وإقرارها وتمويلها، وأضاف بعض المستجيبين مبدأ حوكمة القرارات جزءًا من المأسسة[38]، واتفق المستجيبون جميعًا على أن المأسسة مطلب مهم ورئيس في عملية إصلاح القطاع الحكومي عمومًا واستدامة السياسات العامة خصوصًا، كما اتفقوا على أن القطاع الحكومي الفلسطيني قطع شوطًا لا بأس به في مجال المأسسة إلا أنه غير كافٍ، بينما اختلف المستجيبون حول آلياتها، فمنهم من يرى أن المأسسة يجب أن تبدأ بتعديل القانون الأساسي الذي يعطي الوزراء صلاحيات مطلقة في إدارة الوزارات كما يشاؤون، من خلال الحد من صلاحيات الوزراء وتوضيح العلاقة بين منصبي الوزير والوكيل. ويرى بعضهم الآخر أن المأسسة تكمن في تفاصيل القانون التي يجب ألّا تترك شيئًا للتأويل أو المزاجية، فالقانون المفصل والشامل من خصوصيّاته أن يحدد الصلاحيات، ويفصل بين المستويات الإدارية من حيث الواجبات والمسؤوليات. ويرى آخرون أن المشكلة من أساسها تكمن في غياب المجلس التشريعي وحرمان النظام الإداري الفلسطيني من وجود قوانين ناظمة للعلاقة بين المستويات المختلفة، كما حرم غياب المجلس التشريعي أو تغييبه الوزارات من حقها في صوغ قوانين خاصة بكل وزارة، يصدّقها المجلس التشريعي وتؤسس نظامًا قائمًا على العمل المؤسسي، لا على الأفراد. وإذ يستعاض حاليًا من دور المجلس التشريعي بقرارات الرئيس بقانون مجلس الوزراء وقراراته، فإن هذه القرارات لا تمثل، بحسب رأي معظم المستجيبين، بديلًا مستدامًا من بناء نظام مؤسسي.

أمّا من وجهة نظر المستوى السياسي، فيتفق أغلبهم على أن التراكم المؤسسي في الحالة الفلسطينية لا يرقى إلى المستوى المطلوب على الرغم من التحسن التراكمي أيضًا. فالمأسسة من وجهة نظر بعضهم[39] تحتاج إلى قرار سياسي، وهي أصلًا مرتبطة ببنية النظام السياسي الفلسطيني غير الثابتة، التي تكوّنت بطريقة غير مقصودة أو مدروسة، وإنما جاءت استجابة وانعكاسًا لتناقضات الوضع الفلسطيني. فتسييس الوظيفة الحكومية مثلًا، يحول دون التراكم المؤسسي. وفي السياق نفسه، يرى سلام فياض أن المشكلة لا تكمن في النظام السياسي فحسب، بل في ذهنية الموظف العام الذي ينظر إلى نفسه على أنه يعمل عند أشخاص، لا في مؤسسات لها قوانين ونظم تحميه وتدافع عنه، "إذ لا بد من تحرير الجهاز الوظيفي من هذه الذهنية السائدة"[40]. وقد أثار الباحث جدلًا بين المستجيبين من المستوى المهني حينما سأل حول طبيعة منصبي الوزير والوكيل، فأجمع المستجيبون على أن منصب الوزير منصبٌ سياسيٌّ ويفضل أن يكون سياسيًّا يحمل برنامجًا حكوميًّا عامًّا خاضعًا للرقابة والمساءلة، بينما يجب أن يكون منصب الوكيل منصبًا مهنيًّا لا سياسيًّا، وهنا يكمن الجدل حول مسألة تعيين الوكيل في الوزارات جميعها، بقرار من رئيس السلطة لا بتسلسل مهني؛ الأمر الذي يفسر وجود بعض الوكلاء غير المؤهلين لهذا المنصب بسبب التعيين السياسي، ومن المؤكد أنه أمر يعزز التسييس ويضعف المأسسة؛ إذ كيف يمكن الوكيلَ وهو قائد الفريق المهني في الوزارة أن يكون معيَّنًا بقرار سياسي؟

طرح الباحث موضوع المؤسسة على خبراء في ديوان الموظفين العام[41]، فكان إجماعهم على أن الديوان يجب أن يُمكَّن ويُعطى صلاحيات أكثر من طرف رئيس السلطة ومجلس الوزراء، فالديوان بحسب المستجيبين ظلّ يبذل جهدًا كبيرًا في سبيل ترسيخ المأسسة، ونجح في كثير من الأمور، لكنه لا يستطيع سن القوانين، وهنا تعود المشكلة إلى مربع غياب المجلس التشريعي أو تغييبه، كما أن الديوان ليس له صفة قانونية لمحاسبة الوزارات وإلزامها بترسيخ قيم المأسسة.

خلاصة القول: إنّ المأسسة أو التراكم المؤسسي وصْفة الترياق التي يمكن أن تلغي أو تحد تسييس الجهاز الوظيفي الحكومي، وفي الحصيلة تقلل من تأثير التغيير الحكومي المتكرر في استدامة السياسات العامة، ففي ظل نظام المؤسسات، تتغيّر الحكومات مرارًا وتكرارًا من دون التأثير في الجهاز الوظيفي المهني الذي تعمل مؤسساته على إخراج سياسات مستدامة، تترك أثرها الإيجابي في المجتمع وتؤدي الدور المأمول منها في التنمية.

و. السياسات العامة في ظل التغيير المتكرر للحكومات

قال معظم المستجيبين من المستويين السياسي والمهني، عدا ثلاثة من المستويين كليهما، إنّ التغيير الحكومي المتكرر في الحالة الفلسطينية، يؤثر سلبيًا في استدامة السياسات العامة، بينما اتّفق المستجيبون من المستوى السياسي على أن التغيير الحكومي يمكن أن يكون مبرَّرًا لضرورة ما، لكن لا يمكن عَدُّ الحالة الفلسطينية (معدل حكومة كل سنة) ضرورة؛ فمن الوزراء من لم يتعرَّف إلى وزارته حتى جاء قرار التغيير الوزاري، فخرج من الوزارة قبل أن يتعرف إليها؛ ففي ظل غياب المأسسة الحقيقية والتغيير المتكرر، يمكن القول: إنَّ السياسات العامة تعيش معضلة حقيقية.

38 أبو زيد؛ عبد الكريم سدر، مقابلة شخصية، رام الله، 2016/2/13.

39 الجرباوي، مقابلة شخصية.

40 فياض.

41 خضر؛ رجوب؛ سمحان.

وفي السياق نفسه، يجادل كثيرٌ من المستجيبين من المستوى المهني في أن مشكلتهم ليست مع الوزراء الذين لديهم رؤية تطويرية للوزارة ويحاولون تحقيقها، على الرغم من أن هؤلاء لم يُمنحوا فرصة كافية لتحقيق رؤية، بل مع الوزراء الذين يأتون من دون رؤية، ويعملون بقصد أو بغير قصد على تسييس المؤسسة والإضرار بقدرة الفريق المهني على صنع وتنفيذ لسياساتٍ مستدامة تترك أثرها في المجتمع الفلسطيني، وهنا يعيد كثيرٌ من المستجيبين الكرة إلى ملعب رئيس الحكومة عند اختيار الوزراء وعند تأليف الحكومة. فالنموذج التوافقي، بحسب رأي كثير من المستجيبين، يفرز وزراء لا يتصفون بصفات قيادية، وتشجعهم البيئة أو الذهنية السائدة في الجهاز الحكومي، وغياب القانون المفصل، وضعف المأسسة في إدارة الوزارات بطرق "مزاجية" تنعكس سلبيًا على السياسات العامة، فالتغيير المتكرر للحكومات في الحالة الفلسطينية ليس سمة نادرة عالميًا. فعلى سبيل المثال تتغير الحكومات مرارًا في إيطاليا واليونان، لكن من دون انعكاس سلبي على عمل الجهاز التنفيذي المهني للدولة، ومن دون انعكاس على السياسات العامة، ويعود الفضل في ذلك إلى رسوخ النظام المؤسسي الذي يفصل بين المستوى المهني الثابت، والمستوى السياسي المتغيّر[42]. ويفاقم الغياب أو التغييب للمجلس التشريعي الذي يُفترض أنه يراقب أداء الحكومة، بل ربما يساهم بقوة في إفراز حكومات جديرة بالثقة (من خلال التصويت بداية على الثقة بالحكومة والوزراء) ويراقب الـوزراء ويحاسبهم أثناء عملهم، من معضلة ضعف القانون والمأسسة وتسييس الوظيفة الحكومية.

خاتمة

ناقشت هذه الدراسة موضوع التغيير المتكرر للوزراء الفلسطينيين وأثره في السياسات العامة، وقد خرجت الدراسة بنتائج، أهمها؛ أن المنظومة القانونية، وعلى رأسها القانون الأساسي، التي تنظم الإدارة الفلسطينيّة العامة عمومًا، والعلاقة بين المستوى السياسي للوزارة (الوزير) والمستوى المهني (الوكيل، والوكيل المساعد، والمديرين العامّين) تحتاج إلى المراجعة والإصلاح القانوني، فالقانون موجود، لكنه يحتاج إلى تعديلات وتفاصيل؛ تبين صلاحيات المستويات الإدارية المختلفة وتفصِل بينها. كما أن غياب المجلس التشريعي كان له أثرٌ سلبي في عملية إصلاح القوانين، وعطّل عملية الإصلاح القانوني أو التعديل القانوني المنشودين، وأعطى الحكومات المتعاقبة شبكة أمان "وهمية"، من خلال عدم عرض الحكومة برنامجها على المجلس التشريعي لنيل الثقة، واكتفائها بثقة الرئيس. كما أن غموض تفاصيل القانون وغياب المجلس التشريعي، شجع الوزراء (بحسب معظم المهنيين) على استخدام صلاحياتهم لإدارة الوزارات كما يشاؤون.

من جهة أخرى، انعكس النموذج التوافقي لتأليف الحكومات على أدائها، فكان التوافق على حساب الكفاءة والمهنية (رئيس الوزراء له حق الاختيار بينما رئيس السلطة له حق الاعتراض وهناك ضغط داخلي وخارجي يقتضي التوافق، والحصيلة حكومات توافقية ترضي الأطياف والأبعاد التي ترغب في المشاركة كلّها، وتنال رضًا عامًّا من الأطراف الخارجية والداخلية الفاعلة في الساحة الفلسطينية كافّة). وفي الحصيلة؛ فإن النموذج التوافقي يعني في ثناياه: التوافق بين سياسات الحكومة وسياسات رئيس السلطة، عدا الحكومة العاشرة (حكومة حماس) التي لم تدم طويلًا، وهذا يقلّل من استقلالية برنامج الحكومة إن وجد. لقد أكّدت نتائج الدراسة أن النموذج التوافقي أدى مباشرةً أو على نحو غير مباشر إلى تسييس الوظيفة العامة، ما انعكس سلبيًا على استدامة السياسات العامة.

بينت الدراسة (بحسب وجهة نظر المقابَلين من المستوى المهني) أن الوزراء الجدد يجرون تنقُّلات إدارية داخل وزاراتهم، تتضمن أيضًا سحب صلاحيات من بعض الموظفين، ومنحها لآخرين من أجل ضمان ولاءات ما يُسمّى بحاشية الوزير وانسجامهم[43]. كما اتفق أغلب المقابلين من المستوى المهني على أن أغلب الوزراء الجدد يعتمدون على معلومات (تقارير) غير مهنية، فالوزير يتجاوز الوكيل ويستمع إلى معلومات من مصادره الخاصة (أي موظفين ممن هم دون الوكيل)، فيخلق ذلك صراعات داخلية ويؤثر سلبيًا في انسجام الفريق المهني، وفي الحصيلة في استدامة السياسات العامة. بناء عليه، فإن قرارات الوزير الإدارية وخصوصًا في فترته الأولى (أول ستة أشهر) تساهم في تسييس العمل العام، وتغذي الأرضية الخصبة للتسييس الموجودة أصلًا، لكن إجراءات ديوان الموظفين في السنوات الأخيرة (منها مدونة السلوك، وجدول التشكيلات، وضوابط التعيين) خَفَّفت من التسييس.

أجمع الوكلاء كلّهم، ومعظم الوكلاء المساعدين، والمديرون العامّون من عيّنة الدراسة، على أن العلاقة بين منصب الوزير ومنصب الوكيل غير موضحة بالقانون، ويحكمها غالبًا مزاج الوزير والصلاحيات المطلقة الممنوحة له وفق القانون الأساسي. كما اتفق المقابَلون من المستوى المهني كلّهم، على أن القرارات المالية المتعلقة بوزارة المالية ثابته ولا يؤثر فيها التغيير الوزاري المتكرر، والتأثير (بحسب أغلب الفريق المهني) يكون في المشاريع فحسب، بوصفها أولويات تختلف من وزير إلى آخر؛ ما يربك عمل الفريق ويؤثر سلبيًا في استدامة السياسات العامة. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الخطط الإستراتيجيّة (كلها أو بعض بنودها) تتأثر سلبيًا بأولويات الوزير الجديد (بحسب

42 الجرباوي، مقابلة شخصية، 2015.

43 اتفاق أغلب المستجيبين من المستوى المهني.

أغلب مقابلي الفريق المهني)، كما أنّ هناك وزراء ألغوا الخطة كاملة، وبدؤوا من جديد. ومن جهة أخرى، أشارت النتائج إلى أن علاقة الوزارة بوزارات ومؤسسات أخرى شريكة في تنفيذ السياسات العامة، تتأثر إيجابيًا أو سلبيًا برغبة الوزير (علاقته الشخصية بقيادات المؤسسات الشريكة)، وهذا يربك الفريق المهني وينعكس سلبيًا على استدامة السياسات، فالأصل أن تكون العلاقة مُمأسسة. فالمأسسة بحسب اتفاق المستجيبين كلّهم (من المستويين السياسي والمهني) قطعت شوطًا جيدًا لكنه غير كافٍ، وقد عدّ المستجيبون الإصلاحات القانونية والإرادة السياسية مفاتيح المأسسة.

ومن خلال النظر إلى نتائج الدراسة سالفة الذكر، يوصي الباحث بالخروج التدريجي من مبدأ التوافق في اختيار الوزراء واعتماد الكفاءة القيادية والمهنية والتخصص بديلًا من التوافق، ثم الإصلاح القانوني للعلاقة الناظمة بين المستوى السياسي (الوزير) والمستوى المهني (الوكيل، والوكيل المساعد، والمديرين العامّين)؛ من أجل تفصيل الصلاحيات وتوضيحها وفصلها. ثمّ إعداد عملية تحضير للوزراء الجدد تكفل تعريفهم بالأبعاد القانونية والإدارية للعمل الحكومي عمومًا، والوزارات التي سيعملون فيها خصوصًا، على أن يتولّى هذه المهمة طرفٌ محايدٌ؛ كديوان الموظفين أو الأمانة العامة لمجلس الوزراء، وذلك لتجنب حصول الوزير على معلومات مضللة من أقطاب الوزارة المختلفة. ثمّ الثبات النسبي في بقاء الحكومات الفلسطينية، بحيث لا يقل عمر الحكومة عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على أربعة إلا لضرورة، وإعطاء صلاحيات أوسع (مكفولة بالقانون) لديوان الموظفين؛ لقيادة عملية إصلاح شاملة الإجراءات الإدارية والتي من اختصاصها كفالة تنظيم العلاقة بين المؤسسات المختلفة، والمساعدة في توحيد الإجراءات والفصل في النزاعات، ومنها العمل على إنشاء محاكم إدارية متخصصة ومستقلة، تفصل في النزاعات الإدارية، وتطبق القانون، وتحد من التسييس ومن منح الصلاحيات وسحبها خارج القانون، ثم تأليف لجنة وطنية عليا مستقلة خاصة بالمأسسة تتولى إعادة النظر في النظام الإداري وعلاقته بالنظام السياسي، وتقدم توصياتها ومقترحاتها لمجلس الوزراء. كذلك، إلغاء التعيين السياسي لمنصب وكيل الوزارة واستبدال به تعينًا وفق التسلسل المهني (الترقية بناءً على الكفاءة). وأخيرًا تفعيل دور الأجهزة الرقابية (الخارجية والداخلية) على المؤسسات العامة للحد من التجاوزات الإدارية والتسييس.

المراجع

العربيّة

الزبيدي، باسم وآخرون. **الإصلاح: جذوره ومعانيه وأوجه استخداماته، الحالة الفلسطينية نموذجًا**. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، 2005.

فهد، سليمان. **قراءة في الحكومات الفلسطينية: من إقامة السلطة إلى انتخابات التشريعي الثاني**. رام الله: بدون دار نشر، 2006.

مجموعة مؤلفين. **أوراق مؤتمر أمان السنوي الثالث**. رام الله: منشورات مؤسسة أمان، 2007.

الأجنبيّة

Anderson, James. *Public Policy Making*. 5th ed. USA: .Houghton Mifflin Company, 2003

Cooper, Phillip & Claudia Vargas. *Implementing Sustainable Development: From Global Policy to Local Action*. USA: Rowman & Littlefied Publishing Group, .Inc., 2004

Cibolk, James & Robarta Derlin. "Accountability Policy Adaption to Policy Sustainability: Reforms and Systematic Initiatives in Colorado and Maryland." .(*Education and Urban Society*. vol. 3. no. 4 (1998

Kingdon, John W. *Agendas, Alternatives and Public Policies*. 2nd ed. USA: Addison-Wesely Education .Publishers, Inc., 2003

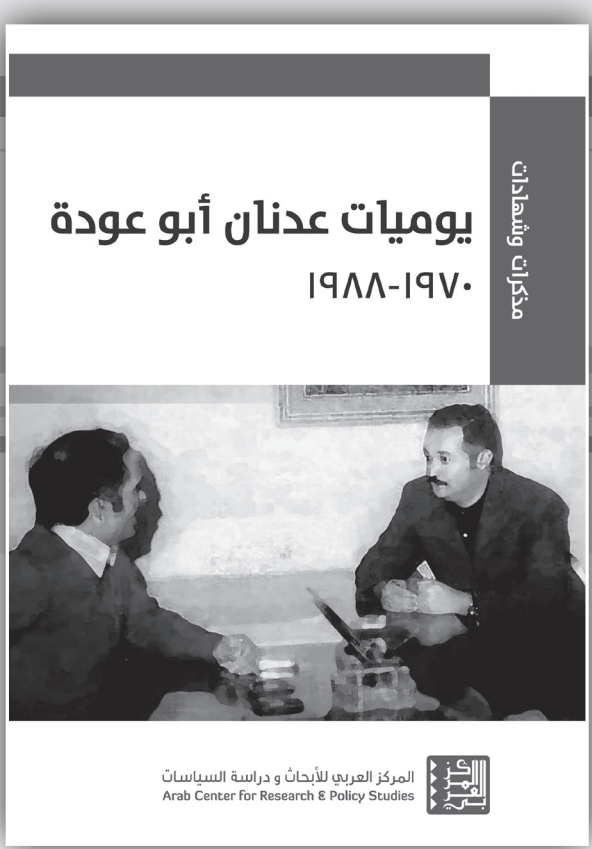

صـدر حديـثًا

يوميات عدنان أبو عودة 1970-1988

صدر حديثًا عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب يوميات عدنان أبو عودة، ضمن سلسلة مذكرات وشهادات، وهو من إعداد معين الطاهر (1150 صفحة من الحجم المتوسط، موثقًا ومفهرسًا)، مشتملاً على مقدمة وستة عشر فصلاً ونص للحوار الذي أجراه معين الطاهر ومعن البياري مع صاحبها، وملحق للوثائق والصور.يُقدّم الحوار الذي يفتتح الكتاب تعريفًا بعدنان أبو عودة؛ توجهاته الفكرية وانتماءاته السياسية والمناصب التي شغلها خلال تلك الفترة. كما أنّه يقدّم توضيحًا لبعض القضايا التي مرّت بها اليوميات من دون تفصيلها.

كركوك: عقدة النزاع العربي-الكردي، أم طريق التوافق؟

Kirkuk: Flashpoint of Arab-Kurdish Conflict or the Site of Conciliation?

خليل فضل عثمان | Khalil Fadl Osman*

كركوك في سرديات المظلومية والظالِميّة العراقية

Kirkuk in Iraqi Narratives of Victimization and the Victimizer

تُعدّ سرديات المظلومية عنصرًا أساسيًا من عناصر صناعة الهويات الفرعية في المجتمعات التي تعصف بها انقسامات مجتمعية ونزاعات بين جماعاتها الفرعية. فلا غرابة أن تزدهر سرديات المظلومية في محافظة كركوك التي تحتل موقع القلب من مشكلة "المناطق المتنازع عليها" في العراق. تنطلق هذه الورقة من تحليل ماهية سرديات المظلومية وطرق توظيفها للماضي في خدمة مشاريع سياسية تتصدرها نُخبٌ سياسية. ثم تقوم باستعراض وتفكيك للسرديات المتنافسة التي تروّج لها نُخَب الجماعات الأقوامية في كركوك حول مظلومية، حقيقيةً كانت أو مُتَخَيَّلة، تعانيها المكونات السكانية في المحافظة: الكرد، والتركمان، والعرب والمسيحيون. وتسعى الورقة، عبر استعراضها التحليلي لسرديات مظلومية هذه الجماعات الأربع، لتبيّن آليات عمل هذه السرديات حتى تخلص إلى توضيح الدور الذي تؤديه في تعقيد، إن لم يكن استحالة، فرص التوصل إلى حلول للمشكلات المستعصية المتراكمة في المحافظة وفي انتعاش وتيرة التنازع الأهلي وتصاعدها.

كلمات مفتاحية: العراق، كركوك، الكرد، التركمان، المسيحيون، السنة العرب.

Victimization narratives compose a principle element in creating of sub-national identities in societies afflicted by divisions and communal disputes. Little wonder then that narratives of victimization abound in Kirkuk province, which lies at the heart of Iraq's "disputed internal areas" problem. This paper starts of by analyzing the nature of victimization narratives and how they make use of the past to serve political projects spearheaded by political elites. It then turns to surveying and deconstructing the contending narratives propagated by communal elites in Kirkuk regarding the victimization, whether real or imagined, endured by the province's demographic components – Kurds, Turkmens, Arabs and Christians. By analytically surveying the narratives of victimization of these four communities, this paper seeks to ascertain the workings of these narratives and to explicate the role they play.

Keywords: Iraq, Kirkuk, Iraqi Kurds, Iraqi Turkmens, Iraqi Christians, Sunni Arabs.

* باحث لبناني متخصص في العلاقات الدولية والسياسة المقارنة وشؤون الشرق الأوسط، مستشار أقدم في الأمم المتحدة.

* Lebanese Researcher who Specializes in International Relations, Comparative Politics and Middle East Studies, Senior Advisor to the United Nations.

مقدمة[1]

يجري الحديث عن التركيبة السكانية في كركوك من جهة أنّها قد خضعت لسلسلة متوالية من التغييرات الديموغرافية التي ظلّت تقوم بها أيدي السياسيين ومشاريعهم القومية. ولعل تواشج التغيير الديموغرافي في كركوك في كثير من جوانبه وأبعاده ومسبباته مع السياسة يجعل الحديث عنه مشوبًا بمشاعر المظلومية والأذى والمرارة. ولهذا فغالبًا ما يختلط الحديث عن التحولات الديموغرافية في كركوك بالرغبة في استعادة خريطة سكانية ماضية، واقعية كانت أم مُتَخَيَّلَة، أو البرهنة على مركزية كركوك في سياق مظلومية جماعية أو في الأنا الجمعية. ومن هنا، يصبح من المهم أن نفصل في سياق تعقب مسارات التغيير الديموغرافي في كركوك بين ما هو من نصاب المعرفة التاريخية وما هو من سرديات المظلومية. ولئن كان تقصي وقائع التاريخ وأحداثه مهمًا لأغراض الأمانة التاريخية، فإن استقصاء سرديات المظلومية لا يقل أهمية لأغراض فهم رؤى مختلف مكونات كركوك المتباينة عن أزمة محافظة، بما في ذلك وضعها النهائي، والمشاريع التي تقترحها القوى السياسية الممثلة لمختلف المكونات لحل الأزمة، أو جوانب منها، ومواقفها من كيفية إجراء انتخابات لاختيار أعضاء مجلس المحافظة.

سرديات المظلومية وصناعة الهويات

ليست سرديات المظلومية بالضرورة ثَبْتًا أو عَرْضًا موضوعيًا أو أمينًا لوقائع التاريخ. صحيح أنها قد لا تكون قتلًا للتاريخ أو افتئاتًا على حقائقه، ولكنها لا تغادر كونها تأطيرًا لنظرة أصحابها للتاريخ وأحداثه في قوالب غائية. ولأن الغايات تتنوع، فإن سرديات الحدث الواحد تتعدد بعدد الغايات. ففي سرديات المظلومية يغدو التاريخ كتلة من طين، يشكّلها الساردون وفقًا لأنساق تسوّغ صياغة هويات جمعية. وهي إذ تقدم لأعضاء الجماعات منظومة وبنية لفهم العالم من حولهم وقصصًا تؤطر ذاكرتهم الجمعية، فإنها تتحول إلى آلية لصياغة هوياتهم ووعيهم بذاتهم؛ فهي بذلك تُعدّ من قوام الجماعات البشرية[2]. ولما كانت السرديات مصنعًا للهويات، انبرى بعض علماء الاجتماع إلى سك مفهوم "الهوية السردية"[3]. ويوضح ياسين الحاج صالح دور سرديات المظلومية في صناعة الهوية قائلًا: "سرديات المظلومية من أوجه بناء الجماعات، وضمِّ أعضائها إلى صدرها ولَأْمِ شقوقها في سياق من تنافسها على السلطة والنفوذ والموارد، والأرض، وعلى خلفية تراجع مؤسسات الحداثة السياسية، الدولة والحزب والمجموعات الطوعية والفرد، وفشل تكوّن شرعية دولية بأدنى درجة من الجدية لهذا المفهوم. ولأن السرديات بانيةٌ للجماعات، فليسَ هناك جماعاتٌ غير مظلومةٍ في عين نفسها، أو بالأحرى في عين نُخَبِها القائدة"[4].

وعمومًا، لا يُعدّ توافر حالات نزاع جماعي شرطًا ضروريًا وكافيًا وحده لظهور سرديات المظلومية، بل لا بدّ من أن يُضاف إلى حالات النزاع الجماعي وجود نخب تسعى من خلال صياغة سرديات حول مظلومية جماعاتها ليس للدفاع عن حقوق تلك الجماعات المهضومة فحسب، وإنما - ولعل ذلك هو الأهم بالنسبة إلى شرائح واسعة من تلك النخب - لتعزيز موقعها في حلبة "التنافس على الموارد المادية والرمزية والسياسية ضمن الجماعات وفي تنافسها مع بعضها"[5]. ففي سعيها لبث وعي بذات جمعية وجماعة مُتَخَيَّلة، تمارس تلك النخب سلطة على المعرفة، وتضفي عليها صبغتها وانحيازاتها الأيديولوجية. ودأبُ النخب، كما يكتب حسام مطر، أن "تعيد إنتاج الهويات لتوطيد سلطتها داخل الجماعة ومصالحها، ولتعزز التماسك الاجتماعي حول مشروع سياسي/ أيديولوجي، ولتمتِّن الولاء، لخلق كيان أحادي لا يُعرّف فقط من داخله، بل من خارجه عبر خلق "آخر" نقيض وشيطنته"[6].

ولا يصدر اعتناء سرديات المظلومية بالماضي عن نزعة ماضوية، وإنما عن رغبة في توظيف الماضي، أو نتف منه، لخدمة أغراض الزمن الراهن. تعتصم سرديات المظلومية بالماضي والتاريخ؛ تلبية لنداء الحاضر، ولإضفاء لون من المشروعية على مشروع راهن. وتستحضر سرديات المظلومية مظالم الماضي لتصوغ ذاكرة الجماعات وخيالها ورغباتها وعواطفها وانفعالاتها وأحلامها وطموحاتها وتطلعاتها وهويتها، وحتى قدرها أيضًا. بيد أن سرديات المظلومية ليست نسيج وحدها في توظيف الماضي لبناء الجماعات. فالسرديات لطالما استُخدِمَت لصياغة ذاكرة جمعية، تُوظَّف في إنتاج أشكال من التضامن، في سياق مشاريع بناء هويات وطنية أو قومية.

---

1 الآراء الواردة في هذه الورقة البحثية تعبر عن رأي المؤلف ولا تعبر عن رأي أو موقف صادر عن الأمم المتحدة أو أي من بعثاتها أو وكالاتها أو برامجها أو مؤسساتها أو منظماتها.

2 Mark Freeman, "Why Narrative? Hermeneutics, Historical Understanding, and the Significance of Stories," *Journal of Narrative and Life History*, vol. 7, no. 1 - 4 (1997), pp. 169 - 176.

3 Margaret R. Somers, "The Narrative Constitution of Identity: A Relationship and Network Approach," *Theory and Society*, vol. 23, no. 2 (October 1994), pp. 605 - 660.

4 ياسين الحاج صالح، "الظالمون العادلون: من سرديات المظلومية إلى مقاومة الظلم"، **الجمهورية**، 2015/9/7، شوهد في 2017/4/6، في: http://bit.ly/2wKe5b3

5 المرجع نفسه.

6 حسام مطر، "تفكيك الحكاية المذهبية: الغرائز القاتلة"، **الأخبار**، العدد 3177، 2017/5/17، شوهد في 2017/5/17، في: http://bit.ly/2gJbhTY

وهذه المشاريع لطالما توسلت التاريخ، من حيث هو "مخزون رمزي"[7]، في سبيل بث أحاسيس وروابط تضامنية جماعاتية، تستوي على نصاب صلة، حقيقية كانت أم مفترضة، بأزمنة سحيقة[8]. وفي سعيها الهادف إلى لتقديم مادة تماسك لتشكيل هوية الجماعات وحاضرها، تنظم السرديات الذاكرة الجمعية وفق تراتبية هرمية، "بحيث إنها تنتقي من الذاكرة ما هو مهم، وتحيل ما هو غير مهم إلى هوامش الوعي أو إلى اللاوعي"[9]. ويستدعي هذا إلى الأذهان أطروحة "الوعي الجمعي" لعالِم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم الذي عرّفه بأنه "مجموعة المعتقدات والمشاعر المشتركة لدى الأعضاء العاديين في المجتمع والتي تشكل نسقًا محددًا له حياته الخاصة به"[10].

والسرديات في أبسط معانيها هي قصص تروي أحداثًا ووقائع، ولا فرق بين تداولها مكتوبة أو محكية. وبما أنّ أهميتها لا تكمن في استخدام الأفراد لها لفهم العالم من حولهم فحسب، وإنما أيضًا بوصفها أداةً عقلية أو إدراكية لاتخاذ موقف وتحديد موقع لهم في نسيج العلائق والتفاعلات المجتمعية، فإن ذلك يحيلنا على ما نبّه له عالم النفس الأميركي الراحل جيرومي برونر من جهة أن الوظيفة الأساسية للعقل هي "صناعة العالم"[11]. في ضوء هذا، تتجلى لنا السرديات على أنها أساطير هذا الزمان. فعبرها يصنع الأفراد أو يخترعون عالمهم، أو على الأقل يخترعون رؤيتهم لهذا العالم التي يرونها على أنها هي العالم من حولهم بالفعل. وهكذا يغدو النقاش حول كون المظلومية حقيقة من عدمها نافلًا. ففي عالم غارق بسرديات المظلومية، "لا يوجد فرق بين من هو مظلوم حقًا، وبين الذي يتخيل أنه مظلوم، وبين من كان مظلومًا في السابق (ولكنه ليس مظلومًا الآن)، وبين الذي لم يعرف المظلومية البتة في قرونٍ مضت ولكنه يرى نفسه مظلومًا أزليًا"[12].

وبما أنه لا مظلوم بلا ظالم، فإن سردية المظلومية لا تسعى لتسليط الضوء على معاناة المظلوم من الظلم فحسب، وإنما تسعى أيضًا لوضع الظالم في قفص الاتهام. وعلى حد قول ياسين الحاج صالح:

"لا توجد سردية المظلومية الخاصة بأي جماعة منفصلة عن سردية ظالمية موجهة ضد جماعة مقابلة، يُفترَض أنها موحدةٌ ومتجانسة"[13]. وإذ تدّعي سرديات المظلومية وصلًا لا تنفك عُراه بليلى الحق الذي تراه متماهيًا مع الجماعة المظلومة، فإنها ترى الشر ماثلًا في الجماعة المقابلة. من هنا، فإن الهوية الجمعية التي تصوغها سرديات المظلومية ليست هوية حوارية، وإنما هي هوية سجالية قوامها التمايز السلبي عن الجماعة التي تراها ظالمة لها والاشتباك معها. فسرديات المظلومية هي، في الحصيلة، كالأسوار، إنها عامل وحدة وتمايز ودفاع عن الذات الجمعية في آن معًا. فهي ليست عنصرًا أساسيًا يدخل في صياغة لُحمة جماعة ما وتعاضدها فحسب، وإنما هي ترسم تخوم تمايز الجماعة وتباعدها وتفاضلها أيضًا.

وعلى الرغم مما تبثه سرديات المظلومية من ألم وشكوى، فإنها لا تنفك تعلي شأن المظلومية، أخلاقيًا ومعنويًا. فالمظلومية لا تكتسي في هذه السرديات أردية الذل والهوان، وإنما ترفل في أثواب الرفعة والسمو الأخلاقيين. فلا غرو أن تطالعنا من خلال سرديات المظلومية جملة من العِبَر، لعل من أبرزها ما تطلق عليه عالمة الاجتماع الدانماركية، صوفي دانسكيولد سامسو، اسم "أخلاقية المعاناة"[14]. فالمظلوم في سردياته يتعالى عن جراح مظلوميته، ويستل مكسبًا أخلاقيًا من قلب المعاناة ومن بين أنياب وجعها. وكلما بدا الظالم في سرديات المظلومية أشد خسة ودناءة وقسوة ووحشية، أطل علينا المظلوم أعلى مكانة وإنسانية وأعز وأرحم. إذًا، في سرديات المظلومية بعد درامي؛ فهي في جوهرها قصة صراع بين الخير والشر: بين الرفض والمقاومة من جهة، وبين السيطرة والإخضاع، من جهة أخرى. "وهكذا يمكن للسرديات أن تؤدي دورًا كمرتكزات للمقاومة وأن تضفي عنصر تحريك جمعي"[15]. ولكن سرديات المظلومية تُبلِّد، إن لم تصادر كليًا، الإحساس أو الوعي بالظلم الواقع على الجماعة المقابلة، سواء كان الظلم صادرًا عن رافعي راية الجماعة المظلومة أو عن غيرها. أصلًا، تسدّ سرديات المظلومية الآفاق أمام إمكانية تصور صدور الظلم عن الجماعة المظلومة. وبقدر ما تحجب سرديات المظلومية الظلم الواقع على الجماعة المقابلة، تُوَظِّف أيضًا لحجب الظلم الواقع داخل الجماعة[16].

---

7 James H. Liu & Denis J. Hilton, "How the past weighs on the present: Social representations of history and their role in identity politics," *British Journal of Social Psychology*, vol. 44, no. 4 (2005), pp. 537 - 556.

8 Ronald Grigor Suny, "Constructing Primordialism: Old Histories for New Nations," *The Journal of Modern History*, vol. 73, no. 2 (December 2001), pp. 862-896; James V. Wertsch, "The Narrative Organization of Collectie Memory," *Ethos*, vol. 36, no. 1 (March 2008), pp. 120 - 135.

9 Neera Chandoke, "Narratives of Memory: Narratives of Narcissism," *India International Centre Quarterly*, vol. 27, no. 3 (2000), p. 76.

10 Emile Durkheim, *The Division of Labor in Society*, translated by W. D. Halls (New York: The Free Press, 1984), pp. 38 - 39.

11 Jerome Bruner, "Life as Narrative," *Social Research*, vol. 54, no. 1, *Reflections on the Self* (Spring 1987), p. 12.

12 كنعان مكية، **هوامش على كتاب "الفِتْنَة"** (بيروت: منشورات الجمل، 2016)، ص 9.

13 الحاج صالح.

14 Sofie Danneskiold-Samsøe, "Victims in the Moral Ecnomy of Suffering: Narratives of Humiliation, Retaliation, and Sacrifice," in: Steffen Jensen and Henrik Ronsbo, (eds.), *Histories of Victimhood* (Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 2014), p. 240.

15 Phillip L. Hammack and Andrew Pilecki, "Narrative as a Root Metaphor for Political Psychology," *Political Psychology*, vol. 33, no. 1 (February 2012), pp. 75 - 103.

16 الحاج صالح.

ثمة نزعة خلاصية مضمرة ثاوية في سرديات المظلومية. فهي إذ لا تترك لنا مجالًا للشك في ما يتمتع به المظلوم من تفوق أخلاقي، تفتح الباب على مصراعيه أمام تخيّلات يوم المظلوم على الظالم، يوم الجماعة التي ترى في نفسها تجسيدًا للخير على الجماعة التي ترى فيها رمزًا للشر. وفي مشهد صراعي يضج بسرديات متناقضة، كمشهد كركوك العابق بسرديات المظلومية والظالمية من كل حدب عِرقي وأَقْوامي وصوب، تساهم هذه السرديات في تأبيد الصراع وإعادة إنتاجه على قدر أكبر من التعقيد كلما طال الزمن. فإذ تُراكِمُ سرديات المظلومية مشاعر الهم والغم الجمعية، وتدغدغ شهوة الثأر والانتقام لدى المظلومين، فإنها لا تكتفي بأن تستولد لديهم توقًا جارفًا لأن يُرِيَهم الله في ظالميهم يومًا، ولكنها تحرض أعضاء الجماعة أيضًا على ركوب مركب خشن هو مركب المواجهة ضد الوضع القائم على المظلومية، مظلوميتها هي أو ما تراه كذلك[17]. فمشاعر الانكسار والإذلال والمهانة والغضب والحقد التي تبعثها سرديات المظلومية قمينة بأن تُعبّئ أعضاء الجماعة في سبيل العمل الجماعي الذي لا يشطب العنف من سلة خياراته[18].

في ضوء هذا، نحاول تعقب موقع كركوك في بعض سرديات المظلومية التي تعج بها بلاد الرافدين.

اصطراع سرديات المظلومية الكركوكية

1. السردية الكردية

تحتل كركوك مكانة خاصة في سردية المظلومية الكردية المُتَدَاوَلة والخطاب السياسي الكردي. وهي تطالعنا في هذه السردية بأنها "قلب كردستان" و"قدس الأكراد". وبقدر ما تضفي مفردات خطاب كهذه هالة من الخصوصية والتضخيم والتفخيم، بل القدسية أيضًا، على مكانة كركوك، تعمد إلى أن تُسقِطَ على صورتها في الوجدان الجمعي الكردي فيضًا غامرًا من المشاعر الجياشة، أبرزها الحنين إلى ماضٍ غابر، بغضّ النظر عن كونه حقيقيًا أو مُفترضًا أو مُتَخَيَّلًا، والتوق إلى مستقبل منشود. وهذه المفردات تستدعي ما يحيط بصورة القدس من مشاعر لطالما ألهبت الوجدان الجمعي للعرب والمسلمين الذين ينظر معظمهم إلى القدس عاصمةً لدولة فلسطينية مستقبلية ومدينة مقدسة لا يمكن التخلي أو التنازل عنها. لا يعني هذا أن السردية الكردية لا تُقِرُّ تنوع التركيبة العرقية لكركوك، ولكنها إذ تُقِرُّ التنوع سمةً وخصيصة كركوكية بامتياز، فإنها تركز على عمق الوجود الكردي تاريخيًّا في كركوك وتُروِّج من خلال هذا التركيز لدعوى الحركة القومية الكردية بأنّ كركوك هي جزء لا يتجزأ من كردستان التاريخية. وتتوسل السردية الكردية التاريخ، ويشحذ المروجون لها من المفكرين والأكاديميين وأرباب القلم والسياسيين وكتّاب الأدبيات الحزبية الكردية أدواتهم البحثية للتأسيس لدعوى أن شعوبًا من أسلاف الكرد، وتحديدًا شعبَا اللولو والحوريين، هم الذين بنوا كركوك، وليركزوا على المراحل التاريخية المتأخرة التي كانت فيها كركوك جزءًا من إماراتي أردلان وبابان الكرديتين، وأن العثمانيين جعلوها عاصمة لولاية شهرزور من القرن السادس عشر حتى عام 1879 عندما نُقِلَت العاصمة إلى مدينة الموصل[19].

وتتسلح السردية الكردية بالأرقام لتؤكد أن الكرد كانوا دومًا يشكلون أكبر جماعة عرقية، إن لم يكونوا أغلبية، في محافظة كركوك. وفي هذا السياق، لا مصدر يحلو لهذه السردية أن تستشهد به أكثر من العمل الموسوعي الموسوم **قاموس الأعلام**، والمنشور عام 1315هـ/ 1898م لكاتبه المؤرخ العثماني المتحدر من أصل ألباني شمس الدين سامي، ويذكر فيه أن ثلاثة أرباع سكان مدينة كركوك في زمانه كانوا من الكرد، في حين أن الربع الباقي تشكل من العرب والتركمان وجماعات أخرى[20]. وبات هذا التأكيد، على ما يكتنفه من تشكيك الباحثين، من المُسَلَّمات اليقينية في سردية المظلومية الكردية في كركوك، وأساسًا لتأكيدات مشابهة في شأن التركيبة الديموغرافية لكركوك في المراحل اللاحقة. ويتبنى هذا الموقف الرئيس العراقي السابق وزعيم الاتحاد الوطني الكردستاني جلال طالباني، مؤكدًا أن الكرد يشكلون أغلبية في المحافظة، في حين أن التركمان يشكلون نسبة مئوية كبيرة من سكان المدينة. أمّا العرب، فهم أقلية لا تتعدى الـ 10 في المئة من

17 Francesca Polletta, "Contending Stories: Narrative in Social Movements," *Qualitative Sociology*, vol. 21, no. 4 (December 1998), pp. 419 - 446.

18 Khaled Fattah & K. M. Fierke, "A Clash of Emotions: The Politics of Humiliation and Political Violence in the Middle East," *European Journal of International Relations*, vol. 15, no. 1 (2009), pp. 67-93.

19 أحمد محمود الخليل، "دراسات في التاريخ الكردي القديم: كردستان تاريخيًا وجغرافيًا"، كوليلك، 2012/11/27، شوهد في 2017/3/25، في: http://bit.ly/2yD7vmV؛ نوري طالباني، "كركوك مدينة كانت جزءًا من إماراتي أردلان وبابان"، القسم الأول، موقع الجرس، 2 تموز [دون سنة]، شوهد في 2009/5/2، في: http://bit.ly/2j4FP70؛ وكذلك: Liam Anderson & Gareth Stansfield, *Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise* (Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press, 2009), p. 13.

20 انظر، على سبيل المثال: قيس قره داغي، "كوردية كركوك في أهم وثيقة تركية"، الموقع الإلكتروني لحكومة إقليم كردستان، 2005/7/2، شوهد في 2017/2/01، في: http://bit.ly/2vO6zOR

وقد فنّد لفيف من الكتّاب التركمان ما أورده شمس الدين سامي حول كركوك. انظر، مثلًا: أرشد الهرمزي، **التركمان والوطن العراقي**، ط 3 (كركوك: مؤسسة وقف كركوك، 2003)، ص 157؛ نجاة كوثر أوغلو، "شمس الدين سامي صاحب قاموس الأعلام وكركوك"، **موسوعة تركمان العراق**، 2013/4/24، شوهد في 2017/2/1، في: https://archive.li/pOwXl

سكان المحافظة[21]. وعلى المنوال نفسه ينسج الكثير من الكتاب والسياسيين الكرد الذين لا يفتأون يؤكدون أن محافظة كركوك كانت دومًا، قبل بدء عمليات التغيير الديموغرافي الممنهج، ذات أغلبية سكانية كردية.[22]

أن يتحدث المرء إلى السياسيين الكرد في كركوك عن تركيبة المحافظة العرقية، فإنه يستنهض مباهاة بأغلبية يرفعون لواءها كما لو كانت مُسَلَّمَة إيمانية. ويتدفق هذا التباهي بالتفوق العددي على لسان رزكار علي، رئيس مجلس محافظة كركوك الأسبق وعضو المكتب السياسي في الاتحاد الوطني الكردستاني، إذ يقول: "الأكراد يشكلون الأكثرية، يأتي بعدهم العرب ثم التركمان وبعدهم الكلدوآشوريون". لا يقدم رزكار علي أي وثائق تثبت دعواه، مكتفيًا بالإشارة إلى إحصاءات دقيقة لعدد سكان المحافظة قبل أن ينبري للتأكيد: "إذا اعتبرنا أن نسبة الأكراد في مجلس المحافظة هو المقياس فسوف نعرف أن عددهم 21 عضوًا، مقابل 11 من التركمان و7 من العرب موزعين على عدة قوائم"[23]. وهكذا يتوسل رزكار علي نتائج انتخابات مجلس المحافظة عام 2005 في تقييمه الأوزان العددية لمكونات كركوك. فالنتائج التي أفرزتها هذه الانتخابات أظهرت فوز كتلة كركوك المتآخية التي تتصدرها الأحزاب الكردية بـ 26 مقعدًا، مقابل 9 مقاعد لجبهة تركمان العراق، القائمة التي خاض فيها ائتلاف من عدة أحزاب تركمانية الانتخابات، و6 مقاعد للقائمة العربية التي خاضت السباق الانتخابي تحت مظلتي التجمع الجمهوري العراقي والتجمع الوطني العراقي[24]. ولكن الحجة التي يدفع بها رزكار علي لا تستقيم مع المنطق الذي يسوّغ به تأكيداته. فلو كانت نتائج الانتخابات معيارًا للأوزان العددية للمكونات، للزم أن يكون التركمان وليس العرب، كما يؤكد هو، هم المكون الثاني من حيث العدد.

وتنسب سردية المظلومية الكردية لكركوك موقعًا مركزيًا في كفاح الحركة القومية الكردية، عبر استحضار وقوف معضلة كركوك عقبة كأداء في كل المفاوضات التي جرت بين بغداد والكرد بين عامي 1963 و1991. ويشير السياسي الكردي المخضرم والنائب السابق في البرلمان العراقي محمود عثمان إلى أن اتفاقية الحكم الذاتي التي أبرمتها الحكومة العراقية مع الزعيم الكردي الراحل الملا مصطفى بارزاني في 11 آذار/ مارس 1970 "أقرت على تطبيع الأوضاع في كركوك وإجراء إحصائية سكانية لسكان المحافظة لغرض اتباعها إلى ما كان يسمى بمنطقة الحكم الذاتي (إقليم كردستان حاليًّا)، لكن سجلات تسجيل نفوس المحافظة تم نقلها إلى بغداد والتلاعب بها، ثم ساءت العلاقات بعد عام بين الأكراد والحكومة"[25].

وتعج سردية المظلومية الكردية بإحالات على ما اتخذته الحكومة العراقية من إجراءات أدّت إلى تناقص نسبة السكان الكرد في كركوك. وتروّج هذه السردية لروايات حول الإجراءات القمعية والتعسفية التي اتخذها نظام حكم حزب البعث في حق الأكراد، وخصوصًا عمليات الترحيل القسري والتعريب والقتل الجماعي التي بلغت ذروة وحشيتها في حملة الأنفال عام 1988. وهي وإن لم تخلُ من إشارات إلى ما لحق التركمان من ظلم إبان حكم النظام السابق، فإن هذه الإشارات لا تعدو غالبًا أن تكون من زخرف القول ولزوميات تأكيد البعد الطغياني الشامل لنظام صدام حسين، من دون أن ترقى بأي حال من الأحوال إلى المساواة بين مظلومية الآخر التركماني ومظلومية الـ "نحن" الكرد. فلا مظلومية تضاهي مظلومية الكرد في هذه السردية، ومن ثمّ فلا يوجد مَنْ هو أرفع شأنًا أخلاقيًا من ضحايا هذه المظلومية.

وفي حديثها عن حملة الأنفال، لا تفتأ سردية المظلومية الكردية تذرف الدموع خوابيَ. وحملة الأنفال تتراءى لنا في سردية المظلومية الكردية طقسَ عبور بالنسبة إلى الكرد نحو فرادة في فضاء التاريخ المفتوح والمشبع بالمظلومية والتوحش. فـ"وحشية هذه الحملات والجينوسايد التي قام بها النظام المقبور ضد الكورد لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني الطويل"[26]. وجريمة كهذه تختزل ذاكرة متورمة من الجرائم المُرتَكَبَة في حق الكرد؛ ذلك أن "حملات الأنفال لم تكن صدفة، ولم تكن أول عمل وحشي ضد الشعب الكوردي، بل سبقتها جرائم أخرى"[27].

لا تكتفي سردية المظلومية الكردية ببث "لواعج" الحزن والأسى والغضب، بل تنبري متطلعة إلى إزالة آثار عمليات التعريب. وتجاهر بهدف استعادة التوازن السكاني في كركوك الذي سبق عمليات التغيير الديموغرافي التي قادتها أجهزة الدولة العراقية قبل عام 2003. وتؤكد هذه السردية، في هذا السياق، ضرورة إعادة الوافدين إلى مناطقهم الأصلية، وعودة سكان كركوك الأصليين الذين أُخرِجوا

21 جلال طالباني، **كردستان والحركة القومية الكردية**، ط 2 (بيروت: دار الطليعة، 1971 [1963])، ص 36.

22 انظر، على سبيل المثال: نوري طالباني، **منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي**، ط 3 (أربيل: منشورات آراس، 2004).

23 معد فياض، "كركوك: "قدس الأكراد""، **الشرق الأوسط**، العدد 10986، 26 كانون الأول/ ديسمبر 2008، شوهد في 2017/4/1، في:
http://bit.ly/2xQRj0Y

24 تجدر الإشارة إلى أن الأحزاب الكردية خاضت هذه الانتخابات مُوَحَّدَة تحت راية كتلة كركوك المتآخية، في حين أن عدة قوائم عربية وتركمانية دخلت معترك التنافس الانتخابي وسط دعوات قوية لمقاطعة الاقتراع في أوساط العرب السنة في كركوك.

25 فياض.

26 "الأنفال جريمة لا تغتفر"، الموقع الإلكتروني لحكومة إقليم كوردستان، 2006/4/16، شوهد في 2017/2/1، في: http://bit.ly/2xQaNTw

27 المرجع نفسه.

من ديارهم وهُجِّروا إبان عمليات التعريب، والسواد الأعظم منهم من الكرد. وتبدو صورة الوافدين في كركوك، بصفتهم مستوطنين شجَّعتهم الحكومة العراقية السابقة على الانتقال إلى كركوك والإقامة فيها، من أجل تغيير التركيبة السكانية للمحافظة. لا مجال في هذه السردية لانتقال عرب من مناطق أخرى من العراق إلى كركوك؛ سعيًا وراء أسباب الرزق أو لقمة العيش أو أي غرض آخر. وعين سردية المظلومية الكردية كليلة عن أي ممارسات قسرية ترتكبها أطراف كردية، من قبيل المضايقات أو الاعتقالات أو التهديدات أو ما شابه ذلك، لإكراه الوافدين على العودة إلى مناطقهم الأصلية. فكما في سرديات المظلومية عمومًا، نرى أن الـ "نحن" المظلومين في عُرف سردية المظلومية الكردية لا يمكن أن يكونوا ظالمين. وهكذا تسعى هذه السردية لتصوير الوافدين على أنهم راغبون من تلقاء أنفسهم في مغادرة كركوك والعودة إلى مناطقهم الأصلية لقاء الحصول على ما تقدمه الحكومة من حوافز. ويُشَدِّد دلير درماني، المدير السابق لإعلام محافظة كركوك، على "أن هناك عددًا كبيرًا من العوائل العربية التي جاءت إلى المدينة في عهد صدام حسين ضمن خطة تعريب المدينة، تريد العودة إلى محافظاتها الأصلية مقابل منحة من الحكومة تبلغ 20 مليون دينار لكل عائلة وقطعة أرض سكنية في محافظتهم الأصلية"[28].

تتوخى سردية المظلومية الكردية إسدال الستار على مسألة كركوك والمناطق المتنازع عليها، فتطرح ضمها إلى إقليم كردستان مشروعًا للوضع النهائي للمحافظة. وهي لا تسوّغ هذا المشروع عبر تصويره بأنه امتياز أو استحقاق للكرد بسبب مظلوميتهم التاريخية فحسب، وإنما تشفع ذلك باستدعاء منطق عودة الابن الضال إلى حضن الأم. يطالعنا هذا التسويغ من خلال سطور مقالة لنجيرفان بارزاني، رئيس الوزراء في حكومة إقليم كردستان، ورد فيها: "يجب أن يكون لدينا تعويض عن المظالم التي ارتُكِبَت في حق شعبنا"[29]، ويكتب: "في كركوك، وهي جزء لا يتجزأ من كردستان، تاريخيًا وجغرافيًا، تعرَّض شعبنا إلى الطرد، وجرى التلاعب بحدود المحافظة. يجب أن يكون هناك استفتاء مُجَدْوَل، في اقتراع عادل وبالحدود الصحيحة، لتمكين محافظة كركوك من الانضمام إلى بقية كردستان"[30]. والمقصود بالتلاعب بحدود المحافظة هو الإجراءات التي اتُّخِذَت إبان حكم حزب البعث لتغيير الحدود الإدارية لكركوك عبر سلخ أقضية ومساحات ذات أغلبية كردية عنها وضم أخرى ذات أغلبية عربية إليها.

28 فياض.

29 Nechirvan Barzani, "Why Kurdistan insists on Kirkuk," *Financial Times*, August 15, 2005, accessed on 31/3/2017, at: http://on.ft.com/2eN50JI

30 Ibid.

ولئن دأبت سردية المظلومية الكردية في تكرار الدعوة إلى تطبيق المادة 140 من الدستور العراقي الدائم، والتي تتضمن خريطة طريق لحل مشكلة المناطق المتنازع عليها ومن ضمنها كركوك، فإنها لم تتزحزح عن رفضها القول إن هذه المادة قد باتت في عِداد الأموات بسبب تجاوز السقف الزمني لتطبيقها، والذي نَصَّت عليه، وهو 31 كانون الأول/ ديسمبر 2007. وهي في إصرارها هذا تصدُر عن إيمان راسخ بوجوب إعادة كركوك إلى حضنها الكردستاني. فكركوك التي تقرع في الوجدان الجمعي الكردي أجراس الخيبة والأمل في آن تظل تبثّ الوجع في سردية المظلومية الكردية طالما ظلت خارج حدود إقليم كردستان.

2. السردية التركمانية

لعل من أبرز ملامح سردية المظلومية التركمانية هو اهتمامها الوثيق بمدينة كركوك. فهي إذ تتصدى للدفاع عمّا تراه مظلومية التركمان وأحقيتهم في محافظة كركوك، فإنها تجيش عاطفة ومشاعر تعبّر عن مركزية هذه المدينة في وجدان تركمان العراق، ومن ثمّ عما تكتنزه من رمزية عالية بالنسبة إلى الحضور التركماني في أرض الرافدين. وتأتي سردية المظلومية التركمانية مشحونة بهيمنة التاريخ. فهي إذ لا تنكر وجود مكونات أخرى غير المكون التركماني فيها، فإنها تؤكد أن كركوك مدينة تركمانية تاريخًا ولغةً وثقافةً. ومع ذلك، تلوذ سردية المظلومية التركمانية بالأرقام لتؤكد أن التركمان شكلوا أكبر جماعة عرقية في مدينة كركوك حتى عام 2003. ويستشهد النائب في البرلمان العراقي ورئيس مجلس محافظة كركوك السابق حسن توران بوثيقة غير منشورة صادرة عن أحد أجهزة المخابرات العراقية عام 1997 تشير إلى أن "عدد التركمان في كركوك كان 360 ألف نسمة ونسبتهم هي 45 في المائة، ونسبة وجود العرب تشكل 30 في المائة، والأكراد 20 في المائة"[31]. ولكن إذ تبدو ملامح هذه الثقة بالتفوق العددي للتركمان في أحاديثهم، نُخبًا وقواعد، وحواراتهم وخطابهم، فإنها تشفّ في الوقت ذاته عن بُرحاء ألم على وقع تراجيديا تراجع هذا الوزن تحت وطأة ما طرأ على المدينة من تغييرات سكانية، قبل سقوط نظام البعث عام 2003 أو بعده.

وكما في كل سردية تفتل عضلات الأوزان، يكون الوجه الآخر للتباهي بكثرة الـ "نحن" هو الإحالة على الضمور العددي للـ "هم". فيطالعنا من ثنايا الاعتداد بالتفوق العددي التاريخي للتركمان في المدينة، والمشوب بمواجع الشعور الأقلوي المستجد، إشارات وإيماءات إلى أن المكونات الأخرى، من الكرد والعرب والكلدو - آشوريين، شكلت دومًا أقليات عددية في المدينة لم يشهد حضورها نموًا يُعتدُّ به

31 فياض.

سوى في أعقاب اكتشاف النفط في كركوك عام 1927. وفي القراءة التاريخية التي يقدمها الضابط السابق في الجيش العراقي والقيادي في الجبهة التركمانية العراقية، صبحي ناظم توفيق، عن تغير الملامح الديموغرافية لمدينة كركوك في الحقبة المتأخرة، تعبير لا يقبل التأويل عن ذلك. ففي عقب اكتشاف النفط في كركوك، "تهافت عليها الآلاف من أهالي شماليّ العراق بشكل خاص، ضمّت مسيحيين آشوريين وكِلدانيين وأرمَنيين بأسبقية أولى، وأكرادًا وعربًا وغيرهم بأسبقية لاحقة، فيما توافد إليها عراقيون آخرون لينشئوا في بعض بقاعها مصالح تجارية واقتصادية ما لبثت أن تطورت وسط هذه المدينة الغنية التي رُبِطت مع 'بغداد وأربيل' بسكة حديد وطرق مبلّطة عديدة مع خمسة ألوية/ محافظات في أوانه، فيما تأسست 'القيادة العسكرية للمنطقة الشمالية' (1927) وبُنِيَ العديد من المعسكرات الكبيرة في ضواحيها وانخرط في تشكيلاتها الآلاف من الشباب الأكراد وغيرهم من سكنة ألوية 'كركوك، السليمانية، أربيل، والموصل'"[32].

ولئن اقتصر صبحي ناظم توفيق على التطرق إلى تحولات الصورة الديموغرافية لمدينة كركوك، فإن سردية المظلومية التركمانية لا تعدم ساردين يسحبون ملامح هذه الصورة على معظم محافظة كركوك وما حولها من المناطق. فالكثير من السياسيين وأرباب القلم التركمان يُظهِرون شغفًا بتسليط الضوء على الوجود التركماني التاريخي في مناطق شاسعة ليس من أراضي محافظة كركوك الحالية فحسب، بل في أجزاء واسعة من الشمال العراقي أيضًا[33]. وهذه المساحات، ومن بينها مناطق ذات ثقل سكاني كردي حاليًا مثل أربيل، والممتدة على شكل هلال من الحدود العراقية - السورية إلى الحدود العراقية - الإيرانية اختزنتها الأيديولوجيا القومية التركمانية بعمق وحنين على أنها "وطن التركمان"، أو "توركمن إيلي" بالتركمانية. ولعل في ربط هذه المناطق بإحكام برباط الأيديولوجيا القومية التركمانية، فضلًا عما يلقاه هذا الربط من صدًى يتردد في الوجدان الشعبي التركماني، ما يجعل من مشاعر الخسارة والانكسار والخوف من المستقبل في سردية المظلومية التركمانية أفدح وأعمق.

تتصدى سردية المظلومية التركمانية لذاكرة مدينة كركوك، بكل ما مر عليها من رخاء وعمران وتقلبات ومحن وخراب تواطأت على إنتاجه خيراتُ باطن الأرض وتنافسُ الدول وأدواتُ القمع وويلاتُ الحروب والحصار، ولكنها تظل مسكونة بهاجس إثبات حضور تاريخي وثقافي تركماني ضارب في عمق التاريخ في المدينة. ولئن عمدت السردية التركمانية إلى تأصيل وجود التركمان في العراق عبر تتبُّع بدايات حضورهم في بلاد الرافدين إلى القرن الهجري الأول وأفردت حيزًا واسعًا للهجرات التركمانية المتعاقبة إليها والإمارات التركمانية التي حكمت أجزاءً واسعة منها[34]، فإنها لا تكلّ ولا تملّ من التوقف طويلًا عند الأثر التركماني البالغ في الحياة الثقافية للمدينة. والسردية التركمانية في هاجسها هذا تنم عن وعي حاد بالدور المحوري للغة في تشكيل الهوية وإضفاء وعاء حاضن لها. فلا يكلّ السياسيون والكتّاب والمثقفون والناشطون التركمان من التذكير بأنّ اللغة التركمانية كانت هي السائدة في كركوك في السنوات الأولى للدولة العراقية الحديثة، ويستشهدون بإشارات إلى ذلك أوردها مؤرخون عراقيون وأجانب. لا تنظر سردية المظلومية التركمانية إلى هوية كركوك من عيون اللغة فحسب، وإنما تنظر إليها أيضًا من منظور الإرث الثقافي التركماني بتجلياته المتعددة، بدءًا بالأساطير والحكايات الشعبية، مرورًا بأسماء المحلات والحارات والأمكنة، وليس انتهاءً بالنتاج الأدبي والفكري والصحافة[35].

> لا يكلّ السياسيون والكتّاب والمثقفون والناشطون التركمان من التذكير بأنّ اللغة التركمانية كانت هي السائدة في كركوك في السنوات الأولى للدولة العراقية الحديثة

ولا تشذ السردية التركمانية عن غيرها من سرديات المظلومية في أن ترى، على نحو يتاخم حدود التفاخر، ملامح خاصة تتفرد بها مظلوميتها عن غيرها من المظلوميات التي تتنافس لاحتلال موقع الصدارة في فضاء سرديات المظلومية الكركوكي. وكما في سائر سرديات المظلومية عمومًا، لا صوت يُعبِّر عن المظلومية التركمانية هنا أقوى

32 صبحي ناظم توفيق، "واقع الصراع على كركوك والمناطق المتنازع عليها"، ورقة مقدمة في مؤتمر "العرب والكرد: المصالح والمخاوف والمشتركات"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 29 نيسان/ أبريل1- أيار/ مايو 2017.

33 يُنظَر على سبيل المثال: الهرمزي، ص 13-16؛ حسن أوزمن، "تركمانية كركوك قبل وما بعد التاريخ (باختصار)"، نحن التركمان، 2017/4/8، شوهد في 2017/7/4، في: http://bit.ly/2y8hlPP
و"أربيل تركمانية"، وكالة تركمان نيوز، دون تاريخ نشر، شوهد في 2017/7/4، في: http://bit.ly/2xp0NEl

34 الهرمزي، ص 15 - 16.

35 انظر على سبيل المثال لا الحصر: عطا ترزي باشي، **تاريخ الطباعة والصحافة في كركوك**، ترجمه إلى العربية مولود طه قاياجي (كركوك: الجبهة التركمانية، 2008)؛ نصرت مردان، "الوجود التركماني في كركوك كنموذج للتآخي الإثني تاريخًا وحاضرًا"، مجلة **تركمان العراق**، العدد 3، السنة الأولى (آذار/ مارس – نيسان/ أبريل 2004)، شوهد في 2017/7/2، في: http://bit.ly/2wIm2ig؛ ياوز نور الدين صابر آغا أوغلو، "شواهد على تركمانية كركوك"، موقع نحن التركمان، 2010/4/16، شوهد في 2017/7/2، في: http://bit.ly/2vNSssV؛ عوني عمر لطفي، "الهوية التركمانية لكركوك وما جاورها: في ماضيها وحاضرها"، موقع المنبر التركماني، شوهد في 2017/7/2، في: http://bit.ly/2wLgwdo

من صوت الدم المسفوك ظلمًا وعدوانًا. تتلو سردية المظلومية التركمانية مزامير أحزانها وأتراحها المثقلة بالحضور الطاغي لعدد من المذابح التي تعرّض لها التركمان في كركوك في العراق الحديث، بدءًا بإقدام ثلة من الجنود الآشوريين المُلحَقين بالقوات البريطانية والمعروفين باسم "التياريين" أو "الليفي" على قتل عدد من المواطنين التركمان إثر مشاجرة في سوق كركوك الكبيرة في 4 أيار/ مايو 1924، مرورًا بإطلاق الشرطة العراقية النار على عمال معتصمين في حديقة كاورباغي في حي قورية في مدينة كركوك للمطالبة برفع أجورهم في 12 تموز/ يوليو 1946، وليس انتهاءً بمجزرة 14 تموز/ يوليو 1959 التي ارتكبتها عناصر مسلحة من الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) في حق التركمان في المدينة[36]. بهذه المذابح نالت مظلومية التركمان معمودية فرادتها. ففي مذكرة رفعوها إلى الزعيم عبد الكريم قاسم في تموز/ يوليو 1959، قال مواطنون تركمان من كركوك: "لقد ظهرت في سماء كركوك الكئيبة موجة من الإرهاب والاضطهاد لم يشهد مثلها بلد آخر حتى في أحلك أيام العهد البائد، وكانت هذه الموجة موجهة إلينا نحن التركمان وحدنا"[37].

وفي معرض سعي سردية المظلومية التركمانية لأن تحتفظ لمظلومية التركمان بصفة الفرادة تؤكد ما واجهه التركمان في العراق، وفي كركوك خاصة، من انتهاك لحقوقهم الثقافية واللغوية على مر العقود في ظل الدولة العراقية الحديثة، مثل التفاف سلطات النظام السابق على قرارها السماح بالدراسة باللغة التركمانية في أوائل السبعينيات[38]. كما تنحو هذه السردية إلى تأكيد أن حملة "تصحيح القومية" التي جَرَّدَها النظام السابق على أعتاب التعداد السكاني لعام 1997 في سياق مساعيه الهادفة إلى "تعريب" كركوك قد لحقت التركمان دون سواهم من المكونات الأقوامية في المحافظة. ويقول تحسين كهية، عضو مجلس محافظة كركوك وعضو "لجنة تنفيذ المادة 140 من دستور جمهورية العراق" وعضو المكتب السياسي للاتحاد الإسلامي لتركمان العراق، أحد أكبر الأحزاب السياسية التركمانية الشيعية، إن قرار "تصحيح القومية" قد "شمل القومية التركمانية فقط دون غيرها"؛ فقد عمد النظام السابق في سياق تنفيذ هذا القرار إلى "ممارسة الضغوطات وإجبار المواطنين التركمان على تصحيح قوميتهم وبدونها [كذا] يتعرضون إلى سلب للحقوق وغصب للممتلكات ونقل للوظائف أو حرمانهم من حقوق المواطنة". ولئن تتصدى السردية التركمانية لتسليط الضوء على ما لحق بالتركمان من حيف إبان حكم النظام السابق، فإنها تطرح في الوقت ذاته ضرورة رفع هذا الحيف عبر "العمل على إيجاد آلية وحل سريع بإلغاء قرارات الاستملاك والمصادرة وإصدار قرارات جديدة لحل وإعادة حقوق المواطنين"[39].

> لا يفوّت ناسجو سردية المظلومية التركمانية أي فرصة لتسليط الضوء على ما شهدته كركوك منذ عام 2003 من زيادة كبيرة وغير طبيعية في عدد السكان الأكراد فيها. وهم يوجهون أصابع الاتهام إلى الأحزاب الكردية، وخصوصًا الحزبين الكرديين الرئيسين

وإذ تختط سردية المظلومية التركمانية نسقها الخاص في بث شكوى المظلومية الواقعة بالتركمان، فإنها تحرص على تأكيد أن إطاحة النظام السابق لم تؤذن باندثار هذه المظلومية، وإنما أرهصت تحولًا في هوية ظالمي التركمان. لا يفوّت ناسجو سردية المظلومية التركمانية أي فرصة لتسليط الضوء على ما شهدته كركوك منذ عام 2003 من زيادة كبيرة وغير طبيعية في عدد السكان الأكراد فيها. وهم يوجهون أصابع الاتهام إلى الأحزاب الكردية، وخصوصًا الحزبين الكرديين الرئيسين، الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال طالباني والحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود بارزاني، وسلطات إقليم كردستان باتخاذ إجراءات وتقديم حوافز منذ عام 2003 تهدف إلى زيادة عدد الأكراد القاطنين في كركوك بغية تغيير تركيبتها الديموغرافية. وتضج السردية التركمانية بشكوى مُرَّة وحزينة مما تصفه بـ "تكريد" كركوك يختصرها حسن توران بقوله: "نسبة الأكراد ارتفعت بسبب تهجير الآلاف من الأكراد من مدن إقليم كردستان إلى مدينة كركوك من أجل تكريد المدينة". وإذ يؤكد توران أن التركمان ليس لديهم أي اعتراض على عودة الأكراد الذين هُجِّروا من كركوك إبّان حكم النظام السابق إلى المحافظة، فإنه يسارع إلى القول مستدركًا: "لكننا ضد استجلاب أكراد آخرين ليسوا من سكان كركوك لغرض حسم مسألة الاستفتاء لصالح الأكراد"[40].

ويزدهر موسم شكوى "تكريد" كركوك في الخطاب السياسي التركماني الذي لا يترك للصدفة أو للظروف أو لِيَدِ القدر شيئًا أو حَدَثًا شهدته

36 الهرمزي، ص 56 - 93. الملاحظ أن سردية المظلومية التركمانية تضرب صفحًا عن اعتداء بعض التركمان على منازل الآشوريين والمسيحيين في كركوك في اليوم التالي لهذه الحادثة ما أسفر عن مقتل عدد منهم ثأرًا لمقتل أبناء جلدتهم في اليوم السابق.

37 المرجع نفسه، ص 80.

38 انظر: المرجع نفسه، ص 117 - 121.

39 تحسين كهية، "المادة 140 من الدستور الدائم: قراءة وتصورات وآراء"، الموقع الإلكتروني لـ "Iraqi Turkmen Human Rights Research Foundation"، شوهد في 2017/1/10، في: http://bit.ly/2xQFs38

40 فياض.

كركوك في عقب عام 2003، فيقتات على نظرية مؤامرة تفترض وجود مخطط مرسوم بدقة وعناية يقودُ تَكَشُّفَ الأحداث نحو مآل "التكريد". وهكذا تحيلنا السردية التركمانية على يد خفية تكمن وراء الكثير من الأحداث التي شهدتها كركوك، إثر سقوط نظام صدام حسين، غايتها "تكريد" المحافظة. ففي كلمة ألقاها في مؤتمر عشائري في بغداد في تموز/ يوليو 2008، رأى رئيس حزب العدالة التركماني العراقي، أنور بيرقدار، أن ما شهدته كركوك من أعمال سلب ونهب وحرق للدوائر الحكومية وإتلاف وسرقة لسجلات النفوس، بعد سقوط المدينة في قبضة القوات الأميركية وقوات البيشمركة الكردية عام 2003، لم تكن سوى أول الغيث في مخطط يهدف إلى "ابتلاع المحافظة واستقطاعها من العراق"، فضلًا عن "تهميش وإقصاء" للعرب والتركمان[41].

وعند ملامستها لما اجترحته عملية صياغة دستور جديد للعراق في حقبة ما بعد 2003 من حلول لمشكلة كركوك والمناطق المتنازع عليها، تختلط الشكوى بالرفض في سردية المظلومية التركمانية التي يعلو صوتها في الاعتراض على المادة 140 من الدستور العراقي. ويغطي ضوضاء الاعتراضات التركمانية المادة 140 على كل صوت تركماني آخر، مثل المواقف التي يطلقها بعض الأحزاب التركمانية الصغيرة المرتبطة بالأحزاب الكردية، ويتناغم موقفها مع الموقف الكردي المؤيد لتطبيق المادة 140[42]. قبل انقضاء الموعد النهائي لتطبيق المادة 140 في نهاية عام 2007، دأب السياسيون التركمان في التحذير من عواقب خطِرة في حال تطبيقها[43]. وما إن انقضى الأوان المنصوص عليه دستوريًا لتنفيذها حتى انبروا، كما ورد على لسان حسن توران، لتأكيد أن "المادة 140 من الدستور العراقي غير صالحة بسبب نفاذ صلاحياتها تاريخيًا"[44].

ومع كل صرخات الاعتراض التي تطلقها سردية المظلومية التركمانية حيال المادة 140، فإنها تظل مسكونة بهاجس إزالة ما لحق بالتركمان من حيف إبان حقبة حكم حزب البعث، وتطرح في الحصيلة النهائية حلولًا تستوحي في جوانب كثيرة منها مضمون المادة 140. فسردية المظلومية التركمانية تؤكد "ضرورة إزالة سياسة النظام البائد وإعادة المدينة إلى وضعها السابق من خلال تطبيع الأوضاع وإعادة الحقوق إلى المتضررين من جراء تلك السياسات وهذا حق طبيعي لكل مواطن في امتلاك حقوقه وممارسة حرياته والسكن في موطنه الأصلي"[45]. وعلى المنوال نفسه، فإنها تتطلع أيضًا إلى "إيجاد آلية وحل سريع بإلغاء قرارات الاستملاك والمصادرة وإصدار قرارات جديدة لحل وإعادة حقوق المواطنين"[46]. وهكذا، أمام طوفان الانكسارات والخيبات، تنشد سردية المظلومية التركمانية الفرار من آلام الحاضر ومواجع التاريخ القريب فتنكفئ إلى الحنين إلى زمن غابر سابق لحقبة المظلومية.

3. السردية العربية

أبرز ما يستوقف المرء في سردية المظلومية العربية في كركوك هو جِدتها. فهي تستمد أسباب وجودها من احتلال العراق وما نجم عنه من آثار، وتستوي على نصاب شعور مستجد بالظلم والاضطهاد والتهميش يساور أساسًا السنة العرب في العراق. كان الغزو الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق بالنسبة إلى السنة العرب، بصفتهم جماعة، نقطة تحول من مرحلة إلى أخرى، بل إنّه كان طَقْس عبور يؤذن بمولود جديد، أو حتى بمسخ لا تعرفه، وبنظام سياسي خِيطَ من قماشة لم تعتد عليها ولم تجرّبها منذ تأسيس العراق الحديث. وهذا ما يفسر، إلى حد كبير، أن سردية المظلومية العربية في كركوك جاءت مُحَمَّلة بقدر هائل من المرارات تضاهي تلك التي يكابدها من يُقاسي تقلّب الأيام وتداول الدول وطحنته رحى تغير مفاجئ في الأحوال. وتصب في هذه السردية روافد الاعتراض على ما استجد من وقائع في مسرح الحياة السياسية العراقية من دمار وخراب وفوضى واحتراب. فسردية المظلومية العربية في كركوك تتداخل فيها شكوى المظلومية والتهميش مع صرخات الرفض والاعتراض.

ولأن المرارات ولاّدة المخاوف؛ تستولد مرارات الحاضر في سردية المظلومية العربية مخاوف مما يحمله قابل الأيام. ولا خوف من المستقبل في هذه السردية يداني الخوف من ضم كركوك إلى إقليم كردستان. وبقدر ما ترفع سردية المظلومية العربية في كركوك صوتها عاليًا ضد كل المشاريع و"المخططات" والتحركات الهادفة إلى ضم المحافظة إلى إقليم كردستان أو إلحاقها به، تضج بالشكوى مما شهدته كركوك من تغيير في تركيبتها الديموغرافية منذ عام 2003. فهي ترى في هذا التغيير الديموغرافي مقدمة لمشاريع الضم والإلحاق.

41 "نص الكلمة التي ألقاها السيد أنور بيرقدار في مؤتمر عشائر العراقية"، موقع نحن التركمان، 2008/7/30، شوهد في 2009/5/4، في: http://bit.ly/2vNJ6NH

42 يُشار في هذا السياق إلى المؤتمر التركماني الأول الذي عُقد في أربيل لمدة يوم واحد في 11 شباط/ فبراير 2008 بحضور ممثلين عن عدد من الأحزاب التركمانية الصغيرة والتي طالب مسؤولوها في إطار فعاليات المؤتمر بتطبيق المادة 140 من الدستور. ونُقِل عن عرفان كركوكلي، الأمين العام لحزب الشعب التركماني وعضو مجلس محافظة كركوك عن كتلة كركوك المتآخية التي يتصدرها الأكراد، قوله "إن المؤتمر يهدف إلى دعم المحاولات الرامية لتطبيق المادة 140 الدستورية خدمة للصالح العام في العراق وللشعب التركماني". انظر: "بدء أعمال المؤتمر التركماني الأول في أربيل"، الموقع الإلكتروني لحكومة إقليم كردستان، 2008/2/11، شوهد في 2017/3/6، في: http://bit.ly/2wIYxFU

43 Sumedha Senanayake, "Iraq: Ethnic Tensions Increasing In Oil-Rich City," Radio Free Europe/Radio Liberty, November 2, 2006, accessed on 6/3/2017, at: http://bit.ly/2j4PLgC

44 فياض.

45 كهية.

46 المرجع نفسه.

وهي إذ لا تحاول أن تضفي على كركوك هويتها الأقوامية، على غرار ما تقوم به السرديتان الكردية والتركمانية، فإنها تؤكد اختلاط الأعراق في المحافظة. وفي الوقت الذي ذهب بعض القدماء إلى أن العراق سُمِّي عراقًا "لتواشج عروق الشجر والنخل فيه"[47]، تنبري سردية المظلومية العربية لتأكيد تواشج الأعراق والثقافات في كركوك، متخذة من سمة التعددية هذه منطلقًا لاستحضار صورة كركوك عراقًا مصغّرًا تعكس التنوع العرقي والقومي والتعدد الثقافي والديني في العراق الأكبر.

واستنادًا إلى هذه الخاصية الفسيفسائية، طفقت سردية المظلومية العربية تؤكد أن كركوك، بصفتها رمزًا لوحدة العراق، ينبغي لها أن تكون لكل العراقيين. وهي بصفتها حضنًا يضم إليه العراقيين على اختلاف هوياتهم الفرعية، لا يمكن إلا أن تستظل بظل إدارة خاضعة للحكومة المركزية في بغداد وتراعي تمثيل كل المكونات فيها. وانحياز سردية المظلومية العربية إلى هذا الحل الذي يتأتى من بحثها عما يُهدِّئ مخاوف عرب كركوك من المستقبل يُعبِّر عنه راكان سعيد الجبوري، نائب محافظ كركوك، المتحدر من عرب قضاء الحويجة، بقوله: "باعتبار أن كركوك مدينة متعددة القوميات فيجب أن يكون لها حلّ خاص وبإدارة مشتركة يتقاسم فيها العرب والأكراد والتركمان السلطة بالتساوي وأن تتبع مباشرة للحكومة ببغداد"[48].

> تتردد في سردية المظلومية العربية أصداء شكوى التركمان مما طرأ على كركوك من تغيير ديموغرافي في أعقاب غزو العراق

وتتردد في سردية المظلومية العربية أصداء شكوى التركمان مما طرأ على كركوك من تغيير ديموغرافي في أعقاب غزو العراق. وتُبرِزُ شكاوى تَعَرُّضِ الكثير من العائلات العربية الوافدة إلى كركوك للترهيب على أيدي عناصر كردية؛ ما دفع العديد منها إلى مغادرة المحافظة منذ عام 2003. وهذا مسلك سلكه عضو المجلس الاستشاري العربي في كركوك عبد الرزاق العبودي الذي تحدث عام 2007 عن "أكثر من 100 ألف عائلة، اضطرت أمام التهديد والوعيد والتهم الكيدية ومنعهم من مزاولة أعمالهم إلى مغادرة كركوك والعودة إلى مدن الجنوب وغالبيتهم من أهالي البصرة والعمارة والنجف". كما وجه أصبع الاتهام إلى قوات البيشمركة الكردية بأنها "مارست ضغوطًا شديدة على العوائل العربية وصلت إلى حدّ التهديد والطرد ومصادرة حقوقهم"[49]. والحال أن الإجراءات التي تتخذها أجهزة أمنية كردية في حق الوافدين، والمضايقات والتهديدات التي تعرضوا ويتعرضون لها منذ عام 2003، تمثّل خزينًا من الروايات التي تستدل بها سردية المظلومية العربية لتأكيد فداحة الظلم المُطبِق على عرب كركوك في حقبة ما بعد عام 2003. فعلى سبيل المثال، أثارت حملة مضايقات تعرض لها العديد من أسر الوافدين والنازحين العرب في كركوك، في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2010، موجة اعتراضات واستنكارات واسعة في أوساط العرب في المحافظة، فضلًا عن دعوات إلى تشكيل قوة حماية عربية ذاتية خاصة في كركوك[50]. في تلك الأيام، عقد النائب العربي عن محافظة كركوك عمر خلف جواد الجبوري مؤتمرًا صحافيًا في مبنى البرلمان العراقي في بغداد، اتهم فيه القوات الأمنية الكردية وجهاز الأمن الكردي المعروف باسم "آسايش" باستخدام أساليب الترهيب والتهديد بالقتل، لإجبار النازحين والوافدين العرب على مغادرة المحافظة بالقوة[51].

وكيفما كانت الحال، يبدو في سردية المظلومية العربية قلقٌ من تغير الموازين والأثقال العددية بين المكونات في غير مصلحة العرب، بعد أن كانوا يشكلون النسبة الكبرى من سكان المحافظة قبل سقوط نظام صدام حسين[52]. وإذ تنحو سردية المظلومية العربية منحى تنزيه الجماعة وتطهيرها، فإنها تنكر أن يكون العرب الذين جاؤوا إلى كركوك قبل عام 2003 قد وفدوا إليها في سياق مشروع يهدف إلى

47 أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، القسم الثاني، ج 2 (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، 1344هـ تصوير دار الكتب العلمية في بيروت)، ص 55.

48 فياض.

49 "100 ألف عائلة عربية 'تجبر' على مغادرة كركوك"، **الغد** الأردنية، أعيد نشره في صحيفة العراق الإلكترونية، 2007/10/4، شوهد في 2017/7/19، في: http://bit.ly/2gOzlbK من الواضح أن عدد العائلات التي يزعم العبودي أنها قد غادرت كركوك (100 ألف عائلة) بالغ الارتفاع. وإذا افترضنا أنّ معدل عدد أفراد العائلة الواحدة في العراق هو 5 أشخاص، فهذا يعني أن نحو 500 ألف نسمة قد غادروا كركوك بحلول عام 2007، وهذا أمر يصعب تصوره، لأنه كان سيخلق فجوة ديموغرافية واضحة.

50 نسخ عن التهديدات الموقعة باسم "حركة شباب كركوك" والمُوَجَّهَة إلى عائلات عربية وافدة أو نازحة إلى كركوك في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2010 في حوزة الكاتب. وصورة في حوزة الكاتب عن شكوى مكتوبة بخط اليد كتبها المواطن حسن فنش حمودي ومُوَجَّهَة إلى نائب محافظ كركوك راكان سعيد الجبوري بتاريخ 5 تشرين الأول/ أكتوبر 2010.

51 "نشرة أخبار "العراق اليوم""، قناة **الحرة عراق**، 2010/9/29.

52 على سبيل المثال، يشير نائب محافظ كركوك راكان سعيد الجبوري إلى أن "نسبة العرب في كركوك كانت تبلغ في العام 1998، 58 في المائة". انظر: فياض. ولكن هذه النسبة مشكوك فيها ولا يُعرف مصدرها. فنسبة العرب في كركوك عام 1997 ناهزت، وفقًا لتقديرات وزير التخطيط والتعاون الإنمائي علي غالب بابان عام 2006، 72 في المئة. انظر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، كتاب من وزير التخطيط والتعاون الإنمائي علي غالب بابان إلى وزير العدل هاشم الشبلي، العدد ث س/274، في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2006.

تغيير الواقع الديموغرافي فيها. ويقول راكان سعيد الجبوري، في هذا الصدد: "العرب في كركوك لا يعترفون بالهجرة ولا بالتغيير الديموغرافي باعتبار أن العرب الذين جاؤوا إلى كركوك في عهد صدام حسين هم عراقيون ومن حقهم السكن في أي مدينة عراقية"[53].

وفي ثنايا أنين الشكوى، تتعالى الأصوات في سردية المظلومية العربية تعزو التغيير الديموغرافي في محافظة كركوك بعد عام 2003 إلى "هيمنة" الطرف الكردي على دفة القرار السياسي والإداري فيها[54]. وإذ تردّ السردية العربية أسباب هذا التغيير الديموغرافي إلى عوامل القوة والهيمنة، وهي عوامل قهر وظلم، فإنه يصعب عليها في الوقت ذاته أن تُقِرَّ علنًا أن بعض الذين انتقلوا من الكرد إلى كركوك بعد عام 2003 كانوا من المهجرين الذين اختاروا العودة إلى محافظتهم الأصلية. فهي ترى أن أصول غالبية الكرد الذين تدفقوا على كركوك بعد 2003 لا تعود إلى كركوك، بل إلى محافظات أخرى، بل إنها ترى أن بعضهم ليس عراقيًا أصلًا، وإنما من أكراد سورية، وتركيا وإيران[55].

ومع كل ما تضج به سردية المظلومية العربية في كركوك من شكوى حول التغيير الديموغرافي في المحافظة في عقب عام 2003، يستفزها حديث "التعريب" والتغيير الديموغرافي في كركوك قبل عام 2003. فنراها تحمل شعورها المُمِضّ بالهزيمة والخسارة، تمتشق حججها وأدلتها وأرقامها، وتهبّ للردّ. فسردية المظلومية العربية لا تأخذ حديث "التعريب" على أنه تقرير لواقع، بل على أنه من ضروب المبالغة ذات الدوافع السياسية، إن لم يكن تهمة باطلة. على هذا المنوال ينسج النائب والوزير السابق محمد علي تميم براهينه وهو ينبري للرد على حديث "التعريب"، فيُعلِن أن العرب الذين وفدوا إلى كركوك في الثمانينيات لم يسكنوا في بيوت الكرد المهجرين، وإنما في أحياء بُنِيَت خصيصًا لإسكانهم قبل أن يطفق مؤكدًا أن العرب الذين جاؤوا في سياق تطبيق سياسات النظام السابق لا تتجاوز نسبتهم 20 في المئة من عرب كركوك[56]. وتردد صدى هذا الكلام على لسان الشيخ عبد الله سامي العاصي، عضو مجلس محافظة كركوك ورئيس المجموعة العربية في المجلس الذي اغتيل في 21 تموز/ يوليو 2013، في حوار معه عام 2009، أبلغني فيه أن "الوافدين استقروا في أراضٍ مملوكة للدولة وليس لأي شخص"[57]. وإذ تُقِرُّ سردية المظلومية العربية أن بعض الأحياء قد هُدِمَت إبّان حكم النظام السابق، فإنها تعزو ذلك إلى أسباب تنموية. فالشيخ عبد الله، على سبيل المثال، يستشهد ببناء الجسر الثالث في مدينة كركوك، والذي بحسب ما أخبرني استدعى هدم بيوت تعود ملكيتها إلى عائلات من الكرد، والتركمان وحتى العرب بغية تسهيل انسيابية حركة السير في وسط المدينة[58].

في ردِّها على حديث "التعريب"، لا تقف سردية المظلومية العربية، ولا تستكين عند حدود مسح دمغة الإقامة في بيوت الكرد المهجرين عن صورة الوافدين العرب. ولكنها تَسُوق مبررات للسياسات الهادفة إلى تغيير الخريطة الديموغرافية في كركوك، اعتمدها النظام السابق فتردّ هذه السياسات إلى أسباب أمنية. هذا المسار السردي تبنّاه الشيخ عبد الله سامي العاصي؛ إذ جادل بأن عملية "التعريب" سعت لخلق "حزام أمني" للحيلولة دون امتداد الثورة الكردية المسلحة إلى حقول النفط في كركوك. وسرعان ما أكد أن العرب الذين استقروا في كركوك ضمن مسعى إقامة "الحزام الأمني" فروا من المحافظة إبّان العمليات العسكرية التي أطاحت نظام حكم حزب البعث عام 2003[59].

تقف سردية المظلومية العربية عند حديث "التعريب" مستنهضة مشاعر جرح الكرامة. فمن بين كلمات الاحتجاج بالنِّسَب والأرقام، وحروف المبررات والمُسوِّغات، تنساب من سردية المظلومية العربية في ردّها على حديث "التعريب" هواجسُ الأصالة، ويطل برأسه ذعرُ منظومة قيم عشائرية، ترفع الأرومة والأصول والسلالات إلى مصاف يلامس القداسة، من التشكيك في عمق تاريخ الحضور العربي في كركوك. فلئن كان إثبات "التعريب" يحمل إيحاءات واتهامات مضمرة بأن غالبية العرب في كركوك طارئون على المحافظة، فإن نفي "التعريب" يغدو تأكيدًا لأصالة العرب في نسيج المحافظة الديموغرافي ولِقِدَمِ سُكناهم فيها. فالشيخ علي الحمداني، أمير قبيلة البوحمدان في العراق، المتوفى في شباط/ فبراير 2016، والذي لا يُخفي عن محدثيه أنه كان عضوًا لفرع بحزب البعث في كركوك، يستحضر ادعاء الأصالة الكركوكية لدى تأكيده أن أبناء قبيلة البوحمدان في كركوك هم "كركوكيون أصليون" ومن بين أقدم القبائل العربية التي استوطنت كركوك[60]. في حين يتوغل محمد علي تميم، الأستاذ الجامعي في مادة التاريخ، قبل أن يخوض غمار العمل السياسي تحت قبة البرلمان وفي أروقة الحكومة العراقية، في حقب التاريخ؛ ليؤكد أن العرب جاؤوا إلى كركوك في سلسلة من موجات الهجرة تزامنت أولاها مع الفتح الإسلامي للمنطقة لتتلوها موجات كان أبرزها قدوم عشائر الجبور

53 فياض.

54 محمد التميمي، "عرب المحافظة يطالبون بتقاسم المناصب السياسية والإدارية والأمنية"، **الحياة**، 2008/12/23، شوهد في 2009/5/9، في: http://bit.ly/2xcB5SS

55 فياض.

56 سليم مطر، "حوار هام مع النائب محمد علي تميم: حقائق مجهولة عن عرب كركوك!"، الحوار المتمدن، 2008/2/8، شوهد في 2009/5/9، في: http://bit.ly/2xsW3wy

57 عبد الله سامي العاصي، عضو مجلس محافظة كركوك ورئيس المجموعة العربية في المجلس، ومن شيوخ عشائر العبيد في كركوك، مقابلة شخصية، كركوك، 2009/5/11.

58 المرجع نفسه.

59 المرجع نفسه.

60 علي الحمداني، أمير قبيلة البوحمدان في العراق، مقابلة شخصية، كركوك، 2010/10/11.

والعبيد وبني طي إلى كركوك بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر الميلاديين[61]. وفي المقابل، وفي ما يستدعي إلى الأذهان صورة من صور التنابز، يرى تميم أن بداية الحضور العددي الكردي الكثيف في كركوك جاءت مع انطلاق الصناعة النفطية فيها في العشرينيات من القرن السابق، وهي صناعة أطلقت بما وفرته من فرص عمل مجزية العنان لموجة هجرة داخلية من شتى مناطق العراق إلى كركوك[62].

وبقدر ما تنشغل سردية المظلومية العربية بالتعبير عن مواجع ظلم ترى أنه قد أناخ بِكَلْكَلِه على صدور عرب كركوك منذ عام 2003، نجدها مهمومة في بث مشاعر الخشية من ظلم أكبر تراه آتيًا نحوها على جناح تطبيق المادة 140 من الدستور العراقي. فالتطبيع الذي نصّت عليه المادة 140، والذي يشمل عودة الوافدين إلى مناطقهم الأصلية، يؤذن باستئصال شريحة سكانية ذات وزن عددي مهم من العرب في كركوك. ويعلنها راكان سعيد الجبوري، نائب محافظ كركوك، عاليًا، أن "عرب كركوك كانوا وما زالوا من الرافضين للمادة 140 الدستورية"[63]. وفي معرض سعيها لأن تنسب الظلم إلى المادة 140، تحيل سردية المظلومية العربية على ما اختزنته ذاكرة الوافدين عن قدومهم إلى كركوك؛ سعيًا لعمل أو هربًا من عسف السلطات. وفي هذه الإحالة، سؤال إنكاري مضمر عما اقترفته أيدي مَنْ وفد مِنَ العرب إلى كركوك من سوء لكي يستحقوا الترحيل.

ويستبد بسردية المظلومية العربية في كركوك شعور باليأس من رفع حالة الظلم عن عرب المحافظة في المستقبل المنظور. تمدّ سردية المظلومية العربية في كركوك نظرها إلى الأفق البعيد؛ فلا ترى في عين المستقبل إلا أيامًا كالحة. فالمؤشرات الدالة على تغير وشيك في موازين القوى المائلة إلى مصلحة الكرد شبه معدومة، في ظل الظروف المواتية التي أتيحت للمشروع القومي الكردي في خضم كرة النار التي ما فتئت تلفّ العراق وسورية منذ سنوات. وتضج سردية المظلومية العربية في كركوك بشكواها انعدام الناصر والنصير؛ ما يُعَمِّق محمولها من قناعات بأن العالم كله قد أدار ظهره لجماعتها، وللحق المتماهي في نظرها مع جماعتها. فنراها تطحن الحزن والمرارة والخوف، وهي تترقب الخلاص وانقلابًا في الموازين تجود به يد القدر.

4. السردية المسيحية

تتألف الجماعة المسيحية في كركوك من أربع جماعات عرقية - طائفية هي: الآشوريون، والكلدان، والسريان، والأرمن. وباستثناء الأرمن الذين هاجروا أو رُحّلوا إلى العراق، غالبًا في مراحل متأخرة من عمر الدولة العثمانية، فإن الجماعات الثلاث الأخرى ترجع أصولها في العراق وكركوك إلى عهود غائرة في القِدَم، بعضها يمتد إلى مهد الحضارات الأولى في بلاد الرافدين قبل خمسة آلاف سنة ونيّف. ويُضفي هذا الحضور الضارب في أعماق التاريخ على سردية المظلومية المسيحية في كركوك أهمية خاصة، على الرغم من عزلة المسيحيين عن مجاري التأثير الفاعل في صناعة الحدث السياسي في المحافظة؛ بسبب قلة عددهم وتناقصه المطّرد على مدار العقود القليلة الماضية. وإذ تحتفي سردية المظلومية المسيحية بنيلها قصب السبق في الحضور التاريخي في كركوك، فهي تؤكد أن هذه المدينة، مع كونها مثّلت بوتقة اختلطت فيها الشعوب والأجناس على مر التاريخ، فإنها بدأت مدينة آشورية تعرف باسم "أرابخا"، وهو الاسم الذي عُرِّب لاحقًا إلى "عرفة" ويُطلق حاليًا على أحد الأحياء ذات الأغلبية السكانية المسيحية في مدينة كركوك[64].

> تحتفي سردية المظلومية المسيحية بنيلها قصب السبق في الحضور التاريخي في كركوك، فهي تؤكد أن هذه المدينة، مع كونها مثّلت بوتقة اختلطت فيها الشعوب والأجناس على مر التاريخ، فإنها بدأت مدينة آشورية تعرف باسم "أرابخا"

تأتي سردية المظلومية المسيحية في كركوك مشحونة بمشاعر الخوف الوجودي الذي دَاخَل الوجدان المسيحي في العراق، منذ السنوات الأولى للدولة العراقية الحديثة. ونراها لا تفتأ تعزف ألحان تراتيل الموت والفناء على أوتار نكد الأزمنة، ماضيها وحاضرها، ومآسيهما، ورُهاب المستقبل. في سردية المظلومية المسيحية في كركوك، تحضر بقوة المذابح التي تعرَّض لها الآشوريون على أيدي الجيش العراقي، وبعض أبناء القبائل العربية والكردية، في بلدة سُمّيل في شمال العراق عام 1933[65]. ولئن غادر ضحايا مذبحة سُمّيل وسط هدير ما أحاط

61 مطر.

62 المرجع نفسه؛ عبد الله سامي العاصي، مقابلة شخصية.

63 فياض.

64 عادل عبد الرحيم الحكيم، "كركوك: أصلًا واسمًا..."، في: مجموعة باحثين، **موسوعة كركوك قلب العراق** (بيروت: دار الكلمة الحرة، د.ت.)، ص 39 - 40، شوهد في 2017/2/4، في: http://bit.ly/2wJuPkk

65 يوسف مالك، "حقائق منسية حول مذابح الآشوريين في العراق عام 1933!؟"، ترجمها من الإنكليزية عمانوئيل سلمون، الموقع الإلكتروني للمؤتمر الآشوري العام، 2006/8/9، شوهد في 2017/2/4، في: http://bit.ly/2vOyfmZ انظر أيضًا:
Khaldun S. Husry, "The Assyrian Affair of 1933 (I)," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 5, no. 2 (April 1974): 161-176; Khaldun S. Husry, "The Assyrian Affair of 1933 (II)," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 5, no. 3 (June 1974), pp. 344 - 360.

بتلك الحقبة من أحداث لاهبة، فلا يزال استحضار اسم هذه البلدة ينطق بالكثير في سردية المظلومية المسيحية التي تُواصِل تخليد هذا الاسم في جنّة الرمز والذاكرة والشهادة. يتضح لنا ذلك بوضوح في كتابات آشوريين معاصرين؛ كما في المقتطف التالي من نصٍّ للكاتب تيري بطرس: "سُمّيل صرخة آشورية مدوية، في وجه الكل، العراق وجيشه، العرب والكورد والمؤسسات الدولية كافة، صرخة تقول، شعب لم يلجأ لأي خيار، غير خيار تقديم العرائض والرسائل، للنظر في مظلوميته، ولكنه قوبل بالقتل والسحل والسبي والاغتصاب من قِبَل مؤسسة كان [كذا] موكلة بالدفاع عن الوطن وعن أبناء الوطن"[66].

وإذ يبقى شبح سُمّيل دائم الحضور في سردية المظلومية المسيحية، فإن الجماعات التي تُحَمِّلها هذه السردية مسؤولية ما تراه بأنه ظلم لازَم ويُلازِم المسيحيين في العراق تتعدد. فمن جهة، تتعالى فيها أصداء شكوى استهداف المسيحيين في كركوك والمناطق المتنازع عليها في إطار سياسة "التعريب" التي اعتمدها النظام السابق. ومن جهة أخرى، تضج بشكوى تعرّض قرى مسيحية في سهل نينوى للترهيب والاضطهاد على أيدي جماعات كردية منذ عام 1991[67]. ولا توفر سردية المظلومية المسيحية في بعض تجلياتها حكومة إقليم كردستان وأحزابًا كردية رئيسة من توجيه أصابع الاتهام إليها باعتماد "إجراءات ممنهجة [...] في المناطق الخاضعة للسيطرة الكردية بغية تهميش وقمع الآشوريين عبر السياسات القمعية لحكومة إقليم كردستان"[68]. ورفد انبثاق النظام العراقي الجديد في مرحلة ما بعد سقوط نظام حكم حزب البعث سردية المظلومية المسيحية بكَمٍّ هائل من الروايات والحكايات عن أحداث عنف دموي وجرائم لحقت المسيحيين العراقيين ودور عبادتهم وأعمالهم في ظل واقع غارق بالهمجيات. وتفاقم الخوف الوجودي في سردية المظلومية المسيحية، مع تصاعد سيل الهجمات التي استهدفت المسيحيين العراقيين، في شتى مناطق العراق، بما فيها كركوك. وكان من الطبيعي أن تبلغ شحنات الخوف والذعر، والتي كانت تَدَبُّ في أوصال سردية المظلومية المسيحية مع كل عمل من أعمال العنف يلحق المسيحيين، أَوجَها في عقب سقوط الموصل بيد داعش. فما تعرّض له مسيحيو نينوى من قتل واضطهاد وتهجير أفرز خطابًا تتردد فيه مفردات الإبادة والتطهير، كما ورد على لسان رئيس طائفة السريان الأرثوذكس في أربيل، المطران مار نيقوديموس الذي قال: "إذا أردنا أن نعبّر عما يحدث لنا جميعًا، أنا ورعيتي، وجميع المسيحيين بكل طوائفهم الذين كانوا متواجدين في الموصل، نقول كلمتين: إبادة جماعية، نعم أؤكد على كلمة إبادة جماعية، تطهير عرقي"[69].

وإذ رأى الكثيرون من المسيحيين العراقيين في الهجرة منفذًا لهم من دوامة الأحداث العاصفة التي ما تزال تتكشف في العراق على مدى عقود، وما صاحبها من توحّش في أعمال العنف، فإن الهجرة ضَخَّت في سردية المظلومية المسيحية في كركوك خوفًا جديدًا هو الخوف من الاندثار. هذا الخوف الذي يقضُّ مضاجع رؤساء الطوائف والسياسيين المسيحيين في كركوك حدا بهم إلى التحذير مرارًا وتكرارًا من عواقب الهجرة وتأكيد أن المسيحيين هم من "أبناء المدينة"[70].

ثمة شعور بالحصار ينبجس من سردية المظلومية المسيحية في كركوك، فهي تعبر عن جماعة تجد نفسها محاصرة بين الخوف من الإبادة والخوف من الاندثار. وفوق هذا الخوف المتراكم خوفًا على خوف، ترزح سردية المظلومية المسيحية في كركوك تحت ثقل الانقسامات السياسية. وهي انقسامات تؤدي إلى تَوَزُّع رؤاها حول مستقبل كركوك، ما بين معارض لانضمامها إلى إقليم كردستان ومؤيد لهذا الانضمام، مع تسويق بعضهم لمشروع الانضمام تحت شعار إقامة حكم ذاتي للمسيحيين ضمن إطار إقليم كردستان، مع وجود حيز كبير للمنادين بمشروع إقامة إقليم خاص بالمسيحيين في نينوى. وهكذا تحمل سردية المظلومية المسيحية في كركوك صليبها لتستوي على نصاب الخوف والقلق والريبة من المحيط، وتنعقد على الضعف والوهن والتشتت، ويدبّ في أوصالها اليأس والقنوط وفقدان الأمل.

خاتمة: السرديات وانتعاش التنازع الأهلي في كركوك

هكذا، إذًا، تغدو كركوك في سرديات المظلومية التي نسجتها حولها نُخَبُ أقوامها أكثر من مجرّد مكان، فهي تكتسب في هذه السرديات أبعادًا رمزية عميقة. فلئن رفعت السردية الكردية كركوك إلى مصاف القدس، ليس بالمعنى الديني وإنما من حيث كونها قِبلة المشروع القومي الكردي الأولى التي لا تسبقها قِبلة، فإنها تسطع في سردية المظلومية التركمانية نبراسًا لحضور التركمان ودورهم التاريخي المُمَيّز في العراق، وتتجلّى في سردية المظلومية العربية لوحةً للتنوع الثقافي في العراق والمشروع الوطني العراقي الجامع، وتبدو في سردية المظلومية المسيحية عنوانًا رئيسًا من عناوين الخوف الوجودي الذي يساور مسيحيي العراق.

66 تيري بطرس، "سميل الرمز الأبدي لاضطهاد الآشوريين"، موقع إيلاف، 2016/8/5، شوهد في 2017/2/4، في: http://bit.ly/2j69L2r

67 William Warda, "Democracy in Iraq or Ethnic Cleansing of the Assyrians?" *Assyrian International News Agency*, December 25, 2005, accessed on 4/2/2017, at: http://bit.ly/2gJIO05

68 Lisa Söderlindh, "Assyrians Face Escalating Abuses in 'New Iraq,'" *Inter Press Service*, May 3, 2006, accessed on 5/2/2017, at: http://bit.ly/2eNZHdd

69 "المطران مار نيقوديمس يكشف عن السبي المسيحي في الموصل"، الديار، 2014/8/11، شوهد في 2017/2/5، في: http://bit.ly/2w9Zzas

70 Gerald Butt, "Don't flee Kirkuk, Iraqi Christians are urged," *Church Times*, May 6, 2009, accessed on 23/7/2017, at: http://bit.ly/2wLzwZ8

وكما لاحظنا من خلال "إبحارنا" البحثي في هذه السرديات، فإنها وقعت عمومًا في مطبّ إصدار أحكام إطلاقية ويقينية في شأن أحجام جماعاتها الأقوامية أو المكوّناتية. ثمة، بالنسبة إلى سرديات المظلومية الكركوكية، شيء فاتن في الوزن العددي للأقوام، شيء فيه من سحر الأكثريات، وما تزهو به من إحساس بالقوة. ولكن الوَجْهَ الآخر لفتنة التنافخ بالأعداد والأرقام والأحجام التي تسود سرديات المظلومية الكركوكية، باستثناء السردية المسيحية إلى حد ما، ربما هو أنه كلما كَبُر عدد الجماعة المظلومة زادت فداحة الظلم اللاحق بها. وكأن لسان حال هذه السرديات يقول: أنْ تُظلَم أقلية عددية أو جماعة ذات عدد قليل، فتلك مصيبة، ولكن أنْ تُظلَم جماعة أكثرية أو ذات ثقل عددي وازِن أو يُعتَدُّ به، فالمصيبةُ أدهى وأعظم.

لقد جاءت سرديات المظلومية الكركوكية مكتنزة بمحمول تاريخي. ولكن كل واحدة منها فسّرت، في سياق تسليطها الضوء على مظلومية قومها، صفحات وفصولًا من تاريخ المحافظة على نحو مغاير، مع أنها كلها تسبح في فضاء تاريخي مشترك. فهذه السرديات انتقائية في قراءتها للتاريخ، بحيث إنها تنحو إلى الاستشهاد بأحداث مختارة، وأحيانًا جوانب من هذه الأحداث، وتسلط الضوء عليها وتُعرِض عن أخرى قد تُظهِر بعضًا من أبناء قومها في دور الظالم. واللافت للانتباه، في هذا السياق، هو الأهمية التي تحتلها ثيمة المذابح بصفتها عنصرًا أساسيًّا من عناصر المظلومية في بنية هذه السرديات التي نراها تسعى لتصوير مكوناتها، وهي تخوض في معمودية النار والدم والاقتلاع. ويجعلنا إغراء المذابح هذا نرى أن وطأة الماضي ثقيلة على الحاضر في سرديات المظلومية الكركوكية كافة. فهي في استدعائها ما يحمله الماضي في أحشائه من ظلم حاق بمكوّن من المكونات، تستدعي أيضًا تقبيح صورة الجماعة التي اقترفت هذا الظلم، وتوحي برغبة التشفي منها، إن لم يكن الانتقام. من جهة أخرى، تنظر سرديات المظلومية، في سياق قراءتها الانتقائية للماضي، إلى هذا الماضي بعين الحاضر ومشاريعه المستقبلية. التاريخ هنا يُوضَع في خدمة الحاضر. فالسرديات تنظر إليه بناءً على صورة نسجتها نُخَبُ الجماعات الأقوامية أو المكوناتية للحاضر والمستقبل. ويتجلى هذا بأوضح صوره في استحواذ همّ إثبات أسبقية الحضور التاريخي لقومية معينة في كركوك على هذه السرديات كافة. فأسبقية الحضور التاريخي في عين السرديات الكركوكية تساوي الأحقية في المحافظة وصياغة حاضرها ورسم مستقبلها.

ولعل أخطر ما في غواية قراءة الماضي والحاضر بعيون سرديات المظلومية الكركوكية هو أنها منعشة للضدّية والغَيْريَّة حيال الجماعة أو الجماعات التي تضعها في خانة الظالمين، بل إنها مغذية للتمايز السلبي عن كل ما عدا الجماعة المظلومة من جماعات. فهذه السرديات عبر تقديمها صورًا متنافرة ومتناقضة في كثير من أوجهها لماضي المحافظة، وتأكيدها مظلومية جماعة بعينها، تقطع الطريق أمام إمكانية التأسيس للتعايش مُجَدَّدًا وانعقاد إجماع عابر للمكونات حول حاضر المحافظة ومستقبلها. فكل سردية منها لا ترى مستقبلًا مقبولًا، سوى ذاك الذي تظن أنه يمسح الظلم اللاحق بجماعتها هي أو يمحوه، وليس ذاك الذي ترزح تحته غيرها من الجماعات. وأمام تناقض السرديات وتنافس المظلوميات، يتضح لنا إلى حد كبير لماذا ظلّت نُخَبُ مكونات كركوك تعجز عن الاتفاق على أي شيء مهم يخصها سواء تعلّق الأمر بالأرقام الديموغرافية، أو سجلات الناخبين وتنقيحها وتدقيقها، أو المشاركة في السلطة والقرار في المحافظة، أو حل نزاعات الملكية، أو سن قانون انتخابي لمجالس المحافظات يشمل كركوك، أو على الأقل سن قانون انتخابي خاص بها، أو ما سوى ذلك. وإذ تغدو مثل هذه المشكلات أكثر استعصاءً على الحل وتدوير الزوايا والحلول الوسطى، فإنّ سرديات المظلومية الكركوكية تتضح لنا عاملًا أساسيًّا من عوامل انتعاش التنازع الأقوامي والمكوناتي في كركوك الغاصّة بالهويات الناهضة من سباتها.

المراجع

العربية

باشي، عطا ترزي. **تاريخ الطباعة والصحافة في كركوك.** ترجمه إلى العربية مولود طه قاياجي. كركوك: الجبهة التركمانية، 2008.

توفيق، صبحي ناظم. "واقع الصراع على كركوك والمناطق المتنازع عليها". ورقة مقدمة في مؤتمر العرب والكرد: المصالح والمخاوف والمشتركات. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة. 29 نيسان/ أبريل-1 أيار/ مايو 2017.

طالباني، جلال. **كردستان والحركة القومية الكردية.** بيروت: دار الطليعة، 1971.

طالباني، نوري. **منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي.** ط 3. أربيل: منشورات ئاراس، 2004.

مكية، كنعان. **هوامش على كتاب "الفِتْنَة".** بيروت: منشورات الجمل، 2016.

مجموعة مؤلفين. **موسوعة كركوك قلب العراق.** إشراف سليم مطر. بيروت: دار الكلمة الحرة، د.ت.

النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف. **تهذيب الأسماء واللغات،** الجزء الثاني من القسم الثاني. القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، 1344هـ. تصوير دار الكتب العلمية في بيروت.

الهرمزي، أرشد. **التركمان والوطن العراقي.** ط 2. كركوك: مؤسسة وقف كركوك، 2003.

الأجنبية

Anderson, Liam & Gareth Stansfield. *Crisis in Kirkuk*: *The Ethnopolitics of Conflict and Compromise*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2009.

Bruner, Jerome. "Life as Narrative." *Social Research*. vol. 54. no. 1. *Reflections on the Self* (Spring 1987).

Chandoke, Neera. "Narratives of Memory: Narratives of Narcissism." *India International Centre Quarterly*. vol. 27. no. 3 (2000).

Durkheim, Emile. *The Division of Labor in Society*. W. D. Halls (Trans.). New York: The Free Press, 1984.

Fattah, Khaled & K. M. Fierke. "A Clash of Emotions: The Politics of Humiliation and Political Violence in the Middle East." *European Journal of International Relations*. vol. 15. no. 1 (2009).

Freeman, Mark. "Why Narrative? Hermeneutics, Historical Understanding, and the Significance of Stories." *Journal of Narrative and Life History*. vol. 7. no. 1 - 4 (1997).

H. Liu, James & Denis J. Hilton, "How the Past Weighs on the Present: Social Representations of History and their role in Identity Politics." *British Journal of Social Psychology*. vol. 44. no. 4 (2005).

Hammack, Phillip L. & Andrew Pilecki. "Narrative as a Root Metaphor for Political Psychology." *Political Psychology*. vol. 33. no. 1 (February 2012).

Husry, Khaldun S. "The Assyrian Affair of 1933 (I)." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 5. no. 2 (April 1974).

_____. "The Assyrian Affair of 1933 (II)." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 5. no. 3 (June 1974).

Jensen, Steffen & Henrik Ronsbo (eds.). *Histories of Victimhood*. Philadelphia. PA: University of Pennsylvania Press, 2014.

Polletta, Francesca. "Contending Stories: Narrative in Social Movements." *Qualitative Sociology*. vol. 21. no. 4 (December 1998).

Somers, Margaret R. "The Narrative Constitution of Identity: A Relationship and Network Approach." *Theory and Society*. vol. 23. no. 2 (October 1994).

Suny, Ronald Grigor. "Constructing Primordialism: Old Histories for New Nations." *The Journal of Modern History*. vol. 73. no. 2 (December 2001).

Wertsch, James V. "The Narrative Organization of Collective Memory." *Ethos*. vol. 36. no. 1 (March 2008).

نوشيروان حسين سعيد | Nahwi Saeed*

من التنوع إلى الانقسام: إمكانية نموذج توافقي لاقتسام السلطة في كركوك

From Diversity to Division: the Prospects for a Consociational System of Power-Sharing in Kirkuk

تسلِّط الورقة الضوء على مشكلة كركوك، وتحاول إيجاد حلّ لمشكلة الحوكمة فيها. وقد سُمِّيت كركوك "العراق المصغَّر" لتنوُّعها العرقي واللغوي والديني والثقافي؛ لذلك فإنّ إيجاد حلّ لأيّ مشكلة تتعلق بمعضلتها سيكون له دور إيجابي في تحقيق الاستقرار في جميع أنحاء العراق. تعود بداية مشكلة كركوك إلى اكتشاف النفط في المدينة؛ إذ بدأت سياسة التعريب بالتدريج، وظهرت خطوط الإثنية في المدينة والمحافظة. وبعد سقوط نظام البعث عام 2003، أصبحت كركوك مدينة مستقطَبة، وظلت مشكلة الحوكمة إحدى المشكلات الرئيسة التي لم تُسوَّ بعدُ في المحافظة. تقترح هذه الورقة تبنِّي الديمقراطية التوافقية، بدلًا من الإستراتيجيات الأخرى، في التعامل مع الاختلافات والانقسامات العرقية والدينية في المجتمعات المتعددة؛ استنادًا إلى الدراسات المتاحة حول كركوك، والدستور العراقي، وتجربة الحكم في مرحلة ما بعد عام 2003 في المدينة.

كلمات مفتاحية: كركوك، الكرد، العرب، التركمان، الديمقراطية التوافقية، اقتسام السلطة.

This paper explores the difficulties of the city and governorate of Kirkuk, specifically the problems from its diverse composition. Kirkuk has been described as a “microcosm of Iraq”, in recognition of the ethnic, linguistic, cultural and religious diversity in the region. This gives added impetus to finding a resolution to the difficulties of governance in the governorate-city: a solution to the problems in Kirkuk could have positive reverberations for the rest of Iraq. The governorate’s problems began in the wake of the discovery of oil there, with a gradual effort towards “Arabization” of the population there undertaken by the then-government of Saddam. This led to the formation of clear ethnic fault lines, which became clearer following the invasion of Iraq in 2003. At that point, Kirkuk became even more polarized, serving to further entrench the problems of governance in the region. Based on the existing literature on Kirkuk, on the Iraqi constitution and the experience of government in Iraq since 2003, this paper proposes consociational democracy as the preferred approach to resolving Kirkuk’s long-outstanding issues, including the disputes resulting from religious and ethnic differences typical of pluralist societies.

Keywords: Kirkuk, Kurds, Arabs, Turcoman, Consensusal Democracy, Power Sharing.

* باحث كردي عراقي متخصص في إدارة النزاعات وحلها في المجتمعات المنقسمة.

* Iraqi Kurdish Researcher who Spicillizes in Conflict Management and Resolution in Divided Sociaties.

مقدمة

تقع مدينة كركوك جغرافيًّا في شمال العراق، على مسافة 236 كيلومترًا (نحو 147 ميلًا) إلى الشَّمال من العاصمة بغداد، و85 كيلومترًا (نحو 53 ميلًا) إلى الجنوب من مدينة أربيل[1]. وكركوك مدينة قديمة، اكتسبت سمعة ثقافية طوال قرون عديدة، وعُرِفت بتنوُّعها العرقي واللغوي والديني والثقافي المتميز. باختصار، كركوك هي إحدى أكثر المدن القديمة في العالم التي عاشت فيها أربع مجموعات عرقية معًا قرونًا عديدة. وتنقسم هذه المجموعات على أسس دينية ولغوية؛ دينيًّا، هنالك مسلمون ومسيحيون، وينقسم المسلمون إلى سُنة وشيعة. ومع ذلك، كانت اللغة - وليس الدين - هي العلامة الرئيسة للتمايز بين المجموعات السكانية في المدينة حتى الآن. ولم يتسبب التعدد اللغوي والتنوُّع العرقي في التوتر والعنف في المدينة حتى القرن العشرين واكتشاف النفط كما سيتمّ تفصيل ذلك لاحقًا.

نظرًا إلى موقعها الجيوستراتيجي، شكَّلت كركوك مركزًا للصراع بين العثمانيين السُّنة والصفويين الشيعة فترة طويلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وبناءً على ذلك، شهدت المدينة أنظمة حكم مختلفة خلال تلك الفترة[2]. وبحلول القرن التاسع عشر، أصبحت المدينة مركزًا ثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا مهمًّا جدًا، ولا سيما بالنسبة إلى التركمان والأكراد[3]. كانت كركوك جزءًا من الإمبراطورية العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى حينما احتل البريطانيون المدينة في عام 1918. وكانت بريطانيا تعتزم تسليم ولاية الموصل إلى فرنسا، بموجب اتفاقية سايكس - بيكو في عام 1916، لكنّ إمكانية اكتشاف النفط في المنطقة جعلت البريطانيين يتراجعون عن قرارهم هذا[4]، وتوصَّلوا إلى اتفاق مع الفرنسيين لتغيير بنود اتفاقية سايكس - بيكو في معاهدة سيفر عام 1920. وأعطت هذه المعاهدة الجديدة الحق لبريطانيا في السيطرة على ثلاث ولايات عثمانية - هي التي تشكّل العراق الحديث اليوم – وهي: الموصل (ومنها كركوك)، وبغداد، والبصرة. وأسَّس البريطانيون ما يُسمَّى "دولة العراق الحديث" في عام 1920 في بغداد والبصرة، وضُمَّت ولاية الموصل إليها في عام 1925. كما وضعت تلك المعاهدة سورية ولبنان تحت سلطة الاحتلال الفرنسي.

1 Google Maps Distance Calculator, Daft Logic, accessed on 15/4/2016, at: http://bit.ly/2g9Q60Q

2 Mirella Galleti, "Kirkuk: The Pivot of Balance in Iraq: Past and Present," *Journal of Assyrian Academic Studies*, vol. 19, no. 2 (2005), pp. 21 - 42.

3 David Romano, "The Future of Kirkuk," *Ethnopolitics*, vol. 6, no. 2 (2007), pp. 265 - 283.

4 Ashley Heacock, *Conflict in Kirkuk: Understanding Ethnicity* (2010), accessed on 15/5/2016, at: http://bit.ly/2gafK5y

مشكلة كركوك شائكة، ذات أبعاد ومستويات مختلفة: محلية ووطنية، وإقليمية ودولية أيضًا؛ محليًّا، يدور النزاع بين الطوائف الإثنية الرئيسة الثلاث (الأكراد، والعرب، والتركمان)، والكلدو آشوريين المسيحيين بدرجة أقلّ. وداخل كل جماعة إثنية منافسة حادة بين أحزابها السياسية لأخذ زمام المبادرة في مجتمعها. وعلى الصعيد الوطني، فإنّ الخلافات قائمة بين بغداد وأربيل على المدينة والمحافظة[5]. وإقليميًّا، تنخرط الدول المجاورة في قضية كركوك، وخصوصًا تركيا. ودوليًّا، تشارك بعثة الأمم المتحدة بنشاط في مشكلة كركوك[6]. ومع ذلك، تكمن مشكلة كركوك في بعدين أساسيّين، هما: الوضع الإقليمي - السياسي للمدينة في العراق، وكيفية إنشاء الحكومة المحلية وإدارتها في المدينة. ويبيِّن ليام أندرسون أنّ ثلاثة عناصر تمثّل مشكلة كركوك، هي: النفط، ومستقبل المدينة، وكيفية إدارتها محليًّا[7].

> تُعَد كركوك واحدة من أغنى مدن العالم؛ إذ تمثّل ثرواتها من الموارد الطبيعية من النفط والغاز 4 في المئة من الاحتياطي العالمي

على الرغم من أنّ مستقبل المدينة وكيفية إدارتها هما في قلب تلك النزاعات، فإنّ دور النفط لا يمكن التغاضي عنه. ويقدَّر احتياطي حقول نفط كركوك بعشرة مليارات برميل[8]، وهي تمثل ثاني أكبر حقول النفط في البلد، وتمثّل 20 في المئة من الاحتياطي الإجمالي للنفط العراقي[9]؛ لذلك، تُعَد المدينة واحدة من أغنى مدن العالم؛ إذ تمثّل ثرواتها من الموارد الطبيعية من النفط والغاز 4 في المئة من الاحتياطي العالمي[10].

5 من الآن فصاعدًا تُستخدمَ كلمة "المدينة" للتعبير عن محافظة كركوك كلها وليس مركز المحافظة فقط.

6 Stefan Wolff, "Governing (in) Kirkuk: Resolving the Status of a Disputed Territory in post-American Iraq," *International Affairs*, vol. 86, no. 6 (2010), pp. 1361 - 1379.

7 Liam Anderson, "Power-Sharing in Kirkuk: The Need for Compromise," in: Joanne McEvoy & Brendan O'Leary (eds.), *Power Sharing in Deeply Divided Places* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2013), pp. 364 - 385.

8 Tuğçe Varol Sevim, "Rethinking Past, Today and Future of Kirkuk and Its Black Gold," *European Journal of Research on Education*, Special Issue (2014), pp. 12 - 16.

9 Liam Anderson & Gareth Stansfield, *Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise* (Philadelphia: University of Pennsylvania Pres, 2009), p. 137.

10 S. Bilson et al., *Kirkuk: Reaching a Comprehensive Settlement for a Disputed Province* (2011), accessed on 5/11/2016, at: http://bit.ly/2gayty7

وهكذا، يجعل النفط قضية كركوك فريدة، مقارنةً بالمدن الأخرى المتنازع فيها في جميع أنحاء العالم. وباختصار، فإنّ الأبعاد التاريخية والسياسية والاقتصادية لمشكلة كركوك تجعل دراسة حالة كركوك فريدةً ومميّزةً، ولكنها في الوقت نفسه صعبة ومعقدة.

ومع ذلك، يرى ستيفان وولف أنّ قضية كركوك تتشابه مع قضية منطقة برجكو في البوسنة؛ إذ تُعدّ كلتا المنطقتين من المناطق المتنازع فيها بين جماعات مختلفة داخل دولة ذات سيادة[11]. كركوك متنازع فيها من جهة بغداد وأربيل، وبرجكو يتنازع فيها الاتحاد الكرواتي المسلم وجمهورية صربسكا في البوسنة. وفي كلتا الحالتين، فإنّ بؤرة التوتر هي داخل الدولة الواحدة. وقد بقيت برجكو منقسمة؛ إذ تُرِكت مسألة الحكم فيها من دون حلّ في اتفاق دايتون للسلام[12]. وفي كلتا المدينتَين، لم يتمّ التوصل إلى حلّ يحسم النزاع. فقد مُنِحَت برجكو وضعًا خاصًّا، وذلك بفضل المحكّمين الدوليين، ولم تُحسَم، كذلك، قضية كركوك بعدُ. وثمّة مثال آخر ذو صلة بحالة كركوك هو حالة موستار (في البوسنة) التي تشبه كركوك في تنوعها قبل الحرب والانقسام. لكن في وقت تقدم فيه هاتان الحالتان مقارنة جيدة، فإنّ التنوع العرقي والديني في كركوك أكبر ممّا فيهما. والأهمّ من ذلك أنّ مدينة كركوك هي الوحيدة التي فيها موارد طبيعية وافرة من بين تلك المدن، على نحوٍ يجعلها فريدة من نوعها بين النزاعات التي تدور حول ملكية الأراضي[13].

يمكن عوامل عديدة، مثل العرق والدين واللغة، أن تكون من السمات المميزة للمجتمعات المنقسمة. وكما يرى بنيامين رايلي، فإنّ المجتمع المنقسم "يتّسم بالتنوُّع العرقي؛ إذ تكون الإثنية هي الانقسام البارز فيه سياسيًّا، ويتم تنظيم المصالح حول الانقسام الإثني لأغراض سياسية"[14]. ويُعرِّف ليبهارت "المجتمع المنقسم بعمق"، قائلًا: "إنه مجتمع منقسم بشدة، على أسس دينية أو عقائدية أو لغوية أو ثقافية أو عرقية أو عنصرية، ويتم تنظيم الأحـزاب السياسية، وجماعات المصالح، ووسائل الإعـلام حول تلك الأسس"[15]. ويتفق معه أدريان غيلك، مبينًا أنّ "المجتمعات المنقسمة بعمق تتميز بغياب التوافق والإجماع في الآراء بشأن إطار لاتخاذ القرارات والعملية السياسية المتنازع فيها، كما أنّ الممثّلين السياسيين لإحدى الجماعات العرقية، على الأقل، يطعنون في شرعية نتائج العملية السياسية عـادة"[16]. من ناحية أخرى، تقول أليسون مكولوتش: "عندما تصبح العضوية في جماعة عرقية مسيّسة على نحو علني، وعندما تستمر العلاقات بين الجماعات العرقية بطريقة عدائية، ويحتمل أن تكون عنيفة، يمكن القول إنّ النظام السياسي منقسم بعمق"[17].

البقاء على الوضع الراهن ليس حلًّا لمحافظة كركوك. وإجراء عملية انتخابية واحدة فقط خلال اثنتي عشرة سنة على مستوى المحافظة (في حين عُقِدت في المحافظات الأخرى ثلاث عمليات انتخابية في الأعوام 2005 و2009 و2013)، هو مؤشر واضح إلى عمق الخلافات بين المجموعات العرقية الرئيسة الثلاث في ما يتعلق بإدارة المدينة. لذا، لا تحتاج المدينة إلى وضع أوضح على المستويين القانوني والسياسي بشأن مستقبلها الإداري فحسب، بل في ما يتعلق بالحكم المحلي بين جماعاتها العرقية أيضًا.

بناءً على ذلك، جرى تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة. في المحور الأول، سأقدم لمحة عامة عن تاريخ كركوك، ابتداءً بالعصور القديمة حتى سقوط نظام صدام حسين عام 2003. ثمّ يأتي الكلام على التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدتها المدينة في بداية القرن العشرين، وظهور الخطوط العرقية في المدينة، واندلاع التنافس السياسي والعسكري الكردي - العربي المتعلّق بالمدينة أيضًا. والفرضية المطروحة في هذا المحور هي أنّ الجذور العرقية في المدينة تتشابك تشابكًا وثيقًا مع اكتشاف النفط؛ إذ أدّى هذا الاكتشاف إلى اتّباع سياسة التعريب من مختلف الحكومات العراقية المتعاقبة. أمّا في المحور الثاني، فأبيِّن الانقسام والاستقطاب اللذَين ظهرا في فترة ما بعد عام 2003، كما أقدّم عرضًا مختصرًا للحلول التي وضعها القانون الانتقالي الإداري والدستور العراقي لقضية كركوك. وأمّا المحور الأخير فأخصصه لمناقشة الإستراتيجيات المختلفة التي تستخدمها الحكومات للتعامل مع الاختلافات العرقية والدينية. وأؤكد أنه يجب تجنُّب وضع حلّ أحادي الجانب لقضية كركوك، وأنّ الحل يجب أن يكون توافقيًّا يُرضي جميع الأطراف المعنية في المدينة، لتحقيق الاستقرار السياسي، وللحفاظ على التنوُّع في المدينة. ويستند هذا الاستنتاج إلى الوثائق القانونية العراقية؛ مثل الدستور، والقوانين الصادرة من مجلس النواب العراقي، وكذلك إلى تقارير وسائل الإعلام والدراسات المتاحة حول كركوك.

11 Wolff, p. 1364.

12 Carl Dahlman & Gearóid Ó. Tuathail, "Broken Bosnia: The Localized Geopolitics of Displacement and Return in Two Bosnian Places," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 95, no. 3 (2005), pp. 644 - 662.

13 Anderson & Stansfield (2009), p. 9.

14 Benjamin Reilly, *Democracy in Divided Societies: Electoral Engineering for Conflict Management* (Cambridge: Cambridge University Press, 2001), p. 4.

15 Arend Lijphart, "Self-Determination versus pre-Determination of Ethnic Minorities in Power-Sharing Systems," in: Will Kymlicka (ed.), *The Rights of Minority Cultures* (Oxford: Oxford University Press, 1995), p. 276.

16 Adrian Guelke, *Politics in Deeply Divided Societies* (Cambridge: Polity, 2012).

17 Allison McCulloch, *Power-Sharing and Political Stability in Deeply Divided Societies* (London and New York: Routledge, 2014), p. 3.

جذور الانقسام في كركوك: النفط والتعريب

كان اكتشاف النفط في كركوك عام 1927 نقطة تحوّل في تاريخ المدينة. في تشرين الأول/ أكتوبر 1927، اكتشفت شركة البترول التركية التي شُكِّلت في عام 1911 على أيدي الأتراك العثمانيين، النفط في حقل "بابا كوركور" بمدينة كركوك[18]. كان الحقل يحتوي احتياطيًا نفطيًا يبلغ نحو 16 مليار برميل آنذاك[19]. وكان اكتشاف هذه الكمية الكبيرة من النفط سببًا رئيسًا لضم كركوك إلى المملكة العراقية في عام 1925، بوصفها جزءًا من ولاية الموصل[20]. وكان هذا الاكتشاف سببًا رئيسًا، أيضًا، لإقناع البريطانيين بوقف دعمهم لإقامة دولة كردية مستقلة[21]. يُذكَر أنّ شركة البترول التركية كانت تعلم بوجود النفط في المنطقة، ولكن الاستغلال المنظم لحقول كركوك النفطية لم يبدأ حتى آذار/ مارس 1925، وبدأ تدفق النفط من حقل بابا كوركور في 27 تشرين الأول/ أكتوبر 1927. وبحلول عام 1927، أصبح جليًّا للحكومة العراقية التي كانت واقعة تحت الانتداب البريطاني (1920-1932)، أنّ كركوك تقع على احتياطي نفطي ضخم. ولكن في الوقت نفسه، أدركت الحكومة أنّ العرب هم الأقلية في المدينة، فعملت على تعزيز قوتها من خلال زيادة عدد السكان العرب في المحافظة بالتدريج. وبسبب هذا الاكتشاف، تحوّل التاريخ الطويل من التنوع والتعايش السلمي بين تلك المجتمعات إلى الانقسام والصراع، ولا سيما بعد البدء باتباع سياسة التعريب السيئة الصيت تجاه المدينة.

حالما حدث ذلك الاكتشاف، وحالما أصبحت كركوك مركز صناعة النفط في العراق، بدأت المرحلة الأولى من التعريب. فكان الهدف من سياسة التعريب المتعمَّدة هو تغيير ثقافة المدينة وهويتها؛ من مدينة متنوعة بمختلف مكوناتها، إلى مدينة تطغى عليها الهوية والثقافة العربيتان. اتبعت الحكومات العراقية كافةً هذه السياسة بعد اكتشاف النفط في المدينة، واستمرت حتى سقوط نظام البعث في عام 2003. وأصبحت القوميتان الكردية والتركمانية في المدينة هما الهدفين الرئيسين لهذه السياسة.

نظرًا إلى وجود شركة نفط العراق في المدينة، بدأ الناس في الانتقال من جميع أنحاء العراق إلى المدينة، للعمل في حقول النفط وفي المشاريع الأخرى ذات الصلة بالنفط. ومن ثمّ، زاد عدد سكان كركوك سريعًا؛ فمثلًا، قُدِّر عدد موظفي الشركة وعائلاتهم في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي بنحو 30 ألف شخص، وهو ما يعني أنها كانت تمثّل ما بين 30 و40 في المئة من سكان كركوك آنذاك[22]. وبعبارة أخرى، كان عدد سكان المدينة نحو 25 ألف نسمة في منتصف العشرينيات، ولكنّ هذا العدد ازداد إلى أكثر من 120 ألف نسمة في تعداد عام 1957[23]. وكان السبب في هذا النمو السكاني السريع هو حاجة شركات النفط إلى الكوادر من ذوي الخبرة والفنيين المدرَّبين تدريبًا عاليًا، وهم الذين كانت أغلبيتهم من القومية العربية مع قلة قليلة من القومية الكردية. كان هذا مبررًا مناسبًا للحكومة لجلب الناس من الأجزاء الأخرى من العراق إلى كركوك. وأُنشِئت أحياء جديدة لدعم العمال الجدد، واستوطنت أعداد كبيرة من العرب كركوك وضواحيها، فحدث تغيير ديموغرافي واجتماعي واسع النطاق في المدينة[24].

استمرت سياسة التعريب بالتدريج وعلى نحو متزايد، وخصوصًا بعد انقلاب عام 1958 الذي أطاح الحكم الملكي في العراق، ثمّ اندلاع الصراع المسلح بين الحركة الكردية والحكومة العراقية "الجديدة" في عام 1961. ومثّلت الهيمنة العددية التي أظهرها إحصاء عام 1957 للكرد في كركوك (جدول: مقارنة إحصاءات الجماعات العرقية في كركوك) "تهديدًا إستراتيجيًّا مهمًّا" من وجهة نظر الحكومة[25]. وفي عام 1963، طالب الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة الملا مصطفى البارزاني الحكومة العراقية بأن تعترف رسميًّا بالحكم الذاتي للأكراد ضمن حدود ولاية الموصل القديمة، شاملة حقول نفط كركوك، باستثناء مدينة الموصل نفسها[26]، ولكنّ هذا الطلب رُفِض. ونتيجةً لذلك، استؤنفت الثورة الكردية مرةً أخرى. ثمّ كثَّفت الحكومة العراقية جهودها الهادفة إلى إضعاف الوجود الكردي في المدينة وتقليصه، لضمان حماية المناطق القريبة من خطوط الأنابيب التي تمتد من كركوك إلى الجنوب الغربي؛ لذلك، دُمِّرت عدة قرى كردية بالقرب من حقول النفط، ووُطِّنت قبائل عربية فيها بدلًا من الأكراد. واتُّبعت إستراتيجيات أخرى في إطار عمليات التعريب وتقليص نسبة الأكراد خلال الفترة 1963 - 1968. فمثلًا، ألحقت الحكومة منطقة الحويجة (كان عدد سكانها 27705 نسمة بحسب تعداد عام 1957) بمحافظة كركوك خلال تلك الفترة.

18 سُمّيت شركة البترول التركية TPC في ما بعد، وشركة نفط العراق IPC في عام 1929.

19 Amy Myers Jaffe, *Iraq's Oil Sector: Past, Present and Future* (2007), p. 21, accessed on 10/4/2017, at: http://bit.ly/2gujBYp

20 Galleti, p. 22.

21 Patricia Letayf, "An Ethnic Tug-of-War? The Struggle over the Status of Kirkuk," NIMEP Insight (2011), p. 66, accessed on 15/5/2012, at: http://bit.ly/2gama4P

22 Arbella Bet-Shlimon, "Provincial Histories of Twentieth-Century Iraq: Reflections on the Research Process," *TAARII Newsletter* (2011), p. 12, accessed on 6/6/2016, at: http://bit.ly/2xxRQni

23 Arbella Bet-Shlimon, "The Politics and Ideology of Urban Development in Iraq's Oil City Kirkuk, 1946–58," *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, vol. 33, no. 1 (2013), p. 28.

24 Anderson & Stansfield, pp. 32 - 34.

25 Liam Anderson, *Federal Solutions to Ethnic Problems: Accommodating Diversity* (London: Routledge, 2012), p. 13.

26 David McDowall, *A Modern History of the Kurds* (London and New York: I.B. Tauris, 2004), p. 314.

وخلال تلك الفترة أيضًا، هدمت الحكومة بعض الأحياء الكردية في المدينة، واضطُر بعض سكانها إلى مغادرة المدينة. كما نقلت الحكومة كثيرًا من معلمي المدارس الابتدائية والثانوية من جنوب العراق ووسطه قسرًا إلى المدينة. وطُرِدت أعداد كبيرة من العمال الكرد في شركة النفط من وظائفهم، وحلّ محلهم عمال عرب. وغُيِّرت أسماء المدارس والشوارع في المدينة إلى اللغة العربية، وكان استخدام اللغة العربية في ازدياد، نتيجة "جهد بغداد لتعزيز اللغة العربية في التعليم الابتدائي والثانوي في المناطق ذات الأغلبية غير العربية"[27]، حتى إنّ اسم المدينة غُيِّر من كركوك إلى "التأميم".

في عام 1970، توصلت الحركة الكردية وحكومة البعث إلى اتفاقية 11 آذار/ مارس التي كان من المفترَض أن تمنح الأكراد صلاحيات واسعة، من خلال منحهم الحكم الذاتي في المناطق ذات الأغلبية الكردية. وكان من المفترض أن تُتوَّج الاتفاقية بإجراء استفتاء أو تعداد لتحديد حدود منطقة الحكم الذاتي. ولكن لم يتم إجراء الاستفتاء ولا التعداد. واتهم الملا مصطفى الحكومة بإعادة توطين العرب في كركوك وغيرها من المناطق المتنازع فيها؛ مثل خانقين وسنجار، وأعلن أنه "لن يقبل نتائج التعداد إذا كانت تشير إلى وجود أغلبية عربية"[28]. وهكذا فشلت اتفاقية عام 1970 بسبب قضايا الحدود عمومًا، وكركوك خصوصًا، واستؤنفت الحرب بين الحركة الكردية والحكومة العراقية بقيادة حزب البعث. هُزِم الأكراد عسكريًّا بسبب "اتفاقية الجزائر" التي أُبرِمت في آذار/ مارس 1975 بين العراق وإيران؛ إذ سحبت إيران بموجبها دعمها للكرد، وتسبَّب هذا الأمر في هزيمة الحركة الكردية في العراق بقيادة البارزاني وانهيارها. بعد ذلك، كثّف البعثيون جهودهم في تنفيذ سياسة التعريب لضمان وجود أغلبية عربية في كركوك.

في هذه الفترة، ضيَّقت الحكومة على الأكراد من الناحيتين الاقتصادية والتجارية؛ فلم يُسمَح للأكراد بشراء العقارات في أيّ وضع من الأوضاع كان. وفي المقابل، كانوا يستطيعون بيع ممتلكاتهم، ولكن للعرب فقط[29]. وإضافةً إلى ذلك، ومن أجل حَثّ العوائل الكردية على مغادرة المدينة والانتقال للعيش في المدن الأخرى في جنوب العراق أو وسطه، عرضت الحكومة مكافأة مالية لأيّ شخص يبدي الاستعداد للقيام بذلك[30]. وفي المقابل، قدمت عشرة آلاف دينار عراقي وقطعة أرض سكنية لأيّ عائلة عربية على استعداد للانتقال إلى كركوك من جنوب العراق[31]. ونتيجةً لتلك السياسة، انتقل آلاف العرب إلى المدينة ليعيشوا في كركوك على نحو دائم. وخلال تلك المرحلة، بدأ نظام البعث في إعادة رسم حدود محافظة كركوك، في محاولة واضحة لضمان أغلبية عربية. فوفقًا للمرسوم الجمهوري رقم 608، الصادر في تشرين الثاني/ نوفمبر 1975، فُصِلت من المحافظة عدّة مناطق تقطنها أغلبية كردية وذات كثافة سكانية عالية: جمجمال (50 ألف نسمة)، وكلار (50 ألف نسمة)، وكفري (30 ألف نسمة)، وطوز خورماتو (80 ألف نسمة)، ومن ثمّ أُلحقت بالمحافظات الأخرى، وهي السليمانية وديالى وصلاح الدين. ومن بين الإجراءات الأخرى المتعمَّدة التي اتبعتها الحكومة لتحقيق الاستيعاب العرقي مَنْح مكافآت مالية للعرب الذين يتزوجون نساءً كرديات[32].

في عقد الثمانينيات، اشتدت حملات التعريب على نحو لا يوصف، وخصوصًا بعد تعيين علي حسن المجيد أمينًا عامًّا لمكتب الشمال لحزب البعث الذي اتخذ من كركوك مقرًا له. شرع المجيد في عملياته بحملة إبادة جماعية في حق الأكراد في المدينة، وفي المدن الكردية الأخرى. سُمِّيت تلك الجرائم "حملات الأنفال"، وبدأت بعدة مراحل[33]. وقد استهدفت المرحلة الثالثة من "الأنفال" (7-20 نيسان/ أبريل 1988) - وهي الأكثر عنفًا - مناطق كرميان وكركوك، وكان الهدف منها هو هدم جميع القرى الكردية في محافظة كركوك، والتخلص من سكانها لاستكمال عملية التعريب[34]. وبحسب تقرير شامل لمنظمة هيومن رايتس ووتش بعنوان "الإبادة الجماعية في العراق: حملة الأنفال ضد الأكراد"، نُشر في عام 1993، قُتِل نحو 100 ألف كردي عام 1988 بطريقة منهجية ومدروسة بسبب انتمائهم العرقي.

استمرت سياسة التعريب في التسعينيات حتى سقوط حزب البعث في عام 2003. واعتمدت الحكومة البعثية في هذه الفترة، على سبيل المثال، سياسة عرقية ضيقة ضد القوميات غير العربية هي سياسة "تصحيح القومية". فقد وزَّع النظام على الأكراد والتركمان والآشوريين استمارات "تصحيح القومية"، طالبًا منهم تغيير قوميتهم وتسجيل أنفسهم عربًا[35]. ووفقًا لتقرير أصدرته هيومن رايتس ووتش عام 2003، بلغ عدد النازحين من غير العرب من مدينة كركوك وضواحيها خلال الفترة 1991 - 2003، ما بين 120 ألفًا و200 ألف، كان أغلبهم يعيشون أوضاعًا قاسيةً في المخيمات بإقليم كردستان.

27 Arbella Bet-Shlimon, "Group Identities, Oil, and the Local Political Domain in Kirkuk: A Historical Perspective," *Journal of Urban History*, vol. 38, no. 5 (2012), p. 921.

28 McDowall, p. 329.

29 Nouri Talabany, *Iraq's Policy of Ethnic Cleansing: Onslaught to Change National/ Demographic Characteristics of the Kirkuk Region* (1999), p. 35, accessed on 20/2/2016, at: http://bit.ly/2gayty7

30 Anderson & Stansfield, p. 38.

31 Anderson, "Power-Sharing in Kirkuk," pp. 364 - 385.

32 McDowall, p. 340.

33 اقتُبست كلمة "الأنفال" من سورة "الأنفال" في القرآن الكريم.

34 جبار قادر، **قضايا كردية معاصرة: كركوك – الأنفال - الكرد وتركيا** (أربيل: دار آراس للطباعة والنشر، 2006)، ص 124 - 125.

35 Human Rights Watch, *Claims in Conflict: Reversing Ethnic Cleansing in Northern Iraq, HRW*, 2/8/2004, p. 15, accessed on 10/4/2017, at: http://bit.ly/2gtWywM

وكانت آثار التعريب "مذهلة" بوجه عامّ. أدّت تلك السياسة إلى تغيير ديموغرافية المدينة من خلال تغيير التركيبة العرقية في كركوك وتقليل مساحتها الجغرافية من 20 ألف كيلومتر مربع في الثلاثينيات من القرن الماضي، إلى 9679 كيلومترًا مربعًا اليوم (قُلِّصت مساحتها إلى النصف تقريبًا)[36]. وبحلول عام 1987، أصبحت المدينة ذات طابع قومي عربي. فقد أصبح العرب يمثّلون الأغلبية السكانية في المحافظة[37].

يقدّم الجدول الآتي البيانات المأخوذة من ثلاثة تعدادات رسمية أُجريت في العراق منذ عام 1957، وهي توضح تأثير سياسات التعريب المتمثلة بارتفاع نسبة السكان العرب على حساب الأكراد والتركمان في كركوك.

جدول: مقارنة إحصاءات الجماعات العرقية في كركوك (خلال الفترة 1957-1977-1997)

جماعات عرقية	1957		1977		1997	
	العدد	النسبة (%)	العدد	النسبة (%)	العدد	النسبة (%)
الكرد	187593	48	184875	38	155861	21
العرب	109620	28	218755	45	596544	72
التركمان	83371	21	80347	17	50099	7
مجموع	388829		483977	100	752747	100

المصدر:

Liam Anderson & Gareth Stansfield, *Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise* (Philadelphia: University of Pennsylvania Pres, 2009), p. 43.

ثمّة تأثير سلبي آخر للتعريب؛ من جهة أنّه أدّى دورًا سلبيًّا في تكريس أسس العرقية والقومية بين المجموعات في المدينة. والآن، لدى كل مجموعة من المجموعات العرقية الرئيسة الثلاث في المدينة (الأكراد، والعرب، والتركمان) رواياتها العرقية الخاصة، لإثبات أنّ المدينة تعود إليها تاريخيًّا.

مهمٌّ، أيضًا، أن نلاحظ تأثير التوترات والعنف الطائفي بين الأكراد والتركمان في تموز/ يوليو 1959 في تحويل النزاع إلى نزاع إثني في المدينة في منتصف القرن العشرين. وللاحتفال بالذكرى السنوية الأولى لانقلاب 1958 (الذي عُرِف بثورة 14 تموز/ يوليو 1958 لاحقًا)، قرّر الحزب الشيوعي العراقي (وكان بعض قادته من الكرد) تنظيم مسيرة في كركوك في 14 تموز/ يوليو 1959. وكان التركمان يخطِّطون أيضًا لتنظيم مسيرة خاصة بهم في اليوم نفسه، ردًّا على التظاهرة الكردية في ما يبدو[38]. تواجهت المسيرتان في وسط المدينة، وأُطلِقت نيران بالقرب من مقهى تركماني، فأثار ذلك المتظاهرين الأكراد الشيوعيين، فاندلعت الفوضى والعنف. هاجم المتظاهرون الأكراد (الذين انضم إليهم الجنود الأكراد في إحدى فرق الجيش في كركوك) المقهى، واستمرت الهجمات على المحالّ والمنازل التركمانية الأخرى يومين. وكانت نتيجة هذه الحادثة المأساوية مقتل 32 شخصًا (28 منهم من التركمان)، وجرح 130 آخرين، وتدمير 120 منزلًا ومقهى ومخزنًا أو نهبها[39]. وأدت هذه الحادثة إلى العنف الطائفي والاستقطاب في المدينة لأول مرة من خلال تعبئة الناس حول الهويات الإثنية. وكان هذا أول صراع عرقي عنيف حول قضايا السلطة والموارد في المدينة.

كركوك: مجتمع عميق الانقسام

بعد عام 2003، بدأ وضع سياسي جديد في العراق وفي كركوك أيضًا. في مطلع آذار/ مارس 2003، رفض البرلمان التركي السماح بمرور القوات الأميركية عبر تركيا إلى شمال العراق لفتح جبهة ثانية في الشمال. وكانت هذه فرصة جيدة بالنسبة إلى الكرد لإثبات ولائهم للولايات المتحدة[40]. سقطت مدينة كركوك في 10 نيسان/ أبريل 2003، ودخل عشرة آلاف عنصر من قوات البشمركة إلى المدينة. وكان لتجربتهم في إدارة إقليم كردستان منذ عام 1991 دور مهمّ في تعزيز السلطتين السياسية والعسكرية الكرديتين في المدينة. وكما ذكرتُ سابقًا، كان عدد السكان العرب في كركوك قد ازداد ازديادًا كبيرًا نتيجة لسياسة التعريب، ولكن، بعد سقوط نظام البعث في عام 2003، عادت عشرات الآلاف من النازحين الكرد والتركمان إلى كركوك من المناطق

36 Liam Anderson, "Power-Sharing in Kirkuk: Conflict or Compromise?," paper presented at the Globalization, Urbanization and Ethnicity Conference, Queen's University, Ottawa, 3-4/12/2009, p. 30.

37 Denise Natali, "The Kirkuk Conundrum," *Ethnopolitics*, vol. 7, no. 4 (2008), p. 435.

38 Bet-Shlimon, "Group Identities," p. 926.

39 Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Rvolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed Classes and Its Communists, Bathists and Free Officers* (Princeton: Princeton University Press, 1978).

40 Isaac J. Peltier, *Surrogate Warfare: The Role of American Special Forces* (2005), p. 24, accessed on 12/6/2016, at: https://goo.gl/EfjhLZ

الأخرى؛ في محاولة لاستعادة التوازن الديموغرافي في المدينة. وسهَّلت القيادة الكردية عودة أكثر من 100 ألف شخص كردي إلى المدينة، وأصرّت السلطات على إخراج نحو 80 ألفًا من العرب من المدينة[41].

بعد عام 2003، بدأت معركة الأرقام على نحو مكثف. كانت كل مجموعة تبالغ في تقدير عددها عمدًا، وتدَّعي أنها تمثِّل الأغلبية في المدينة. ومع ذلك، فإنّ عدد سكان كركوك، والعدد النسبي للمجموعات العرقية في البلاد عمومًا، غير معروفين في الوقت الراهن، ولا يمكن تقديرهما إلّا من خلال بعض المؤشرات؛ وذلك لغياب أرقام موثوق بها منذ إحصاء عام 1957، الذي يُعدّ من الإحصاءات أو التعدادات غير المسيسة نسبيًّا، وليس لدى المجموعات الثلاث الرئيسة جدال عميق حول صحته. وتقدِّر مجموعة الأزمات الدولية[42]، تعداد سكان محافظة كركوك بنحو 1.5 مليون نسمة؛ يعيش 800 ألف منهم داخل المدينة، والبقية تعيش في الأقضية والنواحي التابعة لها. ويشكّل الأكراد الأغلبية في الوقت الراهن عمومًا[43]. ومما يدل على الأغلبية الكردية في المدينة نتائج الانتخابات المتعاقبة التي أجريت منذ عام 2005 في المحافظة، فقد أظهرت أنّ الأحزاب الكردية هي الفائز الأكبر فيها. وعلى سبيل المثال، فازت الأحزاب الكردية بنسبة 59 في المئة من الأصوات، وبـ 26 مقعدًا من أصل 41 مقعدًا في مجلس محافظة كركوك[44]. أضف إلى ذلك أنّ الأحزاب الكردية في المحافظة فازت بـثمانية مقاعد من المقاعد الثلاثة عشر المخصصة لمحافظة كركوك في مجلس النواب العراقي، في حين حصل العرب على مقعدين، والتركمان على مقعدين أيضًا، وكان المقعد الأخير من نصيب المسيحيين الذين حصلو عليه وفق نظام "الكوتا"؛ لذلك، على الرغم من غياب إحصاء رسمي موثوق به في الوقت الحالي، تشير نتائج الانتخابات إلى أنّ الكرد هم الأغلبية العددية، مقارنةً بالمجموعات الأخرى.

بعد عام 2003، اتفقت الأطراف العراقية على اقتسام السلطات على مستوى الدولة، لكنها لم تتمكّن من التوصل إلى تفاهم مماثل بشأن وضع كركوك. كان الخلاف الرئيس حول كركوك بين الجماعات العرقية الرئيسة الثلاث يتعلق بإدارة المحافظة[45]. ومنذ عام 2003، شُكِّلت ثلاثة مجالس للمحافظة في المدينة، ضمت كل الأطراف الموجودة في إدارة المدينة، ومن ثمّ انبثقت من تلك المجالس حكومات محلية.

واستمرت الحكومة الأولى نحو ستة أشهر بين حزيران/ يونيو 2003 وكانون الأول/ ديسمبر 2003. وخلال هذه الفترة، عيَّن الجيش الأميركي 30 عضوًا بطريقة غير مباشرة في المجلس البلدي لإدارة كركوك. وشُكِّل هذا المجلس من خمس كتل (الكرد، والعرب، والتركمان، والمسيحيين، والمستقلين)، ومُثِّل كل مُكوّن بستة أعضاء[46]. وشغل الكرد خمسة من المقاعد الستة التي كانت مخصصة لكتلة المستقلين. وتمّ توسيع الحكومة الثانية، واستمرت خلال الفترة من كانون الثاني/ يناير 2004 حتى كانون الثاني/ يناير 2005. وكانت تسمى "مجلس المحافظة" الذي تألف من 40 عضوًا من كل شرائح المحافظة. وبدأت الحكومة الثالثة من كانون الثاني/ يناير 2005؛ إذ تمّ انتخاب 41 عضوًا في انتخابات عامة لمجلس المحافظة. وبعبارة أخرى، فإنّ الحكومة الثالثة القائمة منذ عام 2005 شُكِّلت بناءً على نتائج انتخابات مجالس المحافظات.

في مرحلة ما بعد عام 2003، عمل الكرد على نحو وثيق مع قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة الأميركية لمعالجة قضية كركوك، وأسفرت جهودهم عن تبني المادة 58 من "قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية" عام 2004[47]، التي أوجبت على الحكومة الفيدرالية العراقية التحرك بسرعة لرفع الظلم الذي سببته ممارسات النظام السابق. وحددت المادة كيفية تصحيح سياسة التعريب من خلال عملية التطبيع لتسوية مشكلة إدارة المناطق المتنازع فيها. وحددت المادة خطوات التطبيع؛ ومنها: عودة النازحين، واستعادة ممتلكاتهم ومنازلهم، وإعادة الحدود الإدارية للمدينة إلى عهدها السابق، أي تغيير الحدود الإداريـة لكركوك إلى حـدود ما قبل عام 1976. وأخَّرت المادة التسوية النهائية للأراضي المتنازع فيها إلى حين تصديق الدستور الدائم.

في عام 2005، تمّ تصديق الدستور العراقي الجديد. وحلَّت المادة 140 محلّ المادة 58 في "قانون إدارة الدولة". ووضعت المادة 140 ثلاث خطوات من أجل معالجة قضية كركوك والمناطق الأخرى المتنازع فيها، هي: التطبيع، فالتعداد السكاني، ثمّ الاستفتاء لتحديد رغبة مواطني كركوك بشأن مستقبل مدينتهم وتقرير مصيرها. أمّا الخيارات المنطقية لسؤال الاستفتاء التي يمكن أن تُستنبَط من روح المادة وفحوى نصها، فهي متعلّقة بالأسئلة التالية: هل يريد سكان كركوك البقاء تحت سلطة الحكومة المركزية؟ أم هل تصبح إقليمًا فيدراليًّا متمتعًا بحكم ذاتي؟ أم هل تنضم إلى إقليم كردستان؟

41 Adeed I. Dawisha, "Democratic Institutions and Performance," *Journal of Democracy*, vol. 16, no. 3 (2005), p. 42.

42 International Crisis Group, *Iraq and the Kurds: The Brewing Battle over Kirkuk*, Report no. 56 (July 18, 2006), p. 2, accessed on 10/4/2017, at: http://bit.ly/2xynHo5

43 Anderson, "Power-Sharing in Kirkuk: The Need for Compromise," p. 13.

44 Dawisha, p. 42.

45 Natali, p. 433.

46 Shak Hanish, "The Kirkuk Problem and Article 140 of the Iraqi Constitution," *Digest of Middle East Studies*, vol. 19, no. 1 (2010), p. 18.

47 Nazar Janabi, "Kirkuk's Article 140: Expired or not?" The Washington Institute, 30/1/2008, accessed on 9/11/2016, at: https://goo.gl/NGeVg4

وفق المادة 140، على السلطة التنفيذية أن تتخذ الخطوات اللازمة لاستكمال تنفيذ مقتضيات المادة 58 بشأن المناطق المتنازع فيها التي تمتد، كما يشير إلى ذلك بيتر بارتو، عبر الخط الشمال الغربي - الجنوب الشرقي من سنجار على الحدود العراقية - السورية إلى خانقين ومندلي على الحدود العراقية - الإيرانية، مع محافظة كركوك التي تُعدّ بؤرة النزاع[48]. بعبارة أخرى، ليست المادة 140 محدَّدة بقضية كركوك فقط، ولكنها تتعامل مع جميع المناطق المتنازع فيها في البلاد، وهي تتمثل بمحافظات الموصل، وصلاح الدين، وديالى، وكركوك.

تتطلب عملية التطبيع إعادة توطين العرب في مناطقهم الأصلية عودة الكرد والتركمان المطرودين إلى كركوك، وتغيير الوحدات الإدارية في كركوك إلى حدودها ما قبل عام 1976[49]؛ أي إنه يجب أن تعاد إلى محافظة كركوك الأقضية الأربعة (جمجمال، وكلار، وكفري، وطوز خورماتو) التي ألحقها النظام البعثي بالمحافظات المجاورة لكركوك في عام 1975. كان ينبغي إجراء الاستفتاء بحلول الموعد النهائي المنصوب والتركمان أنّ عملية التكريد التي بدأت منذ عام 2003 هي المشكلة الكبيرة أمام تطبيق المادة 140، وهم يتهمون حكومة إقليم كردستان بتشجيع الكرد على العودة إلى كركوك، لتغيير التركيبة الإثنية في المدينة؛ من أجل ضمان الأغلبية في حال إجراء الإحصاء والاستفتاء. وبطبيعة الحال، يرفض الكرد هذه التهمة.

أضف إلى ذلك مشكلات أخرى، منها غموض جوانب الاستفتاء في المادة 58 من قانون إدارة الدولة والمادة 140؛ وذلك لأنهما لم توفِّرا المتطلبات أو الخطوات المحددة بشأن كيفية إجرائه. وتشير إليزابيث فيريس وكيمبرلي ستولتز إلى ثلاث نقاط في هذا الصدد: أولًا، لغة المادة 140 غامضة بخصوص المناطق التي يمكن أن يشملها الاستفتاء مع كركوك، وهذا بسبب الافتقار إلى تحديد "المناطق المتنازع فيها" وتعريفها في الدستور. ثانيًا، صعوبة التنبؤ بنتيجة الاستفتاء. وأخيرًا، الخلاف في التسجيل، أو أهلية الناخبين، وهو أمرٌ يمكن أن يمنع التصويت طوال سنوات، إن لم يكن إلى أجل غير مسمّى. وعلاوةً على ذلك، لم تصل المجتمعات المحلية في كركوك إلى أيّ تسوية مناسبة لمستقبل مدينتها، ولديها وجهات نظر متضاربة بهذا الشأن[50]. وهكذا، لا يزال الوضع المستقبلي للمدينة من دون حلٍّ، ولم يكن الدستور المؤقت تحت سلطة الائتلاف المؤقتة ولا الدستور العراقي الدائم لعام 2005 قادرين على حلّ مشكلة كركوك.

48 Peter Bartu, "Wrestling with the Integrity of a Nation: The Disputed Internal Boundaries in Iraq," *International Affairs*, vol. 86, no. 6 (2010), p. 1330.

49 Natali, p. 436.

50 Elizabeth Ferris & Kimberley Stoltz, *The Future of Kirkuk: The Referendum and Its Potential Impact on Displacement* (The Brookings Institute and University of Bern, 2008), p. 3, accessed on 24/9/2017, at: http://brook.gs/2zgfqHk

هكذا تُظهر الأحداث السياسية لمرحلة ما بعد عام 2003 أنّ كركوك مدينة منقسمة سياسيًا بقدر كبير؛ لذلك استنتج ليام أندرسون وغريث ستانسفيلد أنّ كركوك هي "المدينة المقسَّمة بامتياز"[51]. ويمكن أن نذهب بعيدًا ونقول إنّ كركوك ليست منقسمةً فحسب، ولكنها "منقسمة بعمق"، لأنّ تعريفات "المجتمع المنقسم" و"المجتمع المنقسم بعمق" التي تمّ ذكرها تنطبق على حالة كركوك. والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل يمكن أن تصل حالة الانقسام إلى الاستقطاب. والمدن المستقطَبة، بحسب سكوت بولينز، هي المدن التي تكون فيها مجموعتان إثنيتان أو أكثر منقسمة دينيًّا، أو لغويًّا، أو ثقافيًّا، ولا تكون أيّ مجموعة إثنية من المجموعات المتعايشة مستعدة للتنازل للآخرين[52].

وفعلًا، يَعُدّ بولينز كركوك مدينة مستقطَبة. وفي تحليل مقارن لسبع مدن مستقطبة (بروكسل، وجوهانسبرغ، وبلفاست، وسراييفو، والقدس، وبغداد، وكركوك)، يصنف بولينز هذه المدن إلى ثلاثة أنواع؛ هي: أولًا، المدن المستدامة Sustainable Cities التي تشمل بروكسل (بلجيكا)، وجوهانسبرغ (جنوب أفريقيا)، حيث هناك اقتسام للسلطة واستقرار على الصعيدين المحلي والوطني. ثانيًا، المدن الهشة Fragile Cities، مثل بلفاست (إيرلندا الشمالية)، وسراييفو (البوسنة والهرسك)؛ فهناك بعض التقدم فيهما، إلا أنّ ترتيبات الإدارة المحلية ليست مستقرة على نحوٍ كافٍ، والوضع معرض للانتكاس. ثالثًا، المدن القابلة للاحتراق Combustible Cities، وهي القدس (فلسطين)، وبغداد، وكركوك (العراق). وفي الحالات المذكورة، ليست المدن فحسب هي التي تكون محلّ نزاع، ولكن أيضًا اقتسام السلطات فيها، حيث تتنافس الجماعات العرقية في ملكية تلك المدن وأحقية إداراتها[53].

ويخلص بولينز إلى أنّ المدن المصنَّفة في المجموعة الثالثة يمكن أن تكون عقبات رئيسة أمام اتفاقات السلام الوطنية أو إدارة الصراع. وقد وصل أندرسون وستانسفيلد إلى النتيجة نفسها في تحليلهما لحالة كركوك؛ إذ يقولان: "ليس من المبالغة تأكيد أنّ مستقبل العراق يتوقف على إيجاد حلّ لمشكلة وضع كركوك"[54]. أمّا سيفيم، فيقول: "كركوك هي القلعة الأخيرة لحكومة بغداد من أجل حماية سلامة الأراضي العراقية"[55]. وهكذا ظلّت كركوك في قلب الصراعات بين الكرد والحكومات العراقية المتعاقبة، التي يُنظَر إليها دائمًا على أنها تهديد لسلامة البلد. وبناءً على ذلك، فإنّ إيجاد حلّ لمشكلة كركوك لا يعني إيجاد وسيلة لحلّ إحدى المشكلات المستعصية بالنسبة إلى

51 Anderson & Stansfield, p. 9.

52 Scott A Bollens, "Governing Polarized Cities," in: McEvoy & O'Leary (eds.), pp. 327 - 363.

53 Ibid.

54 Anderson & Stansfield, p. 4.

55 Sevim, p. 16.

المحافظة فحسب، بل بالنسبة إلى البلد بكامله. فهذا الأمر يؤدي إلى تحقيق الاستقرار والسلام الدائم في المحافظة وربما في البلد أيضًا.

إستراتيجيات إدارة الاختلافات: لماذا تُقتسم السلطة؟

كما ذكرتُ من قبل، اهتم "قانون الإدارة للمرحلة الانتقالية" والدستور العراقي اهتمامًا خاصًّا بحل مشكلة كركوك. هناك ضرورة ملحّة لاقتسام السلطة داخل كركوك، بغضّ النظر عن إمكان بقاء المدينة تحت سلطة الحكومة المركزية، أو أنّها ستصبح منطقة حكم ذاتي مستقل ضمن الفيدرالية العراقية، أو أنّها ستنضم إلى إقليم كردستان. وجدير بنا أن نذكر الإستراتيجيات المختلفة التي تستخدمها الحكومات للتعامل مع الاختلافات العرقية والدينية، ولإدارة الصراعات في الأماكن المنقسمة بعمق.

عادةً ما تستخدم الدول طريقتين رئيستين للتعامل مع الصراع العرقي، هما: القضاء على الاختلافات، أو إدارة الاختلافات. أمّا القضاء على الاختلافات، فيشمل: الإبادة الجماعية، والنقل الإجباري للسكان، والتقسيم Partition، والفصل Secession، والاندماج Integration، والاستيعاب Assimilation. وأمّا إدارة الخلافات، فتشمل آليات الفدرلة واقتسام السلطة[56]. ويمكن إحراز هذا التمييز بطرق مختلفة، كالآتي: "الاستيعاب"، أو "نقل السلطة وتفويضها"، أو "القمع"، أو "التعايش"، أو "الرفض" أو "القبول"[57].

الإبادة الجماعية هي أسوأ نتيجة ممكنة للقضاء على الاختلافات الإثنية والدينية، يليها في ذلك الطرد أو الاستبعاد القسري. وتُعرّف الإبادة الجماعة بأنها تشمل "أيًّا من الأفعال التالية، المرتكَبة على قصد التدمير الكلّي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية"[58]. وإذا كان الطرد القسري يستهدف نقل مجموعات عرقية أو إزالتها من إقليم معيّن، فإنّ الإبادة الجماعية أكثر فتكًا من الطرد القسري بسبب تركيزها في تدمير الإنسان[59]. وقد ارتكب حزب البعث العراقي بقيادة صدام حسين هاتين الجريمتين كلتيهما ضد أعداد كبيرة من السكان في العراق، وخصوصًا ضد الكرد والتركمان في كركوك في إطار سياسة التعريب.

أمّا القضاء على الاختلافات بالتقسيم والفصل فليس ممكنًا في كركوك؛ لأنها مدينة مختلطة، ولها ثلاثة خيارات محددة، وفقًا للدستور العراقي: أن تكون محافظة تحت سيطرة بغداد، أو تكون منطقة ذاتية تدير نفسها بنفسها ضمن الدولة الاتحادية، أو تنضم إلى إقليم كردستان.

تميل إستراتيجية الاستيعاب إلى الجماعة التي تمثّل الأغلبية، ومحاولة جعل الأقليات والجماعات الضعيفة تتلاءم مع ثقافة الجماعة القوية والمسيطرة في المجتمع. وبحسب مكاري وأوليري، يهدف الاستيعاب في نهاية المطاف إلى خلق هوية عرقية مشتركة من خلال دمج الاختلافات، واستخدام بوتقة الانصهار Melting Pot[60]. وفي هذه الإستراتيجية، يعامَل كل فرد بوصفه مواطنًا، لا بوصفه عضوًا في مجموعة إثنية أو ثقافية معينة. ويمكن أن تكون هذه الإستراتيجية مجديةً مع المهاجرين الذين تركوا أوطانهم والذين يتمنون أن يتمّ استيعابهم في المجتمع الذي يختارون أن يعيشوا فيه (مثل كثير من المهاجرين في المملكة المتحدة أو كندا). ولكنّ هذا الأمر غير مقبول في المجتمعات المنقسمة.

وقد ثبت فشل سياسات الصهر والدمج القسري، وخطورتها أيضًا، في النموذج التركي الذي استهدف الكرد طوال قرن من الزمان تقريبًا. إذًا، الدمج القسري، وليس الاندماج الطوعي، مشكلة؛ أخلاقيًّا وسياسيًّا[61]. وفي كركوك، جرت محاولات الدمج القسري من خلال إجبار غير العرب على تسجيل أنفسهم بوصفهم عربًا. ولكنّ تلك المحاولات باءت بالفشل وثبت أنها غير فعّالة لإدارة المدينة.

على عكس الاستيعاب، يستطيع الفرد، في إطار إستراتيجية الاندماج، أن يحافظ على تميزه الثقافي. ولا تسعى الحكومة أو السياسة، بوجه عامّ، إلى تحقيق التجانس الثقافي الكامل وانصهار الأقليات في بوتقة الثقافة السائدة. وفي الإستراتيجية المذكورة، يكون الناس أحرارًا في فتح مدارسهم بلغاتهم، وممارسة أديانهم، لكنهم لا يحصلون على الإعانات الحكومية للقيام بذلك[62]. ويعني هذا أنّ هناك اعترافًا بالاختلافات في المجالات والشؤون الخاصة. ومع ذلك، فإنّ المجال العام متجانس، بمعنى أنه يُفضَّل أن تكون هناك لغة ورموز عامة مشتركة للبلد المعنيّ. وتشجّع سياسة الاندماج مشاركة الأقليات في الحياة العامة، ولكنها تتوقع منها أن تغادر ثقافاتها الخاصة على أبواب المسائل العامة؛ كما "يتوقع بعض المؤسسات والناس من

56 John McGarry & Brendan O'Leary, *The Politics of Ethnic Cconflict Regulation: Case Studies of Protracted Ethnic Conflicts* (London: Routledge, 1993), p. 4.

57 لمزيد من التفاصيل حول هذه الاصطلاحات، انظر:
Alexis Heraclides, "Ethnicity, Secessionist Conflict and the International Society: Towards Normative Paradigm Shift," *Nations and Nationalism*, vol. 3 no. 4 (1997), pp. 493 - 520.

58 "اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها"، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، المادة الثانية، شوهد في 2017/4/10، في: https://goo.gl/oPi59j

59 Erin K. Jenne, "The Causes and Consequeces of Ethnic Cleansing," in: Karl Cordell & Stefan Wolff (eds.), *Routledge Handbook of Ethnic Conflict* (London: Routledge, 2011), p. 113.

60 John McGarry & Brendan O'Leary, "The Political Regulation of National and Ethnic Conflict," *Parliamentary Affairs*, vol. 47, no. 1 (1994), p. 102.

61 Brendan O'Leary, "Macro-Political Approaches to Ethnic Conflict Resolution," 1/8/2014, accessed on 22/1/2017, at: https://goo.gl/p5qTgQ

62 Ibid.

الزوار أن يتركوا أحذيتهم قبل الدخول"[63]. إستراتيجية الاندماج هي السائدة بين الدول الأوروبية. ولكن من غير المرجح أن يكون الاندماج مقبولًا في المجتمعات المنقسمة. في العراق، مثلًا، رُفِضت هذه الإستراتيجية منذ البداية، حينما ورد في قانون "إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية" اتباع نموذج التوافقية واللامركزية والفيدرالية للبلد. وعلى جانب آخر، يتعذر تطبيق الفيدرالية على أُسس إثنية في الأماكن التي تختلط فيها الجماعات العرقية والدينية؛ حيث يكون الاستقلال القطاعي هو الخيار الأنسب. إذًا، في مجتمع متعدد ومنقسم مثل كركوك، من المستبعَد جدًّا أن تقبل الفئات المختلفة إستراتيجية الاندماج، والفيدرالية ليست خيارًا للمدينة من حيث الأصل؛ لأنها مدينة مختلطة، فيها جماعات عرقية ودينية مختلفة.

ديمقراطية الأغلبية Majoritarian Democracy هي خيار آخر، وتسمى أيضًا "النموذج البريطاني" أو "نموذج وستمنستر". وفي هذا النوع من الديمقراطية، هناك معارضة مقابل حكومة، والمرشحون الذين يمثلون أغلبية المجتمع هم الذين يشكّلون الحكومة، وتتشكّل المعارضة من الأحزاب التي لم تحصد أغلبية أصوات الناخبين. ولكنّ تطبيق هذه الديمقراطية في المجتمعات المنقسمة سيمثّل كابوسًا للأقليات. وكما يقول ليبهارت، في المجتمعات المنقسمة "ليس حكم الأغلبية غير ديمقراطي فحسب، ولكنه خطِر أيضًا"؛ لأنه يحرم الأقليات من الوصول إلى السلطة، فيخلق هذا شعورًا بالإقصاء والتهميش والتمييز لدى الأقليات، وهو أمرٌ قد يزعزع ولاءهم للحكومة. وفي هذه الحالة، يكون الاستقرار السياسي الحقيقي بعيد المنال[64]؛ لذلك، يبين أرينت ليبهارت أنّه ثمّة "إجماع ضد أنظمة الأغلبية في المجتمعات المنقسمة"[65].

هناك نوع آخر من الديمقراطية يسمى "الديمقراطية الإثنية"، وهي ديمقراطية من الدرجة الثانية، تفتقر إلى ميزة "المساواة المدنية". وإذا أردنا أن نحدد موقعها بين الديمقراطيات الأخرى، فإنّه يمكننا وضعها بين الديمقراطية التوافقية واللاديمقراطية[66]. فهي تتّصف بأنّها "إثنية"؛ لأنها تفضل سيطرة الإثنية التي تمثّل الأغلبية على الأقليات من حيث إعطاء الحقوق. وإنّ إسرائيل هي نموذج للديمقراطية الإثنية، لأنها دولة يهودية تمنح حقّ التصويت والمواطنة للعرب الذين بقوا داخل حدود ما قبل عام 1967، ولكنها تمارس التمييز في حقهم قانونيًّا وواقعيًّا[67]. هذه الديمقراطية لا يمكن تطبيقها في كركوك؛ فالعرب والتركمان لا يقبلون أن يمارَس هذا النوع من التمييز في حقهم، ولذلك فإنّها ديمقراطية لا تستطيع أن تقدّم حلًّا مناسبًا لتخفيف الصراع في المدينة.

هنالك إستراتيجية ديمقراطية أخرى تُسمَّى "نظرية المحورية" Theory of Centripetalism. وترتبط هذه النظرية بكتابات دونالد هورويتز الذي وصفها بـ "التحالف بين المعتدلين من الإثنيات المختلفة قبل الانتخابات"، وحشد التأييد العابر للخطوط الإثنية[68]. ويعمل هذا النظام على تقليل التطرف، ويحثّ على الاعتدال، من خلال اختيار نظام انتخابي يسمى "الصوت البديل" Alternative Vote. ويسمح هذا النظام الانتخابي للناخبين بترتيب مرشَّحهم المفضل في صناديق الاقتراع؛ لتسهيل انتخاب السياسيين المعتدلين في مختلف الجماعات والإثنيات[69]. ولكسب أصوات الناخبين المنتمين إلى الجماعات الأخرى، على الأحزاب السياسية "تلطيف" موقفها في ما يتعلّق بالمسائل ذات الاهتمام الاجتماعي. وإنّ الأمر المأمول هو أن تشكّل تحالفًا قويًّا عابرًا للخطوط الإثنية من المعتدلين على نحوٍ كافٍ لصد المتطرفين[70]. باختصار، يعتقد مؤيدو هذه النظرية أنّ إدراج جميع الجماعات المهمة، من دون أن تؤخذ مسألة الاعتدال في الحسبان، لا يعزز الاستقرار السياسي في المجتمعات المنقسمة. ويرى المحوريون أنّ إدراج المتطرفين في حكومة ائتلافية موسعة يمثّل تهديدًا لاستقرار الحكومة. بعبارة أخرى، تدعم هذه النظرية المعتدلين ضد المتطرفين[71].

على الرغم من أنّ هذه النظرية تُعَد شكلًا من أشكال اقتسام السلطة، فإنها تصبّ في نهاية المطاف في مصلحة المجموعة التي تمثّل الأغلبية في المجتمعات المنقسمة. وفي حالة العراق، يستنتج ليبهارت أنّ هذا النموذج لو طُبِّق على مجلس الحكم العراقي، لأنتج هيئة شيعية، ولكنْ على أن يكون معظم الأعضاء الشيعة في تلك الهيئة من المعتدلين والمتعاطفين مع مصالح السنة والكرد. ويشير ليبهارت، على نحو مقنعٍ، إلى أنّ الكرد والسُنة ما كانوا ليقبلوا بمثل هذا النموذج؛

63 Brendan O'Leary, "Power Sharing in Deeply Divided Paces: An Advocate's Introduction," in: McEvoy & O'Leary (eds.), p. 17.

64 Arend Lijphart, *Patterns of Democracy* (New Haven and London: Yale Univesity Press, 1999), pp. 31 - 32.

65 Arend Lijphart, *Thinking about Democracy: Power Sharing and Majority Rule in Theory and Practice* (New York: Routledge 2008), p. 78.

66 Sammy Smooha, "Types of Democracy and Modes of Conflict Management in Ethnically Divided Societies," *Nations and Nationalism*, vol. 8 no. 4 (2002), p. 425.

67 Pierre L. Van Den Berghe, "Multicultural Democracy: Can It Work?" *Nations and Nationalism*, vol. 8, no. 4 (2002), p. 437.

68 Donald L. Horowitz, "Ethnic Power Sharing: Three Big Problems," *Journal of Democracy,* vol. 25, no. 2 (2014), p. 6.

69 Benjamin Reilly, "Centripetalism," in: Cordell & Wolff (eds.), pp. 290 - 291.

70 Ian O'Flynn, "Review Article: Divided Societies and Deliberative Democracy," *British Journal of Political Science*, vol. 37 (2007), p.736.

71 Donald L. Horowitz, "Conciliatory Institutions and Constitutional Processes in post-Conflict States," *William and Mary Law Review*, vol. 49, no. 4 (2008), p. 1217.

لأنّ الجماعات الإثنية تفضّل أن تكون ممثلة من أعضائها، وليس من الأعضاء المعتدلين من المجموعات الأخرى، ولا سيما في المجتمعات التي مرّت بمرحلة العنف والاصطدام العسكري التي تمتاز بفقدان الثقة بين مختلف الجماعات[72]. وإن حظيَ هذا النموذج بالتطبيق في كركوك، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى تشكّل مجلس المحافظة من الكرد فقط؛ ذلك أن الأحزاب الكردية المعتدلة هي التي ستسيطر حينئذٍ على المجلس، في حين أنّ باقي القوميات الأخرى، من العرب والتركمان، لن تستطيع الوصول إلى المجلس. وبناءً عليه، فإنّ هذا السيناريو مستبعد، ولا يمكن الاعتماد عليه لحلّ قضية كركوك في المستقبل؛ إذ لا يُتَوقع من العرب والتركمان أن يقبلوا بالتهميش وانفراد الأكراد بالسيطرة على المجلس، حتى إن كان هؤلاء الأكراد من المعتدلين.

> إنّ اقتسام السلطة هو أنسب آلية مؤسسية لإدارة الصراع في كركوك

يمكن بعض تلك الإستراتيجيات المذكورة؛ كالإبادة الجماعية، والنقل الإجباري للسكان، والاستيعاب القسري، أن تحقق الاستقرار في المجتمعات المنقسمة، ولكنه استقرار فاقد للديمقراطية. ومن ناحية أخرى، نرى أنّ حكم الأغلبية، والإستراتيجية المحورية، يُعدَّان نظامين ديمقراطيين، ولكنّ الأقليات والمجموعات الضعيفة تخسر دائمًا في ظلهما؛ لذلك لا تقدّم هذه الإستراتيجيات حلولًا مناسبة للمجتمعات المنقسمة إذا أردنا تحقيق الاستقرار السياسي وتحقيق الديمقراطية في آنٍ واحد. فالهدف من وراء هذه الدراسة، هو تحقيق استقرار سياسي في مناخ ديمقراطي في كركوك، والغاية هي تحقيق السلام الدائم فيها.

وبناءً على ذلك، مقارنةً بالبدائل المذكورة، يمكن أن نقول إنّ اقتسام السلطة (الديمقراطية التوافقية في هذا السياق) هو أنسب آلية مؤسسية لإدارة الصراع في كركوك. وكما يقول أوليري، فإنّ اقتسام السلطة - على عكس إستراتيجيات الإبادة الجماعية والطرد والتقسيم والسيطرة - يهدف إلى الحفاظ على دولة ما بمشاركة فاعلة وموافقة من أقلياتها[73]. ويلاحظ أيضًا أنّ مزايا اقتسام السلطة تظهر أكثر وضوحًا حينما تقارن بالبدائل الأخرى. وترتبط النظرية التوافقية ارتباطًا وثيقًا باسم ليبهارت، وحجته الأساسية أنّ التعاون على مستوى النخبة في المجتمعات المنقسمة يمكن أن يُهدِّئ النزاع، وأن يؤدي إلى التغلب على الخلافات الطائفية العميقة. وتنبع أهمية تعاون النخبة، كما يوضح ماتيس بوكاردس، من افتراض مفاده أنّ الديمقراطية ممكنة في المجتمعات المنقسمة إذا تعاونت النخب السياسية، في حال بقاء القاعدة الشعبية منقسمة[74].

يشير ليبهارت إلى أنّ المجتمعات المتعددة في حاجة إلى نظام ديمقراطي يعزِّز التوافق بدلًا من المعارضة، ويعمل على احتواء القوى السياسية الفاعلة في الحكومة بدلًا من استبعادها. ويؤدي حكم الأغلبية في هذه المجتمعات إلى طغيان الأغلبية، وينبغي تجنب هذه النتيجة الوخيمة في المجتمعات المنقسمة. إنّ الديمقراطية التوافقية هي البديل الأمثل بحسب مؤيديها. ومن وجهة نظر ليبهارت، تكون الديمقراطية التوافقية "ألطف" كثيرًا بالنسبة إلى المجتمعات المنقسمة من ديمقراطية الأغلبية التي يأخذ الفائز فيها كلّ شيء[75].

ويمكن إبراز أهمّ عناصر الديمقراطية التوافقية كما يلي[76]:

- **ائتلاف واسع:** العنصر الأول والأهمّ للديمقراطية التوافقية هو أن يكون لكل المجموعات الكبيرة تمثيل فعّال؛ بعبارة أخرى، تشترك كل القطاعات المؤثرة من المجتمع التعددي في السلطة التنفيذية. ومن الممكن مقابلة ذلك بنموذج حكومة - ضد - المعارضة، أو ما يسمى بالنموذج البريطاني. ويرى دعاة التوافقية أن تشكيل ائتلاف واسع هو أكثر ملاءمةً من النموذج البريطاني لتحقيق الاستقرار السياسي في المجتمعات المنقسمة. ويمكن أن يتخذ الائتلاف الواسع أشكالًا مختلفة؛ وقد يظهر في نظام برلماني أو نظام رئاسي. وأهم نقطة هنا هي وجود مبدأين مهمين قبل قيام أيّ حكومة ائتلافية موسّعة وبعد ذلك؛ هما: إدراج القطاعات المهمة والمؤثرة من المجتمع التعددي في العملية السياسية، والتعاون بين نخب تلك الجماعات بعد تشكيل الحكومة.
- **الفيتو المتبادل:** يعني الفيتو المتبادل منح الحق لكل قطاع لمنع التغييرات التي تؤثّر سلبيًا في مصالحهم الحيوية. وهذا الحق مهمّ لحماية الأقليات، لأنّ وجودهم في الائتلاف وحده لا يضمن الحماية الكاملة لحقوقهم، فقد تُهزَم مشاريعهم أمام أصوات الأكثرية، ومن غير المقبول إصدار قرار ما يؤثر سلبيًا في المصالح الحيوية للأقليات؛ لأنّ إصدار قرار على هذا النحو يعرِّض التعاون بين نخب تلك الشرائح للخطر. وبناءً على ذلك، ولضمان كامل للحماية السياسية، لا بد من منح حقّ الفيتو لكل القطاعات المشاركة في الحكومة الائتلافية.

72 Arend Lijphart, "Constitutional Design for Divided Societies," *Journal of Democracy*, vol. 15, no. 2 (2004), p. 98.

73 O'Leary, "Power Sharing in Deeply Divided Paces," pp. 14-15.

74 Matthijs M. Bogaards, "Democracy and Power-Sharing in Multinational States: Thematic Introduction," *International Journal on Multicultural Societies*, vol. 8, no. 2 (2006), p. 119.

75 Lijphart, *Patterns of Democracy*.

76 Arend Lijphart, *Democracy in Plural Societies: A Comparative Exploration* (New Haven and London: Yale University Press, 1977), pp. 24 - 25.

- **النسبية:** تعني النسبية أنّ مختلف القطاعات لا بدّ أن تكون ممثلة نسبيًّا في الحكومة، والمؤسسات العامة، وفي التوظيف في القطاع العام. والنسبية، مثلها مثل الفيتو المتبادل، وثيقة الصلة بمبدأ الائتلاف الواسع، كما أنها طريقة في توزيع الموارد المالية القليلة والتعيينات في الإدارات المدنية في مختلف القطاعات. ويمكن مقابلتها بمبدأ "الرابح يأخذ كل شيء" في حكم الأكثرية غير المقيدة[77].
- **الاستقلال القطاعي:** يشير مبدأ الاستقلال القطاعي إلى أنّ كل أقلية تحظى بقدر متميز من الحكم الذاتي، وخصوصًا في مجال الاهتمامات الثقافية للأقلية. وتتخذ كل القطاعات داخل الحكومة القرارات معًا حول الشؤون التي تعني الجميع. أمّا القرارات المعنية بأقلية محددة، فينبغي أن تتخذها تلك الأقلية حصرًا.

مقارنةً بالإستراتيجيات الأخرى، تعترف النظرية الديمقراطية التوافقية بوجود انقسامات قطاعية، وتعدّها لبنة أساسية لبناء النظام السياسي في المجتمعات المنقسمة؛ بمعنى آخر، تقدّم هذه النظرية أقصى اعتراف بالأقليات من خلال الاعتراف بالانقسامات القطاعية، بدلًا من السعي إلى إلغائها أو إضعافها عمدًا، وتتيح لها الاستقلالية الثقافية، وحق التمثيل في الحكومة. وهكذا، تهدف هذه النظرية إلى تحقيق الاستقرار السياسي والديمقراطية معًا على نحو متناغم في مجتمع متعدد الأطياف.

على الرغم من ذلك، تعرضت الديمقراطية التوافقية لانتقادات لاذعة؛ لعل أبرزها أنها تعزّز العقلية العرقية والتفرقة في المجتمع. ويؤدي هذا الأمر إلى تعميق الانقسامات الموجودة، بدلًا من تشجيع الاعتدال وحلّ الصراعات، وهو ما قد يشجع - من وجهة نظر منتقدي التوافقية - قادة مختلف القطاعات على استغلال الوضع، من خلال الحفاظ على الانقسامات وترسيخ الطائفية، لتعزيز مواقعهم. علاوةً على ذلك، فإنّ المؤسسات التوافقية، من وجهة نظر منتقديها، يمكن أن توفر وسيلة لتخفيف حدة الصراع العرقي في المدى القصير، لكن هناك دائمًا إمكانية لاندلاع الصراعات مرةً أخرى في المدى الطويل.

أمّا مؤيدو التوافقية واقتسام السلطة، فيجادلون بأنّ الهويات الجماعية تنزع إلى أن تكون دائمة حالما تُصنَع. ويشير أوليري[78]، على سبيل المثال، إلى أنّ الهويات الجماعية غالبًا ما تكون دائمة، وصلبة، وثابتة، بدلًا من أن تكون زائلة، ولينة، وسريعة التحول. وحينما تُشكّل الهويات الجماعية على أسس العرق أو اللغة أو الدين، فسوف تدوم ولن تذوب بسهولة. وينتقد أوليري معارضي التوافقية بأنهم منحازون إلى إستراتيجيتَي الاستيعاب والدمج القسري، ويستنتج أنّ محاولات تطبيقهما في الأماكن المنقسمة بعمق غير عادلة، ولا يمكن أن تنجح إلا بسفك دماء كثيرة؛ لأنّ الهويات الإثنية ليست كغيرها من الهويات، كالطبقة الاجتماعية، التي يمكن أن تتغير بسهولة تقريبًا. وفي هذه الحالة، يجب الاعتراف بالهويات الإثنية من خلال تصميم الآليات المؤسسية لإدارتها.

وأخيرًا، يعترف مؤيدو الديمقراطية التوافقية بأنّ المجتمعات المنقسمة ليست مثالية لإقامة الديمقراطية والاستقرار السياسي في المقام الأول، إلا أنهم يعتقدون أنّ البدائل التي تبنّاها منتقدو التوافقية لا يمكن أن تحقق نتائج أفضل ممّا تحققه التوافقية للمجتمعات المنقسمة. وينطبق هذا على كركوك؛ ولذلك، يمكن القول نظريًّا إنّ اقتسام السلطة هو أفضل وسيلة ديمقراطية لتحقيق الاستقرار السياسي في المدينة.

أمّا عمليًّا، فهناك أرضية مناسبة لتبنّي اقتسام السلطة والديمقراطية التوافقية. هناك المحاولات والاتفاقات وإعلانات المبادئ والتفاهمات التي تمّ التوصل إليها بين أطراف مختلفة في كركوك لاقتسام السلطة منذ عام 2003. هناك، مثلًا، اتفاق 2 كانون الأول/ ديسمبر 2007 بين أعضاء كتلة التجمع الجمهوري العراقي، وهم خمسة أعضاء عرب في مجلس محافظة كركوك، وكتلة كركوك المتآخية في المجلس، وهي كتلة تسيطر عليها الأحزاب الكردية، لاقتسام السلطة في المحافظة. ووفق هذا الاتفاق، أُعطي منصب نائب المحافظ للمكون العربي، وتمّ الاتفاق على اقتسام السلطة وفق صيغة 32-32-4 بين الكرد والعرب والتركمان والمسيحيين[79]. وهناك أيضًا إعلان البحر الميت حول كركوك في كانون الأول/ ديسمبر 2008، وإعلان برلين في نيسان/ أبريل 2009.

وقد نظمت "مؤسسة فريدريش ناومان من أجل الحرية" مؤتمرًا بعنوان "تسهيل الترتيبات الإدارية لكركوك" لـ 23 شخصًا من صنّاع القرار السياسي في محافظة كركوك في منطقة البحر الميت في الأردن، خلال الفترة 1 - 5 كانون الأول/ ديسمبر 2008. وكان الهدف من المؤتمر هو تناول توصيات منصوص عليها في المادة 23 من قانون انتخاب مجالس المحافظات، والبحث عن التعايش السلمي في المحافظة، ومناقشة ترتيبات عادلة وممكنة لاقتسام السلطة في المحافظة[80]. وفي خطوة ملحوظة من التعاون، وقّع المشاركون إعلانًا مشتركًا يسمى "إعلان البحر الميت"، اتفقوا فيه في النقطة الأولى على تنفيذ مبدأ اقتسام السلطة. كما اتفقوا على العمل على تحقيق بعض القضايا الرئيسة الأخرى؛ مثل تنفيذ الإصلاحات الاقتصادية والإدارية،

77 Ibid., p. 38.

78 O'Leary, "Power Sharing in Deeply Divided Paces," p. 19.

79 Anderson & Stansfield, p. 161.

80 وفقًا للمادة 23 من قانون انتخاب مجالس المحافظات، كان من المفترض توزيع المناصب السياسية والإدارية في كركوك بين المجموعات الرئيسة الثلاث توزيعًا متساويًا.

ودعم لجنة المادة 23 المكونة من سبعة أعضاء، والتعجيل بعملية حلّ نزاعات الملكية في كركوك. وخلال الفترة 28 - 30 نيسان/ أبريل 2009، عقدت المؤسسة نفسها ورشة عمل لاحقة في برلين بعنوان "تنفيذ إعلان البحر الميت: حلول عادلة ودائمة لتحديات الحكم في كركوك"، وأسفرت عمّا عُرف لاحقًا باسم "اتفاق برلين". وقد اتفق المشاركون على عدة نقاط، وأكدوا التزامهم بمبادئ إعلان البحر الميت وأحكامه. وشددوا، أيضًا، على أهمية تنفيذ ترتيبات اقتسام السلطة المتفق عليها فعلًا في الاتفاق الكردي - العربي في 2 كانون الأول/ ديسمبر 2007، كما أكدوا أهمية تنفيذ المادة 23.

وفي آذار/ مارس 2011، تمّ الاتفاق بين كتلة كركوك المتآخية والجبهة التركمانية على تسمية النائب الكردي، آنذاك، نجم الدين كريم، محافظًا؛ والنائب التركماني الحالي، حسن توران، رئيسًا لمجلس المحافظة. وكان هناك نوع من اقتسام السلطة منذ عام 2003 في المحافظة، وإن لم يتخذ شكلًا أو إطارًا رسميًّا. وتكمن مشكلة هذه التركيبة غير الرسمية في أنها عرضة للانتكاس في أيّ وقت.

أمّا سبب الإحجام عن تبني اقتسام السلطة رسميًّا حتى الآن، فهو أنه يُعَد رغبة محلية للمكونات الموجودة في المحافظة. وكما ورَد في مقدمة هذا البحث، فإنّ مشكلة كركوك لها أبعاد وطنية وإقليمية ودولية. ويستلزم تبنّي اقتسام السلطة رسميًّا اتفاق الحكومة المركزية وإقليم كردستان معًا على حلّ هذه المعضلة. وعلى الرغم من أنّ مشكلة الحوكمة في كركوك ومشكلة مستقبل كركوك مختلفتان، فإنّهما مترابطتان. وفي حالة تسوية مشكلة مستقبل كركوك، فإن إيجاد حلّ لحكمها وإدارتها سيكون أسهل. وبما أنّ تسوية مشكلة مستقبل كركوك معقدة، فمن المهم أن يكثف صنّاع القرار في كركوك جهودهم لإقناع المسؤولين المعنيين في أربيل وبغداد؛ بأن يأخذ الإجماع على ضرورة اقتسام السلطة في المحافظة شكلًا رسميًّا.

خاتمة

كانت كركوك مدينة متنوعة، عاشت فيها القوميات المتعددة بسلام طوال عدة قرون حتى بداية القرن العشرين. وبعد اكتشاف النفط في المدينة، بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة بتنفيذ سياسة التعريب لإعطاء المدينة هوية عربية. وكان لسياسة التعريب أثر كبير في إيقاظ الاختلافات العرقية، خصوصًا بين الأكراد والتركمان. وهكذا، ظهرت خطوط الإثنية بالتدريج، بطريقة حولت كركوك من مدينة متآخية، إلى مدينة منقسمة بعمق ولا سيما على المستوى السياسي.

ومنذ عام 2003، تحولت كركوك من مدينة منقسمة إلى مدينة مستقطَبة، تُمثَّل فيها الجماعات الإثنية بأحزاب وشخصيات سياسية، ولكل مجموعة عرقية فيها قصصها الخاصة، وما من أحد مستعد لتقديم تنازلات للآخرين.

ليست قضية كركوك مشكلة محلية فحسب، ولكنّ لها أبعادًا وطنية وإقليمية ودولية أيضًا. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ القضية تتعلق بثلاث نقاط رئيسة، هي: النفط، ومستقبل المحافظة، وكيفية إدارتها محليًّا. وهذه المشكلات مترابطة ترابطًا وثيقًا.

ثمة إستراتيجيات مختلفة للتعامل مع الخلافات الإثنية في الأماكن المنقسمة، لكنّ إستراتيجية اقتسام السلطة، أو الديمقراطية التوافقية هي الإستراتيجية المثلى في حالة كركوك؛ لأنها يمكن أن تجمع بين الاستقرار والديمقراطية في آنٍ واحد. كما أنّ فرصة تطبيق هذه الإستراتيجية أكبر عمليًّا، مقارنةً بالإستراتيجيات البديلة، بفضل الخبرة السابقة بعد عام 2003، ووجود تفاهمات متعددة بشأنها.

وبما أنّ مشكلة كركوك لها بعد وطني، إضافةً إلى أنّ الممثلين المحليِّين في كركوك ليست لديهم سلطة كافية لحسم الأمور والوصول إلى التسوية النهائية، فإنّ نجاح أيّ محاولة للتسوية مرهون بمشاركة حكومة إقليم كردستان والحكومة المركزية مشاركةً فعّالةً.

في ما يتعلّق بحسم مشكلة مستقبل المحافظة، سيكون حسم مشكلة الحوكمة فيها أسهل إلى حدّ ما. ولكن بما أنّ المادة 140 لم تستطع حلّ المشكلة، والأطراف المختلفة لم تتوصل إلى أيّ اتفاقية بصدد مستقبل المحافظة، فمن المهمّ أن تسعى المكونات الموجودة في المحافظة إلى حلّ مشكلة الحوكمة فيها بغضّ النظر عن مستقبلها.

المراجع

العربية

قادر، جبار. **قضايا كردية معاصرة: كركوك – الأنفال - الكرد وتركيا.** أربيل: دار آراس للطباعة والنشر، 2006.

الأجنبية

Anderson Liam & Gareth Stansfield. *Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise*. Philadelphia: University of Pennsylvania Pres, 2009.

Anderson, Liam. *Federal Solutions to Ethnic Problems: Accommodating Diversity*. London: Routledge, 2012.

_____. "Power-Sharing in Kirkuk: Conflict or Compromise?" paper presented at the Globalization. Urbanization and Ethnicity Conference. Queen's University. Ottawa. 3-4/12/2009.

Displacement. The Brookings Institute and University of Bern, 2008. at: http://brook.gs/2zgfqHk

Galleti, Mirella. "Kirkuk: The Pivot of Balance in Iraq: Past and Present." *Journal of Assyrian Academic Studies*. vol. 19. no. 2 (2005).

Guelke, Adrian. *Politics in Deeply Divided Societies*. Cambridge: Polity, 2012.

Hanish, Shak. "The Kirkuk Problem and Article 140 of the Iraqi Constitution." *Digest of Middle East Studies*. vol. 19. no. 1 (2010).

Heacock, Ashley. *Conflict in Kirkuk: Understanding Ethnicity* (2010). at: http://bit.ly/2gafK5y

Heraclides, Alexis. "Ethnicity, Secessionist Conflict and the International Society: Towards Normative Paradigm Shift." *Nations and Nationalism*. vol. 3 no. 4 (1997).

Horowitz, Donald L. "Ethnic Power Sharing: Three Big Problems." *Journal of Democracy*. vol. 25. no. 2 (2014).

_____. "Conciliatory Institutions and Constitutional Processes in post-Conflict States." *William and Mary Law Review*. vol. 49. no. 4 (2008).

Human Rights Watch. *Claims in Conflict: Reversing Ethnic Cleansing in Northern Iraq*. *HRW*, 2/8/2004. at: http://bit.ly/2gtWywM

International Crisis Group. *Iraq and the Kurds: The Brewing Battle over Kirkuk*. Report no. 56 (18 July 2006). at: http://bit.ly/2xynHo5

Jaffe, Amy Myers. *Iraq's Oil Sector: Past, Present and Future* (2007). at: http://bit.ly/2gujBYp

Janabi, Nazar. "Kirkuk's Article 140: Expired or not?" The Washington Institute. 30/1/2008. at: https://goo.gl/7dQpXP

Kymlicka, Will (ed.). *The Rights of Minority Cultures*. Oxford: Oxford University Press, 1995.

Letayf, Patricia. "An Ethnic Tug-of-War? The Struggle over the Status of Kirkuk." NIMEP *Insight* (2011). at: http://bit.ly/2gama4P

Bartu, Peter. "Wrestling with the Integrity of a Nation: The Disputed Internal Boundaries in Iraq." *International Affairs*. vol. 86. no. 6 (2010).

Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Rvolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed Classes and Its Communists, Bathists and Free Officers*. Princeton: Princeton University Press, 1978.

Bet-Shlimon, Arbella. "The Politics and Ideology of Urban Development in Iraq's Oil City Kirkuk, 1946–58." *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*. vol. 33. no. 1 (2013).

_____. "Group Identities, Oil, and the Local Political Domain in Kirkuk: A Historical Perspective." *Journal of Urban History*. vol. 38. no. 5 (2012).

_____. "Provincial Histories of Twentieth-Century Iraq: Reflections on the Research Process." *TAARII Newsletter* (2011). at: http://bit.ly/2xxRQni

Bilson, S. et al. *Kirkuk: Reaching a Comprehensive Settlement for a Disputed Province* (2011). at: http://bit.ly/2gayty7

Bogaards, Matthijs M. "Democracy and Power-Sharing in Multinational States: Thematic Introduction." *International Journal on Multicultural Societies*. vol. 8. no. 2 (2006).

Cordell, Karl & Stefan Wolff (eds.). *Routledge Handbook of Ethnic Conflict*. London: Routledge, 2011.

Dahlman Carl & Gearóid Ó. Tuathail. "Broken Bosnia: The Localized Geopolitics of Displacement and Return in Two Bosnian Places." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 95. no. 3 (2005).

Romano, David. "The Future of Kirkuk." *Ethnopolitics*. vol. 6. no. 2 (2007).

Dawisha, Adeed I. "Democratic Institutions and Performance." *Journal of Democracy*. vol. 16. no. 3 (2005).

Ferris, Elizabeth & Kimberley Stoltz. *The Future of Kirkuk: The Referendum and Its Potential Impact on*

Natali, Denise. "The Kirkuk Conundrum." *Ethnopolitics*. vol. 7. no. 4 (2008).

O'Flynn, Ian. "Review Article: Divided Societies and Deliberative Democracy." *British Journal of Political Science*. vol. 37 (2007).

Peltier, Isaac J. *Surrogate Warfare*: *The Role of American Special Forces* (2005). at: https://goo.gl/EfjhLZ

Reilly, Benjamin. *Democracy in Divided Societies*: *Electoral Engineering for Conflict Management*. Cambridge: Cambridge University Press, 2001.

Sevim, Tuğçe Varol. "Rethinking Past, Today and Future of Kirkuk and Its Black Gold." *European Journal of Research on Education*. Special Issue (2014).

Smooha, Sammy. "Types of Democracy and Modes of Conflict Management in Ethnically Divided Societies." *Nations and Nationalism*. vol. 8. no. 4 (2002).

Talabany, Nouri. *Iraq's Policy of Ethnic Cleansing*: *Onslaught to Change National| Demographic Characteristics of the Kirkuk Region* (1999). at: http://bit.ly/2gayty7

Van Den Berghe, Pierre L. "Multicultural Democracy: Can It Work?." *Nations and Nationalism*. vol. 8. no. 4 (2002).

Wolff, Stefan. "Governing (in) Kirkuk: Rsolving the Status of a Disputed Territory in post-American Iraq." *International Affairs*. vol. 86. no. 6 (2010).

Lijphart, Arend. *Thinking about Democracy*: *Power Sharing and Majority Rule in Theory and Practice*. New York: Routledge 2008.

_____. "Constitutional Design for Divided Societies." *Journal of Democracy*. vol. 15. no. 2 (2004).

_____. *Patterns of Democracy*. New Haven and London: Yale Univesity Press, 1999.

_____. *Democracy in Plural Societies*: *A Comparative Exploration*. New Haven and London: Yale University Press, 1977.

McCulloch, Allison. *Power-Sharing and Political Stability in Deeply Divided Societies*. London and New York: Routledge, 2014.

McDowall, David. *A Modern History of the Kurds*. London and New York: I.B. Tauris, 2004.

McEvoy, Joanne & Brendan O'Leary (eds.). *Power Sharing in Deeply Divided Places*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2013.

McGarry, John & Brendan O'Leary. "The Political Regulation of National and Ethnic Conflict." *Parliamentary Affairs*. vol. 47. no. 1 (1994).

_____. *The Politics of Ethnic Cconflict Regulation*: *Case Studies of Protracted Ethnic Conflicts*. London: Routledge, 1993.

دراسة مترجمة

Translation

ريتشارد هاس | Richard N. Haass*

ترجمة عبده موسى | Trans. By Abdou Moussa**

النظام العالمي - الإصدار 2.0:
حالة التزامات السيادة***

World Order 2.0:
The Case for Sovereign Obligation

يقترح هذا المقال مدخلًا لإعادة تشكيل النظام الدولي، وفق مبدأ جديد، يصطلح عليه الكاتبُ "مبدأ التزامات السيادة"، في مقابل المبدأ المستقر منذ صلح وستفاليا، المعروف بـ "حقوق السيادة"، والذي هيمن على العلاقات الدولية على مدى أربعة قرون. و"التزامات السيادة" هي كيفية لمواجهة مخاطر عالمية لم يعد في إمكان مبدأ السيادة التقليدي الحد منها؛ فاحتكار الدولة شأنًا ما يجري ضمن حدودها لا يضمن بحال الحد من الانتشار النووي، ولا مواجهة ظاهرة تغيّر المناخ، أو تفشّي الأوبئة على نطاق عابر للحدود، فضلًا عن وقف المخاطر التي تهدد الفضاء السيبراني والاقتصاد العالمي. ومن ثم، يدافع المقال عن ضرورة مراجعة تصورنا عن النظام العالمي، في لحظة الارتباك واللايقين الراهنة، بحسها الشعبوي، وما يثيره بذاته من مخاطر.

كلمات مفتاحية: النظام العالمي، التزامات السيادة، الولايات المتحدة، الفضاء السيبراني.

This article, originally written by Richard N. Hass has been translated into Arabic by Abdou Moussa. It proposes an alternative to the current world order, based on a new principle centered on what the author defines as the principle of the "obligations of sovereignty". This differs markedly from the established and long dominant Westphalian notion of sovereignty. "Sovereign obligations" offer a guideline to confront global risks that can no longer be managed by the traditional principle of sovereignty. A state's putative monopoly on activity within its borders, as per the Westphalian order, does not provide any guarantee against nuclear proliferation, climate change or cross-border pandemics, nor does it protect against cyber-attacks and threats to the global economy. The article advocates the need to review our perception of the world order as it now stands at this moment of confusion and uncertainty, particularly given the waves of populism currently rippling through the globe.

Keywords: World Order, Obligations of Sovereignty, USA, Cyber Space.

* رئيس مجلس العلاقات الخارجية، الولايات المتحدة.

* President, Council on Foreign Relations, USA.

** باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

** Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies.

*** هذا النص ترجمة لدراسة:

*** Richard N. Haass, "World Order 2.0: The Case for Sovereign Obligation," *Foreign Affairs* (January/February 2017).

منذ صُلح وستفاليا، وعلى مدى أربعة قرون، احتل مفهوم "السيادة" - الذي يعني حق الأمم في الوجود المستقل والمتفرد - جوهرَ ما كان يمثل حينها النظام العالمي. وطوال تلك القرون، بما فيها القرن الحالي، لم يوصف العالم بأنه غير مستقر ومتصارع، إلا حينما تُنتهك فيه الحدود بالقوة.

لم يعد كافيًا أن نقارب النظام الدولي استنادًا إلى مبدأ "احترام السيادة"، وحفظ توازن القوى الضروري لتأمينه فحسب. لقد صيغ نظام التشغيل التقليدي للكرة الأرضية، والذي يمكننا تسميته "النظام العالمي: الإصدار 1.0"، وفق مبدأ الحماية الموكول إلى الدولة القيام بها واحتكار مزاياها.

غير أننا بدأنا ننظر، أكثر فأكثر، إلى هذا الأمر على أنه غير ملائم لعالم اليوم المعولم؛ فلم يبقَ مما هو "محلي" إلا القليل. فأي شخص وأي شيء، من السياح، إلى الإرهابيين، إلى اللاجئين، إلى الرسائل الإلكترونية، والأمراض، والدولارات، وانبعاثات البيت الزجاجي، في مقدوره الوصول إلى كل مكان تقريبًا. ونتيجة لهذا، لم يعد ممكنًا أن ننظر إلى ما يقع في بلد ما، بوصفه مشكلًا يخص ذلك البلد وحده.

إن الظروف الراهنة تدفعنا إلى تبني نظام محدّث للتشغيل، لنسمه "النظام العالمي، الإصدار 2.0"، لا يتضمن حقوق الدولة ذات السيادة فحسب، بل يحدد كذلك ما عليها من واجبات إزاء الآخرين، وهو ما أسمّيه مبدأ "التزامات السيادة" Right of Obligation، والذي يختلف عن مبدأ "السيادة بوصفها مسؤولية"، ويقع في صلب المذهب القانوني المعروف باسم "مسؤولية الحماية" Right to Protection.

يشير مذهب مسؤولية الحماية إلى الالتزامات التي تقع على عاتق حكومة ما إزاء مواطنيها، والتعهدات التي إن تجاهلتها الدولة، يمكن افتراضًا أن تقوم دول أخرى بتنفيذها قسرًا، من خلال إجراءات تتدرج حتى التدخل العسكري وتشتمل عليه. وفي الحقيقة، يحمل هذا المذهبُ في طياته جرحًا محتملًا لمعنى السيادة "الوستفالي"، يتلقاه بعضهم بحماسة لهذا السبب خاصةً، ويعارضه آخرون للسبب ذاته، إلا أن مبدأ التزامات السيادة، على النقيض من ذلك، يشير إلى ما تدين به الدولة لغيرها من الدول. ولذلك، فهو يكشف الحاجة الماسة إلى توسيع المبادئ التقليدية للنظام الدولي، وإعادة تكييفها لتتواءم وعالمًا بات يتصل بعضه ببعض أكثر. من هنا، يُبقي مبدأ التزامات السيادة على احترام الحدود رافضًا أيّ تغيير لها بالإرغام والقوة، ويدعم إنفاذ قواعد لمجابهة العدوان، في وقائع كالتي مثّلها اجتياح العراق للكويت، أو اجتياح روسيا للقرم. كما يحتفظ باحترام حق الحكومات في التصرف وفق ما تشاء داخل حدودها، شريطة أن يتم ذلك في ضوء محددات القانون الدولي التي حظيت بتوافق عريض حولها، كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقية الأمم المتحدة لمنع الإبادة الجماعية. وبكلمة، لا يرفض مبدأ التزامات السيادة المقاربةَ التقليدية للنظام الدولي التي وإن كان بقاؤها ضروريًا، فإنها لم تعد كافيةً بذاتها. ومن ثمّ، لا يستبدل هذا المبدأ هذه المقاربةَ بغيرها، وإنما يبني عليها.

من حالة الدولة إلى الإرهاب والقنابل

سيتطلب إنشاء نظام دولي جديد حزمةً مزيدةً من القواعد والترتيبات، مبتدؤها هو وضع أسس متفق عليها لحالة الدولة Statehood؛ فلم يعد ممكنًا وجود حق مطلق لأي مجتمع منفرد في تقرير مصيره السياسي، من دون مراعاة الجميع. وعلى الرغم من أن التوافق على الكيفية التي يتم فيها تقليص هذا الحق ليس أمرًا هينًا، فإنه يظل ضروريًا؛ فالتفرد بهذا الحق هو جذر الصراعات. ولربما يكون من الجيّد أن نبدأ بتعديل المفهوم، على نحو يرى الحق في تقرير المصير أمرًا لا يتكرس وجوده، وحسب، بالتشديد اللفظي على أهميته، وإنما بإيجاد الضمانات الكافلة له.

> المعارضة الكبيرة من القوى الرئيسة في العالم لحصول إيران على قدرات نووية تبيّن كيف يمكن لهذه المقاربة أن تخدم التقدم على المسار الدبلوماسي

بهذه المقاربة، سيقل الدعم الآلي لحق تقرير المصير عما كان عليه الحال في عهد النضال ضد الاستعمار. ولن تولي الحكومات القائمة أي تطلع لـ "تكوين" دولة الاعتبارَ، إلا في الحالات التي يعززها مبرر تاريخي، ومنطق رشيد، ودعم شعبي، وجدوى لهذا الكيان الجديد المقترح. وكذلك، يجب تقدير أثر هذا التحول في مستوى النظر إلى جدوى الدولة من التخلي عن الأرض والسكان لها، وأن تنزع الحكومات إلى التشاور فيما بينها قبل أيّ تحرك دبلوماسي.

وهنا، يتأسس عنصر جوهري لمبدأ التزامات السيادة في الإطار الجديد للنظام الدولي، قوامه تحريم أي صورة من صور ممارسة الإرهاب أو دعمه. ويُعرّف الإرهاب بأنه استخدام متعمد للعنف المسلح ضد المدنيين والعزّل، تمارسه كيانات دون الدولة، في معرض سعيها لتحقيق غايات سياسية.

نأى العالم في العقود الأخيرة عن التسامح مع الإرهابيين، حتى لو بدت قضيتهم عادلة. كما أن الإدانة الدولية للإرهاب صارت دأبًا، وكذا الاتفاق على العمل الجماعي في مواجهة هذه الظاهرة. وصارت

الحال أن الحكومات حين تشن ضربات مكافحة الإرهاب على الأفراد والمجموعات ذات الجوهر الإرهابي الخالص، لا تواجَه بإدانة كبيرة، طالما أنها صممت هجماتها وفق المعايير القانونية والأخلاقية التي تتضمن اتخاذ خطوات لحماية المدنيين الأبرياء.

ويثير تكريس قاعدة العمل على الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل المزيدَ من الجدل. فثمة مسعىً دولي ظاهر (تعززه اتفاقية منع الانتشار النووي) للوقاية من الانتشار النووي، بتقليص إمكانية الدول في الحصول على التكنولوجيا والمواد التي تُيسّر امتلاك القدرات النووية. لذا فإن المعارضة الكبيرة من القوى الرئيسة في العالم لحصول إيران على قدرات نووية تبيّن كيف يمكن لهذه المقاربة أن تخدم التقدم على المسار الدبلوماسي. بيْد أن التوافق على هذه القاعدة ينكسر في العادة، حينما يتعلق الأمر بتفاصيل ما يجب التمسك به، وأي حوافز أو عقوبات يجب فرضها. وفي هذا، برهنت حكومات عدة على قدرتها على تطوير السلاح النووي أو الحصول عليه - مع أنه توجد معارضة دولية - بأن عاندت بما يكفي، جاعلةً ذلك الأمر أولوية بالنسبة إليها.

وفي الحقيقة، دائمًا ما تتفجر الخلافات على ما يلزم عمله بمجرد الخوض في مسألة الانتشار النووي. ومع أن ثمة خيارًا بقبول التعايش مع سلاح نووي في بعض البلدان، مثلما كان عليه الحال في حالات إسرائيل والهند وباكستان، وكوريا الشمالية حتى الآن، فإن هذا الخيار هو أشبه بالرضوخ للواقع. وهو يمثل خطرًا، لسببين: أحدهما أن هذا القبول سيفتح الباب أمام انتهاج سلوكيات خطِرة، والسبب الآخر هو أنه قد يفتح البابَ أمام المزيد من تمييع قواعد الحد من الانتشار النووي؛ ما يشجع، بالنتيجة، على المزيد من هذا الانتشار. ولذلك، أرى أن البديل من قبول الانتشار النووي هو بذل المزيد من الجهد الدبلوماسي المعزَّز بعقوبات، كبحًا للساعين لتملك تلك القدرة النووية. وإذا ما فشل هذا الجهد (كما يحصل ذلك في العادة)، فإننا سنضطر إلى التعايش مع مسعى الحصول على القدرة النووية، إلى حين تؤشر التقارير الاستخبارية على أن السلاح النووي قد أصبح وشيك الاستخدام، أو أنه يكاد يصل إلى أيدي مجموعة إرهابية، وهي النقطة التي يتحرك فيها احتمال القيام بضربة عسكرية استباقية ضد خطر محيق. وستتطلب مثل هذه الضربات دقةً في توقيتها، ودقةً في تنفيذها، وعملًا استخباريًا أشدّ موثوقية، فضلًا عن إرادة ووسائل لإنفاذها. وعلى الرغم من أن القانون الدولي فيه ما يعزز مثل هذا الموقف، فإن ثمة من يرى ضرورة السعي لكسب الدعم الدولي لشرعنة أيّ عمل وقائي يستهدف وقف الانتشار النووي. وتشمل التحركات الاستباقية التي تستهدف المخاطر المحيقة، ويجب أن تكون كل التحركات الوقائية لمجابهة هذه المخاطر مبكرةً، في وقت لم يزل الساعي لامتلاك القدرة النووية يسير في مرحلة تجميع هذه القدرات. إن من شأن الأعمال الوقائية وقفَ البرنامج النووي لدولة ما قبل أن تنتج سلاحًا نوويًا، أو تدمير هذه الأسلحة لاحقًا. والحال، أن الحصول على الدعم الدولي لهذا الموقف سيظل محدودًا مع ذلك؛ إذ ستعارضه حكومات ترى في القبول به تفويضًا للولايات المتحدة بشن هجمات على دول مثل كوريا الشمالية أو إيران. وهذا ليس مرغوبًا فيه بالضرورة؛ إذ سيستحيل عالمنا، حين تكثر فيه الهجمات الاستباقية والوقائية، عالمًا عنيفًا وخطرًا. ثمة دعم عريض لمعارضة الانتشار النووي، لكن الدعم لن يكون كذلك إذا ما التُجئ إليه للوقاية منه بعمل عسكري، قبل ظهوره أو أثناءه. وسيرتهن دعم العمل الاستباقي في مواجهة المخاطر المحيقة بإبراز تفاصيل تخص أحوالًا محددة، وسيزداد ذلك لدى استعراض ما يفيد وشك الاضطرار إلى هذه الخطوات الاستباقية. إن حالة كوريا الشمالية التي تطوِّر قدراتها لتحميل رؤوس نووية على صواريخ باليستية بمقدورها الوصول إلى الولايات المتحدة، هي حالة للنظر يمكن اعتمادها في هذا الإطار. وقد بات دارجًا إدراج الموضوع على جداول أعمال الاجتماعات الثنائية والمتعددة الأطراف، ليس لأنه سيفضي إلى اتفاق رسمي وحسب، لكن لقدرته على تركيز انتباهنا على نوعية الأوضاع التي قد يتم فيها تبني عمل وقائي أو استباقي، وهو ما في إمكانه في المقابل أن يضعف احتمالية نشوء هذه الأوضاع.

من المناخ إلى الفضاء السيبراني وأبعد

يُعدّ التغير المناخي البيان الأمثل للعولمة؛ إذ يعكس جملة ما يجري من حولنا؛ فثمة دول تتعرض لمشكلة تؤثر فيها على نحو متفاوت، لا يتناسب وإسهامها في إحداث هذه المشكلة. والحدود لم تعد تحد من شيء. وثمة توافق عريض، إن لم يكن شاملًا، على أن التغير المناخي أمر حقيقي؛ إذ تسببت النشاطات البشرية في جانبه الأكبر، وبات يمثّل خطرًا على مستقبل هذا الكوكب وساكنيه. إلا أن هذا التوافق لم يزل ينكسر على صخرة الجدال حول ما يلزم عمله لمجابهة هذا الخطر، وتحديد من يضطلع بمسؤولية ذلك.

من حيث المبدأ، يجب أن يتموضع التغير المناخي في مكانه الصحيح على مقياس مبدأ التزامات السيادة. فما تنتجه دولة ما داخل حدودها من انبعاثات كربونية إنما تنعكس آثاره على العالم كله، أو لنقل، إن التغير المناخي هو تابع تراكمي عالمي سببته نشاطات محلية، ولذلك، يختلف اختلافًا جذريًا عن تلوث الهواء والمياه مثلًا الذي يمثل توابع محلية لنشاط محلي غالبًا.

تكمن المشكلة في تقدير ذلك النصيب من الأعباء الذي ينبغي للدول تحمله، كلّ على حدة، سواء بخفض نواتجها الكربونية، أو بمعاونة الآخرين على خفض نواتجهم. وقد عورضت المحاولات التي

تستهدف وضع سقوف عالمية للانبعاثات، أو توزيع الحصص المحلية من الالتزامات، أو تعيين ثمن يجب دفعه مقابل الانبعاث الكربوني.

ومع ذلك، أظهر مؤتمر باريس للتغيرات المناخية الذي عُقد عام 2015 منحىً يتسم ببعض الواقعية في تناول هذا الإشكال، بل وإبداعًا في العلاج، وذلك بسلوك مقاربة مختلفة؛ إذ وَضع هدفًا عامًا للحد من تغيرات المناخ، فيما لم تُعط الدول تعليماتٍ محددةً حول ما يلزم عمله لتحقيق هذا الهدف. فكان الأمر طوعيًا أكثر منه مفروضًا، بل طوعيًا بالكامل ومُلهمًا. وكان أن توافقت الدول على أن تحدد كلٌّ منها لنفسها أهدافًا طموحة وممكنة في مجال الحد من الكربون، ومن ثمّ تفي بما يحقق وعودها.

> يجب أن يتموضع التغير المناخي في مكانه الصحيح على مقياس مبدأ التزامات السيادة. فما تنتجه دولة ما داخل حدودها من انبعاثات كربونية إنما تنعكس آثاره على العالم كله

هذه خطوة على طريق مبدأ التزامات السيادة. وعلى الحكومات الأغنى أن تمنح حوافز تعين الدول الأخرى على بلوغ أهدافها، وأن تتبنى كذلك عقوبات، لتطبَّق في حق من لا يلتزمها. كذلك، يجب بذل ما يفوق ذلك الجهد، لمعاونة الدول على التكيف وآثار التغير المناخي المتنامية. ونظرًا إلى كون الدول المتقدمة، ولعقود، قد كانت المتسبب الرئيس في هذه المشكلة، فمن المعقول أن تلتزم سداد تكلفة التزامات الآخرين في مواجهة ذلك الخطر ومعاونة تكيّفهم مع آثاره، بصفته جزءًا من الالتزامات السيادية للدول المتقدمة.

يعدّ الفضاء السيبراني المجال الأحدث للنشاطات الدولية التي توصف بأنها مجالات تعاون و/ أو صراع. إذ إن بعض النشاطات التي تجري في هذا الفضاء نشاطات نافعة غير مؤذية، لا تضر بالأمن القومي، خلافًا لنشاطات أخرى تتصل بالسياسة الخارجية اتصالًا وثيقًا، والمخابرات، والتنافسية الدولية. ولذلك، يكون الهدف المطلوب في هذا المجال هو إيجاد ترتيبات دولية تشجع الاستخدام النافع، وتُقيّد الاستخدام المؤذي. وفي إطار التزاماتها السيادية، ينبغي للدول أن تُقرَّ عندئذ هذا النظام، وأن تعمل بتناغم ضمن إطاره.

فماذا يحوي مثل هذا النظام؟ إنه يعزز شبكة عالمية واحدة ومتكاملة تعزيزًا مثاليًا، ويحُد من التحركات التي قد تقوم بها الحكومات لإعاقة التدفق الحر للمعلومات والاتصالات على هذه الشبكة، كما يمنع التجسس التجاري، وسرقة حقوق الملكية الفكرية، ويحد من النشاطات المعطِّلة للفضاء السيبراني في وقت السلم ويُنّفر منها. أما الحالات الاستثنائية، فيجب أن يصرَّح بها وحسب، وذلك في سياق شن هجمات إلكترونية غايتها إحباط مساعي الانتشار النووي والإرهاب.

وفي النهاية، ربما يكون من الضروري تطوير ملحق بالفضاء السيبراني، خاص بقوانين الحرب، يحدِّد أيَّ الأفعال في هذا المضمار يمكن أن يُعدّ القيام بها مسموحًا وأيها محظورًا. وبالمثل، ينسحب هذا بدوره على الفضاء السيبراني في ما يتعلق بالإرهاب، بحيث تتحمل الدول التزاماتها ليس فقط بالامتناع عن الانخراط في نشاطات محظورة، وإنما أيضًا ببذل ما في وسعها لمنع الأطراف الأخرى من القيام بنشاطات كتلك، انطلاقًا من أراضيها، وأن توقف من يقومون بها، وتجرّم تلك الأفعال.

إن إنجاز اتفاق على هذه المبادئ وتعزيزها، ولو كان محدودًا، سيتطلب جهدًا كبيرًا. لكن، وبالنظر إلى كون هذه المشكلات مستحدثةً نسبيًا، يجب التركيز في الوقت الراهن على استحداث دليل عمل ملائم، يتيح للدول اتباع قواعده في هذا الخصوص.

يقدم مجال الصحة العالمي نوعًا آخر من التحديات. ففي عالم معولم، قد يتسبب تفشي مرض مُعدٍ في بلد في تعاظم خطر جدّي على الصحة في أماكن أخرى. وكان هذا هو الحال في السنوات الماضية مع أمراض من قبيل سارس وإيبولا وزيكا. إن مبدأ التزامات السيادة قد يُقدَّم بصورة جيدة في هذا المجال، إذ بتنا نفترض أن الأمم تسعى لاكتشاف تفشي الأمراض المعدية، وأن تنبئ الآخرين حول العالم بالأمر، وأن تتعامل تعاملًا ملائمًا عند مواجهة أزمة من هذا النوع. وفي كل الأحوال، قد يكون قول هذا أسهل من فعله، ففي بعض الأحوال، لا تملك الحكومات ولا منظمة الصحة العالمية القدرة (وفي أحوال بعينها لا تملك الإرادة السياسية) على الوفاء بالتزاماتها. وأصبح الدعم الفني والمالي مطلوبًا أكثر في هذا المنحى، وربما بعضًا من توجيه الإدانة للمقصرين لحثهم على تحسين سلوكهم في هذا الجانب.

وحين يتعلق الأمر باللاجئين، ليس ثمة بديل من الإجراءات المحلية الفاعلة، كي لا تظهر أوضاع تتسبب في تدفقات ضخمة للاجئين. وفي الحقيقة، إن هذه الحجة تدعم من حيث المبدأ التدخل الإنساني استنادًا إلى مذهب الحق في الحماية. لكن ثبت استحالة ترجمة هذا المبدأ إلى ممارسة، ففي الغالب، سيتعثر تطبيق هذا المبدأ، في ظل تحولات الأجندات السياسية (وليس هناك إلا أحوال قليلة جدًا، هي أحوال لا سياسية أو إنسانية خالصة). وفي الوقت نفسه، يصعب تحمل التكلفة العالية المطلوبة لتدخل فاعل، حتى عندما تتقاطع الأهداف. الحجة الأخيرة الباقية، حتى مع غياب التوافق، والتي يمكن أن تدعم رفع سقوف التمويل لمواجهة مشكلة اللاجئين، وضمان معاملتهم معاملةً إنسانية، وتخصيص حصة عادلة لإعادة توطينهم،

هي مبدأ التزامات السيادة، فجميع هذه الأمور يجب الوفاء بها تحت هذا المبدأ.

في عالم الاقتصاد، يتّشح مبدأ التزامات السيادة بلون مغاير، إذ تحفِّز الحكوماتِ أساسًا حوافزُ نابعة من مصالحها في التحرك تحركًا مسؤولًا لدعم وجود عملة قوية، وضمان أن تحتفظ المؤسسات المالية بأرصدة مناسبة، وأن تلتزم إجراءات محاسبية نزيهة، وأن تكافح الفساد، وأن تضمن إنفاذ العقود، وتوسيع نطاق التجارة، وأن تخلق بيئةً جاذبةً للاستثمار. بمعنى آخر، يُعدّ اتباع أفضل الممارسات الاقتصادية أمرًا مهمًا، ينبغي للأمم تلمسّه. إلا أنه ثمة جوانب تستأهل النظر فيها أيضًا في النشاط الاقتصادي، وتقع ضمن مقياس مبدأ التزامات السيادة. فعلى سبيل المثال، ينظر إلى اتفاقات التجارة، في أصلها، على أنها اتفاقات لتبادل التزامات السيادة فيما يخص الحواجز الجمركية وغير الجمركية، وعندما يرى أحد الأطراف أن هذه الالتزامات لم يوفَ بها، يلجأ إلى التحكيم. وبالطبع، يمثل استحداثُ آلية ثابتة، للتعامل مع الخلافات التي تتعلق بممارسات التجارة وإيجاد تسويات لها، التحولَ الأكبر لمنظمة التجارة العالمية. إلا أن الأمور أقل وضوحًا في مناحٍ أخرى في مجال النشاط الاقتصادي، من قبيل تخصيص الدعم، أو تلاعب الحكومة بالعملة لخلق مزايا لصادرات دولتها وحرمان الواردات من أيّ امتياز. وهنا، يكمن التحدي في تحديد التزامات السيادة الملائمة لهذه المجالات في نصوص اتفاقات التجارة في المستقبل، وخلق آليات لإلزام الحكومات بمسؤولياتها.

من النظرية إلى التطبيق

من الصعب الوصول إلى اتفاق، ولو أوليّ، يتعلق بماهيّة التزامات السيادة على الدولة، وكيفية فرضها، وسيتطلب تعزيز هذا المبدأ، كي يصبح عمودًا للنظام الدولي، سنواتٍ أو ربما عقودًا من التشاور والتفاوض. وإلى ذلك الحين، سيظل تعزيز هذا المبدأ غير متكافئ مع الآثار التي يخلّفها. ولذلك، وبدلًا من إيجاد أعذار لتجاهل المشروع، لا بد من البحث عن أسباب للبدء في هذا التعزيز على نحو جدي وعاجل؛ إذ إن عصر العولمة سيستمر في التطور، على نحو سيزداد معه عجز الإجراءات الموجودة عن التعامل مع التحديات الراهنة.

وفي خطوة أولى، على واشنطن أن تحدد أيّ الالتزامات التي يمكن أن تقبلها، وما الذي ستطلبه من الآخرين، وأن تسعى لصوغ دليل ذي طبيعة عامة يحدد المسلك الملائم الذي عليها أن تتبعه هي والبلدان الأخرى، ويمكِّن من تعيين بوصلة للسياسة الخارجية الأميركية، من خلال إبحارها في ما يبدو أنه عهد جيوبوليتيكي معقد، يتصف بضخامة التحديات التي تواجه الاستقرار على المستويين الإقليمي والعالمي على السواء.

على صناع السياسة الأميركيين مواجهة حقيقة أن النظام العالمي سيحد من خيارات الولايات المتحدة، وخيارات الآخرين على حد سواء. واستنادًا إلى حقيقة أن الولايات المتحدة تملك، مع كل هذا، دورًا مميزًا في العالم، وعليها مسؤوليات متفردة تستدعي في بعض الأحيان قيامها من طرف واحد بإجراءات صارمة، فإنها عندما تطلب من الآخرين بذل أكثر مما تبذل هي، يبدو هذا نفاقًا يقدح في الثقة بها ويخل بسلطتها. على سبيل المثال، وجّهت واشنطن النقد إلى بكين، بشأن بحر الصين الجنوبي، لعدم التزامها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، مع أن الكونغرس رفض إقرار الاتفاقية ذاتها. نعم، قد تكون ثمة حالات أخرى يمكن تبريرها تبريرًا مغايرًا، فالولايات المتحدة رفضت الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية، ولكنها يمكن أن تسمح بتشكيل هيئات للمحكمة بغية الفصل في أحداث تاريخية بعينها. وبالمثل، تتضاءل قدرة الولايات المتحدة على إقناع الدول الأخرى بتوفير المزيد من العون للاجئين، بسبب وجود حدود واضحة لما بوسع الولايات المتحدة نفسها أن تفعله في هذا المضمار.

> وجّهت واشنطن النقد إلى بكين، بشأن بحر الصين الجنوبي، لعدم التزامها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، مع أن الكونغرس رفض إقرار الاتفاقية ذاتها

وكذلك، على الولايات المتحدة أيضًا بذل الجهد الكافي حتى توصف بالشفافية؛ فهي لم تبذل الكثير من أجل قضية الحق في الحماية، عندما تحوّل تدخلها في ليبيا عام 2011 سريعًا إلى تدخل لتغيير النظام؛ إذ ينبغي للتدخلات الإنسانية أن تكون في إطار محدود.

وفي بعض المجالات الأخرى كالصحة العامة أو التغير المناخي، يكفي أن تضرب واشنطن بسلوكها المثال الجيد، هذا فضلًا عن المبادرة بتوفير المزيد من المعونات، بما يحث الدول الأخرى على أن تفي بالتزاماتها. وفي مجالات أخرى مثل مكافحة الإرهاب والحد من الانتشار النووي، قد تكون نية استخدام القوة المسلحة مطلوبة، ولكن حين يكون الالتجاء إلى القوة ضروريًا، فإنه ينبغي حينها لأي عمليات عسكرية أن تتسم بمقبولية عالية، من جهة مبرراتها وسبل القيام بها.

مثال آخر، بموجب الدور المنوط بالدولار الذي يمثل واقعيًا احتياطي العملات العالمي، تحتاج الولايات المتحدة إلى أن تقبل تحميلها التزاماتٍ خاصةً في عالم الاقتصاد. ويشمل هذا أخذ رؤى الآخرين في الحسبان، عندما يتعلق الأمر بتقرير أسعار الفائدة، أو شراء الأصول

(المعروف أيضًا بسياسة "التسهيل الكمي"). لذا يظل التشاور الدوري والجاد بين بنك الاحتياطي الفيدرالي ونظرائه من البنوك المركزية الأخرى حول العالم أمرًا ضروريًا. وعمومًا، يجب أن تُحال الخلافات التجارية على منظمة التجارة العالمية، بدلًا من التعامل معها عبر إجراءات من طرف واحد.

سيتطلب ترويج النظام العالمي - الإصدار 2.0 مشاورات مكثفة. ففي بعض المجالات، مثل الصحة العالمية، تقدمت المحادثات تقدمًا واضحًا. ويبقى التحدي الأبرز في بناء المقدرات الوطنية في دول تفتقر إليها. ولكن، في مجالات أخرى، مثل الفضاء السيبراني، لا يزال العالم بمنأى عن الوصول إلى اتفاق على ماهية الالتزامات المطلوبة من الدول. وكذا الحال في مجالات أخرى، مثل الحد من الانتشار النووي الذي جرى التوافق على قواعد له، لكن إنفاذها ظل محلّ جدل واسع.

والقاعدة العامة أنه في مقدور الولايات المتحدة، بل ينبغي لها، أن تقدم أفكارًا في كل مجال من هذه المجالات. ولا ينبغي لهذا الأمر أن يكون من موقع فكري أو سياسي، تفرض فيه على الآخرين تصورًا أو تصميمًا مسبقًا، وأن عليهم مجرد التوقيع عليه. على النقيض، بل يجب أن يشارك الآخرون في إثراء هذا المفهوم، بالقدر ذاته الذي يشاركون في تطبيقه. كما ينبغي لأي تقدم في مسار إنجاز هذه الأجندة أن يحدث نتيجة لعمل طوعي تبادر به الدول نفسها، وليس عبر ضغوط علوية يمارسها كيان أو فاعل دولي له القدرة والسلطة على ذلك.

إن إدراك التفاوت الماثل بين طبيعة المشكلات الراهنة وحجمها والقدرات المتوافرة حاليًا لحلها سيُمكن الحكومات أن تقرر مدى استعدادها للتضحية ببعضٍ من سيادتها الذاتية، لقاء الوصول إلى قدرة على العمل الجماعي.

لقد أصبح هذا النوعُ من التفكير معتادًا في مجال التجارة (على أنه يتعرض في بلدان عدة اليوم إلى هجوم الشعبويين الغاضبين)، وبدأ يتشكل في مجالي التغير المناخي والفضاء السيبراني، إلا أن توجهاته المستقبلية لا تزال تشهد تداخلًا بين عالمي السياسة والعسكرية.

ولكن، لم يجرِ إلى الآن تقدير ما يمكن أن تفعله قوة النقاش والإقناع في تحفيز التغيير على المدى البعيد، هذا فضلًا عن أن عددًا من القضايا لا يزال غير جاهز للعرض والنقاش في مفاوضات رسمية على نحو يكفل نجاحه. وفي الحقيقة، يمكن المشاورات أن تؤدي دورًا مهمًا في تعظيم الفهم والتسامح مع بعض الإجراءات، وإيضاح أيّ سلوك دولي يمكن وصفه بالمعقولية والقبول، وبيان التكلفة المحتملة والتبعات المترتبة على تجاوز هذه الحدود. إن دور وزير الخارجية الأميركي، وغيره من كبار المسؤولين الأميركيين، يجب أن يتغير في المستقبل المنظور، بالاتجاه إلى التشديد أكثر على التشاور على طول خطوط النظام الدولي، وأقل على تلك المفاوضات التي بمقدورها حل مشكلات جلية.

في هذا المضمار، تشمل أغلبية المشاورات الأولية بالضرورة القوى الرئيسة، بما فيها الصين، وفرنسا، وألمانيا، والهند، واليابان، وروسيا، والمملكة المتحدة. وربما يجب إتمام المحادثات في نطاق ثنائي، وفي منتديات غير رسمية؛ بدلًا من التعجل في عرضها في مجموعة العشرين أو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة محلًا لهذه المحادثات. وفي تقديري، إن نقل المحادثات إلى هذه الأطر الدولية العامة سيجعل تطورها مضللًا؛ ذلك أن التفضيلات فيها لا تزال محلًا للخلاف الواضح، هذا فضلًا عن أنها ستخضع لتأثيرات تدهور العلاقات بين القوى الرئيسة في العالم، إلى جانب تأثيرات السلطوية الصاعدة في روسيا والصين، والشعبوية الصاعدة في أماكن أخرى، بما فيها الولايات المتحدة. وعلى نحو عام، صار التغني بعبارة "المجتمع الدولي" معتادًا، في حين تكاد تنعدم أي دلائل لتحققه.

وخلاصةً، لا يمكننا القول إن معنا بديلًا جيّدًا. العولمة باقية، وستتضح عثرات المقاربة التقليدية للنظام، المبنية على مبدأ السيادة وحده، أكثر فأكثر بمرور الوقت. ويظل التحول نحو نوع جديد من النظام يتشكل وفق مبدأ التزامات السيادة هو السبيل الأفضل للتعامل مع المشكلات، حتى وإن تطلب وقتًا أطول، وخوض محادثات، وبذل جهد.

وفق هذا، سيصبح النظام العالمي بعيدًا عن مقولة "الكل أو لا شيء". وسيتحقق هذا من خلال سيرورة، أكثر مما يمكن أن يحققه اتفاق رسمي. سيَظهر في بعض المجالات أشدّ تطورًا مما هو عليه في مجالات أخرى. ولكن، ما نوقن به هنا هو ضرورته لقرن، ستنهض فيه العولمة حقيقةً، رضينا بها أو لم نرض.

وختامًا، إن بناء نظام عالمي وفق مبدأ التزامات السيادة مشروع طموح بكل تأكيد، لكنه طموح يتخلق من رحم الواقعية، لا رحم المثالية.

المؤشر العربي
Arab Opinion Index

محمد المصري | Mohammed al-Masri*

اتجاهات الرأي العام العربي نحو السياسات الأميركية خلال العام الأول من عهد ترامب 2017

Arab Public Opinion towards US Foreign Policy during the First Year of the Trump Presidency

انطلاقًا من الدور الرئيس الذي تؤديه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وأهمية تقييم سياساتها بعد انتخاب دونالد ترامب رئيسًا جديدًا، قام المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات باستطلاع للرأي العام في المنطقة العربية نحو السياسات الأميركية خلال السنة الأولى لتولي ترامب الحكم. وقد تضمن الاستطلاع التعرف إلى اتجاهات الرأي العام نحو الرئيس ترامب من خلال عدة معايير؛ إذ سُئل المستجيبون عن نظرتهم نحوه، وعن آرائهم في سياساته تجاه العالم العربي عامةً، وكذلك عن قضايا مثل تعزيز الديمقراطية في العالم العربي، والتعامل مع الاتفاق النووي مع إيران، ومجابهة التطرف والإرهاب في المنطقة، وتقييم أداء سياساته نحو المناطق التي تشهد أزمات وصراعات مثل سورية، واليمن، والعراق، وليبيا، وفلسطين.

كلمات مفتاحية: الرأي العام العربي، الولايات المتحدة الأميركية،دونالد ترامب.

A recent opinion poll by the Arab Center for Research and Policy Studies examined Arab public attitudes towards US foreign policy during the first year of the Trump presidency. Survey questions sought to ascertain Arab public perceptions of Trump based on a number of key indicators. Specifically, respondents were asked to evaluate specific Trump Administration policies relevant to the Arab region, including support for democracy, the approach to the Iranian nuclear deal and the combatting of extremism and terrorism. Finally, the survey included questions on how respondents viewed Trump's policies towards a number of specific sites of conflict: Syria, Yemen, Iraq, Libya and Palestine.

Keywords: Arab Public Opinion, USA, Donald Trump.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, the Arab Center for Research and Policy Studies.

في سياق اهتمام المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - فرع واشنطن بالتعرف إلى اتجاهات الرأي العام العربي نحو السياسات الأميركية في المنطقة العربية، وانطلاقًا من الدور الرئيس الذي تؤديه الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة بعد احتلال العراق عام 2003، وبعد تدويل مجموعةٍ من أزمات المنطقة مثل ليبيا والعراق وسورية واليمن، فضلًا عن أهمية تقييم تلك السياسات بعد انتخاب دونالد ترامب رئيسًا جديدًا - الذي عبّر عن سياسات جدلية نحو المنطقة والإسلام خلال حملته الانتخابية وبعد توليه الحكم - قام المركز باستطلاع للرأي العام في المنطقة العربية نحو السياسات الأميركية خلال السنة الأولى لتولي ترامب الحكم. وبلغ حجم عينة الاستطلاع 3198 مُستجيبًا ومُستجيبة موزعين على ثمانية مجتمعات عربية، وهي: مصر، ولبنان، والكويت، والمغرب، والأردن، وفلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، والسعودية، وتونس، بمعدل 400 مستجيب من كل بلد، وذلك خلال الفترة من 14 أيلول/ سبتمبر إلى 13 تشرين الأول/ أكتوبر 2017. وجرى تنفيذه من خلال مقابلات هاتفية اعتمادًا على قاعدة بيانات استطلاعات المؤشر العربي المخزّنة في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

وسُحبت العينة بطريقة العينة العنقودية الطبقية (في المستويات) المتعدّدة المراحل، المنتظمة والموزونة ذاتيًا، والتي تضمن احتمالية متساوية لكل فرد من أفراد المجتمع لتمثيله في العينة، وكذلك تمثيل المناطق الجغرافية لكلِّ بلدٍ من البلدان المستطلعة وبحسب وزنها بالنسبة إلى عدد السكان. وبهذا، فإن العينات المُستخدمة في كل بلد من البلدان المستطلعة آراء مواطنيها في هذا الاستطلاع هي عينات ممثلة لهذه المجتمعات، ممن أعمارهم 18 عامًا فما فوق، على صعيد التنوع الجندري، والتحصيل العلمي. وتبلغ نسبة الثقة في استطلاع كلّ مجتمعٍ 95% وبهامش خطأ يتراوح ±5%.

اتجاهات الرأي العام العربي نحو الولايات المتحدة

للوقوف على آراء المواطنين في المنطقة العربية نحو الولايات المتحدة، فقد طرح الاستطلاع مجموعة من الأسئلة التي تهدف إلى التعرف إلى هذه آراء تجاه الولايات المتحدة بصفة عامة، وتجاه الشعب الأميركي بمعزل عن السياسة الخارجية الأميركية في المنطقة، وذلك قبل السؤال عن تقييم السياسة الخارجية الأميركية. إن هذا الأسلوب من الأسئلة يتيح للمستجيب تمييز مواقفه نحو الولايات المتحدة بصفة عامة ومواقفه من الشعب الأميركي والسياسة الخارجية الأميركية، وبخاصة أن نتائج استطلاع المؤشر العربي لعام 2014 قد أظهرت على نحو جلي أن هنالك فروقات جوهرية في اتجاهات الرأي العام نحو الولايات المتحدة كبلد ومجتمع وثقافة عن اتجاهاته نحو السياسات الأميركية في العالم وفي المنطقة العربية. وبناءً عليه، فإن وضع مجموعة من الأسئلة للوقوف على الآراء نحو هذه الموضوعات يصبح ضرورة، إذ إن الاقتصار على اتجاهات الرأي العام نحو السياسات الخارجية يفتح الباب أمام تعميمها كأنها مواقف الرأي العام نحو الولايات المتحدة نفسها والشعب الأميركي.

وتشير النتائج إلى أن الرأي العام في المنطقة العربية يميل نحو الإيجابية في نظرته تجاه الولايات المتحدة؛ إذ إن 48% من المستجيبين أفادوا أن نظرتهم إلى الولايات المتحدة هي "إيجابية جدًا" أو "إيجابية إلى حدٍ ما" عندما سئلوا عن آرائهم بصفة عامة تجاهها، مقابل 42% أفادوا أنها "سلبية" أو "سلبية إلى حدٍ ما". وفي السياق نفسه، ومن أجل تعميق فهمنا لوجهة النظر نحو الولايات المتحدة، فقد سئل المستجيبون عن نظرتهم تجاه الشعب الأميركي بمعزل عن السياسات الخارجية الأميركية، حيث أظهرت النتائج أن 65% من الرأي العام العربي أفاد أن نظرته إيجابية نحو الشعب الأميركي بمعزل عن السياسات الأميركية، مقابل 25% أفاد أن لديه نظرة سلبية نحو الشعب الأميركي، ما يعكس بالضرورة أن الرأي العام العربي عندما يعبّر عن نظرته نحو الولايات المتحدة بإطلاق فإنما يعبر عن آراءٍ يتضمن بعضها تقييمًا لسياساتها الخارجية، ويتضمن بعضها الآخر تقييمًا للولايات المتحدة بمعزل عن سياساتها الخارجية. ومن المهم الإشارة أيضًا إلى أن الموقف من الشعب الأميركي قد تغيّر مقارنة بالسنة الماضية؛ إذ أفاد 73% من الرأي العربي بأن نظرته إلى الشعب الأميركي كانت إيجابية في استطلاع تشرين الأول/ أكتوبر 2016، مقارنة بـ 65% في هذا الاستطلاع. بمعنى أن الرأي العام العربي خلال عام واحد قد تغير في اتجاهاته نحو الشعب الأميركي إلى موقف أقل إيجابية وإن كان هذا التغير غير جوهري. ولكن من المحتمل أنه يعكس تغيرًا في المزاج الذي تلا انتخاب ترامب، وكنتيجة لسياساته خلال العام الأول من إدارته.

أما على صعيد تقييم السياسات الخارجية الأميركية، فقد أفاد 61% من المستجيبين أن نظرتهم إلى السياسة الأميركية في العالم العربي سلبية. إن هذه النتائج تتوافق مع نتائج استطلاعات المؤشر العربي في السنوات الثلاث الماضية التي تظهر أن مواقف الرأي العام العربي هي مواقف سلبية من السياسات الأميركية في المنطقة العربية. وعند مراجعة اتجاهات الرأي العام في كل بلد من البلدان المستطلعة، تظهر النتائج أن الأكثر سلبية في تقييم سياسات الولايات المتحدة الخارجية كانت في كل من فلسطين، ولبنان، وتونس. لقد كانت نسبة الذين قيموا السياسات الأميركية "بالإيجابية جدًا" في كل من هذه

البلدان لا تتجاوز 5% من المستجيبين. في المقابل، فإن الأقل سلبية (وإن كانت الكتلة الأكبر قيمت السياسات بأنها سلبية) تتركز في المغرب، والسعودية. ومن المهم أيضًا الإشارة إلى أن أغلبية المستجيبين في كل بلد من البلدان المستطلعة عبرت عن أن نظرتها إيجابية تجاه الشعب الأميركي بمعزل عن السياسة الخارجية الأميركية، وسُجل أعلى المستويات في هذه النظرة الإيجابية في كل من المغرب ولبنان.

بصفة عامّة، ما هي نظرتك تجاه الولايات المتّحدة الأميركيّة؟

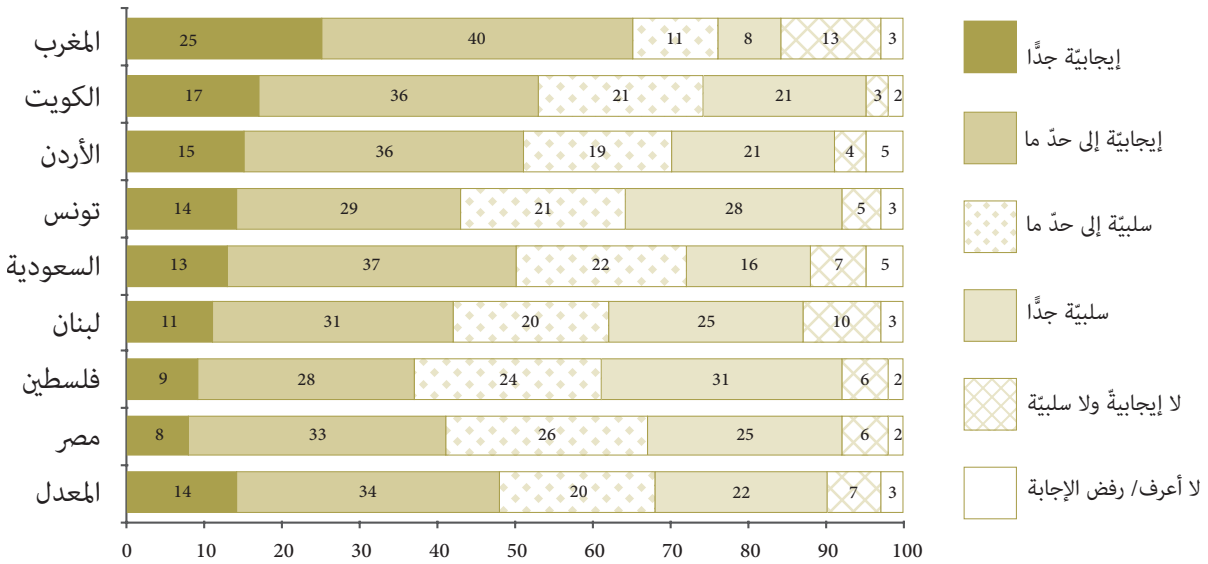

بغض النظر عن السياسة الخارجية الأميركية، فإن رأيي/ نظرتي تجاه الشعب الأميركي هي ...

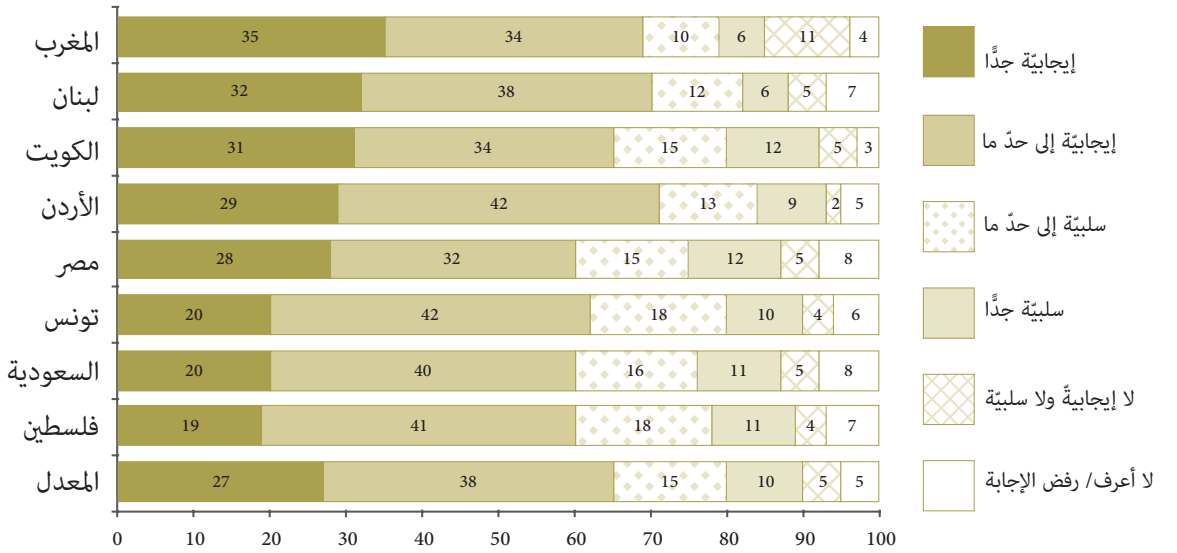

بصفة عامة، كيف تقيّم السياسة الخارجية الأميركية نحو العالم العربي؟

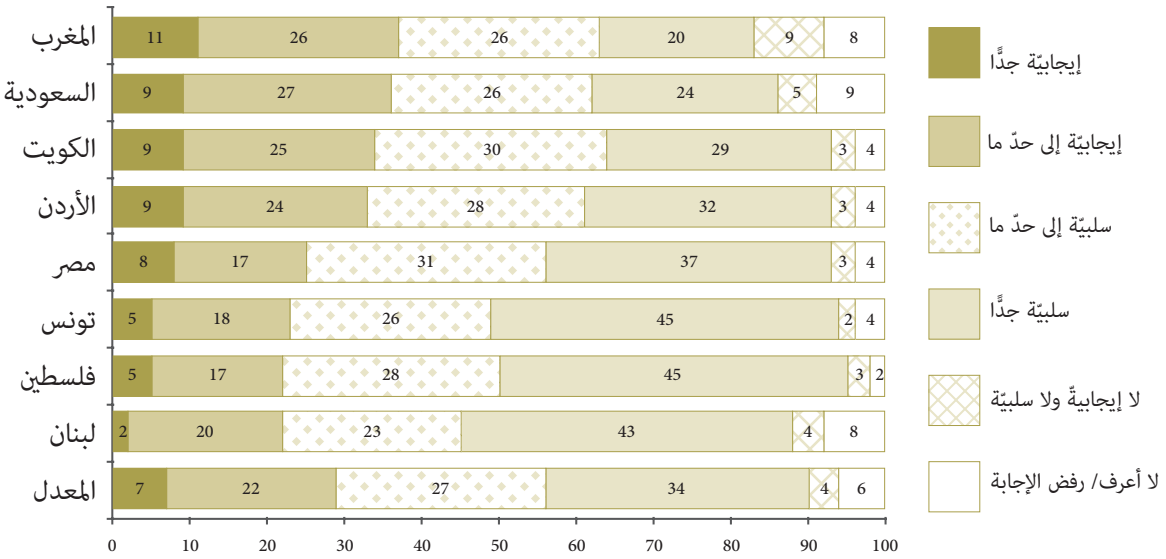

بشكل عامّ، ما هي نظرتك تجاه الرّئيس الأمريكيّ دونالد ترامب؟

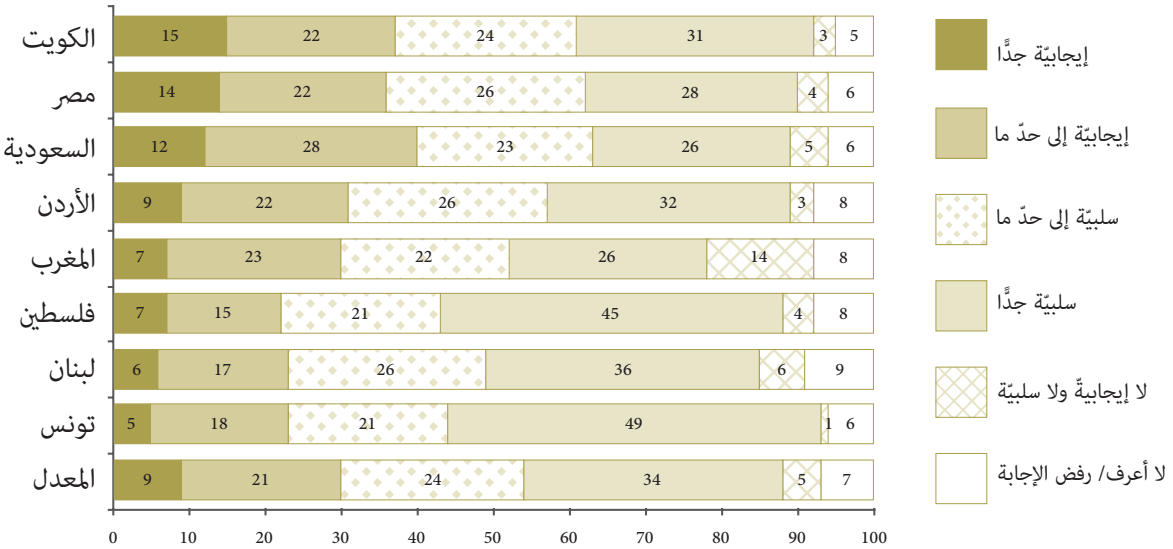

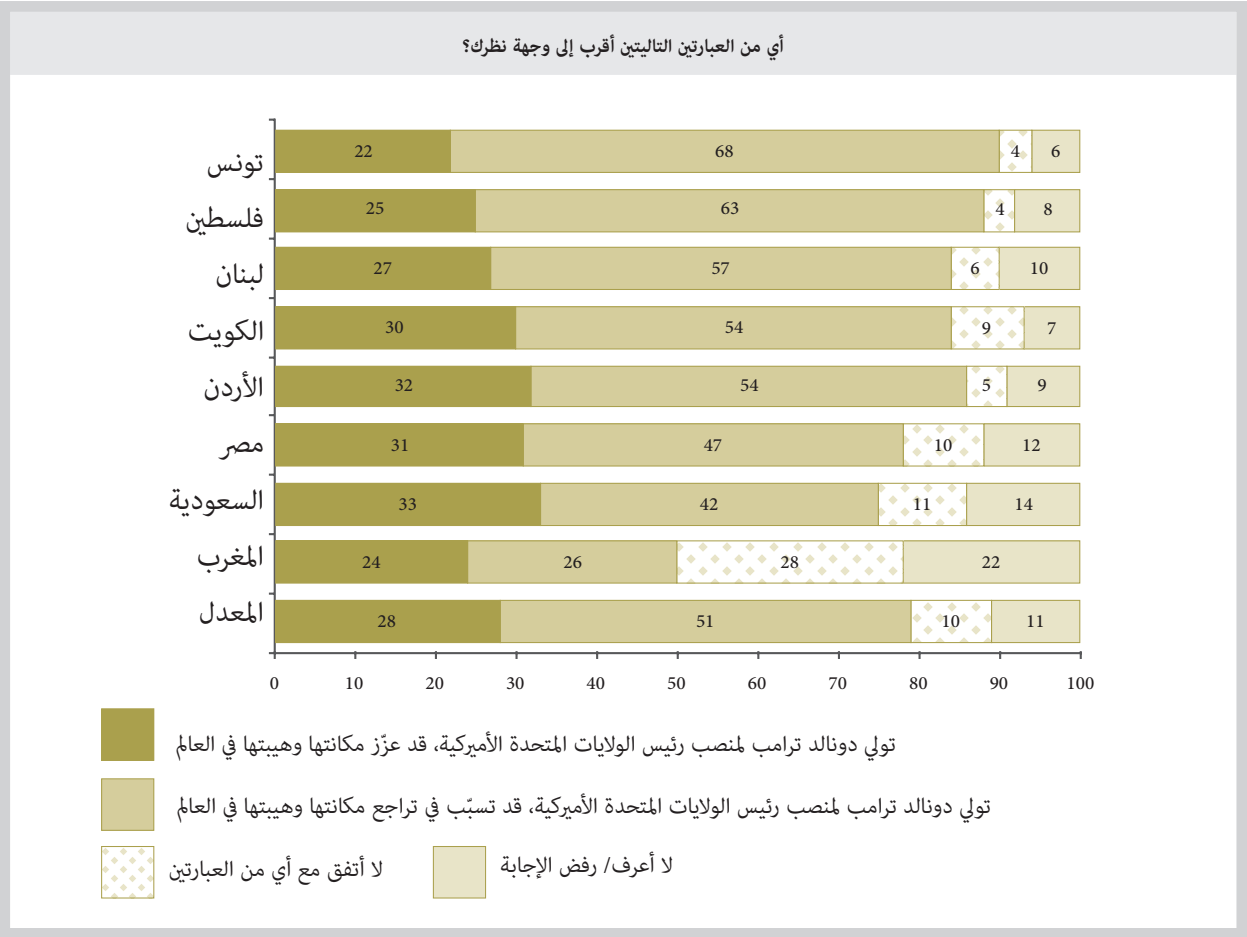

تقييم سياسات الرئيس الأميركي دونالد ترامب

كما تمت الإشارة سابقًا، فقد تضمن هذا الاستطلاع التعرف إلى اتجاهات الرأي العام نحو الرئيس الأميركي من خلال عدة معايير؛ إذ سُئل المستجيبون عن نظرتهم بصفة عامة نحو دونالد ترامب، وآرائهم تجاه سياساته نحو العالم العربي بصفة عامة، إضافة إلى مجموعة من الأسئلة التي تعكس اتجاهات الرأي العام نحو سياسات ترامب والولايات المتحدة في المنطقة العربية مثل تعزيز الديمقراطية في العالم العربي، والتعامل مع الاتفاق النووي مع إيران، ومجابهة التطرف والإرهاب في المنطقة، والحفاظ على علاقات جيدة بحلفاء الولايات المتحدة من الدول العربية، وتقييم أداء سياسات الرئيس الأميركي نحو المناطق التي تشهد أزمات وصراعات مثل سورية، واليمن، والعراق، وليبيا، وفلسطين.

أما على صعيد نظرة المواطنين في المنطقة العربية نحو ترامب بصفة عامة، فقد أظهرت النتائج أن نحو 30% من الرأي العام لديهم نظرة إيجابية، مقابل 58% لديهم نظرتهم سلبية تجاهه. ومن ثم، فإن تقييم الرأي العام للسياسة الأميركية جاء متشابهًا ومتقاربًا مع تقييمه للرئيس الأميركي. ومن المهم الإشارة إلى أن الرأي العام في كل من السعودية ومصر كان الأكثر إيجابية في تقييم الرئيس الأميركي مع أن الأغلبية عبرت عن نظرتها السلبية، وذلك مقارنة بنتائج البلدان الأخرى، إذ إن الرأي العام في كل من تونس ولبنان كان الأكثر سلبية.

وفي السياق نفسه، عُرضت على المستجيبين عبارتان، الأولى تقول: "إن تولي ترامب منصب رئيس الولايات المتحدة عزز مكانة الولايات المتحدة في العالم وهيبتها"، وتقول الثانية: "إن تولي ترامب منصب رئيس الولايات المتحدة تسبّب في تراجع مكانة الولايات المتحدة في العالم وهيبتها". وطلب من المستجيبين اختيار العبارة الأقرب إلى وجهة نظرهم. وتشير النتائج إلى أن أغلبية الرأي العام في المنطقة، بنسبة 51%، من المستجيبين أفادت أن تولي ترامب الرئاسة تسبّب في تراجع مكانة الولايات المتحدة في العالم وهيبتها، مقابل نسبة 28% أفادت أن ذلك عزز مكانة الولايات المتحدة وهيبتها. وفي حين أن أغلبية الرأي العام في كل بلد من البلدان المستطلعة أفادت تراجع مكانة الولايات المتحدة وهيبتها مع وصول ترامب إلى منصب الرئاسة، فإن أقل من 50% من مستجيبي السعودية (42%)، ومصر

(47%) أفادوا ذلك. بل إن نسبة الذين اختاروا العبارة الثانية كانت الأعلى في السعودية بنسبة 33%.

أما على صعيد تقييم سياسات الرئيس ترامب تجاه العالم العربي، فقد أظهرت النتائج أن 61% من المستجيبين أفـادوا أن هذه السياسات سلبية، مقابل 29% أفادوا أنها إيجابية. كما تظهر النتائج أن أغلبية المستجيبين في كل بلد من البلدان أفادت أن سياسات ترامب نحو المنطقة العربية سلبية. وكان مستجيبو كل من تونس، وفلسطين، ولبنان، والكويت هم الذين قيّموها بالسلبية أكثر من مستجيبي المجتمعات الأخرى. وكان الاستثناء يكمن في الرأي العام السعودي، حيث كانت نسبة الذين قيموا هذه السياسات بالسلبية 47% وهي أقل من 50%، مقابل 38% قالوا إنها إيجابية، وهي أعلى نسبة سجلت بين البلدان المستطلعة. ومن المهم الإشارة إلى أن تقييم سياسات ترامب نحو المنطقة العربية جاء متطابقًا مع تقييم سياسات الولايات المتحدة.

إضافة إلى تقييم المستجيبين لسياسات ترامب نحو العالم العربي، وفي إطار مزيد من معرفة الأثر الذي تركه وصول ترامب إلى الرئاسة الأميركية، سُئل المستجيبون عن مدى تأثير سياسات الولايات المتحدة نحو العالم العربي بعد أن أصبح ترامب رئيسًا. وأظهرت النتائج أن الرأي العام العربي منقسم على نحو متوازٍ بين كتلتين؛ الأولى تمثل 38% من المستجيبين الذين أفادوا أن السياسات الأميركية نحو المنطقة العربية تغيرت نحو الأسوأ بُعيد وصول ترامب إلى الرئاسة، بينما عبر المستجيبون في الكتلة الثانية بالنسبة نفسها (38%) عن أن السياسة الأميركية بقيت على حالها. ومقابل هاتين الكتلتين، عبر 17% من المستجيبين عن أن سياسات الولايات المتحدة قد تغيرت نحو الأحسن بعد أن أصبح ترامب رئيسًا للولايات المتحدة. وكان الفلسطينيون الأكثر تعبيرًا عن أن سياسات الولايات المتحدة تغيرت نحو الأسوأ بعد وصول ترامب إلى الرئاسة، في حين أن السعوديين (24%) والمصريين (22%) كانوا الأعلى في تعبيرهم عن أن هذه السياسات قد تغيرت إلى الأحسن. وفي كل الأحوال، فإن أثر وصول ترامب إلى الرئاسة على سياسات الولايات المتحدة نحو المنطقة العربية يعدّ سلبيًا من وجهة نظر الرأي العام العربي. ويبقى الرأي العام العربي الذي يقيّم السياسات الأميركية بالسلبية منقسمًا بين كتلتين إحداهما تقول إن هذه السياسات تغيرت إلى الأسوأ، وتقول الثانية إنها بقيت على حالها بعد وصول ترامب إلى الرئاسة.

أما على صعيد تقييم سياسات ترامب نحو القضايا التفصيلية، فقد سُئل المستجيبون عن مجموعة من القضايا الأساسية المتعلقة بسياسات الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسـط، بعضها طرحت خلال الحملة الانتخابية، وبعضها كانت ضمن تصريحاته ومواقفه فور مباشرة ممارسته صلاحيات منصبه. وهذه القضايا هي: مجابهة التطرف، والتعامل مع القضايا المتعلقة بالإسلام، ومواقفه نحو الاتفاق النووي مع إيران، وتعامله مع الدول العربية التي تعتبر بمنزلة حليف لإيران، وتعزيز الديمقراطية في البلدان العربية. إن أغلبية الرأي العام العربي وبنسبة 63% تعتقد أن أداء ترامب في التعامل مع قضايا متعلقة بالإسلام هو أداء سيئ. كما عبر ما نسبته 51% من الرأي العام العربي عن أن أداءه في قضية تعزيز الديمقراطية في البلدان العربية كان سيئًا. وفي المجمل، فإن الكتلة الأكبر عبرت عن أن أداء ترامب في هذه القضايا كان سيئًا باستثناء قضية واحدة وهي أداؤه في الحفاظ على علاقات الولايات المتحدة بحلفائها من الدول العربية؛ إذ عبر 47% من المستجيبين بأن أداءه في هذا الجانب كان جيدًا، مقابل 38% أفادوا أنه كان سلبيًا. وعند تحليل اتجاهات الرأي العام السعودي، اعتبر 56% من المستجيبين أن أداء ترامب مع حلفاء الولايات المتحدة من الدول العربية كان جيدًا، وكذلك الحال بالنسبة إلى الرأي العام الأردني (56%)، والكويتي (51%). ويبدو جليًا من خلال التعرف إلى اتجاهات الرأي العام في كل بلد من البلدان المستطلعة أن تقييم أداء ترامب في هذا الموضوع قد يكون قد تأثر بالقمة العربية الإسلامية الأميركية التي عقدتها الرياض أو نتيجة لمواقفه تجاه إيران أو تعبيره عدة مرات عن آراء إيجابية نحو بعض حلفائه من الدول العربية وبخاصة السعودية والإمارات. وفي كل الأحوال، فإن اتجاهات الرأي العام نحو هذا الموضوع لا تتضمن شحنة قيمية بمقدار ما هي تقييم لواقع الأمر. وفي السياق نفسه، قد تكون الإشارة مفيدة إلى أن الذين قالوا إن أداء ترامب في التعامل مع الاتفاق النووي الإيراني كان جيدًا قد تركزوا في كل من المغرب، والكويت، والسعودية، ومصر. وهذه هي البلدان ذاتها التي اعتبرت بنسب أعلى من غيرها أن أداءه في مجابهة التطرف كان جيدًا.

إذا كانت الموضوعات السابقة تعكس اتجاهات الرأي العام العربي نحو ما جرى تجاه قضايا تفصيلية في البلدان العربية أو غيرها في الشرق الأوسط، فإن اتجاهات الرأي العام نحو أداء الرئيس الأميركي بما يتعلق بالبؤر الساخنة في المنطقة العربية يمكن أن تسلط الضوء أكثر على تقييم أدائه خلال السنة الأولى من رئاسته. وتظهر النتائج على نحو جلي توافقًا بين مواطني المنطقة العربية على تقييم سلبي لأداء ترامب نحو سورية، واليمن، والعراق، وليبيا، وفلسطين؛ إذ توافق نحو ثلثي المستجيبين على سوء أداء إدارته نحو هذه الملفات. ويبدو جليًا أن تقييم أداء ترامب بما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة نحو فلسطين هو الأكثر سلبية، يليها أداؤه في العراق وسورية. ومن الجدير بالذكر أن نحو ربع المستجيبين عبروا عن أنهم لا يعرفون عن أداء ترامب تجاه ليبيا، وعبّر خُمس المستجيبين عن عدم معرفتهم عن أدائه بما يتعلق باليمن.

بصفة عامة، ما هو تقييمك لسياسة الرئيس ترامب تجاه العالم العربي؟

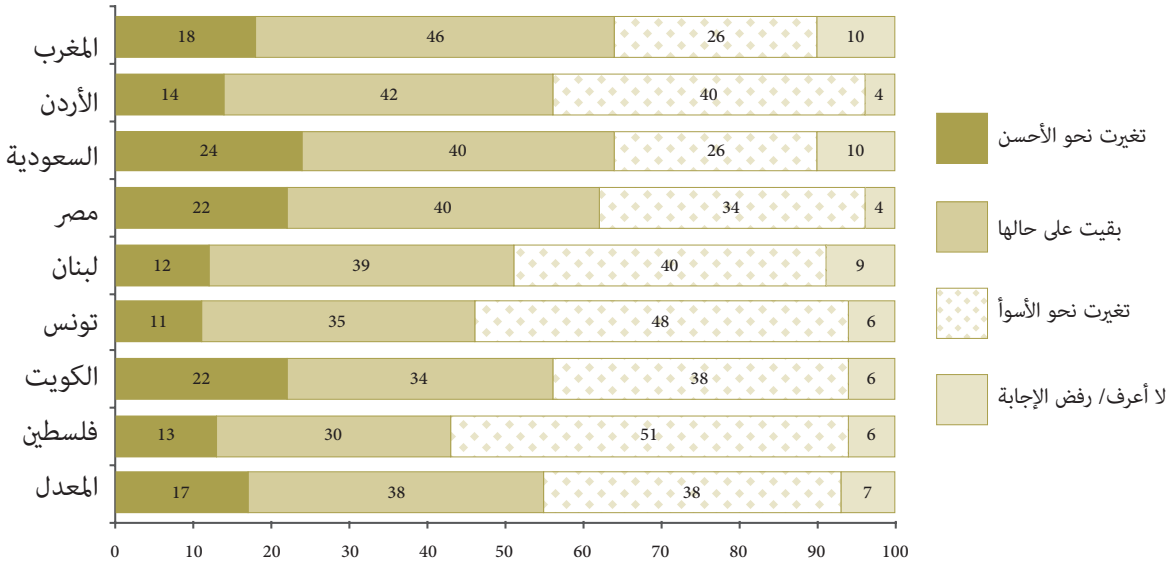

هل توافق على سياسة الرئيس ترامب التي تمنع الأشخاص من بعض الدول المسلمة من الدخول إلى الولايات المتحدة؟

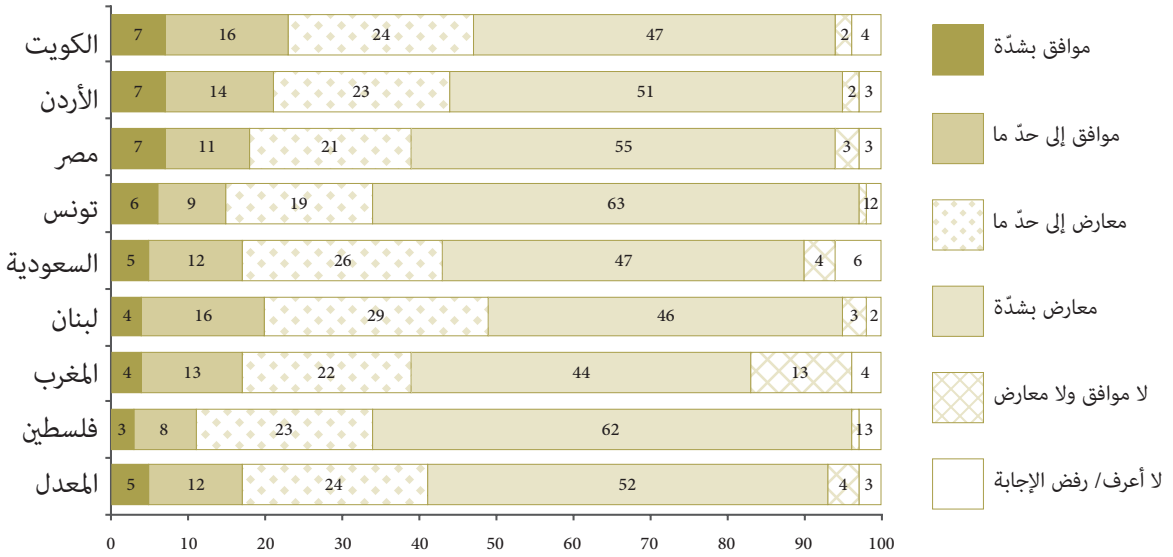

كيف تقيّم أداء الرئيس ترامب في إدارة الملفات التالية:

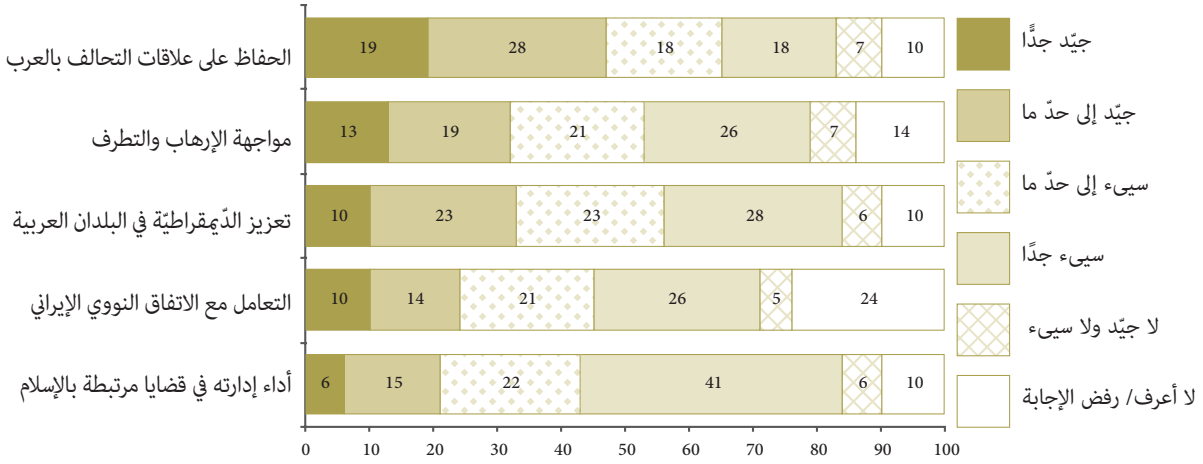

كيف تقيّم أداء الرئيس ترامب في إدارة السياسة الأميركية تجاه ...؟

	جيّد جدًّا	جيّد إلى حدّ ما	سيىء إلى حدٍ ما	سيىء جدًّا	لا جيّد ولا سيىء	لا أعرف/ رفض الإجابة	المجموع
سورية	6	15	22	41	5	12	100
اليمن	5	11	20	39	6	19	100
العراق	4	12	21	45	5	13	100
ليبيا	4	10	19	37	7	23	100
فلسطين	4	8	15	56	7	10	100

ما مدى أهمّيّة القضيّة الفلسطينيّة بالنّسبة إليك؟

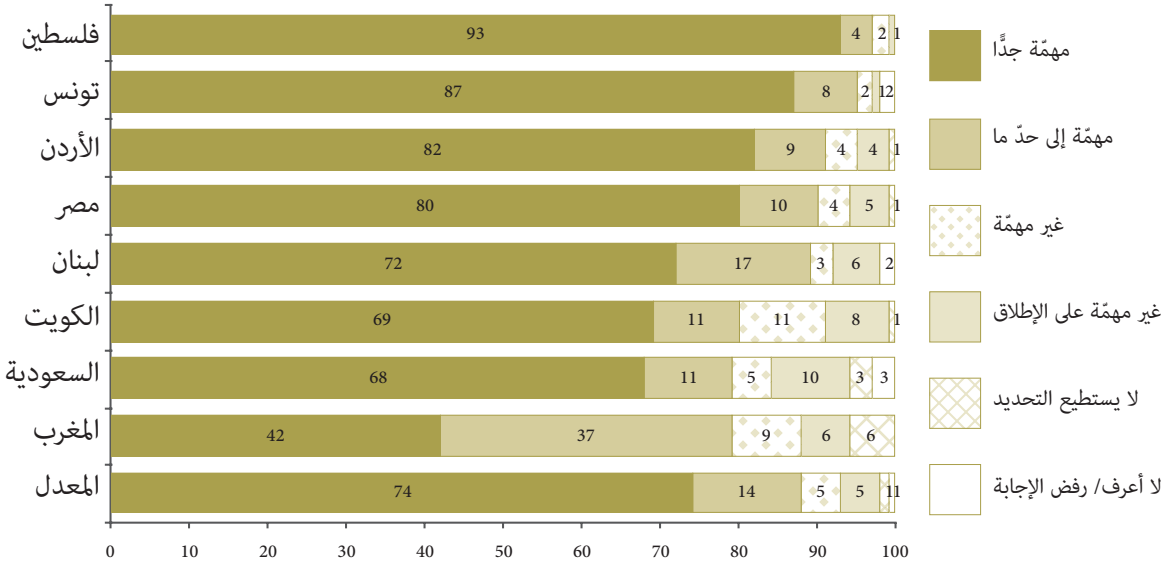

كان ترامب قد وعد بمحاربة داعش والقضاء عليه. حسب رأيك، هل ساهمت سياساته في تحقيق هذا الهدف؟

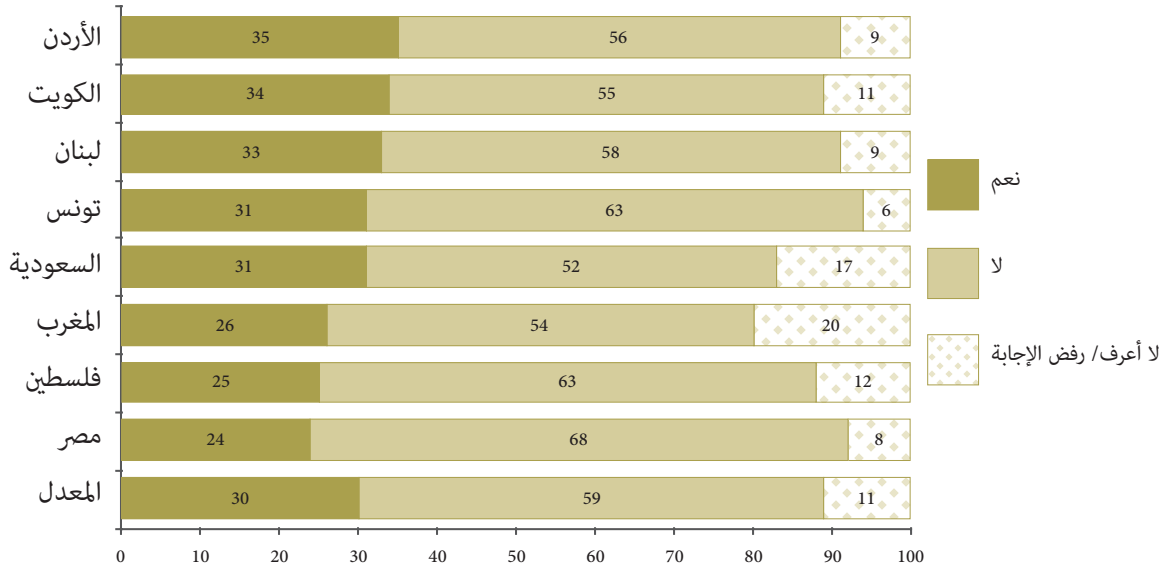

لقد أظهرت البيانات السابقة بأن تقييم المواطنين في المنطقة العربية لسياسات الولايات المتحدة الأميركية تحت إدارة ترامب تجاه القضايا الساخنة في المنطقة كان في مجمله تقييمًا سلبيًا، وعَدَّ أداء ترامب في هذه المجالات سيئًا. وفي السياق نفسه، سُئل المستجيبون عن مدى مساهمة سياسة ترامب بتحقيق وعده في محاربة تنظيم داعش والقضاء عليه. وتظهر النتائج أن أغلبية الرأي العام بنسبة 59% ترى أن سياسات ترامب لم تساهم في تحقيق هذا الهدف الذي وعد به فور تسلمه الرئاسة مقابل 30% أفادوا أن سياساته قد حققت هذا الهدف. اللافت للانتباه أن أغلبية الرأي العام في كل مجتمع من المجتمعات المستطلعة توافقت على أنه لم يحقق هذا الهدف؛ بل كانت النسبة 68% في مصر، و63% في كل من فلسطين وتونس. ومن المهم الإشارة إلى أن أغلبية الرأي العام لا ترى أن سياسات ترامب أدت إلى القضاء على داعش، على الرغم من أن الاستطلاع قد نُفذ في وقت كانت فيه الموصل وأغلب التراب الوطني العراقي قد تحرر من سيطرة التنظيم، وكذلك الأمر لكثير من المناطق التي كانت تقع تحت سيطرته في سورية.

وفي سياق التعرف إلى آراء المواطنين بما يجب أن تركز عليه سياسة الولايات المتحدة في محاربتها للتطرف في منطقة الشرق الأوسط، ترى الكتلة الأكبر من المستجيبين، وبنسبة 33%، أنه يجب على الولايات المتحدة عدم التدخل في مجابهة التطرف والإرهاب في المنطقة كأفضل إستراتيجية لمحاربة هذا التطرف والقضاء عليه، ويأتي في المرتبة الثانية، وبنسبة 23%، حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وفي المرتبة الثالثة، وبنسبة 20%، حل الأزمات في سورية واليمن والعراق وليبيا. وأكدت نسبة 9% من المستجيبين أهمية دعم التحول الديمقراطي كأفضل إستراتيجية. أما الذين ذهبوا إلى تكثيف الحملات العسكرية، فكانت نسبتهم 6%. وحاز عدم تدخل الولايات المتحدة موافقة ثلث المستجيبين كأفضل إستراتيجية للقضاء على الإرهاب والتطرف.

وفي موضوع متصل بسياسات الولايات المتحدة تجاه الدول العربية، وخاصة في ضوء صفقات السلاح الضخمة التي عقدتها إدارة ترامب خلال زيارة السعودية بُعيد استلامه مهماته الرئاسية، سُئل المستجيبون إن كانوا يعتبرون أن بيع الأسلحة للدول العربية يساهم في أمن المنطقة واستقرارها. وقد أفاد 30% من المستجيبين أن بيع الأسلحة الأميركية يساهم في أمن المنطقة واستقرارها مقابل 62% أفادوا عكس ذلك. بل إن أغلبية المستجيبين في كل بلد من البلدان المستطلعة اعتبرت أن بيع الأسلحة الأميركية لا يساهم في أمن المنطقة واستقرارها. وكان الاستثناء الوحيد هو الرأي العام السعودي الذي انقسم إلى كتلتين؛ الأولى تمثل 45% قالت إن بيع الأسلحة للدول العربية يساهم في أمن المنطقة واستقرارها، والثانية بنسبة 40% أفادت عكس ذلك.

هل تعتقد أن بيع الأسلحة الأميركية للدول العربية يساهم في تعزيز أمن المنطقة واستقرارها؟

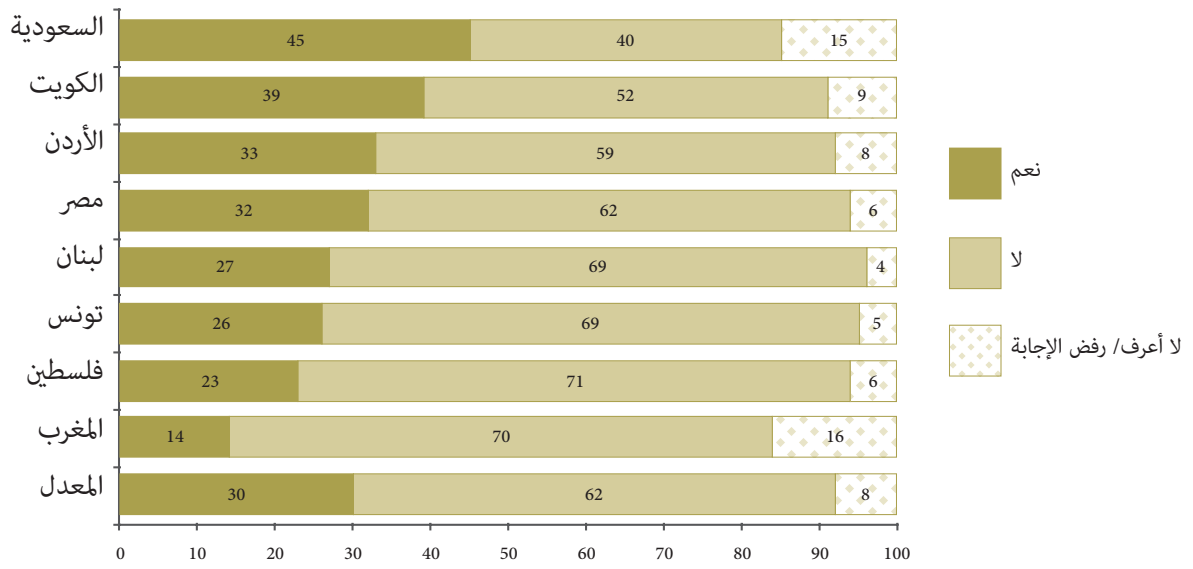

بحسب رأيك ما الذي يجب أن تركز عليه إستراتيجية الولايات المتحدة لمحاربة الإرهاب والتطرف في الشرق الأوسط والقضاء عليهما؟

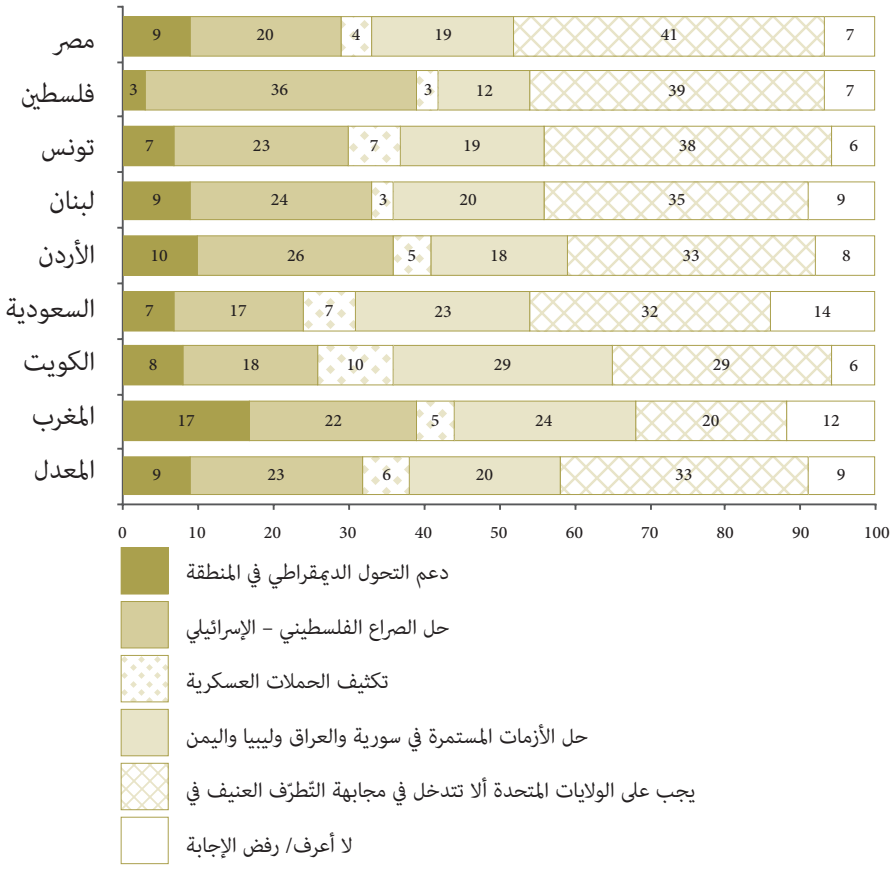

خلاصة

ما زال الرأي العام في المنطقة العربية يقف ضد السياسة الخارجية الأميركية، ويقيّم هذه السياسة في المنطقة تقييميًا سلبيًا. إن هذا التقييم السلبي للسياسات الأميركية في المنطقة لا ينسحب على الولايات المتحدة أو شعبها ليصبح موقفًا ضدهما. بل على العكس من ذلك، فنظرة العرب نحو شعب الولايات المتحدة بمعزلٍ عن سياساتها الخارجية هو موقف إيجابي. إن رأي المواطنين العرب تجاه ترامب هو موقف سلبي في مجمله، ويعتبر أن رئاسته للولايات المتحدة ساهمت في تراجع مكانة الولايات المتحدة وهيبتها في العالم. كما أن رئاسته إما أنها أثرت على نحو سلبي في سياسات الولايات المتحدة في المنطقة العربية أو أبقتها على حالها.

وقد عدّت أغلبية المواطنين في المنطقة العربية أن أداء إدارة ترامب نحو سورية واليمن وليبيا والعراق وفلسطين سلبية أو سيئة. وهنالك شبه توافق على سلبية إدارة ترامب نحو فلسطين. ويتسم التقييم نحو فلسطين بأهمية قصوى عند معرفة أن 88% من المستجيبين يرون أن القضية الفسطينية مهمة بالنسبة إليهم مقابل 10% يعدّونها غير مهمة. وبناءً عليه، فليس ثمة ما يرضي آراء المواطنين نحو السياسات الأميركية في المنطقة العربية ما لم يشعرون أن هنالك تغيرًا جوهريًا في هذه السياسات وبخاصة في الموضوع الفلسطيني. إن هذا التقييم السلبي لسياسات الولايات المتحدة هو عامل مفسر لرفض تيار واسع من الرأي العام العربي لانغماس الولايات المتحدة في شؤون المنطقة العربية.

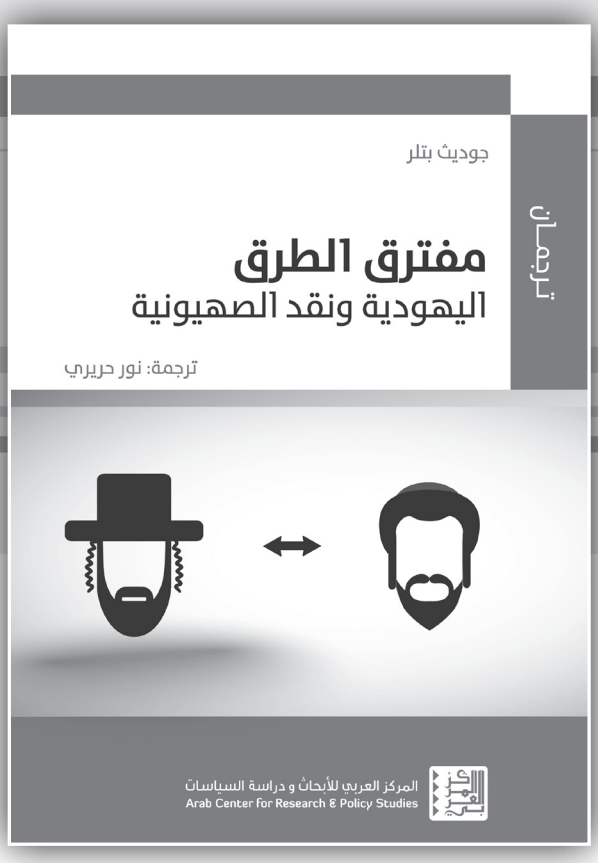

صـدر حديـثًا

تأليــف: جوديث بتلر.
تـرجمة: نور حريري.

مفترق الطرق: اليهودية ونقد الصهيونية

أصدر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب مفترق الطرق: اليهودية ونقد الصهيونية ضمن سلسلة ترجمان، وهو ترجمة نور الحريري العربية لكتاب جوديث بتلر Parting Ways: Jewishness and the Critique of Zionism، والذي تحاول فيه فضح الزعم القائل إنّ كل انتقاد لإسرائيل هو معاداة للسامية، مستندةً إلى مصادر يهودية تنتقد عنف دولة إسرائيل وقهرها الاستعماري للسكان الفلسطينيين وترحيلهم وطردهم؛ بمعنى أن بتلر تحاول أن تُبيّن أن ثمة نقدًا يهوديًا أيضًا لعنف إسرائيل، وأن ثمة قيمًا يهوديةً تحكم التعايش مع غير اليهود، وهي جزء من الجوهر الخُلقي الفعلي لليهودية الشتاتية.

التوثيق

Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا التقرير أبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة بين 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2017.

كلمات مفتاحية: تونس، مصر، اليمن، ليبيا، سورية، البحرين.

Keywords: Tunisia, Egypt, yamen, Libya, Syria, Bahrain.

2017/7/4 وافق مجلس النواب المصري على مشروع قانون الهيئة الوطنية للانتخابات، بصفة نهائية، والذي يقضي بإلغاء الإشراف القضائي على الاستحقاقات الانتخابية بحلول عام 2024، أحد أهم مكتسبات ثورة 25 يناير 2011، إيذانًا بعودة عهود تزوير الانتخابات تحت إشراف السلطة التنفيذية.

(الجزيرة نت، 2017/7/4)

2017/7/4 أكّد رئيس حزب "آفاق تونس"، ياسين إبراهيم، وجود مشاورات مع عدد من الأحزاب التي وصفها بـ "الوسطية"، من بينها "حركة مشروع تونس"، وحزب "البديل التونسي" الذي يتزعمه رئيس الحكومة الأسبق، مهدي جمعة، لتشكيل "جبهة سياسية جديدة". وقال إبراهيم، في حوار مع قناة "نسمة" الخاصة، إنّ حزبه يبحث عن أرضية سياسية تجمع أحزابًا بالمرجعية المجتمعية نفسها، في تلميح إلى خلافه مع "حركة النهضة"، موضحًا أنّ "هذه الأحزاب ينبغي أن تتوحّد في استحقاق 2019"؛ أي الانتخابات التشريعية والرئاسية.

(**الشروق** التونسية، 2017/7/4)

2017/7/4 انطلقت اجتماعات "أستانة 5"، بين النظام السوري والمعارضة المسلحة برعاية روسيا وتركيا وإيران، وركزت المفاوضات على تثبيت خرائط مناطق تخفيف التصعيد الأربع، التي كانت قد أقرتها الدول الثلاث الضامنة، في اجتماعات "أستانة 4" وبدأ سريانها في 6 أيار/ مايو 2017. وجدير بالذكر أنّ المناطق الأربع تشمل المنطقة الجنوبية، وغوطة دمشق، والمنطقة الوسطى، ومحافظة إدلب.

(عربي 21، 2017/7/4)

2017/7/6 أعرب رئيس حزب العدالة والبناء في ليبيا، محمد صوان، عن قلقه "إزاء الدور السلبي" الذي تؤديه بعض الدول الإقليمية لعرقلة تنفيذ الاتفاق السياسي في البلاد. وقال صوان، خلال لقائه السفير البريطاني لدى ليبيا، بيتر ميليت، إنّ "حل الأزمة في البلاد يكمن في تنفيذ كل الأطراف التزاماتها الواردة في الاتفاق السياسي"، مشيدًا بالدعم الدولي لليبيا، لكنه تحفّظ عن دور مصر والإمارات.

(**الشرق** القطرية، 2017/7/6)

2017/7/7 أعلنت كل من واشنطن وموسكو والأردن عن التوصل إلى اتفاق لإعلان وقف إطلاق النار في جنوب غرب سورية، يبدأ سريانه في منتصف نهار يوم الأحد 9 تموز/ يوليو 2017. وأتى الإعلان عن الاتفاق في عقب اجتماع جرى بين الرئيسين الأميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين في هامبورغ بألمانيا، على هامش قمة مجموعة العشرين. وبعد يومين من اجتماعات "أستانه 5" التي أقرت مناطق خفض التصعيد.

(بي بي سي عربي، 2017/7/7)

2017/7/7 أكد رئيس ما يُسمى "المجلس الانتقالي الجنوبي"، في اليمن، عيدروس الزبيدي أنّ المجلس الذي تأسس حديثًا، ماضٍ نحو استكمال "بناه التنظيمية" واستقطاب مزيد من الشخصيات، وأعلن عن حظر نشاطٍ سمّاه "المنظمات والجماعات المتشددة والإرهابية"، بما فيها جماعة الإخوان المسلمين؛ وذلك في المحافظات الجنوبية لليمن.

(**القدس العربي**، 2017/7/7)

2017/7/15 أكد رئيس الوزراء اليمني، أحمد عبيد بن دغر أنّ الوضع في بلاده لن يعود إلى ما قبل آذار/ مـارس 2015، ورأى أنّ "الدولة الاتحادية"، هي الحل السياسي المقبول في البلاد. وقال بن دغر، في كلمة ألقاها خلال حفل نُظِّم بمناسبة الذكرى الثانية لإعلان "تحرير عدن" من الحوثيين: "لن تعود الأمور كما كانت عليه، قبل مارس 2015، أو كما كانت عليه بعد 1994، لكننا لن نستطيع صناعة حلول بمفردنا، وفي الأفق لا أرى حلًا سياسيًا مقبولًا على المستوى الوطني غير الدولة الاتحادية، الكفيلة بالتوزيع العادل للسلطة والثروة".

(**الحياة**، 2017/7/15)

2017/7/16 دعا رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الليبية، فايز السراج إلى المضيّ في خطة طريق من أجل إخراج البلاد من أزمتها. وقال السراج خلال كلمة بثها التلفزيون الرسمي الليبي: "بعد مرور أكثر من عام من عمل المجلس الرئاسي في طرابلس، وما صاحبه من مختنقات ومن عدم التزام الأجسام السياسية في البلاد بكل الاستحقاقات، والانقسام الحاد في مؤسسات الدولة ومد حكومة الوفاق يد المصالحة"، سبّب البرلمان ومجلس الدولة الأزمة في البلاد، وذلك لـ "العجز التام عن الوفاء باستحقاقهما بخصوص المناصب السيادية".

(**العربي الجديد**، 2017/7/16)

2017/7/20 ذكرت منظمة العفو الدولية أنّ السلطات البحرينية ستلاحق الناشطة في حقوق الإنسان ابتسام الصايغ بتهمة "الإرهاب"، بعد أن انتقدت سوء معاملة النساء على أيدي قوات الأمن في البلاد، وحمّلت العاهل البحريني، الملك حمد بن عيسى آل خليفة، المسؤولية عن ذلك. واعتقلت ابتسام الصايغ في الرابع من تموز/ يوليو، وهي متهمة من دائرة الجرائم الإرهابية في النيابة العامة بـ "استغلال أنشطة لحقوق الإنسان كتغطية" للتواصل مع "جمعية الكرامة" و"تشويه سمعة البحرين في الخارج".

(الموقع الرسمي لمنظمة العفو الدولية، 2017/7/20)

2017/7/22 قضت محكمة جنايات القاهرة المصرية بمعاقبة 67 معتقلًا من معارضي الرئيس عبد الفتاح السيسي بأحكام بالإعدام والسجن؛ بمجموع أحكام بلغت 645 سنة، وذلك على خلفية اتهامهم باغتيال النائب العام السابق، هشام بركات. ودانت المحكمة 29 معتقلًا بالإعدام، كما حكمت بالسجن المؤبد 25 سنة على 15 متهمًا آخرين، والسجن 15 سنة على ثمانية متهمين، والسجن 10 سنوات على 15، بمجموع أحكام بلغت 645 سنة.

(**العربي الجديد**، 2017/7/22)

2017/7/22 قضت محكمة مستأنف القاهرة للأمور المستعجلة المصرية، برئاسة المستشار أسامة صبري، برفض الاستئناف على حكم محكمة أول درجة، القاضي بانعدام حكم المحكمة الإدارية

العليا وأسبابه، القاضي بـ "مصرية تيران وصنافير"، واستمرار تنفيذ حُكم سريان اتفاقية ترسيم الحدود بين مصر والسعودية، والذي تمّ بمقتضاه نَقْل تبعية جزيرتَي تيران وصنافير من مصر إلى السعودية؛ وذلك بدعوى عدم جواز نظر الاستئناف لسابقة الفصل فيه.

(المصري اليوم، 2017/7/22)

2017/7/23 اختتمت الجلسات العلنية لهيئة الحقيقة والكرامة حول موضوع تزوير الانتخابات في تونس. ولئن اقتصر الجزء الأول من الجلسة على التجاوزات والتزييف بُعيد الاستقلال في عام 1956 إلى الثمانينيات، أي خلال عهد الرئيس الحبيب بورقيبة، فإنّ الجزء الثاني خصص لفترة الرئيس المخلوع، زين العابدين بن علي، إلى حدود الثورة التونسية. وأكدّ الأمين العام للتجمع الدستوري الديمقراطي (في الفترة 2004-2011)، محمد الغرياني، أنّ عملية التزوير تنطلق من التسجيل إذ يطغى لون واحد، وحتى في ظل وجود قلة من المعارضين فإنه يتمّ توجيه المسجلين من جهة البلديات، كما أنّ الخريطة - منذ البداية - كانت محددة والنتائج معلومة.

(**العربي الجديد** 2017/7/23)

2017/7/25 بعد لقاء جمعهما في باريس، كشف الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، عن أنه جرى التوافق بين فائز السراج وخليفة حفتر في عملية انتخابية في ربيع 2018، مشيرًا إلى أنّ "الصراعات العسكرية كانت تقوض جهود بناء الدولة الليبية". وأكد ماكرون، في مؤتمر صحافي عقد في الإليزيه بعد توقيع اتفاق بين السراج وحفتر التزمَا فيه بوقف إطلاق النار، وتنظيم انتخابات رئاسية وبرلمانية، برعاية فرنسية، أنه "يمكن أن يصبح السراج وحفتر رمزين للمصالحة في ليبيا".

(فرانس 24، 2017/7/25)

2017/7/26 طالب حزب "حراك تونس الإرادة"، بإسقاط مشروع قانون المصالحة الذي طرحته رئاسة الجمهورية، على الرغم من التعديلات التي أدخلت في مداولات اللجان داخل مجلس نواب الشعب، وشدد الحراك على ضرورة التصدي لمحاولة تمريره خلال الجلسة العامة. وأكد الحزب في بيان له أنّ "تغيير اسم مشروع القانون (مشروع قانون المصالحة الاقتصادية سابقًا) واختصار فصوله، لن يغيّر من مضامينه الخطيرة ووظيفته المتمثّلة في مأسسة الفساد وتكريس سياسة الإفلات من العقاب".

(الصباح نيوز، 2017/7/26)

2017/7/26 أعلن الرئيس التونسي السابق، محمد المنصف المرزوقي، تنازله عن الرئاسة الشرفية للرابطة التونسية لحقوق الإنسان، بسبب موقفها من إعادة العلاقات الدبلوماسية مع النظام السوري. وكانت المنظمة دعت في بيان لها رئيس الجمهورية، الباجي قايد السبسي، إلى "إصلاح الخطأ السياسي الذي ارتكبته السلط العليا التي سبقته، فيحرّر الإرادة السياسية من منطق الابتزاز الذي تريد أن تمارسه بعض القوى السياسية الداخلية أو الخارجية".

(**القدس العربي**، 2017/7/26)

2017/7/30 أكد رئيس الهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور الليبي، نوح عبد السيد، موافقة أعضاء الهيئة على مسودة الدستور. وتتضمن المسودة الحالية للدستور العديد من البنود التي يرى بعضهم أنها تمنع شخصيات طامحة إلى حكم ليبيا من الترشح لأيّ منصب سياسي، من بينها أن يكون العسكري قد تخلى عن منصبه قبل الترشح لأيّ منصب سياسي قبل خمس سنوات، كما يمنع أصحاب الجنسيات المزدوجة من الترشح، إلا إذا كان المرشح قد تنازل عن الجنسية الأجنبية قبل سنتين، وتُعَدّ هذه النصوص مانعةً للواء المتقاعد خليفة حفتر، العسكري وصاحب الجنسية الأميركية، من الترشح لأيّ منصب في المستقبل.

(**العربي الجديد**، 2017/7/30)

2017/8/3 دعا رئيس "حركة النهضة"، راشد الغنوشي، رئيس الحكومة يوسف الشاهد إلى عدم الترشح لانتخابات 2019 وطلب منه إعلان أنه "ليس معنيًا إلا بإدارة الشأن العام في تونس، خاصة الاقتصادي وتنظيم انتخابات بلدية ثم تشريعية ورئاسية". وأضاف الغنوشي في حوار خاص بقناة نسمة الخاصة أنّ التحوير الوزاري لا بد منه بالنسبة إلى الحركة، مشيرًا إلى وجود مناصب شاغرة أصلًا ووزارات من دون وزراء.

(**الشرق الأوسط**، 2017/8/3)

2017/8/2 أعلنت حركة "أحرار الشام"، كبرى فصائل المعارضة السورية المسلحة، تعيين قائد جديد لها، بعد أيام من صدامٍ مع "هيئة تحرير الشام"، التي تشكل "جبهة فتح الشام" (جبهة النصرة سابقًا) ثقلها الرئيس، أفضى إلى خروج مقاتلي الحركة من معاقلها الأهم في محافظة إدلب، شمال غربي سورية. وأوردت الحركة، في بيان مقتضب أنّ مجلس شورى الحركة عيّن حسن صوفان قائدًا عامًا لها، في عقب قبول استقالة القائد الحالي علي العمر من منصبه.

(موقع المدن، 2017/8/2)

2017/8/7 ذكرت وكالة الأنباء الوطنية السويسرية أنّ كارلا ديل بونتي، عضو لجنة التحقيق الدولية في الشأن السوري، قالت إنها قررت ترك منصبها بعد أن أصبحت مهمتها مستحيلة بسبب نقص الدعم السياسي من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وأضافت ديل بونتي: لا أملك أيّ سلطة ما دام مجلس الأمن لا يفعل شيئًا. نحن بلا سلطة ولا توجد عدالة من أجل سورية.

(روسيا اليوم، 2017/8/7)

2017/8/11 أعلنت المعارضة السورية عن تشكيل "هيئة الإدارة العليا" في الجنوب السوري، من أجل إدارة المناطق الخارجة عن سيطرة قوات النظام السوري، وذلك في ظل سريان اتفاق وقف إطلاق النار. وجاء الإعلان في بيانٍ مصوَّرٍ تلاه معاون وزير الاقتصاد في الحكومة السورية المؤقتة عبد الحكيم المصري، بعد اجتماع بين ممثلين عن المنظمات المدنية والشرطة والقضاء في حوران، ومجالس المحافظة في القنيطرة ودرعا.

(**الحياة**، 2017/8/11)

2017/8/13 انتقد السياسي المصري، عمرو موسى رئيس لجنة الخمسين التي وضعت دستور 2014، المحاولات الهادفة إلى إدخال تعديلات على الدستور، من أجل إطالة ولاية رئيس الجمهورية. وقال موسى، في بيان رسمي صادر عنه إنّ "الدستور علامة استقرار في حياة الأمم، واحترامه علامة رقي في الممارسة السياسية للشعوب"، مضيفًا أنّ "الحديث المعاد عن تعديل الدستور في عام انتخاب الرئيس يثير علامات استفهام بشأن مدى نضوج الفكر السياسي الذي يقف وراءه". وأضاف قائلًا: "مصر في حاجة إلى تعميق الاستقرار وليس إشاعة التوتر، وتحتاج إلى تأكيد احترام الدستور وليس إلى التشكيك فيه".

(مصر العربية، 2017/8/13)

2017/8/13 وثّقت "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" استخدام قوات النظام السوري الأسلحة الكيميائية المحرمة دوليًا خمس مرات بعد مذبحة خان شيخون في إدلب، وكانت كلها في دمشق وريفها. ووفق التقرير، بلغت حصيلة الهجمات الكيميائية منذ آذار/ مارس 2011 حتى 31 يونيو/ تموز 2017، ما لا يقل عن 207 هجمات؛ 33 منها قبل صدور القرار رقم 2118 في 27 أيلول/ سبتمبر 2013، و174 هجمة بعد القرار ذاته، كانت 105 منها بعد القرار رقم 2209 الصادر في 6 آذار/ مارس 2015، و49 هجمة بعد القرار رقم 2235 الصادر في 7 آب/ أغسطس 2015. وأشار إلى أنّ "تلك الهجمات تسبّبت في مقتل ما لا يقل عن 1420 شخصًا، يتوزعون ما بين 1356 مدنيًا، منهم 186 طفلًا، و244 سيدة، و57 من مقاتلي المعارضة المسلحة، و7 أسرى من قوات النظام السوري كانوا في أحد سجون المعارضة، كذلك بلغ عدد المصابين ما لا يقل عن 6672 شخصًا".

(الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2017/8/13)

2017/8/14 قرر مجلس القضاء الأعلى المصري، برئاسة المستشار مجدي أبو العلا، وقف بث جلسات المحاكمات إعلاميًا. وجاء القرار على خلفية قيام نادي القضاة بإرسال مذكرة لمجلس القضاء الأعلى، يطالب فيها بوقف بث الجلسات إعلاميًا. وعلل نادي القضاة طلبه بأنه ضمن دور النادي في "الحفاظ على هيبة القضاء والوقوف أمام ما قد ينال منها".

(المصري اليوم، 2017/8/14)

2017/8/14 في خطوة فسرت بأنها انقلاب على اتفاق باريس، أعلن اللواء المتقاعد "خليفة حفتر من موسكو عن استئناف قواته قتالها من أجل بسط سيطرتها على "كامل التراب الليبي". وقال حفتر قائلًا بعد لقائه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف: "لقد طلبت دول صديقة منّا الانخراط في العملية السياسية، وبدأ ذلك بلقاء السيد فايز السراج في أبوظبي وفي باريس، لكن السراج أخل بالكثير من الشروط المتفق عليها".

(العرب اللندنية، 2017/8/14)

2017/8/17 اتهم "مجلس الحراك الثوري الجنوبي"، وهو أحد فصائل الحراك في جنوب اليمن، دولة الإمارات العربية المتحدة، بأنها أصبحت تحتل جنوب اليمن وتستحوذ على خيراته، وأكد رفضه للوصاية الخارجية، من أيّ طرفٍ كان. وقد ورد ذلك، في بيان أصدره المجلس، الذي يعد أحد أبرز مكونات الحراك المطالبة بالانفصال في اليمن، ويتزعمه، القيادي في الحراك الجنوبي، حسن أحمد باعوم، في عقب مؤتمر عقده المجلس، في مدينة عدن.

(موقع الجنوب اليوم، 2017/8/17)

2017/8/23 أعربت وزارة الخارجية المصرية عن أسفها بشأن قرار الولايات المتحدة في ما يتعلق بتخفيض بعض المبالغ المخصصة، في إطار برنامج المساعدات الأميركية للقاهرة، سواء من خلال التخفيض المباشر لبعض مكونات الشق الاقتصادي من البرنامج، أو تأجيل صرف بعض مكونات الشق العسكري. وقررت أميركا حرمان مصر من مساعدات قيمتها 95.7 مليون دولار، وتأجيل صرف 195 مليون دولار أخرى، لعدم إحرازها تقدمًا على صعيد احترام حقوق الإنسان، والمعايير الديمقراطية، في ظل إصدار قانون الجمعيات الأهلية الجديد الذي ينظر إليه، ضمن نطاق واسع، على أنه جزء من حملة متزايدة ضد المعارضة.

(العربي الجديد، 2017/8/23)

2017/8/25 طالب نائب رئيس الحكومة اليمنية الشرعية، وزير الخارجية، عبد الملك المخلافي بالتحقيق في قصف لمقاتلات التحالف العربي الذي تقوده السعودية والإمارات في اليمن، أصاب منزلًا سكنيًا على الأقل، ونتج منه سقوط 38 شخصًا بين قتيل وجريح، أغلبهم من النساء والأطفال. وجاء ذلك في عقب قصف التحالف منزلًا في منطقة عطان، جنوب غرب العاصمة، ما أدى إلى مقتل 16 مدنيًا بينهم ثمانية أطفال وأربع نساء، إضافةً إلى 22 جريحًا.

(موقع أخبار اليمن، 2017/8/25)

2017/8/29 طالبت "هيومن رايتس ووتش"، و56 منظمة غير حكومية محلية ودولية أخرى الأمم المتحدة، بفتح تحقيق دولي مستقل في الانتهاكات التي يرتكبها جميع أطراف النزاع في اليمن. وقالت المنظمات، في رسالة وجهتها إلى الممثلين الدائمين للدول الأعضاء والمراقبين في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، إنّ "أطراف النزاع يستمرّون بارتكاب انتهاكات خطيرة للقانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الإنساني الدولي".

(العربي الجديد، 2017/8/29)

الوقائع الفلسطينيّة

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي الإسرائيلي في المدة بين 1 تموز/ يوليو – 31 آب/ أغسطس 2017.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.

Keywords: Palestine, Israel, Arab - Israeli conflict.

2017/7/2 قال الناطق باسم وزارة الصحة الفلسطينية في قطاع غزة أشرف القدرة، إن الحكومة في رام الله ما زالت تحتجز مئات التحويلات لدى دائرة العلاج بالخارج، والتي تحولت إلى مقبرة أرقام جديدة لمرضى غزة.

(وكالة **الرأي الفلسطينية للإعلام**، 2017/7/2)

2017/7/2 كشف الناطق باسم حركة حماس؛ فوزي برهوم، عن أن وفدًا قياديًا من الحركة غادر إلى القاهرة، برئاسة عضو المكتب السياسي للحركة روحي مشتهى، لاستكمال التفاهمات التي جرت مع مصر خلال حزيران/ يونيو 2017 ومتابعتها، وأشار إلى أن الوفد يضم فريقًا فنيًا من الوزارات.

(موقع حركة حماس، 2017/7/2)

2017/7/2 أقدمت قوات الاحتلال على مداهمة بيت النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خالدة جرار، واعتقالها.

(وكالة **وفا**، 2017/7/2)

2017/7/2 حذر وزير الدفاع الإسرائيلي أفيجدور ليبرمان حزب الله اللبناني قائلًا: "نعرف ما يتعين القيام به". وقال ليبرمان للصحافيين في قاعدة كريا العسكرية: "لسنا مهتمين بالشروع في التصعيد في الشمال أو الجنوب"، مؤكدًا أن إسرائيل تتمتع بتفوق كبير على حزب الله.

(وكالة **وفا**، 2017/7/2)

2017/7/3 دعا رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس، في خطابه أمام قمة الاتحاد الأفريقي في دورته 29 المنعقدة في أديس أبابا، قادة أفريقيا إلى ربط أي تقدم في علاقة القارة بإسرائيل، وذلك بمدى التزامها بإنهاء احتلالها للأراضي الفلسطينية المحتلة منذ 1967.

(**وكالة الأناضول للأنباء**، 2017/7/3)

2017/7/3 بعثت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة نيكي هالي، برسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرس، طالبت بانضمام الولايات المتحدة إلى معارضة محاولة الفلسطينيين تمرير قرار في اليونسكو، والذي يعد الخليل والمسجد الإبراهيمي إرثًا عالميًا يتبع للفلسطينيين، ويتعرض لخطر الدمار.

(**المستقبل**، 2017/7/3)

2017/7/4 قال المتحدث باسم وزارة الصحة في قطاع غزة أشرف القدرة، إن هناك نحو 2500 مريض في خطر، من جراء وقف وزارة الصحة في رام الله تحويلات العلاج إلى الخارج.

(**وكالة الأناضول للأنباء**، 2017/7/4)

2017/7/4 تبنت لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو، في دورتها الـ 41، والتي انعقدت في بولندا، قرار "بلدة القدس القديمة وأسوارها"، الذي أعدّه الأردن وفلسطين، والمقدم من المجموعة العربية، وتبنى القرارَ عشرُ دول، وعارضته ثلاث، على الرغم من الضغوط الإسرائيلية لإفشال القرار.

(وكالة **وفا**، 2017/7/4)

2017/7/4 وصول مئتي مهاجر يهودي إلى تل أبيب على متن طائرة خاصة، وقد قدم المهاجرون من الولايات المتحدة الأميركية وكندا، ومن المتوقع أن يصل الآلاف من المهاجرين اليهود هذه السنة من أميركا الشمالية.

(**القدس**، 2017/7/4)

2017/7/4 وصل رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي، إلى إسرائيل في زيارة رسمية تستمر ثلاثة أيام، وصرح رئيس الوزراء الهندي بأن الزيارة هي احتفال بقوة روابط تمتد قرونًا بين مجتمعينا.

(**وكالة الأناضول للأنباء**، 2017/7/4)

2017/7/5 أعلن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية، في أول خطاب له منذ ترؤّسه المكتب السياسي، عن رؤية الحركة أولويات عملها خلال المراحل القادمة، واستعرض هنية أولويات الحركة التي تتمثل بمواجهة الاحتلال الغاشم، وعبر هنية عن رفض الحركة نسبة حائط البراق إلى الصهاينة المحتلين، وأكد أن أي حلول أو تسويات تتعارض مع حق الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال وإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة وعاصمتها القدس الشريف، لن يكتب له النجاح.

(القدس الإخبارية، 2017/7/5)

2017/7/5 أظهر استطلاع إسرائيلي، نشر عبر موقع القناة العبرية الثانية، أن غالبية إسرائيلية ترى وتعتقد أن الحرب المقبلة ستكون وجهتها قطاع غـزة، وبحسب الاستطلاع فـإن 56 في المئة من الإسرائيليين يعتقدون أن هناك فرصة كبيرة لأن تندلع الحرب بين إسرائيل وحماس في غزة، في حين يرى 35 في المئة أن الفرصة لمثل ذلك منخفضة، وأعرب 35 في المئة عن اعتقادهم أن الحرب قد تكون مع حزب الله، و9 في المئة إيران.

(**القدس**، 2017/7/5)

2017/7/5 قال وزير العمل الفلسطيني؛ مأمون أبو شهلا، إن السلطة الفلسطينية تعاني معدلات بطالة وفقر متزايدة؛ إذ يوجد نحو 400 ألف عاطل عن العمل، معظمهم من الخريجين والشباب، و320 ألف أسرة تعيش تحت خط الفقر، ولفت النظر إلى أن عدد العاطلين عن العمل سيرتفع إلى 900 ألف بحلول سنة 2013، في حال استمر الوضع من دون إيجاد حلول عملية وحقيقية.

(وكالة **وفا**، 2017/7/5)

2017/7/6 وقع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مع رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي، سبع اتفاقيات تعاون بين البلدين، بينهما مذكرة تفاهم بين دائرة العلوم والتكنولوجيا الهندية وسلطة التعاون الإسرائيلية؛ لإقامة صندوق للتطوير والبحث الصناعي بقيمة 40 مليون دولار، وثلاث اتفاقيات في مجال الفضاء، إضافة إلى اتفاقيتين في مجال المياه، واتفاقية في المجال الزراعي، واتفاقية

لبيع منظومة القبة الحديدة الإسرائيلية المضادة للصواريخ والطائرات بقميه مليارَي دولار.

(الشرق الأوسط، 2017/7/6)

2017/7/6 قال وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، في مقابلة مع شبكة سي أن أن الأميركية، إن حركة حماس متمثلة في الدوحة بمكتب سياسي، وليس لديها أي تمثيل عسكري في دولة قطر، مشيرًا إلى أن بعض قادة حماس جاؤوا للمشاركة في مفاوضات المصالحة الوطنية التي تؤدي قطر دور الوسيط فيها، وهي مفاوضات مدعومة من جانب المجتمع الدولي، وتتم بالتنسيق مع الولايات المتحدة، مؤكدًا أن دولة قطر لا تدعم حماس، بل تدعم أهل غزة.

(الجزيرة نت، 2017/7/6)

2017/7/7 قال رئيس اللجنة القطرية لإعادة إعمار غزة السفير القطري محمد العمادي، إن قطر لن تخذل الشعب الفلسطيني، وستواصل جهود إعمار قطاع غزة من دون توقف.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2017/7/7)

2017/7/7 حجبت السعودية موقع عرب 48 عن المتصفحين فيها، من دون الإعلان عن أسباب الحجب. وذكر الموقع أن ما يمكن أن يفسر الحجب السعودي هو نشره تقارير صحافية أجنبية غربية وإسرائيلية، عن العلاقات الإسرائيلية - السعودية السرية، والفرحة الإسرائيلية بتعيين محمد بن سلمان وليًا للعهد.

(موقع عرب 48، 2017/7/7)

2017/7/8 أعلنت سلطة الطاقة في قطاع غزة عن توقف مولدين في محطة الكهرباء عن العمل، بسبب قيام سلطة النقد برام الله بوقف كل التحويلات المالية عبر البنوك إلى مصر لشراء الوقود.

(فلسطين أون لاين، 2017/7/8)

2017/7/8 قال أمين سر اللجنة القطرية الدائمة لدعم القدس حاتم عبد القادر، إن قطر هي الدولة العربية الوحيدة التي تقدم دعمًا دائمًا للقدس، بخلاف المؤسسات الأخرى، والتي تقدم دعمًا بحسب إمكاناتها، وتحدث عبد القادر عن أبرز المشاريع التي تحتاجها المدينة المحتلة.

(الجزيرة نت، 2017/7/8)

2017/7/9 قطعت السلطة الفلسطينية في رام الله رواتب 37 نائبًا من نواب كتلة التغيير والإصلاح في الضفة الغربية لشهر حزيران/ يونيو رسميًا، في حين رفضت وزارة المالية إعطاء أي مبرر لهذه الخطوة.

(العربي الجديد، 2017/7/9)

2017/7/9 أكد الرئيس الفلسطيني محمود عباس، ضرورة إلغاء حركة حماس اللجنة الإدارية في غزة، والسماح لحكومة الوفاق الوطني بممارسة مهماتها في قطاع غزة والذهاب إلى الانتخابات.

(وكالة معا الإخبارية، 2017/7/9)

2017/7/10 طالبت القوى الوطنية والإسلامية رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس، بإخراج القطاع الصحي في غزة من المناكفات السياسية، فالوضع الصحي في غزة هو مسؤولية وطنية وإنسانية قبل أن تكون شكلًا من أشكال المناكفات السياسية.

(وكالة الرأي الفلسطينية للإعلام، 2017/7/10)

2017/7/10 طرح وزير الاستخبارات والمواصلات الإسرائيلي يسرائيل كاتس، قانونًا جديدًا على جدول أعمال الكنيست، باسم "القدس الكبرى"، والذي يقضي بتغير التركيبة الديموغرافية في القدس، من خلال ضم خمس مستعمرات في محيطها، في مقابل إخراج بلدات فلسطينية خارج نفوذ البلدية.

(الحياة، 2017/7/10)

2017/7/11 جدد وزير الاستخبارات والمواصلات الإسرائيلي؛ يسرائيل كاتس، اقتراح مشروع لتأسيس شبكة سكة حديد إقليمية عابرة لمنطقة الشرق الأوسط، تربط إسرائيل بدول الخليج، مرورًا بالأردن والسعودية، موضحًا أن الخطة التي تعمل إسرائيل على تنفيذها، هي إعادة إحياء خط قطار كان موجودًا بالفعل، يربط حيفا بالأردن عبر الضفة الغربية، ومنها إلى السعودية ودول الخليج.

(الجزيرة نت، 2017/7/11)

2017/7/11 اعترفت وزارة الدفاع الإسرائيلي بـ 481 جنديًا بوصفهم معاقين، وذلك نتيجة للحرب العدوانية على قطاع غزة في صيف 2014، وبينهم 143 جنديًا تم الاعتراف بهم بوصفهم مصابين بـ "صدمة الحرب".

(موقع عرب 48، 2017/7/11)

2017/7/11 أظهر تقرير مشترك أصدره الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني واللجنة الوطنية للسكان، بمناسبة اليوم العالمي للسكان، أن عدد السكان المقدر في منتصف 2017 في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية بلغ نحو 4.95 ملايين نسمة، منهم 2.52 مليون من الذكور، 1.48 مليون من الإناث، بينما قدر سكان قطاع غزة بنحو 1.94 مليون نسمة، منهم 988 ألف ذكر و956 ألف أنثى.

(موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2017/7/11)

2017/7/11 اتهم السفير السعودي لدى الجزائر سامي بن عبد الله الصالح، حركة حماس بأنها "إرهابية" تسعى لإحلال المشكلات في المنطقة، وأشار السفير السعودي إلى أن المقاومة مكفولة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

(وكالة شهاب للأنباء، 2017/7/11)

2017/7/12 قال مايكل لينك المقرر الخاص للأمم المتحدة، بشأن وضع حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهو واحد من الخبراء السبعة الذين أصدروا البيان، "إن إسرائيل بوصفها المحتل المسيطر على الدخول والخروج للبضائع والأشخاص تتحمل المسؤولية الرئيسة في تدهور الحالة الإنسانية في قطاع غزة".

(موقع مركز أنباء الأمم المتحدة، 2017/7/12)

2017/7/13 أصدرت محكمة عسكرية إسرائيلية في الضفة الغربية أمر اعتقال إداري في حق النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، والقيادية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؛ خالدة جرار، لمدة ستة أشهر.

(**الغد** الأردنية، 2017/7/13)

2017/7/13 أكد القيادي في حركة حماس في غزة محمود الزهار، أن قضية تعيين محمد دحلان زعيمًا لقطاع غزة يتم من خلال الانتخابات، وقال الزهار إن التفاهمات التي أجرتها حماس مع دحلان تركزت في ثلاث قضايا؛ وهي تفعيل المجلس التشريعي، وإنجاز المصلحة المجتمعية، وتفعيل لجنة التكافل الوطني الإسلامي ومشاريع الفقراء.

(**الغد** الأردنية، 2017/7/13)

2017/8/15 اندلاع مواجهات بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال التي منعتهم، لليوم الثاني على التوالي، من الصلاة في المسجد الأقصى، وانطلقت عدة مسيرات من الأحياء المقدسية صوب القدس القديمة، وسط إجراءات أمنية مشددة لقوات الاحتلال التي منعت المسيرات من التقدم وقامت بقمعها.

(**الأيام**، 2017/8/15)

2017/7/17 أعلن مفتي القدس والديار المقدسة الشيخ محمد حسين، بعد اجتماع مجلس الإفتاء الإسلامي في القدس، أنه تقرر بالإجماع أن الدخول إلى الأقصى من البوابات الإلكترونية لا يجوز، وكل من يدخل منها فـ "صلاته باطلة"، وناشد الفلسطينيين شد الرحال إلى الأقصى.

(**الحياة**، 2017/7/17)

2017/7/18 كشف وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي؛ جلعاد أردان، النقاب عن أن سلطات الاحتلال نسقت مع دول عربية وإسلامية، لنصب البوابات الإلكترونية قبالة المسجد الأقصى، وقد ترافقت تصريحات أردان حول وجود تفاهمات سعودية إسرائيلية حيال تلك الإجراءات.

(الجزيرة نت، 2017/7/18)

2017/7/19 أعلن صندوق قطر للتنمية عن البدء في المرحلة الثالثة من مدينة الشيخ حمد بن خليفة السكنية، أكبر مشروع إسكاني في محافظة خانيونس في جنوب قطاع غزة، والتي تشهد بناء 700 شقة سكنية، بتكلفة إجمالية تبلغ 43 مليون دولار أميركي.

(صحيفة **الراية** القطرية، 2017/7/19)

2017/7/22 دعت اللجنة الرباعية الدولية للشرق الأوسط، جميع الأطراف المعنية بالوضع في القدس المحتل، إلى ضبط النفس إلى أقصى حد، كما دعت اللجنة الأردن وإسرائيل إلى العمل معًا من أجل إبقاء الوضع بعيدًا عن التوتر.

(مركز أنباء الأمم المتحدة، 2017/7/22)

2017/7/24 صدق المسجد الوزاري الإسرائيلي للشؤون السياسية والأمنية "الكابينت" على توصيات أجهزة الأمن بإزالة البوابات الإلكترونية التي نصبت على أبواب الأقصى.

(الجزيرة نت، 2017/7/24)

2017/7/25 أصدرت محكمة العدل الأوربية قرارًا يقضي بإعادة قضية رفع اسم حركة حماس من لوائح الإرهـاب الأوروبية إلى المحكمة الابتدائية الأوروبية.

(**القدس العربي**، 2017/7/25)

2017/7/27 قال النائب العام المفصول من حركة فتح محمد دحلان: "بذلنا جهودًا مشتركة مع الإخوة في حماس قد تمكننا من إعادة الأمل لأهل غزة".

(**القدس**، 20147/7/27)

2017/7/28 أكد الشيخ عكرمة صبري أن المقدسيين والفلسطينيين هم من حققوا الانتصار بإعادة فتح أبواب المسجد الأقصى للمصلين، وليس ما يتناوله زعماء العرب في تبني هذا الانتصار.

(**القدس العربي**، 2017/7/28)

2017/7/29 دعا الأب مانويل مسلم الفلسطينيين إلى مواصلة الحراك في وجه الإجراءات الإسرائيلية المستهدفة للمسجد الأقصى، وصرح مانويل بالعصيان المدني في وجه إسرائيل.

(**وكالة الأناضول للأنباء**، 2017/7/29)

2017/7/31 طالبت العضو العربي في الكنيست الإسرائيلي حنين الزعبي، بتعميم تجربة القدس على مطالب سياسية بالمدينة المقدسة في ما يتعلق بإجراءات الاحتلال التي من الممكن أن تشهد تراجعًا، بما يضمن عدم الرجوع إلى حالة تدنيس المسجد الأقصى من المتطرفين الذين يقتحمونه.

(فلسطين أون لاين، 2017/7/31)

2017/8/2 كشف خليل التفكجي مدير قسم الخرائط في جمعية الدراسات العربية في القدس المحتلة، أن مساحة القدس في سنة 1945 كانت نحو عشرين ألف دونم، وكانت الكنيسة تمتلك من هذه المساحة ما نسبته 15 في المئة، على مساحة 2.473 كيلومتر مربع. لكن أخطر ما يحدث الآن، بعد معركة الأقصى، هو بيع الكنيسة الأرثوذكسية لعقار في المعظمية عند باب حطة. وقال التفكجي في ندوة نظمتها المؤسسات الأرثوذكسية في بيت ساحور، أن الخطر الأكبر الآن يكمن في نقطة باب الخليل؛ حيث تم عمل مسح للبلدة القديمة خلال الفترة 2000-2011، ليتبين أن الكنيسة الأرثوذكسية تمتلك ما نسبته 33 في المئة من البلدة القديمة.

(**القدس العربي**، 2017/8/2)

2017/8/3 أعلنت حركة حماس استعدادها لإنهاء الإدارة الحكومية في قطاع غزة فور استلام حكومة الحمدالله مسؤولياتها كافة في قطاع غزة. وطالب القيادي في الحركة؛ صلاح البردويل في بيان له، بالإلغاء الفوري لكل الإجراءات التي فرضت على غزة، بحجة تشكيل اللجنة

الحومية. ودعا البردويل إلى الشروع الفوري في حوار وطني ومشاورات لتشكيل حكومة وحدة وطنية، وتفعيل المجلس التشريعي.

(وكالة **الرأي الفلسطينية للإعلام**، 2017/8/3)

2017/8/3 شارك رئيس الحكومة الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، في وضع حجر الأساس لبناء 1200 وحدة استيطانية في مستعمرة بيتار عيلت، على أراضٍ ذات ملكية خاصة للفلسطينيين قرب بيت لحم.

(موقع عرب 48، 2017/8/3)

2017/8/3 قام الاتحاد الأوروبي بدفع مساهمته السنوية الثالثة لهذا العام، ضمن إطار دعمه المالي المباشر للسلطة الفلسطينية. ولقد قام الاتحاد الأوروبي خلال عام 2017، بتخصيص مبلغ يصل مجموعه إلى 138 مليون يورو، لدعم السلطة الفلسطينية في قيامها بدفع رواتب، ومخصصات تقاعد، والمخصصات الاجتماعية، والتحويلات الطبية، إلى مستشفيات القدس الشرقية.

(وكالة **وفا**، 2017/8/3)

2017/8/6 أعلن وزير الاتصالات الإسرائيلي أيوب قرا، أنه أمر باتخاذ إجراءات لوقف عمل قناة الجزيرة في إسرائيل، بحجة دعمها للإرهاب، بحسب قوله. وأضاف قرا، في مؤتمر صحافي، أن القرار استند إلى إغلاق دول عربية مكاتب الجزيرة لديها وحظر عملها، وهي دول وصفها بأنها سُنية معتدلة تريد إسرائيل عقد تحالفات، وتحقيق شراكة اقتصادية، وإبرام سلام معها، بحسب تعبيره، في إشارة إلى الدول التي تفرض حصارًا على قطر.

(الجزيرة نت، 2017/8/6)

2017/8/6 قال المطران عطا الله حنا رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس، إن الذين يبيعون عقاراتنا ويفرطون فيها وفي أوقافنا الأرثوذكسية لا يمثلون كنيستنا وتراثها وهويتها وعراقة حضورها في هذه الأرض المقدسة. وطالب وسائل الإعلام بألّا تنسب صفقات البيع إلى الكنيسة الأرثوذكسية، لأن الكنيسة براء من هذه الأفعال التي يقوم بها أشخاص نعرف جيدًا ما أهدافهم وأجنداتهم، ومن الذي يدعمهم ويؤازرهم ويبرر أعمالهم ويقف خلفهم.

(**القدس العربي**، 2017/8/6)

2017/8/7 قام العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني أمس بزيارة غير عادية إلى رام الله، وصفها مسؤولون فلسطينيون بأنها رسالة دعم للسلطة في مواجهة إسرائيل وإجراءاتها، خصوصًا في المسجد الأقصى المبارك والقدس المحتلة، وكشف وزير الخارجية الفلسطيني رياض المالكي، في تصريح عقب اللقاء، أن الجانبين الأردني والفلسطيني اتفقا على تشكيل خلية أزمة مشتركة تتواصل في ما بينها لتقويم المرحلة الماضية والدروس والعبر، وأي تحديات قد نواجهها في الأقصى. وأضاف أن هذه الزيارة تأتي في وقت بالغ الأهمية، من أجل إجراء تقويم مشترك لمشكلة الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد ومحاولة تغيير الواقع القائم فيه.

(**الحياة**، 2017/8/7)

2017/8/7 أكدت منظمة هيومن رايتس ووتش أن إسرائيل جردت نحو 15 ألف فلسطيني من سكان القدس من حقهم في الإقامة في المدينة منذ عام 1967، قائلة إن الأمر قد يكون "جريمة حرب". وصرحت سارة ليا ويتسن، مديرة قسم الشرق الأوسط في المنظمة بأن إسرائيل تدعي معاملة القدس على أنها مدينة موحدة، لكنها تحدد قوانين مختلفة لليهود والفلسطينيين. وإن التمييز المتعمد بحق فلسطينيي القدس، بما في ذلك سياسات الإقامة التي تهدد وضعهم القانوني، يزيد من انسلاخهم عن المدينة.

(موقع هيومن رايتس ووتش، 2017/8/7)

2017/8/10 قال ممثل حركة حماس في إيران خالد القومي، إن زيارة وفد حركته للعاصمة طهران، أثمرت فتح صفحة جديدة في العلاقة بين الطرفين، قائمة على أساس مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، ودعم صمود الشعب الفلسطيني، لافتًا النظر إلى أنه سيكون هناك زيارات ومناقشات مقبلة، حول دعم القضية الفلسطينية ومقاومتها.

(فلسطين أون لاين، 2017/8/10)

2017/8/10 قال رئيس قسم الأبحاث في مجموعة العمل من أجل فلسطيني سورية إبراهيم العلي، إن أرقام المعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري قفزت في وقت قصير جدًا، من نحو 1200 إلى 1620 معتقلًا، بعد أن أتيح التواصل مع الأهالي والإبلاغ عن أبنائهم المعتقلين.

(فلسطين أون لاين، 2017/8/10)

2017/8/11 غادر وفد قيادي من الفصائل الفلسطينية قطاع غزة، عبر معبر رفح، متوجهًا إلى القاهرة، للقاء مسؤولين مصريين وآخرين من تيار النائب محمد دحلان؛ للتباحث في شأن حلول عاجلة لمشكلات قطاع غزة المتفاقمة، خصوصًا معبر رفح ومشروعات الكهرباء والصحة والشؤون الاجتماعية وغيرها. وضم الوفد كلًا من روحي مشتهى، والدكتور صلاح البردويل، وإسماعيل الأشقر، وفتحي الشيخ خليل (من حماس)، وخالد البطش (الجهاد الإسلامي)، وكلًا من ماجد أبو شمالة، وأشرف جمعة (من تيار محمد دحلان)، وعصام أبو دقة (من الجبهة الديموقراطية)، وأسامة أحمد (من الجبهة الشعبية).

(**الحياة**، 2017/8/11)

2017/8/11 قال رئيس وحدة الدراسات والتوثيق في هيئة شؤون الأسرى والمحررين، وعضو اللجنة المكلفة بإدارة شؤون الهيئة في قطاع غزة؛ عبد الناصر فروانة، إن أكثر من 92 في المئة، من الأحكام الصادرة في حق الأسرى الفلسطينيين، تكون مقرونة بالغرامات المالية الباهظة. وكشف فروانة أنه واستنادًا إلى ما وثقه محامو هيئة شؤون الأسرى والمحررين، فإن مجموع الغرامات المالية التي فرضت على الأسرى الأطفال القابعين في سجن عوفر فقط، منذ مطلع العام الجاري 2017، قد بلغت 359 ألف شيكل، أي ما يعادل 100 ألف دولار، وأن أعلاها كانت خلال شهر تموز/ يوليو الماضي؛ إذ سجل

خلاله فرض غرامات مالية بمقدار 87000 شيكل، وما يعادل 24 ألف دولار، في حق الأطفال في سجن عوفر فقط.

(وكالة **وفا**، 2017/8/11)

2017/8/12 أكد بطريرك القدس وسائر أعمال فلسطين والأردن ثيوفليوس الثالث، رفضه قرار المحكمة المركزية الإسرائيلية في قضية باب الخليل، كما رفض مقترح قانون في الكنيست يقضي بمصادرة أراضي المسيحيين في القدس. وأعلن البطريرك، خلال مؤتمر صحفي عقد في عمّان، عن جملة من الإجراءات القانونية التي ستتخذها البطريركية لقلب الحكم. وقال إن البطريركية ستبدأ عملية استئناف أمام محكمة العدل العليا، وستنفذ البطريركية كل ما في وسعها لقلب الحكم.

(**الرأي** الأردنية، 2017/8/12)

2017/8/14 رفضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عقد المجلس الوطني في رام الله، بعيدًا عن التوافق الوطني، وشدد عضو اللجنة المركزية للشعبية على أن المجلس يجب أن يكون توحيديًا على قاعدة التوافق بما يتلاءم وينسجم مع مخرجات القاهرة وتفاهماتها، ومخرجات اجتماع اللجنة التحضيرية في بيروت عام 2017.

(**الحياة**، 2017/8/14)

2017/8/18 قال تقرير لمؤسسة القدس الدولية إنه خلال الأشهر السبعة الأولى من سنة 2017، واجهت القدس المحتلة تصعيدًا دمويًا واستيطانيًا من حكومة الاحتلال. وقال التقرير إن قوات الاحتلال قتلت خلال الفترة الأخيرة التي يغطيها التقرير 17 مقدسيًا، واعتقلت نحو 1458 آخرين، وهدمت نحو 106 منازل ومنشآت سكنية، وأخطرت بهدم 214 منزلًا ومنشأة في الفترة نفسها.

(وكالة **صفا**، 2017/8/18)

2017/8/20 قال رئيس السلطة الفلسطينية خلال لقائه مع وفد حزب ميرتش الإسرائيلي في رام الله، إنه يسعى لاستئناف التنسيق الأمني مع إسرائيل، لكن إسرائيل لم ترد على توجهه بهذا الخصوص، ومن جهة أخرى أكد عباس أنه سيواصل تقليص تحويل الميزانيات إلى قطاع غزة.

(موقع عرب 48، 2017/8/20)

2017/8/22 حذرت الأمم المتحدة من خطورة مشروع قانون "القدس الموحدة"، الذي صدق عليه الكنيست الإسرائيلي في منتصف تموز/ يوليو الماضي. وقال مساعد الأمين العام للشؤون السياسية ميروسلاف جينكا، إن مشروع القانون، الذي يجعل من القدس عاصمة لإسرائيل، سيعمل في حالة إقراره، على تعزيز سيطرة إسرائيل على القدس الشرقية المحتلة، وسيحد من قدرة الطرفين (الفلسطيني والإسرائيلي) على التوصل إلى حل تفاوضي، يتوافق مع قرارات الأمم المتحدة والاتفاقات السابقة الموقعة بين الطرفين.

(مركز أنباء الأمم المتحدة، 2017/8/22)

2017/8/22 قال نقيب الصيادين؛ نزار عياش، إن البحرية الإسرائيلية اعتقلت 229 صيادًا فلسطينيًا من بحر غزة، منذ انتهاء حرب 2014. وأضاف نزار عياش أن أربعة صيادين ما زالوا معتقلين، وأن 11 آخرين أصيبوا من جراء إطلاق قوارب البحرية الإسرائيلية النار على قوارب الصيد الفلسطينية.

(**وكالة الأناضول للأنباء**، 2017/8/22)

2017/8/29 أعادت قيادة مكافحة الإرهاب في الشرطة البريطانية فتح التحقيق في مقتل رسام الكاريكاتير ناجي العلي، قبل 30 عامًا، بإطلاق النار عليه في أحد شوارع لندن، وطلبت من أي شخص لديه معلومات حول المسلح ورجل ثان شوهد يبتعد بسيارته عن المكان، أن يتقدم بها.

(**القدس العربي**، 2017/8/29)

2017/8/30 قال عضو اللجنة المركزي لحركة فتح، مسؤول ملف المصالحة في الحركة عزام الأحمد، إن حركة فتح رحبت بالأفكار التركية لإنهاء الانقسام وسرعة تنفيذ المصالحة على قاعدة الاتفاق الذي تم بين حركتي فتح وحماس برعاية مصرية، ووقع في القاهرة في 2011/5/4. وقال الأحمد إن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أبلغ القيادة الفلسطينية بأن 5 ملايين دولار ستقدم إلى الشعب الفلسطيني لتغطية ثمن الكهرباء في قطاع غزة. ونحن رحبنا بذلك لأنه مساعدة من تركيا للشعب الفلسطيني وليس للسلطة.

(وكالة **وفا**، 2017/8/30)

2017/8/30 قال رئيس شؤون الأسرى والمحررين عيسى قراقع، إن 6500 أسير يقبعون في 24 سجنًا ومعسكرًا ومركز توقيف للاحتلال. وأوضح أن حالات الاعتقال منذ بداية عام 2017 كانت غير مسبوقة، ومتصاعدة، بالنظر إلى السنوات السابقة؛ إذ وصلت إلى 4000 حالة اعتقال. منها أكثر من 850 حالة اعتقال في صفوف القاصرين.

(**الأيام**، 2017/8/30)

مراجعات وعروض كتب

Book Reviews

ياسين اليحياوي | Yassine Yahyaoui*

هل أخفق دستور 2011 في تحقيق تحول ديمقراطي في المغرب؟ قراءة في كتاب "تجربة الإصلاح الدستوري في المغرب"

Has the 2011 Constitution Stalled the Democratic Transition of Morocco? Critique of "Moroccan Experience of Constitutional Reform"

عنوان الكتاب: تجربة الإصلاح الدستوري في المغرب.

المؤلف: مجموعة باحثين.

المحرر: سعد الدين العثماني.

سنة النشر: 2015.

الناشر: منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة.

عدد الصفحات: 223 صفحة.

* باحث مختص في تاريخ الأديان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

* Researcher Specialized in History of Religions, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes, Morocco.

تكتسي مساءلة التجربة السياسية بالمغرب، بعد الإصلاح الدستوري الذي تلا الحراك المغربي عام 2011، أهميةً خاصةً، ولا سيما بعد انتهاء مرحلة حكومة عبد الإله بنكيران، بوصفها أول تجربة في ظل الدستور الجديد، وهو أمرٌ يسمح بتقديم حصيلة العمل السياسي لمُختلف الفاعلين، وعلاقته بنص الدستور الجديد وروحه. وداخل هذا السياق، تكمن أهمية كتاب **تجربة الإصلاح الدستوري في المغرب** الذي صدر في نهاية سنة 2015، أي قبل سنة من إسدال الستارة على أول حكومة مغربية أعقبت حراك "20 فبراير" الذي يُقدم قراءةً للدستور، تسمح بفهم المُستجدات الحديثة التي رافقت تشكّل الحكومة الثانية بعد اقتراع تشرين الأول/ أكتوبر 2016.

لهذا الكتاب الجماعي، إذن، أهمية أكيدة اليوم؛ ولا سيما بالنظر إلى أنّ من أشرف عليه وقدّم له سعد الدين العثماني، رئيس الوزراء المغربي الذي جرى تنصيبه في نيسان/ أبريل 2017[1]، بعد إعفاء خلفه عبد الإله بنكيران في عقب أشهر من حالةٍ لـ "الانسداد السياسي"، تلَت تصدّر حزب العدالة والتنمية للانتخابات التشريعية في تشرين الأول/ أكتوبر 2016 في مجال الفقه الدستوري والقانوني؛ ذلك أنّه من النادر أن نجد في البلاد العربية قادةً يجمعون بين الممارسة السياسية الفعلية وتملّك خلفية فكرية أو علمية قوية. وإلى جانب العثماني، يُشارك في هذا الكتاب ستة باحثين في الفقه الدستوري والعلوم السياسية؛ إضافةً إلى تذييله بالخطاب الملكي في 9 آذار/ مارس 2011 الذي أُعلن فيه الاستفتاء حول الإصلاح الدستوري، ثمّ النص الكامل للدستور الجديد للمملكة المغربية.

من ملكية رئاسية إلى ملكية برلمانية

إنَّ أول ما يتبادر إلى الذهن بصدد موضوع الكتاب هو التساؤل عن التغيير الذي جاءت بها وثيقة الدستور في ما يخص العلاقة بين الملك ورئيس الحكومة، وهو ما تطرَّق إليه عبد العالي حامي الدين في أول فصول الكتاب. فبعد مُقدمة عرض فيها دواعي خروج "حركة 20 فبراير" الاحتجاجية، أكد حامي الدين أنّ الذين رفعوا شعار الملكية البرلمانية كانوا يُريدون الحفاظ على هيبة المؤسسة الملكية على نحوٍ حقيقي. وسيُؤثث هذا الخطاب جلّ ما قدّمه في الفصل من دون إقناع كبير. فهو يرى أنَّ "تضخم مظاهر الفساد في الحياة العامة، وخاصة منه الفساد الذي يتحصن بالمؤسسة الملكية التي يُكنّ لها المغاربة كل الاحترام والتقدير، هو الذي دفع بالشباب إلى رفع شعار الملكية البرلمانية"[2]، كما يتبنَّى الموقف نفسه عند الحديث عن حزب الأصالة والمعاصرة الذي أنشأه المُستشار الملكي فؤاد عالي الهمة. ولا يختلف هذا الخطاب عن خطاب حزب العدالة والتنمية الذي ينتمي إليه حامي الدين، ويشغل فيه منصب عضو الأمانة العامة. فالفساد لا يرتبط بالمؤسسة الملكية التي يرأسها الملك، ولكنه يرتبط بالوثيقة الدستورية القديمة التي جعلت من نظام الحكم في المغرب ملكيةً تنفيذيةً تتمركز فيها جميع السلط بيد الملك، وهو ما يسمح بوجود وسائط تمارس سلطات حقيقيةً باسم الملك خارج المؤسسات، من دون أن تخضع للمراقبة والمُحاسبة.

> الفساد لا يرتبط بالمؤسسة الملكية التي يرأسها الملك، ولكنه يرتبط بالوثيقة الدستورية القديمة التي جعلت من نظام الحكم في المغرب ملكيةً تنفيذيةً تتمركز فيها جميع السلط بيد الملك

داخل هذا السياق، يذهب حامي الدين إلى أنّ حراك 20 فبراير كان بمنزلة المُحفز لدخول المغرب لأول مرة في تاريخه المُعاصر في إصلاحٍ دستوري حقيقي[3]؛ إذ جرت دسترة مجلس الحكومة بما يعنيه ذلك من تقوية دورها، وتعزيز مكانتها في البناء الدستوري. وفي المقابل، تتحمل مسؤوليتها الكاملة أمام البرلمان، انسجامًا مع قاعدة الربط بين تعيين رئيس الحكومة ونتائج الانتخابات التشريعية لمجلس النواب، ومع تقوية سلطة رئيس الحكومة على الوزراء بصفته رئيسًا للسلطة التنفيذية، ما يضع حدًا للازدواجية بين سلطة الدولة وسلطة الحكومة. وهكذا أصبح رئيس الحكومة، بحسب النص الدستوري، صاحب سلطة تنفيذية، يتولى بموجبها المسؤولية الكاملة عن الحكومة وعن الإدارة العمومية. ويؤكد حامي الدين أنّ مكانة رئيس الحكومة، كما جاءت في دستور 2011، تجعل منه الرئيس الفعلي للسلطة التنفيذية، لكنه لا يغفل عن ربط هذا التقدم في النص الدستوري بمدى حرص رئيس الحكومة على ممارسة مهماته الكاملة، كما هو منصوص عليها دستوريًا[4]. فهل تحمل هذه العبارة انتقادًا لسياسية بنكيران في علاقته بالملك،

1 تجدر الإشارة إلى أنّ سعد الدين العثماني شغل منصب وزير الشؤون الخارجية والتعاون في حكومة عبد الإله بنكيران الأولى (2012-2013)، كما أنه شغل منصب الأمين العامّ لحزب العدالة والتنمية في المدة 2004-2008؛ أي في مرحلةٍ سياسية دقيقة جدًّا، كادت السلطات المغربية خلالها تحلّ حزب العدالة والتنمية، على إثر الهجمات الإرهابية في 16 أيار/ مايو 2003.

2 عبد العالي حامي الدين، "السياق السياسي لدستور 2011: من ملكية رئاسية إلى ملكية ذات طبيعة برلمانية"، في: مجموعة باحثين، **تجربة الإصلاح الدستوري في المغرب** (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015)، ص 15.

3 المرجع نفسه، ص 20.

4 المرجع نفسه، ص 24.

خصوصًا بعد أن منحه الدستور لأول مرة في تاريخ المغرب العديد من الصلاحيات التي تسمح بقطع شوط كبير في مسار التحول الديمقراطي؟ مهما يكن الجواب، فإنّ ما خلص إليه حامي الدين هو أنّ حراك 20 فبراير وما واكبه من تعديلات دستورية قد نقل المغرب من ملكية رئاسية تنفيذية إلى ملكية شبه برلمانية، وسيكون على عاتق النخب السياسية أن تؤمن بالإصلاح في إطار النظام السياسي القائم، من أجل ترسيخ قواعد الملكية البرلمانية.

دستور 2011 وإعادة إنتاج تبعية رئيس الحكومة للملك

يتناول أحمد بوز الإشكالية ذاتها للعلاقة بين الملك ورئيس الحكومة، لكنه تناولٌ من زاوية مُختلفة. فقد أَولى الجُزء الأكبر منه للحديث عن أوجه الضعف في منصب رئيس الحكومة، في ضوء الإصلاح الدستوري. وقد استفتح، في البداية، بعرض علاقة الملك بالوزير الأول في الدساتير السابقة، ليخلص إلى خمس مُحددات تُشير كلّها إلى ضعف الوزير الأول، بدءًا بعدم ربط تعيينه بصناديق الاقتراع، وضعف سلطته على الوزراء، وازدواجية الحكومة الرسمية والحكومة الفعلية المشكّلة من الملك ومُستشاريه، وشكلية البرنامج الحكومي الذي يتحكم في خطوطه العامة المجلس الوزاري الذي يترأسه الملك، ثمّ – أخيرًا - غياب أيّ دور للوزير الأول في المجلس الوزاري. فهل أدّى التعديل الدستوري لسنة 2011 إلى تجاوز هذا الواقع؟ يبدو من المُناسب أن نعرض جواب أحمد بوز لننتقل، بعد ذلك، إلى التفصيل الذي قدّمه. فهو يؤكد أنّ تجربة الإصلاح الدستوري لم تؤسس تحولًا جوهريًا في طبيعة العلاقة الناظمة بين رئيس الحكومة ورئيس الدولة، إذ بقي الملك يحظى بصلاحيات واضحة، تسمح له بأن يتحكم في عمل الحكومة، وفي السلطة التنفيذية، بل التصرُّف كرئيسها الفعلي أيضًا[5].

يتحدد ضعف الحكومة، بحسب القراءة للنص الدستوري التي قدمها بوز، في عدد من النقاط. فالنقطة الأولى تتمثّل في تحكّم الملك في تعيين الوزراء وإعفائهم، مع إعطاء رئيس الحكومة حقّ الاقتراح فحسب، وهو أمرٌ يظلّ غير مُلزمٍ بالنسبة إلى الملك، إضافةً إلى أولوية تنصيب الحكومة من الملك، قبل أن يمنحها البرلمان الثقة، على الرغم من أنّ الدستور ينصّ في الفصل 88 على أنّ الحكومة تُعدّ منصّبةً بعد حصولها على ثقة مجلس النواب. ويرى بوز أنّ هذا اللّبس يُكرّس فكرة أحادية التنصيب من الملك. وهي مُمارسة رافقت تنصيب حكومة بنكيران، كما هو الشأن، أيضًا، بالنسبة إلى حكومة سعد الدين العثماني[6].

أمّا النقطة الثانية، فتبرز في عمومية الصلاحيات الملكية واستمرار قابليتها للتأويل، خصوصًا الصلاحيات التي يصفها الدستور بأنها "إستراتيجية"، من دون تحديد دقيق لهذا المعنى، وهو ما يجعلها أمرًا قابلًا للتأويل، بحسب مصلحة المؤسسة الملكية. ويُقابل عمومية الصلاحيات التي منحها الدستور للملك تجريد الحكومة من صلاحيات حيوية، وهي النقطة الثالثة التي تطرّق إليها بوز، والتي حددها في عدم قدرة رئيس الحكومة على التعيين في المناصب العليا، وعدم قدرته على التحكم في عمل الأجهزة الأمنية أيضًا.

وأمّا النقطة الرابعة، فتتجلى في توقف صلاحيات الحكومة على إرادة الملك، ويتحدد ذلك وفق بوز في تبعية المجلس الحكومي (يرأسه رئيس الحكومة) للمجلس الوزاري (يرأسه الملك). فعلى الرغم من التعديل الدستوري الجديد، استمرت وظيفة المجلس الوزاري معبرًا ضروريًا لأهم النصوص والقضايا التي تعرض على الحكومة، ما يجعل هذا المجلس هو الجهاز الحقيقي لصنع السياسات العاملة للدولة. أمّا النقطة الخامسة، فهي حصيلة النقاط السالفة. على الرغم من التعديل الدستوري، استمرت الازدواجية بين البرنامج الحكومي والبرنامج الملكي، بل إنّ الحكومة لا تتولى في الواقع، في كثير من القضايا الإستراتيجية والسياسات العامة، سوى تنفيذ ما يصدر عن المجلس الوزاري.

إنّ ما خلص إليه بوز في دراسته للعلاقة بين الملك ورئيس الحكومة في ظل الدستور الجديد هو فشل الرهان المعقود على مبادرة الإصلاح الدستوري في أن تكون مؤسِّسةً لنظام سياسي يُصبح فيه للمغرب، أوّل مرة، رئيس حكومة يضطلع بدور القيادة.

البرلمان والحكومة في ظل الدستور الجديد

بالنسبة إلى مستجدات دستور 2011؛ بشأن البرلمان وعلاقته بالحكومة، جرى تخصيص الفصل الثالث الذي حاول فيه عبد الرحيم المصلوحي، رئيس الجمعية المغربية للعلوم السياسية، مقاربة وضع البرلمان في

5 أحمد بوز، "الملك ورئيس الحكومة: حدود التغيير في الدستور الجديد"، في: مجموعة باحثين، **تجربة الإصلاح**، ص 49.

6 جرى تنصيب حكومة سعد الدين العثماني من قِبل الملك في 5 نيسان/ أبريل 2017، في حين كان تصديق البرلمان للبرنامج الحكومي في 26 نيسان/ أبريل 2017 ومنحه الثقة للحكومة، وهو ما يطرح التساؤل عن مدى دستورية الإجراءات التي اتخذتها الحكومة خلال هذه الفترة. انظر: "جلالة الملك يعيّن أعضاء الحكومة الجديدة"، البوابة الوطنية، المملكة المغربية، 2017/4/5، شوهد في: 2017/5/16، في: http://bit.ly/2svDW3I؛
وانظر: "مجلس النواب يُصادق على البرنامج الحكومي"، مجلس النواب، المملكة المغربية، 2017/4/28، شوهد في: 2017/05/16، في: http://bit.ly/2sIYMMt

النظام السياسي المغربي تأليفًا واختصاصًا، مع الإشارة إلى الأنظمة الداخلية لكل من مجلس المُستشارين ومجلس النواب. وقد هدف من خلال هذه المقاربة إلى رصد الصلاحيات التي أعطاها الدستور للبرلمان، وتحديدًا إدراج مفهوم المراقبة البرلمانية، وحدودها، وتطورها، ومدى مُساهمتها في تقليص هيمنة الحكومة، واستئثارها بتدبير الشأن العامّ[7]. ويبدو من التناقض الدستوري، في ما يخص العلاقة بين البرلمان والمجلسين الوزاري والحكومي، أنّ البرلمان يُراقب الأداء الحكومي في السياسات العامة التي يُوافق عليها، بل يفرضها المجلس الوزاري أيضًا؛ وهو اختلال في النظرية والتطبيق لم ينتبه له المصلوحي أستاذ القانون الدستوري بجامعة محمد الخامس، بالنظر إلى أنّ ما يُمليه المجلس الوزاري على الحكومة هو أمرٌ فوق الدستوري، لكنه يُصبح دُستوريًا بعد أن توافق الحكومة على تنفيذه. كما يُشير واقع التجربة السياسية، في أول حكومة بعد دستور 2011، إلى أنّ البرلمان لم يسبق له أن استخدم الصلاحيات المُخولة له من الدستور من أجل مراقبة إملاءات المجلس الوزاري على الحكومة، خصوصًا في ما يتعلق بالسياسة الإستراتيجية التي يُحددها رئيس الدولة، وليس رئيس الحكومة. ولعل أبرز مثالٍ دالّ على ذلك هو ملفّ الصحراء. وقد كان هذا الاستطراد، من أجل بيان ثغرة جوهرية في ما قدّمه المصلوحي حول علاقة البرلمان بالحكومة بعد دستور 2011. في حين تتجلى أبرز إضافة في جعل البرلمان الممثل الأسمى للدولة، بعد أن كانت هذه الصفة خاصة بالملك في الدساتير السابقة. ثمّ ينتقل المصلوحي إلى عرض هيكلة مجلسَي النواب والمُستشارين، والصلاحيات التي مُنحت لهما، إضافةً إلى تطرّقه إلى الحديث عن الفرق والمجموعات السياسية داخل البرلمان وما يتشكّل منها من لجان برلمانية.

جدير بالإشارة أنّ دستور 2011 حـدّد آليات اشتغال البرلمان واختصاصاته على نحوٍ متقدم جدًّا على ما كان معمولًا به في الدساتير السابقة. وقد أبرزها المصلوحي في مُحددين، يتعلق أولهما بالتشريع، وثانيهما بالمُراقبة. أمّا بالنسبة إلى التشريع، فقد نصّ الفصل 70 من الدستور على أنّ البرلمان يُمارس السلطة التشريعية، إذ هو الجهة المُختصة بإنتاج القوانين ووضعها. وأمّا المراقبة، فهي تتجلى في الأدوات والأساليب التي منحها الدستور للبرلمان، من خلال جلسات الأسئلة المُوجهة إلى الحكومة، ولجان تقصّي الحقائق، وسلطة المراقبة البرلمانية للقانون المالي، إضافةً إلى مساعدة المؤسسات الاستشارية للبرلمان في تقييم السياسات العامة. كما خصص الدستور حيزًا مُهمًا للحديث عن المعارض البرلمانية، بوصفها مبادئ عامةً يقوم عليها البرلمان المغربي، ومُكونًا أساسيًا في مجلسَي النواب والمستشارين، تُشارك في وظيفتَي التشريع والمراقبة.

7 عبد الرحيم المصلوحي، "البرلمان المغربي في ظل دستور 29 يوليو 2011: دراسة في التأليف والوظائف"، في: مجموعة باحثين، **تجربة الإصلاح**، ص 52.

القضاء الدستوري المغربي ودستور 2011

في الفصل الرابع، قدّم رشيد المدور، الباحث المتخصص في القضاء الدستوري، دراسـةً حول المُستجدَّات التي أتى بها دستور 2011 المتعلّقة بالمحكمة الدستورية، وبمدى قدرتها على تطوير القضاء الدستوري المغربي، خصوصًا أنّ الإصلاح الدستوري قد عرف تطورًا مُهمًا، شمل الجمع بين الرقابة السياسية الوقائية القبْلية، والرقابة القضائية البعدية، فضلًا عن مستوى اتساع مجاله ونطاقه، بعد أن أصبح مؤسسةً مستقلةً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ التاريخ الذي صدر فيه هذا الكتاب، لم يكن قد جرى قبله إنزال النص الدستوري حيّز التنفيذ، خصوصًا في ما يتعلق بالمحكمة الدستورية، وسينتظر الأمر حتى مطلع سنة 2017، ليجري تعيين أعضاء المحكمة الدستورية من لدُن الملك[8]. ومع ذلك، يبقى الأمر على نحوِ مَا أشار إليه المدور[9]. فالصورة الكاملة للتطور الذي سيشهد القضاء الدستوري لن تتجلى إلا بعد زمن طويل من ممارسة المحكمة الدستورية لمجمل تلك الصلاحيات، من خلال ما ستخلفه من اجتهادات وقرارات.

أمّا بخصوص أهمّ التطورات التي جاء بها النص الدستوري، فقد أجملها المدور في عدد من المُستويات، بدءًا بالبنية المؤسسية؛ إذ انتقل القضاء الدستوري من مجلس دستوري إلى محكمة دستورية، مع تأكيد استقلالية المحكمة الدستورية عن التنظيم القضائي العادي، كما أنّ تشكيل المحكمة الدستورية تراوح بين التعيين الملكي والتعيين بالانتخاب. وقد جرى توسيع مجال الرقابة الدستورية؛ من ذلك السهر على الرقابة القبْلية للأنظمة الداخلية للمجالس البرلمانية، ومختلف المجالس أيضًا، من قبيل المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، وكذلك المجلس الأعلى للسلطة القضائية. فقد نصّ الدستور على أنّ القوانين التنظيمية، قبل إصدار الأمر بتنفيذها، تُحال على المحكمة الدستورية لتبتّ في مطابقتها للدستور، كما شملت المراقبة الالتزامات الدولية، وذلك قبل تصديقها من المجلس الوزاري أو الحكومي، لتبتّ في مطابقتها لأحكام الدستور. ولم يقتصر هذا الاختصاص على المراقبة القبْلية؛ ذلك أنّ للمحكمة الدستورية صلاحيات للدفع بعدم دستورية القوانين المُثارة أثناء النظر في قضية رائجة أمام المحاكم. وتندرج كذلك ضمن صلاحيات القضاء الدستوري المُخولة له بنص الدستور، البتّ في صحة انتخاب أعضاء البرلمان، وعمليات مراجعة الدستور، وتطبيق القانون البرلماني على أعضاء مجلسَي البرلمان.

8 "جلالة الملك يستقبل رئيس وأعضاء المحكمة الدستورية ويعينهم في مهامهم الجديدة"، البوابة الوطنية، 2017/4/4، شوهد في: 2017/05/16، في: http://bit.ly/2qYafq8

9 رشيد المدور، "مستجدات القضاء الدستوري المغربي في نطاق دستور 2011"، في: مجموعة باحثين، **تجربة الإصلاح**، ص 117.

الإصلاح الدستوري وعلاقته بالسياسة الخارجية

في ما يخصّ السياسة الخارجية للبلاد في ظلّ دستور 2011، لم يُقدّم محمد السنوسي، الباحث المُتخصص في سوسيولوجيا السلطة السياسية والاقتصادية، أيّ جديد من جهة علاقة الإصلاح الدستوري بالسياسة الخارجية المغربية الجديدة. فقد عرض السنوسي مُجمل علاقات المغرب الإقليمية والدولية، وحاول – من دون أدلة مُقنعة - إبراز تأثّر السياسية الخارجية بحراك 20 فبراير، وربطها بدستور 2011.

كان من الضروري أن تُركز مناقشة الإصلاحات التي جاء بها الدستور في هذا الجانب، أساسًا، على نطاق الصلاحيات التي يمنحها النص الدستوري، على نحوٍ يجعل السياسة الخارجية للمغرب تخضع لإرادة الحكومة المُنتخبة والبرلمان المُمثل الأسمى للدولة. في حين أنّ ما قدّمه السنوسي، لا يعدو أن يكون تأكيدًا مفاده أنّ الفاعل الوحيد والحقيقي، في ما يتعلق بالسياسية الخارجية المغربية، هو المؤسسة الملكية؛ ولا يرتبط ذلك بنص دستوري، بقدر ما يرتبط بالقضايا الإستراتيجية التي تبقى مقصورةً على المجلس الوزاري.

الموت البطيء للفكرة البرلمانية

تناول حسن طارق، أستاذ العلوم السياسية، إشكالية الدستور بين مستويَي الممارسة والتأويل، وهو ما عبّر عنه بـ"الموت البطيء للفكرة البرلمانية"[10]، راصدًا إياها منذ حضور فكرة الملكية البرلمانية في الحوار العمومي حول المراجعة الدستورية، إلى أن تبوّأت مكانةً متواضعةً مع نص دستور 2011. وتكمن أهمية هذه الدراسة في الكيفية التي بلور بها طارق مقاربته عن موت الفكرة البرلمانية، بدءًا بفشل الحراك المجتمعي في دسترة الملكية البرلمانية، ثمّ فشل الخطاب السياسي في تقديم قراءة تحافظ على المكتسبات القليلة لفكرة الملكية البرلمانية.

إنّ حضور الملكية البرلمانية في دستور 2011 داخل النص، لا يعني البتة حضورها في الواقع؛ إذ ظلت الممارسة التي وطنتها الحكومة الأولى بعد الإصلاح الدستوري تكشف باستمرار عن المعالم الرئاسية للنظام الدستوري، سواء تعلق الأمر باستمرارية سموّ المؤسسة الملكية في العلاقة بباقي السلط والمؤسسات، أو بإقرار الإشراف الملكي على السلطة التنفيذية، وبتعزيز الصلاحيات الملكية في السلطة التأسيسية الفرعية للبرلمان. ولئن كان الدستور ينص على أنّ الحكومة ذات سلطة تنفيذية، وصلاحيات ذاتية ومُستقلة، وأنّ لرئيس الحكومة صلاحية الاختيار والتشكيل لوزراء حكومته، فإنّه يمكن ملاحظة أنّ الممارسة السياسية تأتي على النقيض من ذلك؛ إذ تؤكد استمرار تحكّم الملك في توجيه مسار السلطة التنفيذية، واستمرار هيمنة المجلس الوزاري على المجلس الحكومي، ثمّ استمرار تبعية الوزراء للملك، سواء كان ذلك من حيث التعيين، أو من خلال الاقتراح الإجباري. ولعلّ الأحداث الأخيرة بشأن أزمة تشكيل الحكومة بعد اقتراع تشرين الأول/ أكتوبر 2016، وما رافقها من تشكيل حكومة هجينة كان لتكنوقراط نفوذ كبير فيها على الوزارات السيادية، دليل واضح على ما ذهب إليه طارق في مقاربته للعلاقة بين الملك ورئيس أول حكومة بعد الإصلاح الدستوري.

> إنّ حضور الملكية البرلمانية في دستور 2011 داخل النص، لا يعني البتة حضورها في الواقع

لا يزال التأرجح والالتباس بين نظام ملكية برلمانية وأخرى رئاسية يفرض تأويله على النص، ويُعيد توزيع الصلاحيات داخل السلطة التنفيذية لتكون جلّها بيد الملك. ويرصد طارق عددًا من هذه الالتباسات بدءًا بمطاطية مفهوم السياسة العامة للدولة؛ ذلك أنّ دستور 2011 لم يجعل من تداول مجلس الحكومة في السياسة العامة للدولة سوى خطوة أولى، تليها الخطوة الحاسمة التي يمثّلها المجلس الوزاري. وأمّا الالتباس الثاني، فهو الغموض الذي يلفّ مفهوم الإستراتيجية، على نحوٍ يسمح للملك بتأويله في اتجاه القرارات التي يعتزم اتخاذها، من دون الرجوع إلى المجلس الحكومي. ويُمكن من خلال كلتا النقطتين تأكيد أنّ سياسة الدولة إنّما هي من وضع المجلس الوزاري الذي يترأسه الملك، وأنّ أول حكومة مُنتخبة بعد دستور 2011 كانتْ خاضعةً لهذا المجلس، خصوصًا في ما يتعلق بالسياسة العامة للدولة وبالإستراتيجيات الكُبرى؛ وهو خضوع لم يُخفِه رئيس الحكومة عبد الإله بنكيران في عدد كبير من تصريحاته الإعلامية.

ويُحيل هذا الوضع الملتبس في الصلاحيات التنفيذية على إمكان حلول المؤسسة الملكية محلّ الحكومة في ممارسة صلاحياتها؛ إذ لا تبدو هذه الفكرة غريبةً عن السياق السياسي المغربي. فإذا ما عُدنا إلى خطاب عبد الرحمن اليوسفي[11] الذي قدّم فيه حصيلة

10 حسن طارق، "بين الدستور والممارسة والتأويل: في الموت البطيء للفكرة البرلمانية"، في: مجموعة باحثين، **تجربة الإصلاح**، ص 135.

11 الخطاب هو محاضرة ألقاها عبد الرحمن اليوسفي في بروكسل سنة 2003، وذلك بعد أن أُعفي من مهماته، وحلّ محلّه وزير أول تكنوقراطي هو إدريس جطو، انظر: "وثيقة: محاضرة بروكسيل 2003. أو عندما يقيم اليوسفي تجربته بنفسه"، موقع لكم، 2016/8/3، شوهد في: 2017/5/16، في: http://bit.ly/2dw28wP

تجربته السياسية بعد أن تبوّأ منصب الوزير الأول في حكومة التناوب التوافقي، سنجده يتحدث عن ثنائية الدولة - الحكومة التي تتوسطها قوّة ثالثة كانت بمنزلة الحكومة الفعلية. أمّا إذا ما عُدنا إلى سياق موجة الاحتجاج مع حراك 20 فبراير، فسنجد عددًا من الفاعلين السياسيين، يناصب مستشاري الملك العداء، بوصفهم قوّةً ثالثةً تُمثل رمز الفساد السياسي في المغرب، ولا سيما بعد الدور الكبير الذي قام به فؤاد عالي الهمة المُستشار الملكي في تأسيس حزب الأصالة والمُعاصرة. وفي الصدد نفسه، لم يتطرق تعديل الدستور إلى ما يُمكن عَدّه تأطيرًا لصلاحيات وعمل مُستشاري الملك. في حين كشفت الممارسة السياسية عن حالات مُتزايدة لولوج العديد من المُستشارين في وسائل الإعلام العمومي، وارتباط حضورهم بمجال العلاقات الخارجية، وهو ما كرّس التراتبية في العلاقة بين المُستشارين ووزراء الحكومة، وأعاد طرح السؤال القديم حول القوة الثالثة، أو حكومة الظل، التي تتولى مراقبة العمل الحكومي.

على أنّ الخطاب السياسي لباقي الفاعلين، وقد كان من المُفترض أن يُقاوم ممارسة المؤسسة الملكية، ولا سيما في ظلّ الإمكانات التي يُقدمها له دستور 2011، سنجده يتراجع عن فكرة الملكية البرلمانية، ويُعيد إنتاج الصيغ القديمة نفسها، متمثّلةً في علاقة المرؤوس برئيسه، والرعية بالراعي، وهو أمرٌ عرَّج عليه طارق من خلال تحليل الخطاب السياسي للفاعل الحكومي، ويقصد بذلك عبد الإله بنكيران الذي يعدّه نموذجًا واضحًا لاستبطان المنطق الرئاسي لما قبل عام 2011، وذلك من خلال فكرة محورية أطّرت تصريحاته الإعلامية وممارسته السياسية، تتجلى في سعيه الحثيث لنيل ثقة "جلالة الملك"؛ رابطًا التقدّم في الإصلاح بمدى ثقة مؤسّسة القصر بالحكومة المُنتخبة!

لم يكن الخطاب الحكومي وحده هو الذي استبطن هذه العلاقة اللادستورية بين الملك من جهة، والحكومة والبرلمان من جهة ثانية. فقد استعرض طارق، أيضًا، الخطاب السياسي الحزبي، خصوصًا في مرحلة تعديل الحكومة التي تزامنت مع خروج حزب الاستقلال من الحكومة ومناداته بضرورة تدخّل الملك للبتّ في هذه القضية، ما يؤكد من جديد أنّ الأحزاب السياسية غير قادرة على تدبير المجال الحكومي بمنطق برلماني[12].

نلاحظ إذن - كما نبّه حسن طارق في هذا الكتاب - أنّ تجربة أول حكومة في ظل دستور 2011 شهدت إستراتيجيات من المؤسسة الملكية للاستفادة القصوى من ممكنات التأويل للنص الدستوري، على نحوٍ يُعيده إلى ما قبل الإصلاح الدستوري. وفي الوقت نفسه، شهدت إستراتيجيات من طرف الفاعل السياسي الآخر – الحكومة والبرلمان والأحزاب – يقدّم تنازلات عن صلاحياته الدستورية، معوضًا إيّاها بمفهوم الثقة أو الإعلاء من المؤسسة الملكية، وهو أمرٌ أدّى إلى إضعاف النفس البرلماني للنظام السياسي المغربي. ولا تزال التجربة الثانية، في ظل حكومة سعد الدين العثماني، تؤكد هذا السيناريو نفسه المتمثّل في تأويل النص الدستوري على نحوٍ ينسجم مع نظام ملكي رئاسي.

ختامًا، يُقدّم هذا الكتاب، في بعض فصوله، مساءلةً نقديةً متعلّقةً بحقيقة الإصلاح الدستوري في المغرب، وبمدى قدرة دستور 2011 على جعْل المغرب في المسار الصحيح للإصلاح الديمقراطي، بكل ما تحمله كلمة "ديمقراطية" من دلالة على فصل السلط وربطها بالمُراقبة والمُحاسبة. وإن كان من عبارةٍ تُذيّل هذه القراءة، فلن نجد عبارةً أكثر ملاءمةً من قولٍ لليوسفي – في خطابه السالف الذكر – بعد أن أجهد حزبه في خوض غمار تجربة التناوب التوافقي، وساعد – عن غير قصد – المؤسسة الملكية على إعادة ترميم بنى الاستبداد: "نتمنى ألّا نفقد في المستقبل القريب ملَكة الحلم [في انتقال هادئ وسلس نحو الديمقراطية] والقدرة عليه"[13].

12 طارق، ص 153.

13 "وثيقة: محاضرة بروكسل".

أحمد قاسم حسين | Ahmed Qasem Hussein*

الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية

Collective Security in the Arab League: Realistic and Structural Theories

عنوان الكتاب: الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية.

المؤلف: أحمد علي سالم.

سنة النشر: 2016.

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

عدد الصفحات: 333 صفحة.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, the Arab Center for Research and Policy Studies.

مقدمة

تركز الدراسات التقليدية في حقل العلاقات الدولية على تحليل العوامل التي تدفع "الدولة"، بوصفها الفاعل الأساسي في النظام الدولي وفق المنظور الواقعي، إلى الحرب، وكذلك عوامل السلام والأدوات التي تحققه، علمًا أنّ أسباب الحرب ليست المسألة الوحيدة التي تثير الجدل الفكري بين منظري العلاقات الدولية اليوم، فلقد ظهرت مجموعة من الأزمات والمشكلات والمسائل المختلفة التي فرضت نفسها على دارسي العلاقات الدولية، منها علاقات التعاون بين الدول التي تضبطها المنظمات الدولية، والدور الذي يمكن تلك المنظمات أن تقوم به لناحية تغيير أولويات الجهات الدولية الفاعلة في النظام الدولي، وحدود التقدم في التطرق إلى المشكلات السياسية العالمية العاجلة وإمكانيات التوصل إلى حلول مرضية ومقنعة لمشكلات الفقر والأزمة الاقتصادية، وصولًا إلى الإرهاب أو التغير المناخي، بالنظر إلى أن المنظمات الدولية تعكس الحاجة المتزايدة إلى أدوات دولية جديدة تضبط الأداء والتفاعل السلوكي بين الدول، وتحدّ من اندفاعها وتعمل على عقلنة أهداف سياستها الخارجية وهي تسعى إلى تحقيق مصالحها الذاتية وتدفع بها إلى إيجاد حلول للمشكلات الدولية والبحث عن سبل التعاون والتضامن لإقامة عالم مستقر وآمن.

المنظمات الدولية هي نتاج الحاجة إلى تحقيق أهداف تعاونية غير تصارعية تساعد المجتمع على تجاوز حالة الفوضى Anarchy التي تميز النظام الدولي، ومن ثم تأخذه إلى آفاق أرحب من العمل المشترك الهادف والبناء، لخلق أوضاع مستقرة تضمن للدول كافة أن تعبّر عن إرادتها في إنشاء وسيلة أو أداة تسمح باستمرارية العلاقات الدولية في الميادين الحيوية تحقيقًا لمصالح جميع الأطراف الدولية. كما أن المنظمات الدولية لها دور مهم في نزع فتيل الحروب أو التقليل من اتساع رقعة الصراعات.

لقد كان لنظريات العلاقات الدولية إسهامات عديدة في شرح دور المنظمات الدولية وتحليله بوصفها فاعلًا دوليًا له دور وتأثير في خلق أدوات تعاونية بين الدول أو الحد من النزاعات العسكرية[1]. ومن هنا سعى كتاب **الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية** الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات إلى اختبار نظريات المدرسة الواقعية القائمة على محورية الدولة في العلاقات الدولية، ونظريات المدرسة البنائية الرافضة استمرارية سيادة التيار الواقعي القائم على فكرة أن الدولة هي الفاعل الأساس في النظام الدولي، على الرغم من الشواهد الدالة على تزايد أهمية الفاعلين الدوليين من غير الدول، والداعين إلى تصحيح هذا الوضع بطرح نظريات لا ترى هؤلاء الفاعلين متغيرات تابعة في السياسة الدولية فحسب، بل متغيرات مستقلة أيضًا.

> تختبر الدراسة النظريتين الواقعية والبنائية تحديدًا في المنظمات الدولية الإقليمية التي تطبق قواعد الأمن الجماعي لردع المعتدين أو دحرهم، أثناء الصراعات بين دولها الأعضاء

تختبر الدراسة النظريتين الواقعية والبنائية تحديدًا في المنظمات الدولية الإقليمية التي تطبق قواعد الأمن الجماعي لردع المعتدين أو دحرهم، أثناء الصراعات بين دولها الأعضاء. ويحاول الكاتب من خلال هذين النموذجين النظريين (الواقعية، والبنائية) اختبار قدرة المنظمات الدولية على العمل باستقلالية عن الدول، وتأثرها بالأعراف والمبادئ الدولية تمامًا كما تتأثر بعوامل القوة وتوزيعها، وإن كان ثمة تعارض ما بين تأثيرات القوة والأعراف الدولية في المنظمات الدولية. وفي سبيل ذلك، يحلل الكاتب أزمتي العراق والكويت في عامي 1961 و1990 لاختبار الافتراضات الواقعية والبنائية، بوصفهما أزمتين قررت جامعة الدول العربية فيهما تطبيق **مبدأ الأمن الجماعي**، وإن بدرجات متفاوتة، وذلك من خلال **تحليل توزيع القوة** بين أعضاء الجامعة وقت اندلاع الأزمة، لبيان أقوى الأعضاء آنذاك، من أجل بيان إن كانت الجامعة قد تصرفت بناءً على توجيهات أقوى الأعضاء في الجامعة وحلفائهم من القوى الكبرى وخدمة لمصالحهم كما يزعم دعاة المدرسة الواقعية، أو كان سلوكها مبنيًا على إجماع أعضائها ورؤية أمينها العام، كما يزعم دعاة الاتجاه المؤسسي الاجتماعي في المدرسة البنائية.

الواقعية والبنائية: الفرضيات، التعاون الدولي، المنظمات الدولية

المدرسة الواقعية

يتفق أنصار المدرسة الواقعية على عدة أسس تتمثل بأن الدولة State هي الفاعل الأساسي الوحيد في النظام الدولي، وأن الحكومات هي ممثلها الوحيد على المستوى الدولي، وهي، أي الحكومات، تسعى جاهدة إلى تحقيق المصالح القومية لبلدانها، في ظل نظام دولي تغيب عنه السلطة المركزية Anarchy، وأن هذه المصالح القومية لا تتبدل ولا تتغير من زمن إلى آخر ولا من دولة إلى أخرى، وأن سلوك الدولة

1 عبد القادر محمد فهمي، **النظريات الجزئية والكلية في العلاقات الدولية** (عمان: دار الشروق، 2010)، ص 45.

في ظل نظام دولي يتسم بالفوضى، عقلاني Rational ؛ فهي تهدف إلى البقاء وتحقيق أهدافها على قاعدة حسابات التكلفة والعائد، فتجتهد لتعظيم المكاسب وتقليل الخسائر. ولتحقيق ذلك تعمل على زيادة قوتها، مقارنةً بالدول الأخرى خصوصًا، ويؤدي ذلك حتمًا إلى الصراع بين الدول. وتتحدد نتيجة هذا الصراع أساسًا وفق توزيع القوة بين الدول. وقد درج الباحثون على التمييز بين اتجاهين رئيسين في المدرسة الواقعية، هما:

- **التيار الواقعي الكلاسيكي "التقليدي"**: يركز الكاتب في دراسة التيار الواقعي الكلاسيكي على عالمين في العلاقات الدولية هما إدوارد كار Edward Carr وهانز مورغنثاو Hans Morgenthau؛ فقد عرّف كار الواقعية بأنها نقيض للمثالية أو الطوباوية، ورأى أنّ السياسيين الواقعيين يميلون إلى الاعتراف بأنّ القوى التي تشكل العالم لا يمكن مقاومتها، والاعتراف بالطبيعة الحتمية لحركتها وتطورها، وأنّ قمة الحكمة هي التسليم بهذه القوى وتلك الحركة والتكيف معها. وأضاف مورغنثاو طابعًا علميًا على المدرسة الواقعية منطلقًا من فرض متمثل بأن السياسة، بل المجتمعات عمومًا، تحكمها قوانين موضوعية تمتد جذورها إلى الطبيعة الإنسانية. وبحسب رأيه، فإنّ السياسة هي صراع على السلطة التي هي جزء لا يتجزأ من الحياة ذاتها[2]، والقوة هي الأساس الذي تبني عليه الدول إستراتيجية توازن القوى كي تحافظ على استقلالها الوطني والاستقرار الدولي وبقائها في النظام الدولي.
- **التيار البنيوي**: يمثله المفكر الواقعي كينث والتز Kenneth Waltz الذي انتقد الواقعيين الكلاسيكيين أمثال مورغنثاو وستانلي هوفمان، وذلك لأنهم خلطوا السياسة الداخلية للدولة - الأمة مع نظرياتهم المتعلقة بالصراع. ويوضح أن السياسات الدولية تقوم أساسًا على هيكل النظام الدولي، من دون النظر إلى العوامل الداخلية للدول[3]. نظر والتز إلى توازن القوى بوصفه واقعًا تفرضه بنية النظام الدولي، وتصوُّر تلك البنية هو الذي يمكننا من النظر إلى الدول بوصفها أجزاء من كلٍ متكامل، وليست كحبات عقد منفرط. وتفرض بنية النظام الدولي قيودها على الدول بتوجيهها إلى التصرف بطرائق محددة.

وعلى الرغم من أن نظرية والتز الواقعية البنيوية ألهمت كثيرًا من الباحثين، فإن معظمهم قد تناولها بالنقد. وطرح بعضهم تصويبات عدة لها، ما أفرز نقاشًا ثريًا، كان لاذعًا أحيانًا، وظهرت ثلاثة اتجاهات في نقد نظرية والتز الواقعية البنيوية:

- فريق يود العودة إلى الواقعية الكلاسيكية وتخليص المدرسة الواقعية من النظريات البنيوية. ومن أنصار هذا الاتجاه الواقعي التقليدي بول هوث Paul Huth الذي قدّم ما سماه نظرية واقعية معدلة مبنية على مفهوم طرحه روبرت بتنام Robert Putnam عن التفاوض الدولي كمباراة يخوضها المفاوض مع فريقين في الوقت نفسه، أحدهما دولي والآخر محلي.
- فريق من منتقدي نظرية والتز البنيوية. ويطرح هذا الفريق إصلاح أوجه ضعفها، ومنها المفهوم الذي تستخدمه عن القوة. ويعد ستيفن والت Stephen Walt الذي طرح نظرية توازن التهديد تصحيحًا لنظرية توازن القوة. وأضاف عناصر غير مادية في تعريف مفهوم القوة، كما دافع عن وجود مصادر للتهديد غير القوة.
- يركز الفريق الثالث في تبعات غياب سلطة مركزية في النظام الدولي تخضع لها الدول، ويصل بتحليله إلى آفاق لم يصل إليها والتز. وقد أنتج هذا الفريق اتجاهات واقعية جديدة، بل مدارس جديدة غير الواقعية. ويمثل هذا الفريق جون مارشهايمر John Mearshiemer الذي يصنف على أنه واقعي هجومي، وجوزيف غريكو Joseph Grieco الذي يصنف واقعيًا دفاعيًا.

> ينكر أنصار المدرسة الواقعية أن تكون المنظمات الدولية فاعلًا مستقلًا في السياسة الدولية

ينكر أنصار المدرسة الواقعية أن تكون المنظمات الدولية فاعلًا مستقلًا في السياسة الدولية، وينتقدون مخالفيهم الذين يرون أن الفاعلين الدوليين من غير الدول – بما في ذلك المنظمات الدولية - لهم تأثير قوي في السياسة الدولية. ويرى أنصار النظرية الواقعية أنّ هذا التصور مثالي، لأنه يفترض قدرة هؤلاء الفاعلين على إحداث تغيير نوعي في السياسة الدولية، على الرغم من أنّ الملامح العامة لتلك السياسة ظلت كما هي طوال قرون عدة، ولم يغيرها بروز هؤلاء الفاعلين على مسرحها. ويذهب والتز إلى أبعد من ذلك، فيرى أنّ المنظمات الدولية ظاهرة مرضية في السياسة الدولية لأسباب ثلاثة:

- كثير من المنظمات معني باستمرار وجودها أكثر من القيام بما عليها من أعمال.
- تشتت هذه المنظمات انتباه الدول؛ فعند عرض مشكلة على منظمة دولية، لا تركز الدول الأعضاء في حل المشكلة، بل في

2 تيم دان، ميليا كوركي، ستيف سميث، **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**، ترجمة ديما الخضرا (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 171.

3 Kenneth Waltz, *Teoria della politica internazionale* (Bologna: Società editrice il Mulino, 1997), p. 202.

إدارتها بما يحقق أعلى درجات الاتفاق في ما بينها، للحفاظ على تماسك المنظمة.

- تعمل المنظمات وفق نظم محكمة من القواعد، فتضبط العلاقات بين أعضائها إذا كانت لديها صلاحيات في الواقع. وعلى الرغم من أن ذلك قد يزيد من شعور حكومات الدول بالأمن، فإنه يحد من حريتها؛ لأن هناك علاقة عكسية بين الشعور بالأمن والتمتع بالحرية. وهي علاقة تنطبق على الدول، كما تنطبق على البشر؛ بعبارة أخرى، إذا أرادت الدول حريتها فعليها قبول درجة من انعدام الأمن، ومن ثم غياب أي سلطة دولية فوقها.

يرى أنصار المدرسة الواقعية أن المنظمات الدولية، والأمر ينطبق على المنظمات الإقليمية، محافل لدول مستقلة ذات سيادة تحدد لها ما الذي ينبغي فعله، فما هي إلا واجهات تخفي وراءها كيف تعمل حسابات توازنات القوى، وساحات تتعارك فيها الأحلاف الدبلوماسية المتضادة، ومنتديات تتصارع فيها الدول ذات القدرات المتباينة لتحقيق مصالحها. ولا تستطيع أي منظمة دولية العمل بفاعلية إلا إذا اكتسبت بعض صفات الدول وقدراتها، كحال الكرسي الباباوي في العصور الوسطى، أو إذا حصلت على دعم الدول الرئيسة المهتمة بالأمر المعني، أو على موافقتها.

أما في ما يتعلق بالتعاون الدولي، فتتفق رؤى المدرسة الواقعية للمنظمات الدولية مع رؤاها لأشكال التنظيم الدولي الأخرى، مثل نظم التعاون الدولي، وهي تعرف النظم الدولية بأنها مجموعة من المبادئ والأعراف والقواعد والإجراءات المعلنة أو الضمنية التي تضبط توقعات الفاعلين الدوليين في أحد مجالات العلاقات الدولية.

تُبنى رؤى المدرسة الواقعية عمومًا على أساس من الشك في التعاون الدولي بوصفه ظاهرة أعم؛ فبحسب هذه المدرسة، لا يهتم صناع السياسة إلا بمصالح دولهم فقط، ولخدمة هذه المصالح يسعون جاهدين بمفردهم إلى حشد القوة، واستخدام ما لديهم من قوة للحصول على مزيد منها. وأقصى تعاون ممكن بين صناع السياسة في الدول المختلفة هو التعاون المشروط، أي حين يكون التعاون وسيلة لا بد منها لتحقيق المصالح. وبناءً عليه، فإن الدول تتعاون في أطر جماعية كالمنظمات الدولية حين تتفاوت قوتها تفاوتًا شديدًا، أي حين يمتلك عدد قليل من أعضاء المنظمة نسبة كبيرة من مجموع قدرات أعضائها، وتصبح خريطة توزيع القوة في المنظمة هرمية بوضوح.

المدرسة البنائية

يرفض أنصار المدرسة البنائية القول إن المصالح المادية الثابتة للدول وتوزيع القوة بينها هما المحددان الرئيسان للسياسة الدولية، ويرون أن المكونات الاجتماعية كالهويات والأعراف والمبادئ والقواعد واللغة تقوم بأدوار رئيسة في تحديد مصالح الدول، ومن ثم السياسة الدولية، إذ ينظرون إلى السياسة الدولية من منظور علم الاجتماع، وليس الاقتصاد الجزئي الذي هو أساس المدرستين الواقعية والمؤسسية الليبرالية الجديدة. ففي وقت ترى فيه هاتان المدرستان الدولة فاعلًا عقلانيًا، وهوياتها ومصالحها معطيات مفروضة من خارجها ومحددة سلفًا وتتجاوز عوامل تطورها التاريخي، يرفض أنصار المدرسة البنائية عدّ الدولة الفاعل الدولي واختياراته المفضلة كالصندوق المغلق، بل يصرون على تشريح مكوناتها والتعامل معها على أنها مركبات اجتماعية يتعلمها الفاعل الدولي بطريقة ربما تكون غير مقصودة من خلال عمليات الاتصال والإقناع.

> ترى المدرسة البنائية أن المكونات الاجتماعية كالهويات والأعراف والمبادئ والقواعد واللغة تقوم بأدوار رئيسة في تحديد السياسة الدولية

يجادل البنائيون بأن السياسة الدولية هي عالم من صنعنا وبنائنا من خلال تركيزهم على عمليات التفاعل[4]، فهم يقومون بتعريف الفاعل الدولي لمصالحه واختياراته المفضلة من خلال تعريف المواقف التي يجد فيها نفسه، أي إن تعريف المصالح والاختيارات المفضلة يتوقف على السياق الاجتماعي، بما فيه من أعراف يلتزم بها الفاعلون الدوليون الآخرون، وفهمهم المختلف للسياسة الدولية. فالسياق الاجتماعي يُعين الفاعل الدولي على تحديد ما هو جيد وملائم في السياسة الدولية. كما يُعرف الفاعل الدولي مصالحه واختياراته المفضلة من خلال تعريف هوياته. وهوية الفاعل الدولي تتحدد بفهمه لدوره وتوقعاته عن نفسه. وهي مستقرة نسبيًا ومتعلقة حتمًا بهويات الفاعلين الدوليين الآخرين. وبتعريف هوية الفاعل الدولي ومصالحه تتحدد المؤسسة، فهي مجموعة مستقرة نسبيًا من الهويات والمصالح التي تصاغ عادةً في شكل قواعد وأعراف رسمية، على نحو ما في المنظمات الدولية.

وتختلف البنائية عن النظرية الواقعية من حيث إن علاقة المنظمات الدولية بأعضائها تتحدد وفق ما يتفقون عليه، وليس وفق ما يراه أقواهم، فلا تقوم المنظمة الدولية إلا بما يجمع عليه أعضاؤها، لأنها أنشئت أصلًا على خدمة مصالحهم المشتركة، وتحقيقًا لإرادتهم الجماعية، وتجسيدًا لهم بوصفهم جماعة متميزة من غيرها؛ ففي الأمم المتحدة على سبيل

4 Nicholas Onuf, *World of Our making: Rules and Rules in Social Theory and International Relation* (Columbia: University of South Carolina Press, 1989), p. 92.

المثال، يمثل مجلس الأمن جميع الدول، أو هذا ما يقال عادةً، خصوصًا عند اتخاذ قرارات تطبيق إجراءات الأمن الجماعي، كما في حالة أزمة الخليج وحرب الخليج في عامي 1990 - 1991. فهذه الصفة التمثيلية هي التي دفعت الولايات المتحدة ودولًا أخرى إلى طلب اتخاذ المجلس تلك القرارات. كما تنفق الأمم المتحدة جانبًا من مواردها لرسم صورة إيجابية لعملياتها في حفظ السلام بوصفها عمليات مستقلة ومحايدة تسعى ببساطة إلى تطبيق قرارات مجلس الأمن، وتمثل المجتمع الدولي كله، بما يتفق مع مبادئ الأمم المتحدة وقراراتها، وليست أدوات في أيدي القوى الكبرى.

إذًا تمثل المنظمة الدولية أعضاءها بوصفهم جماعة متميزة من الدول، خصوصًا حين يشتركون في هوية جماعية واحدة أو يشكلون معًا ما يسمى "مجتمع الأمن"، وهو نظام أمني تعاوني، ليس أحاديًا أو تنافسيًا تعرف كل دولة هويتها بما يتفق مع تعريفات الدول الأخرى لهوياتها، حتى تتصور جميعها أن أمن كل منها مسؤولية الجميع؛ ما يعني أنّ المنظمة لا تقوم إلا بما يخدم مصالح أعضائها جميعًا.

تتضح قدرة الأجهزة الإدارية في المنظمة الدولية على توجيه نشاطاتها حين يستخدم أمينها العام امتيازات منصبه الخاصة لإطلاق المبادرات أو اقتراح المهمات أو حل الصراعات، خصوصًا حين يتمتع بصفات شخصية تعزز قوة الأجهزة الإدارية في المنظمة الدولية في مواجهة الفاعلين الآخرين، كما تسمح الرؤية البنائية بعدّ تحقيق مصالح الأجهزة الإدارية في المنظمة، ممثلة بالأمين العام، شرطًا ضروريًا لعمل المنظمة الدولية، على الرغم من أن تلك الأجهزة لا تتخذ قرارات المنظمة. وهذا يعني أنّ المنظمة الدولية لا تقوم إلا بما يخدم مصالح أجهزتها الإدارية ممثلةً في أمينها العام.

وفي وقت يرفض فيه أنصار المدرسة الواقعية النظر إلى الأعراف والمبادئ بصفتها عوامل سببية مستقلة، ويعدّون الحديث عنها رطانة فارغة، لأن الأعراف ليست إلا غطاء لسياسة القوة، فهي أدوات في أيدي صناع سياسة الدول الخارجية، فإن البنائية تؤكد أهمية الأعراف والمبادئ الناظمة لعمل المنظمات الدولية، فالأعراف ليست وصفات بما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، بل هي أيضًا توقعات سلوكية، وفي المنظمة الدولية تبنى تلك التوقعات على أنماط السلوك والأفعال المتكررة عبر خبرتها التاريخية. ولا يخلو ميثاق أي منظمة دولية كما وثائقها الرسمية وغير الرسمية وخبرتها التاريخية من عدد وافر جدًا من الأعراف والمبادئ التي تكفي، عادة، لتبرير جميع قراراتها. وبناءً على ذلك، كلما زادت درجة استقرار العرف أو المبدأ في المنظمة الدولية، زاد احتمال قيام المنظمة بعمل مبني على هذا العرف أو المبدأ، وكلما زادت أهمية العرف أو المبدأ في المنظمة الدولية، زاد احتمال قيام المنظمة بعمل مبني على هذا العرف أو المبدأ على حساب عرف أو مبدأ آخر أقل أهمية في المنظمة.

الأمن الجماعي وجامعة الدول العربية

تقوم المنظمات الدولية بنشاطات عسكرية متنوعة، كالدفاع الجماعي والأمن الجماعي وعمليات حفظ السلام، ويعني الدفاع الجماعي ردع معتدٍ محدد خارج المنظمة المعنية أو دحره. أما الأمن الجماعي، فهو ردع أو دحر لاعتداء محتمل أو فعلي من عضو في المنظمة المعنية ضد عضو آخر. وأما عملية حفظ السلام تقليديًا، فهي عملية محايدة بين عدوين تستخدم العنف في أضيق حدود لمنع العنف بينهما أو الحد منه، وهدفها النهائي التسوية السلمية لنزاعهما. وقد اختبرت الدراسة الافتراضات الواقعية والبنائية في قرارات تطبيق إجراءات **الأمن الجماعي**، وهو أحد الترتيبات العسكرية التي تفرض على أعضاء المنظمة الدولية الاشتراك في مواجهة الاستخدام غير المشروع للقوة أو التهديد باستخدامها من عضو في المنظمة ضد عضو آخر. وقدمت الدراسة مبررين للتركيز على الأمن الجماعي من دون غيره من نشاطات المنظمات الدولية عمومًا والنشاطات العسكرية خصوصًا، بوصفها أنسب مجال لاختبار الافتراضات الواقعية والبنائية. فالأمن الجماعي هو أولًا عمل عسكري خطر يتجاوز الجدل في شأن مدى أهمية نشاطات المنظمات الدولية، ويمس جوانب حساسة في المدرستين الواقعية والبنائية، إذ يختبر المقولات البنائية في ما يسمى "السياسة العليا"، أي قضايا الأمن، وهو مجال يندر تناوله عند أصحاب الاتجاه المؤسسي الاجتماعي، ويختبر المقولات الواقعية بأن المنظمات الدولية لا تؤثر في مجال الأمن.

وثانيًا، إن الأمن الجماعي أفضل من النشاطات العسكرية الأخرى للمنظمات الدولية كالدفاع الجماعي وعمليات حفظ السلام ولاختبار الافتراضات الواقعية والبنائية في هذه الدراسة. فعلى عكس العدوان المتوقع أصلًا من عدو خارجي، يؤدي استخدام القوة أو التهديد بها في صراع بين عضوين في منظمة الأمن الجماعي إلى تشكيل تكتل وتحالفات متعارضة، واختلاف كبير بين الأعضاء في شأن تحديد المعتدي والضحية، والمبادئ والأعراف التي ينبغي للمنظمة الدفاع عنها ولو على حساب مبادئ وأعراف أخرى تقرّها المنظمة. ومن جهة أخرى، لا تعدّ عمليات حفظ السلام من قضايا السياسة العليا، على الأقل مقارنةً بعمليات الأمن الجماعي، فلا شك في أن قرار المنظمة الدولية نشر قوة محايدة وغير مقاتلة صغيرة نسبيًا في صراع مسلح من أجل حلّه سلميًا يثير جدلًا أقل كثيرًا من الجدل الذي يثيره قرارها تحديد المعتدي الفعلي أو المحتمل في صراع بين أعضائها، واتخاذ مواقف تدينه صراحةً وتدعم ضحية العدوان، واستخدام قوة باقي الأعضاء للدفاع عن تلك الضحية والعودة إلى وضع ما قبل العدوان، بغضّ النظر عن مطالب المعتدي بتحقيق العدالة في صراعه مع ضحيته، أو إزالة المظالم التي ربما وقعت به حقًا في إطار هذا الصراع.

كما قدّم الباحث سببين لاختيار جامعة الدول العربية بوصفها واحدة من أنسب المنظمات الدولية لاختبار افتراضات الواقعية والبنائية:

- **السبب الأول**: أن جامعة الدول العربية منظمة إقليمية لا تضم إلا دولًا نامية، وهذا يمنحها ميزتين؛ فمن جهة يعدّ تطبيق إجراءات الأمن الجماعي في السياق الإقليمي عمليًا أكثر مقارنة بتطبيقه في السياق العالمي؛ إذ على الرغم من أنّ منظري الأمن الجماعي كانوا يرون أنّ إجراءات الأمن الجماعي لا تطبقها منظمة تضم دول العالم كلها، فإنّ عدد محاولات تطبيق تلك الإجراءات في السياق الإقليمي يفوق كثيرًا عددها في السياق العالمي. ومن جهة أخرى تميل النظريات العامة في العلاقات الدولية إلى التركيز على السياسة العالمية دون الإقليمية، وفي الدول المتقدمة دون النامية، والمدرستان الواقعية والبنائية ليستا استثناء. فهناك حاجة إلى اختبار مقولاتهما في السياق الإقليمي وفي العالم النامي.
- **السبب الثاني**: لم تضم الجامعة دولة مهيمنة قط، أي عضوًا لديه أكثر من نصف مجموع قوتها، ومصالح في إقليمها كله، وله قوة تمكّنه من القيام دائمًا بعمليات عسكرية فيه. ولا يشترط أنصار الواقعية وجود دولة مهيمنة في المنطقة كي تقوم بنشاط جماعي، بل يكفي أن تتفاوت قوة الأعضاء تفاوتًا بينيًا.

طبّقت جامعة الدول العربية إجراءات الأمن الجماعي في أزمتي العراق والكويت في عامَي 1961 و1991 فحسب. فتعاملت مع الحالة الأولى بوصفها عدوانًا مسلحًا محتملًا، ومع الثانية بوصفها عدوانًا مسلحًا فعليًا على الكويت وتهديدًا بعدوان مسلح على دول أعضاء أخرى هي المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية. وتمثّل هاتان الأزمتان حالتين متميزتين لاختبار مقولات الواقعية والبنائية من الناحيتين النظرية والمنهجية. فمن جهة، واجهت الجامعة معضلة حقيقية لأن تحقيق مصالح بعض الأعضاء كان يعني بالضرورة التضحية بمصالح أعضاء آخرين، والتزام بعض المبادئ والأعراف التي تحكم سلوكها والعلاقات بين أعضائها كان يعني التضحية بمبادئ وأعراف أساسية أخرى. فكان عليها أن تختار، وهذه فرصة ممتازة لاختبار الافتراضات الواقعية والبنائية عن تطبيق إجراءات الأمن الجماعي في المنظمات الدولية.

ومن جهة أخرى، لا يعني اختبار الافتراضات في حالتين فقط استحالة تعميم النتائج أو إثارة الشك في مدى انطباقها على حالات أخرى، لأن هذه الدراسة تحقق الشروط المنهجية الثلاثة لقبول التحليل القائم على عدد قليل من الحالات. فهي أولًا: تستخدم متغيرين تفسيريين فقط؛ متغير القوة في المدرسة الواقعية، ومتغير الأعراف والمبادئ في الاتجاه البنائي المؤسسي الاجتماعي. وثانيًا، تتناول الدراسة جميع حالات تطبيق إجراءات الأمن الجماعي في الجامعة، فهما كافيتان تمامًا للبحث عن الشروط الضرورية لتطبيق تلك الإجراءات في الجامعة. وثالثًا، تتشابه الحالتان إلى أقصى حد؛ إذ تمثلان صراعًا واحدًا انفجر مرتين. مع ذلك لم تطبق الجامعة فيهما إجراءات الأمن الجماعي بالطريقة نفسها، بل بطرائق مختلفة. ففي حين نشرت الجامعة قوات ترفع علمها في الكويت في عام 1961، اكتفت في عام 1990 بدعوة أعضائها إلى تقديم دعم غير عسكري للكويت، ودعم عسكري لدول الخليج العربية بما فيها السعودية، وهي صورة ضعيفة لتطبيق إجراءات الأمن الجماعي الواردة في ميثاق الجامعة ومعاهدة الدفاع العربي المشترك.

سلوك جامعة الدول العربية في أزمة العراق والكويت عام 1961

تبادلت الكويت والمملكة المتحدة في 19 حزيران/ يونيو 1961 مذكرتين ألغيت بموجبهما اتفاقية عام 1899 التي أتاحت للكويت الحماية البريطانية[5]، كما اعترفت الحكومة البريطانية بسيادة الكويت واستقلالها وعبرت عن استعدادها لمساعدة حكومة الكويت إذا رغبت في ذلك. وأيد العراق رسميًا استقلال الكويت، ولكن بعد ذلك بفترة وجيزة وزعت الخارجية العراقية بيانًا على الدبلوماسيين في بغداد يلخص موقف العراق من الاتفاق بين بريطانيا وشيخ الكويت. وأشار البيان إلى حقوق العراق التاريخية في الكويت، ودور بريطانيا في فصل الكويت عن العراق، وعدم شرعية ذلك الاتفاق. وأكد تعارضه مع ما سماه حقيقة أن الكويت كانت ولا تزال جزءًا لا يتجزأ من العراق.

ويفسر الكاتب سلوك الأطراف الفاعلة في الأزمة بين العراق والكويت من منظور واقعي وبنائي؛ فالعراق تحرك، من وجهة نظر واقعية، لملء فراغ القوة الناتج من انسحاب القوات البريطانية، وحاجته الشديدة إلى منفذ بحري على مياه الخليج لزيادة قدراته بوصفه قوة إقليمية. وكان ضم الكويت إليه سيلبي، من دون شك، هذه الحاجة. كما كان من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى زيادة ثروة العراق زيادة كبيرة، لأن الكويت كانت آنذاك رابع أكبر منتج للنفط في العالم، وصاحبة أكبر مخزن نفطي في المنطقة يقدَّر بثلث مخزونها منه.

ومن المنظور البنائي، كان الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم الذي وصل إلى السلطة في العراق بانقلاب عسكري عام 1958 يهدد بضم

5 المعاهدة البريطانية – الكويتية 1899: وافقت الحكومة البريطانية في كانون الثاني/ يناير 1899 على توقيع اتفاق مع الشيخ مبارك الصباح، ينص على تعليمات الحكومة البريطانية ضرورة الحصول على تعهد من الشيخ مبارك بألّا يقوم بأي تصرف من شأنه أن يكون له أثر قانوني إلّا بموافقة الحكومة البريطانية، وحدد هذا التصرف بالامتناع عن تأجير أي جزء من أراضي الكويت أو رهنه أو السماح باحتلاله سواء أكان ذلك لمصلحة حكومة أجنبية أم مواطن لدولة أخرى، مع تقديم معونة مالية تدفع للشيخ مبارك تقدّر بخمسة آلاف جنيه قابلة للزيادة. للمزيد، انظر: خالد عبد العظيم العاني، **الكويت والصراع العثماني-البريطاني** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008)، ص 72.

الكويت للعراق تحت ذريعة الحق التاريخي في الكويت، لكن خلافًا لأزمة عام 1990 لم يقم قاسم بنشر قوات عسكرية على الحدود الكويتية. وحاول انتهاز فرصة انسحاب القوات البريطانية من الكويت لتحقيق هدفين: أحدهما وطني عراقي، وهو وحدة أراضي العراق، والآخر قومي عربي وهو توحيد بلدين عربيين. فكان يرفع شعارات وطنية عراقية وقومية عربية في آن واحد. وكان يطمح إلى أن يؤيده وطنيون عراقيون عرب وغير عرب، وقوميون عرب في العراق وخارجه. لكن معظم القوى السياسية العراقية عارضت موقفه، بما فيها النقابات المهنية ومعظم الأحزاب القومية والعربية واليسارية.

على الرغم من أن حكومة الكويت كانت تدرك عجزها عن مواجهة أي هجوم عسكري عراقي، فإنها رفضت جميع مزاعم الحكومة العراقية وأصدرت بيانًا في 26 حزيران/ يونيو أكدت فيه أن الكويت دولة عربية ذات سيادة كاملة معترف بها دوليًا. وأنها مصممة على حماية استقلالها والدفاع عن أراضيها بدعم جميع الدول الصديقة والمحبة للسلام، خصوصًا الدول العربية الشقيقة. وكانت المملكة العربية السعودية أول الداعمين لموقف حكومة الكويت عربيًا. ودوليًا، أرسلت بريطانيا عشرة آلاف جندي مكلفين بحماية الحدود الشمالية للكويت مع العراق، في حين تمركزت قوات سعودية في المناطق الغربية والشمالية.

يمكن تفسير الموقف السعودي من وجهتي نظر واقعية وبنائية؛ فمن المنظور الواقعي، كان العراق جارًا تفوق قوته العسكرية والاقتصادية قوة السعودية، فكان لا بد من لجمه مخافة زيادة قوته بضم الكويت. ومن المنظور البنائي، كانت السياسة الخارجية للحكومة العراقية ثورية، وسياستها تجاه الدول العربية مبنية على رؤية قومية عربية وحدوية، على عكس سياسة السعودية ورؤيتها المحافظة. والأهم أن حديث الحكومة العراقية عن حقوق العراق التاريخية في الكويت كان تهديدًا مبطنًا للسعودية التي كان جزءٌ من إقليمها الشرقي تابعًا لولاية البصرة العثمانية. كما أن السعودية ملتزمة بحماية الأسر الحاكمة في الدول المجاورة الصديقة، ولا سيما الكويت التي أمّنت الحماية للأسرة المالكة السعودية في مرحلة تاريخية حرجة.

أمّا بريطانيا، من المنظور الواقعي، فلم تكن مستعدة لترك العراق يظفر بثروة الكويت النفطية وضمها إلى ثروته النفطية، خصوصًا أنّ دول الغرب كانت ترى حكومة العراق معادية لمصالحه في المنطقة وموالية لعدوه الأكبر، أي الاتحاد السوفياتي. ومع ذلك، زعم وزير خارجية العراق أنّ محادثاته مع سفير بريطانيا في بغداد أوحت إليه بأنّ الحكومة البريطانية ربما تدعم اتحادًا فيدراليًا بين الكويت والعراق والأردن، إذا ضمنت تحقيق مصالحها الاقتصادية في المنطقة. ومن المنظور البنائي، كانت الحكومة البريطانية تحمي سمعتها الدولية بالدفاع عن استقلال حلفائها والوفاء بالتزاماتها حيالهم.

من بين جميع القوى المنخرطة في الأزمة كان موقف الجمهورية العربية المتحدة شديد الحرج، وكان عليها أن تتخذ قرارات صعبة؛ فمن المنظور البنائي، كان التوجه القومي العربي والوحدوي والثوري لحكومة الجمهورية العربية المتحدة يحتم عليها دعم اندماج العراق والكويت في دولة واحدة، بغض النظر عن صحة مزاعم العراق التاريخية، ويمنعها من الانحياز إلى الكويت في أي نزاع لها مع العراق، لأن النظم الثورية كانت تنظر إلى الكويت بوصفها "صنيعة للاستعمار" يحكمها "نظام رجعي". يضاف إلى هذا الموقف المبدئي تقارب العراق والجمهورية العربية المتحدة في الفترة التي سبقت الأزمة. أما من المنظور الواقعي، فكانت الجمهورية قلقة من زيادة قدرات العراق في حال ضمه الكويت، وما يعنيه ذلك من تراجع الوزن النسبي لقوة الجمهورية العربية المتحدة في المنطقة، بل ربما أصبح العراق منافسًا خطرًا لها في زعامة المعسكر الثوري والقومي العربي، ولا سيما أنّ عبد الكريم قاسم كان بالفعل يسعى إلى منافسة عبد الناصر في كسب قلوب العرب وعقولهم.

أما على مستوى جامعة الدول العربية، فتعامل أمينها العام عبد الخالق حسونة مع الأزمة منذ بدايتها، وقد بذلت الرياض والكويت جهدًا كبيرًا لكسب الجامعة في صفّهما؛ فطلبت المملكة السعودية في 27 حزيران/ يونيو عقد جلسة عاجلة لمجلس الجامعة لقبول الكويت عضوًا فيها. وازدادت صعوبة مهمة الأمين العام حين أصرت السعودية على عقد جلسة طارئة لمجلس الجامعة، في حين رأى العراق أن عقد هذه الجلسة يتعارض مع مهمة الأمين العام الذي قدم في اجتماع 12 تموز/ يوليو نتائج مساعيه في العراق والكويت والسعودية، بحيث أكد للمسؤولين العراقيين في بغداد ضرورة الإعلان رسميًا التزام العراق عدم استخدام القوة في هذا النزاع، والسعي سلميًا إلى إزالة كل أسباب التوتر مع الكويت ودعم استقلالها، وقد عبّر الأمين العام للمسؤولين في الكويت عن قلقه البالغ من عودة القوات البريطانية إليها، واقتناعه بأن الدول العربية قادرة على القيام بعمل مشترك لحماية استقلال الكويت، والدفاع عن أراضيها. أما في الرياض، فقد عبّر الملك سعود للأمين العام عن حرصه على إزالة أسباب التوتر بين العراق والكويت والسعودية والتعاون الوثيق مع الدول العربية كلها، خصوصًا الجمهورية العربية المتحدة، لتسوية الأزمة ومن ثم التركيز على خطر إسرائيل المحدق. وبعد سلسلة من المداولات والمشادات التي شهدتها أروقة جامعة الدول العربية في 12 و13 تموز/ يوليو، وكذلك 20 تموز/ يوليو 1961، اتخذ بالإجماع القرار رقم 1777 الذي ينص على قبول عضوية الكويت في الجامعة بناءً على مشروع قرار سعودي. مع الإشارة إلى أنّ الأزمة العراقية - الكويتية عام 1961 تحولت إلى معركة دبلوماسية بين العراق والسعودية في الجامعة، خسرها العراق لفشله في الحصول على دعم الجمهورية العربية المتحدة التي كانت أقوى أعضاء الجامعة بمقاييس القوة

كلها، في حين نجحت السعودية لأنها حصلت على هذا الدعم إضافةً إلى دعم الدول العربية الأخرى والأمانة العامة للجامعة، أي إنّ جميع الافتراضات الواقعية والبنائية عن الفاعلين الأساسيين الذين يوجهون الجامعة من داخلها قد ثبتت.

سلوك جامعة الدول العربية في أزمة العراق والكويت عام 1990

عندما اندلعت الأزمة بين العراق والكويت مجددًا في صيف 1990 كانت جامعة الـدول العربية قد توسعت، وبلغ عدد أعضائها واحدًا وعشرين عضوًا، فقد أظهرت الحكومة العراقية خلافها مع الحكومة الكويتية يوم 16 تموز/ يوليو 1990، فنشرت خطابًا أرسله وزير خارجية العراق إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية اتهم فيه حكومة الكويت بسرقة نفط من بئر على الحدود بين البلدين، ووصف سياسة الكويت زيادة إنتاج نفطها بحرب اقتصادية ضد العراق، لأنها أدت إلى انخفاض شديد في أسعار النفط عالميًا، ومن ثم تراجع عائدات العراق من تصديره تراجعًا كبيرًا. وعلى الرغم من أنّ حكومة الكويت دافعت عن نفسها في مذكرة صادرة عن وزارة خارجيتها ورسائل وجهتها إلى عدد من القادة العرب وإلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، فإنها خفضت إنتاجها النفطي مع الإمارات العربية المتحدة، وارتفعت الأسعار ارتفاعًا ملحوظًا. إلا أنّ ذلك لم يؤدّ إلى انحسار الأزمة؛ إذ كانت مسألة أسعار النفط غطاء لمطالب الحكومة العراقية الأخرى.

وعلى الرغم من الحراك الدبلوماسي العربي لاحتواء الأزمة فقد قام الجيش العراقي بغزو الكويت بدعوى تقديم الدعم لجماعة عسكرية ثورية من الضباط الكويتيين أطاحوا الأسرة الحاكمة وطلبوا مساعدة من العراق. وأحيا العراق دعوى العراق التاريخية بأن الكويت جزء لا يتجزأ منه. ومع ذلك، عبّر العراق عن استعداده لعقد صفقة يتم بموجبها تحرير جميع الأراضي المحتلة في الشرق الأوسط، أي أن ينسحب العراق من الكويت في مقابل انسحاب سورية من لبنان، وإسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967.

بحلول اليوم التالي للغزو، تبلورت مواقف أحد عشر عضوًا في الجامعة، فنددت بالغزو، وهو عدد مثّل أغلبية بسيطة في مجلسها الذي حدد موعد اجتماعه في القاهرة. وأصدر مجلس الجامعة القرار 5036 في 2 آب/ أغسطس 1990 الذي دان العدوان العراقي على الكويت، وطالب العراق بسحب قواته منها فورًا ومن دون شروط، وأكد التزامه القوي حماية سيادة الدول الأعضاء في الجامعة ووحدة أراضيها. كما صدر في القمة العربية القرار رقم 195 في 9 - 10 آب/ أغسطس 1990 الذي دان العدوان العراقي على الكويت وتهديدات العراق ضد دول الخليج، وأيد الإجراءات التي تتخذها الحكومة الكويتية؛ أي إنّ الدول العربية وافقت ضمنيًا على طلب الحكومة الكويتية مساعدة أميركية.

لم يكن بين أعضاء جامعة الدول العربية خلال أزمة عام 1990 من يمكن الإجماع على عدّه الأقوى؛ لذلك ثبت الافتراض الواقعي المتعلق بقرار الجامعة تطبيق إجراءات الأمن الجماعي في هذه الأزمة على نحو يحقق مصلحة أقوى التحالفات داخلها. كما ثبت أيضًا الافتراض القائل إن القرار كان يخدم مصلحة الولايات المتحدة الأميركية في تشكيل تحالف دولي واسع وقوة دولية لإخراج القوات العراقية من الكويت، وكانت الولايات المتحدة الحليف العالمي لمعظم دول التحالف الأقوى في الجامعة. أما الافتراضات البنائية فلم تثبت في هذه الحالة، لأن قرارات الجامعة المتعلقة بالأزمة لم تتخذ بالإجماع، بل بأغلبية بسيطة كانت تتضاءل مع مرور الوقت، كما أن الأمين العام للجامعة لم يكن منخرطًا بوضوح في عملية صوغ موقف الجامعة، بل كان دوره في اتخاذ قراري مجلسها وقمتها هامشيًا. أما في ما يتعلق بالافتراضات الخاصة بتأثير القوة من جهة والمبادئ والأعراف من جهة أخرى في المنظمات الدولية، فتختبر بمقارنة توزيع القوة بين أعضاء الجامعة ومدى استقرار مبدأ الأمن الجماعي وأهميته النسبية خلال الأزمتين.

من خلال العودة إلى تطبيق فرضيات النظرية الواقعية على دور جامعة الدول العربية في أزمة الخليج، وانطلاقًا من الفرض الواقعي الذي يقوم على أنّ المنظمة الدولية لا تقوم إلا بما يخدم مباشرة مصالح الدولة أو التحالف الأشد قوة وهيمنة فيها، فإنّ جامعة الدول العربية قررت تطبيق إجراءات الأمن الجماعي في هذه الأزمة على نحوٍ يحقق مصالح أقوى التحالفات فيها. فنسبة قوة أعضاء الجامعة الذين وافقوا على هذا القرار إلى مجموع قوة الأعضاء وفقًا لمؤشرات القوة المستخدمة في الدراسة هي كما يلي: 55 في المئة من عدد السكان، 66 في المئة من الإنفاق العسكري، 62 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، في حين أنّ نسبة قوة أعضاء الجامعة الذين لم يوافقوا على هذا القرار إلى مجموع قوة الأعضاء وفقًا لهذه المؤشرات الثلاثة كما يلي: 45 في المئة من عدد السكان، و34 في المئة من الإنفاق العسكري، و38 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي.

أما الافتراض الواقعي الثاني، فيقوم على أن النشاطات ذات الأهمية العالمية التي تقوم بها المنظمة الإقليمية تخدم دائمًا بصورة مباشرة أو غير مباشرة مصالح الحلفاء العالميين للدولة أو التحالف الأشد قوةً وهيمنة فيها. كانت الولايات المتحدة الأميركية، فعلًا، الحليف العالمي للتحالف الذي وافق على القرار، وحقق قرار الجامعة مصالح أكيدة لها، وهي إظهار الدعم العربي للموقف الدولي الذي تقوده الأزمة عمومًا، وإرسال قوات عربية للمشاركة في الحرب ضد العراق خصوصًا.

في ما يتعلق بالافتراضات البنائية في تفسير سلوك جامعة الدول العربية، من جهة أن المنظمة الدولية لا تقوم إلا بما يخدم مصالح جميع أعضائها وأجهزتها الإدارية ممثلة في أمينها العام، ثبت عدم صحتها في هذه الحالة؛ فمن جهة، سارعت الجامعة إلى اتخاذ موقف في الأزمة بغضّ النظر عن مدى الانقسام الذي نتج بين أعضائها، وذلك بخلاف الحال في أزمة عام 1961 حين أصرت الجامعة على التوصل إلى موقف يحظى بإجماع أعضائها، بغضّ النظر عن الزمن الذي احتاج إليه، فلم يؤيد قرار مجلس الجامعة رقم 5036 إلّا أربعة عشر عضوًا، ثم تقلص هذا العدد عند التصويت على قرار القمة العربية رقم 195 إلى اثني عشر عضوًا فقط، إذ أيّدت الجزائر وتونس قرار الجامعة ولم تؤيدا قرار القمة الذي صدر بأغلبية ضئيلة بلغت 57 في المئة من الأعضاء فقط.

من جهة أخرى، لم تثبت مشاركة الأمين العام للجامعة في المداولات التي سبقت قرار المجلس يوم 3 آب/ أغسطس، أو تلك التي انتهت بإصدار قرار القمة يوم 10 آب/ أغسطس، بل إنه لم يستشر قبل دعوة الرئيس المصري إلى عقد قمة عربية عاجلة، وعلّق على ذلك بالقول: إنها أول مرة يدعى فيها إلى قمة عبر الأثير. ولم يستشر في صوغ مشروع القرار الوحيد الذي طرح للتصويت في اجتماع القمة، وبناءً عليه، فالأمين العام لم يمثل الأمانة العامة في الجامعة تمثيلًا كامًلا؛ إذ اعترض على قرارات الجامعة التي أيّدها بعض كبار المسؤولين فيها.

خاتمة

تكمن أهمية هذا البحث في إثبات قدرة المنظمات الدولية "جامعة الدول العربية" على العمل باستقلالية عن الدول، وتأثّرها بالأعراف والمبادئ الدولية تمامًا كما تتأثر بعوامل القوة وتوزيعها، الأمر الذي يستتبع بالضرورة تغيرًا كبيرًا في السياسة الدولية من جهات عدة؛ فأولًا سيكون على صناع السياسة الخارجية التعامل مع المنظمات الدولية بالجدية ذاتها التي يتعاملون بها مع الدول في النظام الدولي، أي على أنّها عدو وصديق، لا على أنها أدوات لتنفيذ السياسة الخارجية، بل إنّ تصديق بعض المنظمات الدولية ذات الموارد الكبيرة والسمعة الطيبة أو معاداتها، قد يكون أهم من تصديق كثير من الدول الفقيرة أو المنطوية على ذاتها، أو معاداتها، ويتم ذلك بالطبع من خلال اختبار الفرضيات الواقعية والبنائية في العلاقات الدولية، ولا ضير من الجمع في الدراسة الواحدة بين المتغيرات التفسيرية التي تقترحها المدرسة الواقعية، وتلك التي تقترحها البنائية، أو حتى الدمج بينهما بعناية، مع الأخذ في الحسبان حجج القائلين بتناقض الأسس الأنطولوجية والإبستمولوجية لهاتين المدرستين. والجمع بين المتغيرات يختلف عن دمجها. فالجمع يعني تفسير مشكلة ما باستخدام المفاهيم والنظريات التي تقدمها مدارس عدة كالمدرستين الواقعية والبنائية، أي بالنظر إلى القوة والمبادئ بوصفها متغيرات مستقلة متكافئة لكنها منفصلة. وبذلك تقوم مفاهيم كل مدرسة ونظرياتها بالكشف عن التحيز في استخدام مفاهيم المدرسة الأخرى ونظرياتها، فتُضبط نتائج الدراسة. أما الدمج بين المتغيرات فيعني صهر المتغيرات الأساسية في مدارس عدة، مثل المدرستين الواقعية والبنائية، في إطار نظري واحد. فلا يقوم هذا الإطار النظري على أساس أن القوة والمبادئ معًا، بل أيضًا على عدّ كليهما جزءًا لا يتجزأ من الآخر، ويركز في العنوان التالي على حجج المؤيدين والمعارضين لبناء مثل هذا الإطار النظري، وبعض المحاولات في هذا الاتجاه.

المراجع

العربية

فهمي، عبد القادر محمد. **النظريات الجزئية والكلية في العلاقات الدولية.** عمان: دار الشروق، 2010.

دان، تيم وميليا كوركي وسميث ستيف. **نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع**، ترجمة ديما الخضرا. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

عاني، خالد عبد المنعم. **الكويت والصراع العثماني-البريطاني.** بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008.

الأجنبية

Waltz, Kenneth. Teoria della politica internazionale. Bologna: Società editrice il Mulino, 1997.

Onuf, Nicholas. *World of Our making: Rules and Rules in Social Theory and International Relation*. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.

صـدر حديـثًا

تأليــف: إماراتيا سن.
تـرجمة: شهرت العالم.

العقلانية والحرية

أصدر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب العقلانية والحرية (896 صفحة من الحجم المتوسط، موثقًا ومفهرسًا)، ضمن سلسلة ترجمان. وهو ترجمة شهرت محمود أمين العالم لكتاب Rationality and Freedom الذي ألفه أمارتيا كومار سِن. ويبحث الكتاب في الأفكار الأساسية المتصلة بمفهومي العقلانية والحرية وتبعاتهما على الأفراد والاختيار الاجتماعي. وعلى الرغم من أن هذين المفهومين يجدان وفرة من الاستخدامات في عمليات استكشاف الفلسفة السياسية والأخلاقية وفي السياسة العامة، فإن هذا الكتاب يُعنى تحديدًا بالاقتصاد ونظرية الاختيار الاجتماعي؛ كما يُعنى بسبر أغوار طبيعة المفاهيم البديلة لهذين المفهومين وسماتهما ومضامينهما، مع أن أحدهما غير منفصل عن الآخر، بحسب المؤلف.

تقرير
Report

إيهاب محارمة | Ihab Maharmeh*

ندوة
"أزمة الخليج وحصار قطر من منظور الاقتصاد والقانون والسياسة"

Symposium
"The Gulf Crises and Blockade of Qatar:Economic, Legal and Political Perspective

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

* Researcher, the Arab Center for Research and Policy Studies.

تشهد دول الخليج العربية منذ 5 حزيران/ يونيو 2017 أزمة دبلوماسية، بدأت بحملة إعلامية، شنّتها وسائل إعلام سعودية وإماراتية على دولة قطر، تجاوزت الحيِّز الإعلامي إلى الجوانب الاقتصادية والقانونية والسياسية. فقد قطعت السعودية والإمارات والبحرين ومصر علاقاتها الدبلوماسية بدولة قطر، وأغلقت المنافذ البرية والبحرية والجوية، فضلًا عن منع مواطنيها من السفر إلى قطر، ومنع القطريين من الدخول إلى أراضيها، وإمهال المقيمين والزائرين من مواطني دول الحصار أسبوعين لمغادرة قطر. وضمن نشاطات "منتدى دراسات الخليج والجزيرة العربية" الذي ينظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نظمت لجنة المنتدى يوم الأربعاء 9 آب/ أغسطس 2017 ندوة لمناقشة الجوانب والآثار الاقتصادية والقانونية والسياسية المترتبة على الأزمة الخليجية. وشارك في هذه الفعالية نخبة من الباحثين والمختصين القطريين، هم: خالد الخاطر، الخبير في السياسة النقدية وعلم الاقتصاد السياسي، ومحمد بن عبد العزيز الخليفي، عميد كلية القانون بجامعة قطر، وماجد الأنصاري، أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة قطر.

المنظور الاقتصادي للأزمة الخليجية

أشار خالد الخاطر في مداخلته إلى أنّ ما تقوم به دول الحصار يُعدّ بمنزلة إعلان حرب على دولة قطر؛ إذ تسعى دول الحصار، من خلال هذه الحرب، لقطع إمدادات السلع، والغذاء، والمواد الأولية، وعزْل قطر، على نحو يجعلها عاجزة عن توفير هذه المواد. ورأى الخاطر أنّ الحرب على قطر اشتملت على قرارات مقاطعة، وحصار جويّ وبحريّ وبريّ. ولكنّ الاقتصاد القطري تمكّن من مواجهة الأزمة، مستندًا إلى مصدرين من مصادر القوّة؛ هما الموارد الطبيعية التي تمتلكها قطر، والسياسات الاقتصادية التي اتّبعتها خلال فترة الرواج الاقتصادي. ويفصّل الخاطر ذلك بقوله: إنّ هذين المصدرين ساهما في تحقيق التنمية وتشجيع الاستثمار في البنية التحتية، وتشجيع السياسات الاستثمارية والتحول نحو التنويع الاقتصادي، وصولًا إلى توفير البدائل من المنتجات والسلع وحاجات التنمية، والانفتاح على أسواق جديدة؛ من خلال توقيع الحكومة القطرية اتفاقيات ثنائية مع الدول الأجنبية في مجالات التنمية والاستثمار.

أمّا بخصوص القطاعين المالي والمصرفي القطريَّين، فحاول الخاطر، في مقاربته الاقتصادية، تفسير تحصين هذه القطاعات من خلال السياسات الائتمانية التي اتبعها مصرف قطر المركزي منذ بداية الأزمة، وأرْجَعَ ذلك إلى أنّ السياسات المتَّبعة حدَّت من تأثّر القطاعين المالي والمصرفي؛ وذلك من خلال ضخّ الأموال والودائع. وفي ضوء ذلك، أثبتت العملة القطرية، على الرغم من تعرضها لمحاولات المضاربة خلال الأزمة، أنها عملة قوية، إذ تُعدّ العملة الأكثر استقرارًا في المنطقة منذ عقود؛ وذلك بفضل الاحتياطات المالية، وصندوق الدولة السياديّ. ورأى الخاطر أنّ مكامن انكشاف الاقتصاد القطري خلال الأزمة ظهرت في أمرين؛ هما قلة التنويع الاقتصادي، وضعف التنويع في قطاعي التجارة والاستيراد. وأشار إلى أنّ التدخل السريع للحكومة القطرية خلال الأزمة حال دون تفاقم هذا الانكشاف، وحافظ على محدوديته، وقد تبصّر المجتمع القطري ذلك حينما وُفِّرت له بدائل بالأسعار نفسها، وبالجودة نفسها أيضًا، من خلال ميناء حمد ومطار حمد الدولي.

وفي سياق متّصل، استشرف الخاطر المستقبل بقوله: إنّ دول الحصار ستفقد ثقتها وصدقيتها على المدى الطويل؛ نظرًا إلى تدمير الأزمة الخليجية بيئة الأعـمال ومشاريع التكامل الاقتصادي. وذهب الخاطر إلى أنّ غياب الإرادة السياسية قبل الأزمة الخليجية حال دون تحقيق اندماج وتكامل اقتصاديين بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة، ويتوقع أن يمتد هذا الصدع ليؤثِّر في نموها الاقتصادي على المدى الطويل. وأضاف الخاطر قائلًا: إنّ الدروس المستفادة من هذه الأزمة عديدة؛ تبدأ بضرورة العمل على سياسات اقتصادية جديدة تضمن للاقتصاد القطري ألّا يعود إلى ظروف ما قبل الأزمة في الاعتماد على تقلبات سياسات دول الجوار وتقلبات أسعار النفط والطاقة. وهذا يستلزم إعادة رسم السياسات، وتحفيز التنويع الاقتصادي في المجالات المختلفة؛ من أجل تحقيق الأمن الغذائي والدوائي والاستقرار الاقتصادي والتنمية المستدامة، وصولًا إلى الرفاه الاجتماعي والاقتصادي، ويكون ذلك باعتماد ثلاث ركائز؛ هي تحقيق أكبر قدر ممكن من الاعتماد على الذات وتقليص الاعتماد على دول الجوار، وتنويع وكلاء الاستيراد ووسطائه، فضلًا عن تشجيع السياسات الصناعية والزراعية والصحية والبحث العلمي في خضمّ عملية التنويع الاقتصادي. وانطلاقًا من أهمية ذلك، على الحكومة الارتكاز على شروط التنويع الملائمة. وتتمثل هذه الشروط بالتنمية البشرية وإصلاح القطاع العامّ والحوكمة وتحفيز القطاع الخاص وتشجيع الاستثمار.

الأبعاد القانونية للأزمة الخليجية من منظور القانون الدولي

عالج محمد الخليفي الإشكاليات القانونية للحصار من خلال توضيح أنّ القانون الدولي، بوصفه مرجعًا رئيسًا في العلاقات بين الدول، وُجِد لتحديد حقوق الدول وواجباتها، وتنظيم المسائل المتعلقة بالقضايا الدولية، وتنظيم قضايا حقوق الإنسان وكرامته. وبنى الخليفي مداخلته على ركيزتين؛ هما المبادئ والأحكام المتصلة بالقانون

الدولي التي خالفتها دول الحصار، والإجراءات القانونية التي يحق للدولة المتضررة (قطر) أن تتخذها لدى الهيئات والمنظمات الدولية والهيئات القضائية الدولية.

رأى الباحث أنّ قرار حصار دولة قطر مخالف للعديد من الأحكام والمبادئ القانونية؛ منها مبدأ حظر استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية (ليست القوّة العسكرية وحدها هي التي تندرج ضمن إطار القوة، بل إنّ الضغوط السياسية والاقتصادية تندرج في هذا الإطار أيضًا)، ومبدأ عدم التدخل في القضايا الداخلية للدول، ومبدأ السيادة الذي يقتضي حرية الدولة في إدارة قضاياها الداخلية والخارجية، ومبدأ فضّ النزاعات وتسويتها بالطريقة السلمية التي تبدأ بالمفاوضات، ثم المساعي الحميدة، ثم الوساطة والتحقيق، ومبدأ تنفيذ الالتزامات بحسن نيّة، وعدم التحلل منها بالإرادة المنفردة؛ فلا يجوز لأيّ دولة التحلل من التزاماتها التي أقرّتها المعاهدات والاتفاقيات، ومبدأ عدم التعسف في استخدام الحق الموجود في القوانين الدولية والوطنية للدول، ومبدأ احترام قواعد حقوق الإنسان؛ كأداء الشعائر الدينية، وحق الأسرة في عدم التفريق بين أفرادها، والحق في التعليم، والحق في التنقل، والحق في اعتناق الآراء وحرية التعبير والأفكار، وتبادل المعلومات. كما يخالف قرار دول الحصار العديد من بنود المعاهدات والاتفاقيات المتعلقة بحرية الملاحة. وخلص الخليفي إلى أنّه لا يحق لأيّ دولة القيام بأيّ نشاط يهدف إلى قمع أيّ حق من حقوق الإنسان وحرياته التي قررتها الوثائق والمعاهدات الدولية لحقوق الإنسان، وذلك وفق نص المادة 30 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فقواعد القانون الدولي جميعها تحظر القيام بأيّ فعل يؤدي إلى انتهاك أيّ حق من حقوق الإنسان وحرياته التي قررتها المعاهدات والمواثيق الدولية.

وفي سياق متصل، رأى الباحثُ أنّ المخالفات شملت الاتفاقيات التي تنص على تنظيم العلاقة، وفضّ المنازعات بين دول مجلس التعاون وميثاق جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي بالطرق السلمية. كما أنّ قرار دول الحصار يخالف اتفاقية شيكاغو للطيران المدني الدولي وتعديلاتها سنة 1944، والتي تُعنى بتنظيم حركة المرور الجوي للطيران؛ إذ إنّ هذه الاتفاقية لا تجيز لأيّ دولة عضو منْع الطيران فوق إقليمها أو جزء منه بناءً على الجنسية إلّا في وقت الحرب. وفي الحال التي يتمّ فيها ذلك، يجب أن يكون قرار المنع مؤقتًا، وأن يتمّ إشعار منظمة الطيران المدني الدولي به. وفي السياق نفسه، خالف قرار دول الحصار اتفاقية قانون البحار عام 1982 التي تمنع الدول الساحلية من عرقلة المرور البحري للسفن.

وفي محور ثانٍ، تحدّث الخليفي عن الآليات القانونية التي يحق لدولة قطر أن تتحرك من خلالها من أجل تقديم شكوى ضد دول الحصار. ورأى أنّ هذه الآليات تتمثل بإجراءات قانونية ذات طابع سياسي، وأنها تكون من خلال المفاوضات والوساطة، ومن ثم اللجوء إلى المنظمات الدولية المتخصصة في مجالات الانتهاكات بشأن حق دولة قطر؛ ومن بينها المنظمة الدولية للطيران المدني، والمنظمة البحرية الدولية، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، ومنظمة التجارة العالمية، فضلًا عن إجراءات تحقيق دولية تتعلق بحقوق الإنسان؛ وذلك من خلال إرسال تقارير للجهات الدولية، وإجراءات قانونية ذات طابع قضائي عن طريق اللجوء إلى التحكيم ذي الطابع الوفاقي، واللجوء إلى محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية، على أن يتمّ استيفاء الاشتراطات اللازمة لتقديم الشكوى.

وفي خاتمة المداخلة شدد الباحث على "أنّ احتكام الدول إلى قواعد القانون الدولي إنما يدلّ على ثقافتها القانونية؛ وهذه الثقافة هي التي تدفع الدولة إلى احترام حقوق الإنسان، وهذا الاحترام هو دافع لها للامتناع عن الاعتداء على حقوق الآخرين وحقوق الجوار. فهذه الثقافة تدعو إلى احترام المواطنين والعقود والمواثيق، وإنّ عدم تجاوزها هو ثقافة تدعو إلى الاحترام والتعقل وتجنب الخطأ وصون الحقوق ومعرفة مواطن المسؤولية وأنماطها، لذلك فإنّ إدراك هذه الأحكام والقوانين أمر مهمّ قبل أن تقوم أيّ دولة بمخالفتها. فهذه الأحكام هي مبادئ سامية".

المسألة السياسية في الأزمة الخليجية وأبعادها

تناول ماجد الأنصاري في مداخلته التصورات السياسية للأزمة من خلال بعدٍ زمني، مقسّمًا إياها إلى ثلاث مراحل؛ ما قبل الأزمة، وخلالها، ومستقبلها. وبيّن أنّ واقع ما قبل الأزمة يقوم على خمس ركائز، أولًا: نقض المسلّمات القائمة على انعدام خلاف بين دول الخليج العربية؛ إذ إنّ الخلاف التاريخي بين هذه الدول وقطر يعود إلى سنين طويلة. فالخلاف مع السعودية يعود إلى حادثة الخفوس عام 1992. ومع البحرين، يعود إلى الخلاف على جزر حوار، قبل أن يجري تسوية النزاع الحدودي بينهما. ومع الإمارات العربية المتحدة، يعود الخلاف إلى عام 1996. ويرى الباحث أنّ العلاقة التاريخية بين دول الخليج العربية لم تشهد استقرارًا دائمًا بل كانت عرضة، دومًا، لتقلُّبات دورية. ثانيًا: الخلاف القطري - الأميركي حول موقف قطر من الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في عام 2008. وفي هذا الشأن، رأى الأنصاري أنّ العلاقة بعد ذلك حافظت على اتفاق في مجموعة من الملفات السياسية، على الرغم من وجود خلافات في قضايا أخرى. ثالثًا: موقف قطر من الثورات العربية وانحيازها إلى موقف الشعوب العربية وحريتها، مقابل دعم دول الحصار لموقف

الأنظمة. رابعًا: الصراعات داخل بيت الحكم في السعودية منذ وفاة الملك عبد العزيز آل سعود. وفي هذا السياق، ذهب الباحث إلى أنّ الخلافات تنبع من الصراعات الهادفة إلى وقف الحركة الأفقية في ولاية العهد ونقلها إلى الحركة الرأسية. وأكّد الباحث أنّ سعي المملكة العربية السعودية لفرض حالة من الاستقرار في المنطقة تكون مسؤولة عن تحديد حيثياتها، يتطلب منها استقرارًا في داخل البيت السعودي، وهذا لا ينفصل عن صراع "الأنا السياسية". خامسًا: وصول دونالد ترامب إلى رئاسة الولايات المتحدة الأميركية بعد سخط سياسي داخلي، قبل أن يصل ذلك إلى فوضى في إدارته السياسية. وهذا الأمر، بحسب الباحث، جعل السعودية تعدّ قمة الرياض، أيار/ مايو 2017، فرصة لاستغلال حالة الارتباك السياسي في الإدارة الأميركية، وإطلاق مشاريع سياسية تعيد إليها مكانتها في المنطقة.

واستمر الأنصاري في عرض السياقات المحورية التي أثّرت في الأزمة، فقد رأى أنّ دول الحصار تسعى في خطابها لإيصال رسالة إلى البيت الأبيض؛ مفادها ضرورة إعادة فرض الأنظمة السابقة في المنطقة العربية حتى تستقر، وترى هذه الدول أنها ستحافظ بذلك على استقرارها واستقرار المنطقة، ويكون استكمال ذلك باجتثاث الدول المعارضة لهذا المشروع، وإعادة فرض الأنظمة السابقة. لهذا، قبلت إدارة ترامب هذا الطرح، ما أدى إلى تعزيز موقف دول الحصار في بداية الأزمة، حتى وصلت إلى وجود استعداد لهجوم عسكري على قطر. وعلى الرغم من ذلك، أكد الأنصاري أمرين رئيسين كان لهما أثر خلال الأزمة؛ تمثّل الأول بفشل دول الحصار في استجلاب موقف أميركي حقيقي، بدلًا من استجلاب موقف شخصيّ من ترامب، وهذا ما أوضح دور المؤسسة الأميركية في إدارة الأزمة لاحقًا من خلال وزير الخارجية الأميركي ريكس تيلرسون. أمّا الأمر الثاني في هذه الأزمة، فقد تمثَّل باجتماع القاهرة في 5 تموز/ يوليو 2017 الذي ضمّ وزراء خارجية الدول الأربع. ورأى الأنصاري أنّ هذا الاجتماع قد كان "نقطة نهاية" التصعيد في هذه الأزمة. فقد أثبتت دول الحصار أنها باتت غير قادرة على التصعيد منذ مؤتمر القاهرة، ليأتي بعد ذلك مؤتمر المنامة في 30 تموز/ يوليو 2017، مثبتًا هذه الرؤية. ووضح الأنصاري أنّ لمستقبل الأزمة العديد من التداعيات التي ستنقل قطر إلى الاستقلال السياسي الحقيقي، والاعتماد على تنويع العلاقات الثنائية، والخروج من مبدأ المجاملة السياسية الذي كان يُعتمد قبل الأزمة. وعلى المستوى المبدئي، أوضح الباحث أنّه قد أصبح لدى قطر مبادئ واضحة تدير من خلالها علاقاتها وسياستها الخارجية. أمّا من الناحية الإقليميّة، فقد بدأ الحديث عن تشكّل لمحاور جديدة تضم إيران وتركيا.

صـدر حديـثًا

تأليــف: سلافوي جيجيك.
تـرجمة: فاضل جنّكر

العنف: تأملات في وجوهه الستة

يحاول كتاب العنف: تأملات في وجوهه الستة، وهو ترجمة فاضل جتكر لكتاب سلافوي جيجيك Violence، الإجابة عن بعض الأسئلة، مثل: هل يسبب تطور الرأسمالية والحضارة ارتفاعًا في وتيرة العنف؟ أم هل يحدّ منه؟ وهل يكمن العنف في فكرة التجاور على بساطتها؟ وهل تقتصر ردة الفعل تجاه العنف اليوم على التفكّر؟ وذلك من طريق سبر أغوار الأنظمة التوتاليتارية الدموية التي سادت في القرن الماضي، ومقاربة العنف المسمى مقدسًا، ورسم أجندة جديدة تحدد السبيل المثلى للتفكير في العنف، والوصول إلى حلول لمشكلات يسبّبها، من خلال محاجة ثقافية لأي عنف تنتجه العولمة أو الرأسمالية أو الأصولية أو اللغة.

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

مجلة **سياسات عربية** مجلة محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. تحمل الرقم الدولي المعياري (ISSN: 2307-1583). وقد صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. وهي مجلة محكّمة تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. وبعد ثلاث سنوات من الخبرة، والتفاعل مع المختصين والمهتمين، صدر خلالها من المجلة ثمانية عشر عددًا، أعادت المجلة هيكلة نفسها بما يتوافق مع المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

تُعنى المجلة بالمقالات والدراسات والبحوث وبالأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية، والسياسات المقارنة، والنظم المؤسسية الوطنية أو الإقليمية والدولية، بما في ذلك دراسات الحالات والسياسات، وعمل النظم السياسية والسلوك السياسي للحكومات والقوى السياسية والاجتماعية والحزبية وسائر الفاعلين الاجتماعيين - السياسيين، واتجاهات المجتمع المدني والمشاركة السياسية والاجتماعية. ويندرج في هذا السياق اهتمامها بالسياسات العمومية وبالدراسات الأمنية والإستراتيجية وقضايا الديبلوماسية والتعاون الدولي، ودراسات الرأي العام وقضايا الهجرة والتهجير والحروب والصراعات الأهلية وقضايا حقوق الإنسان. وتهتم بصورة خاصة بمرحلة الانتقال السياسي العامة الجارية في الوطن العربي، ولا سيما منها مراحل الانتقال الديمقراطي على المستويات السياسية كافة، وما يتعلق بها من جوانب قانونية دستورية ومؤسسية.

إضافةً إلى الهيئتين التحريرية والاستشارية، تستند المجلة في عملها إلى وحدتين نشطتين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، هما "وحدة تحليل السياسات" ووحدة "المؤشر العربي" الذي يصدر تقريره كلّ عام. وتتكامل في عملها مع برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا، ومع برنامج "التحوّل الديمقراطي" في المركز.

تعتمد مجلة "**سياسات عربية**" المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدّا خصيصًا للمجلة، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:

- عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.
- الملخّص التنفيذي باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (100 - 125) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية (Key Words) بعد الملخص، ويقدّم الملخص بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة إشكالية البحث الرئيسة، والطرق المستخدمة في بحثها، والنتائج التي توصّل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق وكُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، ووضع التصوّر المفاهيمي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات. على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة بيبليوغرافية تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث إضافةً إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش. وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية(الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده المركز(ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).
- لا تنشر المجلة مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا بشكل استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في المجلة، وفي هذه الحالة على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- تهتم المجلة بنشر مراجعات نقدية للكتب المهمة التي صدرت حديثًا في مجالات اختصاصها بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من ثلاث سنوات، وألّا يتجاوز عدد كلماتها 2800 - 3000 كلمة. ويجب أن يقع هذا الكتاب في مجال اختصاص الباحث أو في مجال اهتماماته البحثية الأساسية، وتخضع المراجعات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.
- تفرد المجلة بابًا خاصًا للمناقشات لفكرة أو نظرية أو قضية مثارة في مجال العلوم السياسية والعلاقات الدولية لا يتجاوز عدد كلمات المناقشة (2800 - 3000) كلمة، وتخضع المناقشات إلى ما تخضع له البحوث من قواعد التحكيم.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك المراجع في الإحالات المرجعية والهوامش الإيضاحية، والقائمة البيبليوغرافية وكلمات الجداول في حال وجودها، والملحقات في حال وجودها، بين 6000 - 8000 كلمة، وللمجلة أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي استغلت بها في الأصل بحسب برنامجَي اكسل(Excel) أو وورد(Word)، ولا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث إلى تحكيم سري تام، يقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز. وفي حال تبايُن تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم المجلة موافاة الباحث بقرارها الأخير؛ النشر/ النشر بعد إجراء تعديلات محددة/ الاعتذار عن عدم النشر، وذلك في غضون شهرين من استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم المجلة ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم المجلة جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية التي تقدّمها للبحث... إلخ.
- يخضع ترتيب نشر البحوث إلى مقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع المجلة مكافآت ماليّة عن الموادّ - من البحوث والدراسات والمقالات - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى المجلة أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1:
أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

الكتب

اسم المؤلّف، **عنوان الكتاب**، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة 265 (الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 227.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة "وآخرون". مثال:

- السيد ياسين وآخرون، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين وآخرون، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد وآخرون. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم المجلّة**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، المجلد 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. المجلد 15. العدد 1 (2009).

مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- إيان بلاك، "الأسد يحثّ الولايات المتحدة لإعادة فتح الطّرق الدبلوماسية مع دمشق"، **الغارديان**، 2009/2/17.

المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: http://www.....

ويتعين ذكر الرابط كاملًا، أو يكتب مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط (Bitly) أو (Google Shortner). مثل:

"ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، الجزيرة نت، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB

- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2

أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- تعتمد مجلات المركز قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم، بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم على محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل المجلة البحث على قارئ مرجّح آخر.
- تعتمد مجلات المركز محّكمين موثوقين ومجرّبين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
- تعتمد مجلات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
- لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه) أن يبحث الورقة مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ متميّزة أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
- تلتزم المجلة إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
- تلتزم مجلات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
- احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها الفكري، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.

- قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
- تتقيد المجلات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال على المجلة في بحوثهم الخاصة.
- النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض المجلة النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة المجلة إلى الباحث.
- حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في مجلاته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
- تتقيد مجلات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
- المجانية. تلتزم مجلّات المركز العربي بمجّانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

10. Confidentiality: Unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Intellectual property and copyright: The ACRPS retains copyright to all articles published in its peer-reviewed journals. The articles may not be published elsewhere fully or partially, in Arabic or in another language, without an explicit written authorization from the ACRPS.

12. Siyasat Arabiya's editorial board fully respects intellectual property when translating and publishing an article published in a foreign journal, and will not proceed before getting the authorization from the journal in question.

13. Siyasat Arabiya does not make payments for manuscripts published in the journal, and all authors and researchers are exempt from publication fees.

Policy Analysis Unit-ACRPS, "President Trump: An Attempt to Understand the Background," *Assessment Report,* The Arab Center for Research and Policy Studies, accessed on 10/11/2016, at: http://bit.ly/2j36v5S

Annex II

Ethical Guidelines for Publication in Siyasat Arabiya

1. Siyasat Arabiya's editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects the appropriate reviewer to assess paper's suitability for publication, according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third peer-reviewer will be selected.
2. Siyasat Arabiya relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.
3. Siyasat Arabiya adopts a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.
4. Disclosure: With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.
5. When needed, based on the reviewer report, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.
6. Siyasat Arabiya's editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.
7. The journal remains committed to providing quality professional *copy editing*, *proof reading and online publishing service*.
8. Fairness: The editors and the reviewers evaluate manuscripts for their intellectual and scientific merit, without regard to race, ethnicity, gender, religious beliefs or political views of the authors.
9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or connections with any of the authors, companies, or institutions connected to the papers.

For books by three or more authors, in the note, list only the first author, followed by et al.:

Michael Gibbons et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies* (London: Sage, 1994), pp. 220-221.

In later quotes: Gibbons et al., p. 35.

The corresponding bibliographical entry:

Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge*: *The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Periodicals

Author's name, "article title," *journal title*, volume number, issue number (Month/season Year), page numbers.

Joshua I. Weinstein, "The Market in Plato's Republic," *Classical Philology*, no. 104 (2009), p. 440.

The corresponding bibliographical entry:

Weinstein, Joshua I. "The Market in Plato's Republic." *Classical Philology*. no. 104 (2009),.

Articles in a Newspaper or Popular Magazine

N.B. Cited only in footnotes, not in the references/bibliography. Example:

Ellen Barry, "Insisting on Assad's Exit Will Cost More Lives, Russian Says," *The New York Times*, 29/12/2012.

Electronic Resources

When quoting electronic resources on websites, please include all the following: Author's name (if available), "The article or report title," series name (if available), website's name, date of publication (if available), accessed on 9/8/2016, at: http://www...

The full link to the exact page should be included. Please use an URL Shortener (Bitly) or (Google Shortner). Example:

John Vidal, "Middle East faces water shortages for the next 25 years, study says," *The Guardian,* 27/8/2015, accessed on 31/10/2015, at: http://bit.ly/2k97Wxw

j. *Siyasat Arabiya* has a special section for discussions of a topical idea, theory, or issue in political science and international relations. Such contributions should be no longer than 2,800-3,000 words and are subject to the same peer-review rules as articles.

4. The peer review process for *Siyasat Arabiya* and for all journals published by the ACRPS is conducted in the strictest confidence. Two preliminary reviewers are selected from a short list of approved reader-reviewers. In cases where there is a major discrepancy between the first two reviewers in their assessment of the paper, the paper will be referred to a third reviewer. The editors will notify all authors of a decision either to publish, publish with modifications, or to decline to publish, within two months of the receipt of the first draft.

5. *Siyasat Arabiya's* editorial board adheres to a strict code of ethical conduct, which has the clearest respect for the privacy and the confidentiality of authors. The journal does not make payments for articles published in the journal, nor does it accept payment in exchange for publication. In the final production stages, the order of articles published in specific editions is decided on purely technical grounds.

Annex I

Footnotes and Bibliography

Books

Author's name, *Title of Book*, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99-100.

Gabriel García Márquez, *Love in the Time of Cholera*, Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 242-55.

In quotes not immediately following the reference: Pollan, p. 31.

Where there are several references by the same author, add a short title: Pollan, *Omnivore's Dilemma*, p. 31.

In quotes immediately following the reference: Ibid., p. 32.

The corresponding bibliographical entry:

Pollan, Michael. *The Omnivore's Dilemma*: *A Natural History of Four Meals*. New York: Penguin, 2006.

2. Submissions must be accompanied by a curriculum vitae (CV) of the author, in both Arabic and English.

3. All submissions must include the following elements:

a. A title in both Arabic and English together with the author's institutional affiliation.

b. An abstract, ranging between 250 and 300 words in length as well as a list of keywords. The abstract must explicitly and clearly spell out the research problematic, the methodologies used, and the main conclusions arrived at. These must be provided in one English, and one Arabic version.

c. The research paper must include the following: a specification of the research problematic; an explanation of the significance of the topic; specification of thesis or arguments; review of literature emphasizing gaps or limitations in previous analysis; description of research methodology; hypothesis and conceptual framework; bibliography.

d. All research papers submitted for consideration must include a complete bibliography covering all references, regardless of whether or not these appear in the footnotes. References must be cited in the original language in which the source was written. Authors must follow the referencing guidelines adopted by the Arab Center for Research and Policy Studies (See Appendix I for a complete guide to the reference style used across all of our journals).

e. Research papers must normally be between 6,000 and 8,000 words in length, inclusive of references, charts and tables, and appendices. The editors reserve the right to publish articles of longer length in exceptional circumstances.

f. All diagrams, charts, figures and tables must be provided in a format compatible with either Microsoft Office's spreadsheet software (Excel) or Microsoft Office's word processing suite (Word), alongside high resolution images. Charts will not be accepted without the accompanying data from which they were produced.

g. Submitted research must fall within the aims and research interests of the journal.

h. Extracts or chapters from doctoral theses and other student projects are only published in exceptional circumstances. In such cases, the researcher should point this out clearly, and provide full information about the thesis, including the title, the awarding institution and date of award.

i. Book reviews will be considered for submission to the journal provided that the book covers a topic which falls within the scope of the journal and within the reviewer's academic specialization and/or main areas of research. Reviews are accepted for books written in any language, provided they have been published in the previous 3 years. Book reviews are subject to the same standards of rigorous scrutiny which apply to research papers. Book reviews must be between 2,800 and 3,000 words in length.

SIYASAT ARABIYA سياسات عربية

Siyasat Arabiya: A Peer Reviewed Journal in Political Science

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies (ISSN 2307-1583) dedicated to political science, international relations, strategic affairs and public policy. First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science including international relations, comparative politics, and national, regional, and international institutional systems. The journal publishes critical insights into the operation of political systems, the behavior of governments and political parties as well as the trends in civil society and social and political participation more broadly. This is complemented with publications covering public opinion, issues of migration and forced migration, war, civil war, conflict and human rights issues. Particular attention is paid to the present-day political transition in the Arab world, especially democratization at all political levels and its legal-constitutional and institutional aspects.

In addition to the editorial and advisory boards, the journal relies on two units active within the Arab Center of Research and Policy Studies (ACRPS): the Policy Analysis Unit and the Arab Opinion Index, which produces an annual report on public opinion across the Arab world. The journal's work is also closely linked to the political science program at the Doha Institute for Graduate Studies and the Program for the Study of Arab Democratization within the ACRPS.

Publication in *Siyasat Arabiya* is governed by a strict code of ethics guiding the relationship between the editorial staff and contributors. With three years of experience and interaction with specialists and contributors the journal was recently (Spring, 2016) restructured to bring it in line with international standards of academic publishing. Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must therefore adhere to the following guidelines:

1. Original work which is submitted exclusively for publication within the journal. No work which has been previously published fully or in part will be considered for publication in *Siyasat Arabiya*. Similarly, no work which substantially resembles any other work published in either print or electronic form, or submitted to a conference other than the conferences held by the ACRPS will be considered for publication.

دعوة للكتابة

تدعو دورية "سياسات عربية" الأكاديميين والباحثين وسائر الكتّاب المهتمين بشؤون السياسات للكتابة على صفحاتها. تقبل الدورية الأبحاث النظرية والتطبيقية المكتوبة باللغة العربية، كما تفتح صفحاتها أيضًا لمراجعات الكتب، وللحوار الجاد حول ما ينشر فيها من موضوعات. تخضع كل المواد التي تصل إلى "سياسات عربية" للتحكيم من جانب مختصين من الأكاديميين. ولذلك تتوقع هذه الدورية ممن يكتبون إليها الالتزام بمعاييرها، وبما يبديه المحكّمون من ملاحظات. فاتباع التقاليد العلمية المؤسّسيّة، على محدوديتها، هو الذي يسمح بتراكم التّجربة واحترام المعايير العلميّة، وضمان جودة المادة التي تصل إلى القراء. تهدف هذه الدورية إلى أن تكون طيّعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحيةِ برصانة المضمون.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة

siyasat.arabia@dohainstitute.org

سياسات عربية SIYASAT ARABIYA

قسيمة الاشتراك

الاسم _____

العنوان البريدي _____

البريد الإلكتروني _____

عدد النسخ المطلوبة _____

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

Invitation to submit papers

The editors of *Siyasat Arabia* invite scholars to submit papers for consideration in future editions of the journal. *Siyasat Arabia*, published bi-monthly in Arabic, covers the range of specialisms within political science and strategic studies, including international relations, geopolitics and geostrategic studies. The journal also carries critical, incisive essays and book reviews as well as primary source materials. All submitted manuscripts will be subject to the same rigorous peer review process. The journal aims to further and deepen debate around these topics for diverse audiences of professional scholars and non-specialists alike while continuing to uphold its high academic standards.

All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.org

Address all correspondence to the Editor-in-Chief

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35 دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.
55 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.
55 دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.
75 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.
95 دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.
120 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.
120 دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.
140 دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون
ص.ب: 4965-11 رياض الصلح 2180-1107 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
Qatar National Bank
Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)
IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)
SWIFT code: QNBA LB BE